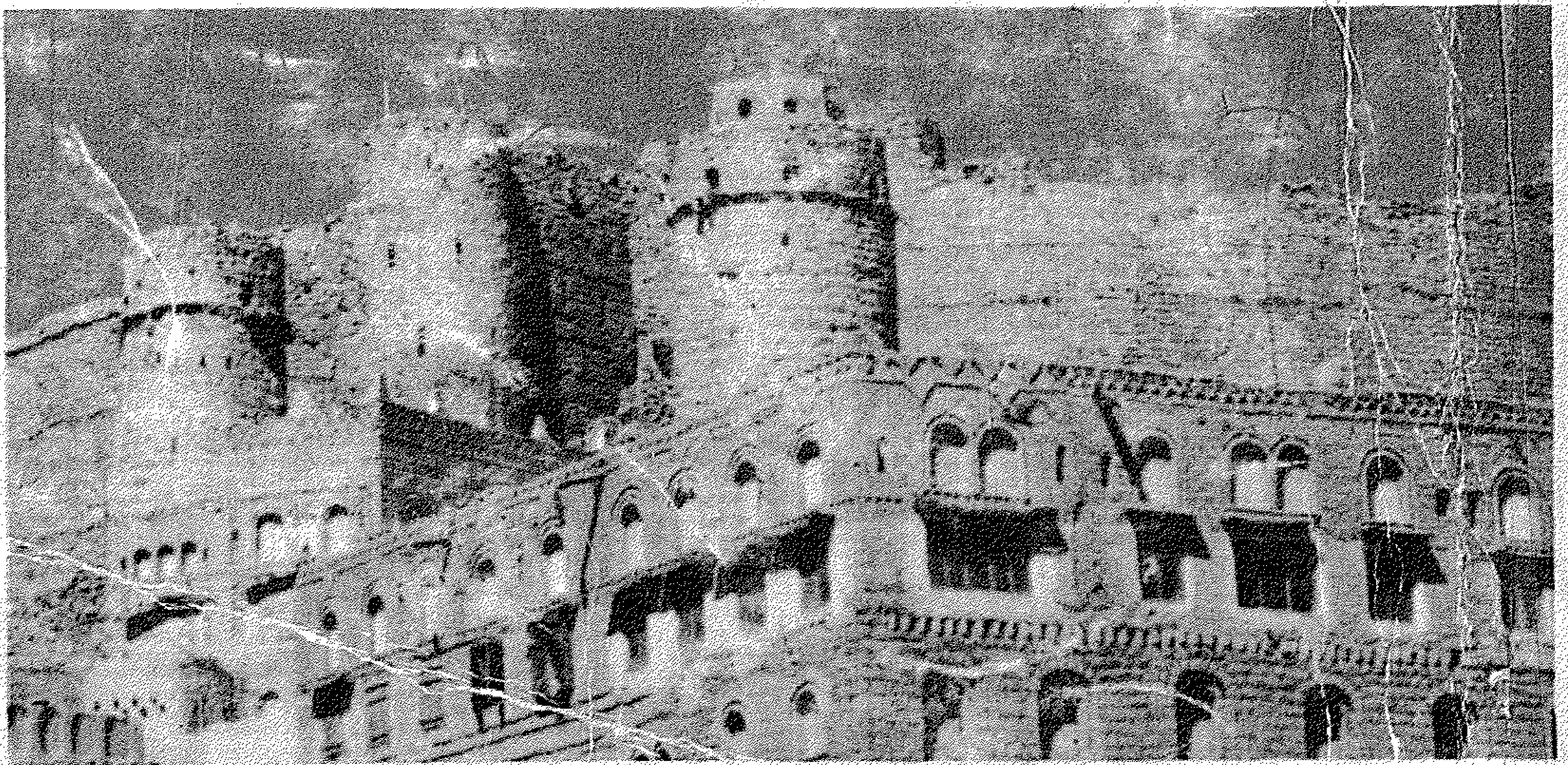
مدخل
إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية



دكتور
مصطفى عبد الله شيحة
أستاذ مساعد بكلية الآثار
جامعة القاهرة



مدخل
إلى العمارة والفنون الإسلامية
في الجمهورية العربية اليمنية

دكتور
مصطفى عبد الله شيحه
أستاذ مساعد الآثار والفنون الإسلامية
بجامعتي القاهرة وصنعاء

١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

تنفيذ : وكالة اسكريبت للدعاية والتجهيز الفنى
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقـل رب زدنـى علماً »

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى الشعب اليمنى العزيز وإلى أبنائى الطلبة بقسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء ، أهدى هذا الكتاب

تصديـــر

شهدت بلاد اليمن حضارات عديدة متتالية منذ عصر ما قبل الاسلام ، وكان أهلها فى طليعة القبائل العربية التى شاركت فى الفتوحات الاسلامية فى البلاد المختلفة التى أظلها الاسلام واختلطوا وتعايشوا مع أهل هذه البلاد .

والحق أن الحضارة الاسلامية قد ازدهرت فى بلاد اليمن ازدهاراً عظيماً ، وخلفت وراءها تراثاً إسلامياً كبيراً فى مجال الفن الاسلامى . على أننى أحمد الله سبحانه وتعالى ، أن كانت فترة إعارتى من جامعة القاهرة إلى جامعة صنعاء ، وهو الأمر الذى أتاح لى التعرف على الآثار الاسلامية فى اليمن ، وأن أشاهد هذا التراث الاسلامى عن قرب وأنهل منه قدر ما استطعت ، وأكتب عنه قدر ما استطعت أيضا ، خاصة وأن هذا التراث ، كان ينقصنا تماماًفى مجال الدراسات الآثارية الاسلامية ، وقد رأيته رؤيا العين وعايشته أربع سنوات من خلال التدريس بقسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء .

واليوم وأنا أُقدم للقارىء والمتخصص هذه الدراسة «» ، فإننى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون قد حالفنى التوفيق فى الاشارة إلى لمحة بسيطة عن العمارة الدينية اليمنيه (المساجد والمدارس) والفنون الزخرفية اليمنية والتى أشرت منها إلى المعادن والأخشاب اليمنية فقط .

إن العمائر اليمنية الدينيه والمدنية والحربية وكذلك الفنون الاسلامية تُشير تماماً إلى أهمية الانسان اليمنى فى هذا المجال من قدرة وابتكار وفى مقاومة الطبيعة والتغلب على تضاريسها ، حيث المدن اليمنية ، بكل ما يتوافر فيها من مقومات المدينة ، تشهد لليمنى بأصالة الفن الاسلامى ، الذى لازال باقياً إلى اليوم فى اليمن .

وأخيراً فإننى أشعر بأننى مدين لهذا البلد العزيز الذى عشت بين أهله ،

وكان لى به طلبة وطالبات ، أذكرهم جميعاً بالخير ، وأقدم لهم هذا العمل المتواضع عن آثار بلدهم ، فما أصبت فيه ، كان من فضل الله سبحانه وتعالى ، وما تعثرت فيه فهو خطأ اتداركه إن شاء الله تعالى .

ويسعدنى أن أتقدم بالشكر للاستاذين العزيزين محمد إبراهيم الشربينى ومحمد عونى عبد الوهاب بوكالة إسكرين للطباعة والتجهيزات الفنية لمجهودهما الكبير فى إخراج وتنفيذ هذا الكتاب .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

مصطفى عبد الله شيحه

٢٧ رمضان ١٤٠٧ هـ
٢٤ مايو ١٩٨٧ م

مقدمــة

وآكبت بلاد اليمن فى مسيرتها الحضارية الفن الاسلامى منذ نشأته ومراحل تطوره خلال الفترات الزمنية المتلاحقة فى العصر الاسلامى . على أن مواكبة اليمن للفنون الاسلامية بمجاليها العمارة والفنون الزخرفية لم يأت من فراغ ، وإنما هو امتداد للمسيرة الحضارية فىعصور ما قبل الاسلام ، مع إختلاف الشكل والمضمون . ذلك أنه من المعروف العمق الحضارى لليمن فى عصور ما قبل الاسلام ، خاصة فى ميدان الزراعة والاستقرار ، وما بقاء أطلال سد مأرب القديم إلى اليوم ، إلا رمز لهذا العمق والاستقرار وهندسة البناء . ومثل ما كان لليمن من أهمية فى ميدان الرى ، كان لها أهميتها أيضا فى مجال التجارة بحكم موقعها الجغرافى الهام بالنسبة لطرق التجارة القديمة بين العالم ككل ، وكان هذا الموقع الهام لبلاد اليمن أثره على الجانب الآخر ، فيما تعرضت له ، عبر تاريخها الطويل من مطامع وغزو وتيارات داخلية كثيرة ، وكان أيضا لهذه المطامع دورها فى النواحى الفنية فى التأثر والتأثير بين الفن فى اليمن وبين الفنون الأخرى المختلفة القديمة والاسلامية .

لقد بقى الكثير من العمائر الاسلامية اليمنية المتنوعة ، وإن كان جانب الفنون الزخرفية ، لايزال قليلاً إلى الغاية ، ولعل ذلك الأمر يرجع إلى عدم إجراء حفائر علمية منظمة حتى الآن فى اليمن ، خاصة فى مواقع المدن الإسلامية القديمة ، وفى تقديرى وفق ما رأيت وشاهدت ، أنه إذا ما أُجريت مثل هذه الحفائر ، فإن نصيب الفنون الزخرفية سيكون كبيراً جداً وستزداد مقتنيات المتاحف القليلة فى اليمن من الفنون التطبيقية للفن الاسلامى اليمنى .

لقد بقى باليمن من التراث المعمارى عمائر دينية كثيرة ومدنية وحربية بكل مشتملاتها وأنواعها المعروفة فى مجال العمارة الاسلامية ، ويزيد من أهميتها تنوع الدويلات الاسلامية العديدة التى ظهرت فى اليمن ، ويصعب حصر هذه العمائر والاشارة إليها فى كتاب واحد ، لذلك فإننا نشير فقط إلى بعض الأمثلة من العمائر الدينية كالجوامع والمساجد والمدارس ،

على إعتبار أنها نماذج قابلة للدراسة والتقصى من جديد عنها ومحاولة ربطها مع النماذج من العمائر الاسلامية الأخرى خارج اليمن . ونشير فيما يلى بايجاز إلى بعض الملاحظات العامة عن الآثار والفنون الاسلامية فى اليمن .

من المعروف أن الفن الاسلامى قد اعتمد فى نشأته على الفنين الساسانى والبيزنطى ، وذلك فى معظم البلاد المفتوحة ، والتى كانت تتبع من الناحية السياسية الدولتين الكبيرتين الساسانية والبيزنطية ، وكان لكل منهما فن متميز ، ترك تأثيره الفنى على شعوب هذه البلاد ، وظهر فى منتجاتها فى مجال العمارة والفنون .

والحق أن العرب الفاتحين كانوا من الحكمة والذكاء فى أن يتركوا شعوب البلاد المفتوحة فيما هم عليه من فنون حتى لا يشعروا بطبيعة التغير الجديد ويتفرغوا هم لإتمام الفتوحات الاسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى ، يتم معرفة واستيعاب الفنون المختلفة فى البلاد المفتوحة بمرور الوقت ، وهو الأمر الذى تحقق فعلاً بعد فترة قصيرة من الفتوحات الاسلامية .

لقد غطى الإسلام رقعة كبيرة من الأرض ، سادها العدل والمساواة بين الناس ، اكثر من ذى قبل ، وتخلصت شعوب عديدة من القهر والظلم والعدوان ، وفى ذلك يذكر المستشرق چوستاف لوبون فى كتابه عن الحضارة العربية قوله : « أن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن ، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا فى أديانهم ، فإذا حدث واعتنق بعض الأقوام النصرانية الاسلام ، واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين ، مالم يروا مثله من ساداتهم السابقين »[١] . والواقع أنه بمثل هذه السماحة سيطرت الدولة الاسلامية ، على مساحة كبيرة من الأرض ، امتدت من الهند وآسيا الوسطى شرقاً إلى الأندلس والمغرب الأقصى غرباً ، ومن حوض الطونة وإقليم القوقاز وصقلية شمالاً إلى بلاد اليمن جنوباً[٢] .

على أننا نعتقد تماماً بأن الفن الاسلامى أخذ فى التكوين منذ القرن الأول الهجرى ، فى البلاد الإسلامية المختلفة وإن غَلَب على هذا الفن تأثير الفنون السابقة عليه ، فقد شهد القرن الأول الهجرى قيام الطراز الأموى وهو الطراز الأول فى الفن الاسلامى ، حيث النماذج

(١)چوستاف لوبون : الحضارة العربية ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، ص ١٥ .
(٢) زكى محمد حسن : الفنون الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٦ .

الأولى من العمائر الاسلامية الدينية والمدنية ، على الرغم من أن معظم الصناع والفنانين كانوا من أهل الذمة من البلاد نفسها أو من خارج حدود الدولة الاسلامية ، من جنسيات مختلفة ، قدمت إلى بلاد الدولة الاسلامية لتُسهم فى العمائر والفنون الجديدة ذات الطابع الخاص ، وقد دمغ هذا الطابع الاسلامى الجديد منتجات القرن الأول الهجرى بطابع خاص .

ولقد تمثل هذا الأمر أيضاً إلى حد ما فى المنتجات الفنية للتحف التطبيقية على مواد عديدة فى الفن الاسلامى كالخزف والخشب والمنسوجات والمعادن والأحجار والجص والزجاج وغير ذلك ، حيث بدأت منتجات هذه المواد تحمل الطابع الجديد المتميز بالبعد عن تقليد الطبيعة والاتجاه ناحية التحوير ، الذى أصبح من أبرز مميزات الفن الإسلامى الجديد . كما شهد القرن الأول الهجرى أيضاً ، تلك الخطوة الجريئة ، التى قادها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥م) ، فى تعريب الدواوين وتوحيد السكة الإسلامية بطراز عربى خالص ، فى إتجاه توحيد النقد الإسلامى من التأثيرات السابقة البيزنطية والساسانية ، محققاً فى ذلك ضرورة من ضرورات الحكم فى مرحلة الاستقرار ، التى أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية .[1] . وعلى هذا الأساس فقد تم تعريب كل الدواوين فى فارس والشام ومصر وأصبح للسكة الإسلامية طرازها الخاص ، الذى تطور بعد ذلك فى البلاد الإسلامية المختلفة .[2]

على أن الفن الإسلامى قد أخذ فى النمو سريعاً ، خلال القرن الثانى الهجرى / ٨ م ، وقطع خلال هذا القرن شوطاً كبيراً ، وبدأ فى النضوج والاكتمال اتجاه نشأته الأولى خلال الربع الأول من القرن الثالث الهجرى / ٩ م حين أُنشئت مدينة سامرا[3] ، على يد الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ، وبذلك تخلص الفن الإسلامى من التأثيرات السابقة عليه إلى حد كبير وفى فترة وجيزة .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الأسكندرية ، جـ ٢ ، ص ٣٩٣ .

(٢) أنظر عن هذا الموضوع : عبد الرحمن فهمى : فجر السكة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨ - ٥٣ .

(٣) سامرا مدينة عراقية ، أنشأها الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢١ هـ م ٨٣٦ م ، وإنتقل إليها مع حاشيته وجنوده من الترك بعد أن ضاق بهم الناس فى بغداد . تميزت مدينة سامرا العاصمة الجديدة بكثرة مبانيها الفخمة وتعدد أنواعها وبظهور طراز من الزخارف الجصية عُرف بطرز سامرا الثلاثة . والواقع أن الحياة فى هذه المدينة لم تدم كثيراً حيث هُجرت نهائياً عام ٢٧٦ هـ / ٨٩٩ م ، وعاد مركز الخلافة العباسية إلى بغداد .

لقد ظهر التغيير الجديد فى الملامح العامة للفن الإسلامى الجديد والذى تمثل فى الإتجاه إلى التحوير والبُعد عن الطبيعة فى مجال الزخارف النباتية والهندسية على نطاق واسع[1] ، وكان لإقبال الفنان على هذا النوع من الزخارف والبعد إلى حد ما عن الزخارف الآدمية والحيوانية وأشكال الطير ، إتجاهه الواضح فى بعض النواحى الدينية التى تنفر من الصور الادمية خاصة .

لذلك فقد كان لمدينة سامرا العراقية أثرها الواضح كعاصمة إسلامية نشأ فيها طراز الفن الاسلامى الجديد ، ومنها إنتقل إلى سائر البلاد الإسلامية الأخرى .

علىأن الاستقرار السياسى الكبير ، الذى شهدته الدولة الإسلامية ، خلال العصر العباسى الأول ، قد بدأ يتحول بعد ذلك إلى ضعف وتفكك ، وبدأت الدويلات المستقلة فى الظهور ، وإن كان قد تبع هذا التحول السياسى الجديد والبعيد عن الخلافة المركزية ، ظهور طرز وأساليب فنية جديدة ، تميزت بها بعض البلاد الإسلامية .

والواقع أن بلاد اليمن تميزت بكثرة الدويلات وتعددها ، وهو الأمر الذى إنعكس على الطرز الفنية للعمارة والفنون بها إلى حد كبير ، فقد تبعت من الناحية السياسية عصر الخلفاء الراشدين ، ثم عصر الدولة الأموية ، حتى العصر العباسى الأول ، وإن كانت بلاد اليمن لم تستقر سياسياً، فى وضعها كولاية ، تابعة للخلافة الأموية أو الخلافة العباسية ، إذ تدهورت حالة البلاد وإضطربت وكثرت القلاقل فيها والفتن[2] ، وقامت فيها الدويلات المستقلة كدولة بنى زياد : (٢٠٥ - ٤٠٢ هـ) ودولة بنى يعفر : (٢٢٥ - ٣٩٣ هـ) ، ودولة بنى نجاح : (٤٠٣ - ٥٥٥ هـ) ، ودولة بنى الصليحى : (٤٣٩ - ٥٣٢ هـ) ، ودولة بنى زريع (٤٧٠ - ٥٦٩ هـ) ودولة بنى حاتم (٤٩٢ - ٥٦٩ هـ) ودولة بنى مهدى (٥٥٣ - ٥٧٩ هـ) ودولة بنى أيوب (٥٦٩ - ٦٢٦ هـ) ودولة بنى رسول (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ) . هذا فضلاً عن قيام دولة الأئمة الزيدية فى صعدة والتى أسسها الإمام الهادى يحيى بن الحسين إعتباراً من عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، ثم أخيراً الغزو العثمانى لليمن ، حتى تم توحيد الشعب اليمنى تحت راية ثورته عام ١٩٦٢ .

---

(١) فريد شافعى : زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٣ ، جـ٢ ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ١ - ٣٩ .

وأيضاً Shafi : simple Calyx ornament in Islamic Art, Cairo, 1956,P.9-10.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

ونعتقد تماماً بأن تعدد الدويلات الإسلامية فى اليمن ، وصراعها المستمر مع بعضها ، وتبعيتها فى بعض الأحيان للخلافة الإسلامية خارج اليمن أو لبعض الدول الأخرى المعاصرة لهذه الدويلات ، وكذلك وضوح المطامع الخارجية ومحاولة السيطرة على اليمن ، كان له أثر كبير فى تنوع الفن الإسلامى فى اليمن ، فعلى سبيل المثال يبدو التأثير الفنى بين المنشآت اليمنية وفى غيرها بالعراق خلال القرن الثانى الهجرى / ٨م ، وبينها وبين العمارة الأندلسية فى بعض القرون وهو ما لحظته خلال زيارتى لأسبانيا وخلال رؤيتى للعمائر اليمنية ، خاصة فى مدينة زبيد .

ومن ناحية أخرى فإن العلاقات الطيبة التى سادت بين الدولة الصليحية فى اليمن والدولة الفاطمية فى مصر ، وبين سلاطين الدولة الرسولية فى اليمن ودولة المماليك فى مصر ، كان لمثل هذه العلاقة صداها الواضح الذى انعكس على العمائر اليمنية ، فضلاً عن الهدايا الكثيرة المتبادلة بين خلفاء وملوك وسلاطين هذه الدول فى مصر واليمن .

والحق أن تأثير عمارة وفنون الدولة العثمانية ، رغم صراعها الكبير مع اليمن ، ورغم المقاومة العاتية من أبناء اليمن لهذه الدولة ، فإن هذا الصراع قد انعكس أثره بعد ذلك على العمائر والفنون اليمنية .

على أننى أحاول فى هذا الكتاب ببابيه الرئيسيين ، إعطاء فكرة عامة عن الآثار الهامة الدينية كالمساجد والمدارس ، على إعتبار أنها نماذج معمارية أثرية هامة ، كنا لا نعرف عنها شيئاً كثيراً فى مجال العمارة الاسلامية وكذلك الفنون الزخرفية اليمنية ، وآمل من الله سبحانه وتعالى أن يمدنى بالعون فى دراسة جديدة أخرى عن الفن الإسلامى فى اليمن .

الباب الأول

المساجد والمدارس

تنوعت وتعددت المنشآت المعمارية خلال العصر الإسلامى فى اليمن ، تبعاً لأغراضها الدينية والمدنية والحربية ، ورغم تعدد هذه الآثار الإسلامية وتنوعها فى اليمن ، فإن ما كتب عنها قليل للغاية ، ولا يفى بجزء قليل من التعريف بحجم الأثار الإسلامية فى اليمن ، لذلك فإننا سنعرض فى هذا الباب من الكتاب بفصليه لبعض أمثلة العمائر الدينية كالمساجد والمدارس فقط نظراً لكثرتها ، وذلك من خلال الوصف المعمارى وبعض تواريخها المتتابعة ، خاصة ما يشمل الأضافات التى لحقت بها على مر العصور .

ومن المعروف أن العمائر الإسلامية ، تشمل أبنية عديدة ، تخدم أغراضاً مختلفة ، منها ما هو دينى كالجوامع والمساجد والمدارس والخوانق(١) والتكايا(٢) والمشاهد والأضرحة(٣)

---

(١) الخانقاه : كلمة فارسية مركبة أصلها خانكاه بمعنى دار للتعبد ، خاصة برجال الصوفية ، وهى تشبه النظام المعمارى المعروف لتخطيط المدرسة ، إلا فيما عدا وجود الخلوات فى جناح منفصل ، إذا إجتمعت المدرسة والخانقاه فى مجموعة واحدة . هذا ويرجح أن نظام الخانقاه مأخوذ عن الرباط ، وقد ورد أن أول خانقاه أقيمت فى الإسلام ، كانت حوالى عام ٤٠٠ هـ وإن كان يذكر أيضاً ، أن أول خانقاه أقيمت قبل ذلك بكثير ، وقد شهد القرن الخامس الهجرى / ١١ م فترة تأسيس وتنظيم الخوانق .

أنظر : صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الاسلامى فى مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعةالأولى ١٩٨٤ ، ص ٢١ - ٢٣ .

(٢) التكايا : نوع من المبانى المعمارية أنشئت كبديل للنظام المعمارى للخانقاه فهى عبارة عن فناء مكشوف محاط من الجهات الأربع بدهاليز ، تفتح على الفناء بعقود تحملها أعمدة ، ويغطى هذه الدهاليز قباب صغيرة ، وينتظم حول الدهاليز غرف لإقامة الدراويش بها وبها مسجد صغير وسبيل .

أنظر : صالح لمعى : المصدر السابق ، ص ٢٣ - ٢٥ .

(٣) الواقع أن القباب أو الأضرحة من المبانى الدينية فى الإسلام ، وغير مرغوب فى بنائها نظرا لتعاليم الاسلام ومن المعروف أن قبة الصليبية ، هى أول مدفن عليه قبة وهى خاصة بالخليفة العباسى المنتصر المتوفى عام ٢٤٥ هـ ، يليها مدفن اسماعيل السمانيد ٣٠٣ هـ ، وأقدم مثال فى مصر مشهر آل طباطبا ٣٣٤ هـ ، ثم يلى ذلك أضرحة السبع بنات فى مصر ٤٠٠ هـ وهى عبارة عن سبع مدافن ، كل مدفن على شكل حجرة مغطاة بقبة ، وقد ظهر فى العصر الفاطمى ما يعرف بالمشهد : عبارة عن مدفن يتكون الجزء الشرقى منه من ثلاث حجرات الوسطى مغطاة بقبة وبها المدفن والتركيبة ، ثم تطور الوضع المعمارى بعد ذلك .

أنظر : صالح لمعى : المصدر السابق ، ص٢٥ - ٢٩ .

Creswell, K.A.C: The Muslim Architecture of Egypt, Vol, I, Reprint New York, 1978,P.P. 107-113, 47-48. Pl,34.

والأسبلة والكتاتيب[1] والأربطة[2] ، ومنها ما هو مدنى كالقصور والمنازل[3] والخانات[4]

---

(١) غالباً ما كان يلحق السبيل بالمسجد والمدرسة والخانقاه فى العمارة الاسلامية خلال العصر الاسلامى ونادراً ما كان منفرداً .

أنظر عن هذا الموضوع :

صالح لمعى : المصدر السابق ، ص ٢٧ – ٢٩ .

(٢) الأربطة : نوع من المبانى الإسلامية فى العمارة الإسلامية كان يسكنه المجاهدون فى الإسلام .

أنظر : حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٦٩ – ١٧٣ .

(٣) تمتاز بلاد اليمن بطراز معمارى ثابت تقريباً فى بناء المنازل اليمنية ، فمنازل مدينة صنعاء القديمة ، تتكون من عدة طوابق ، قد تصل فى بعض الأحيان إلى سبعة طوابق ، تبعاً للحالة الإجتماعية والإقتصادية لصاحب المنزل ، ويكون الطابق الأول عادة بمثابة مخزن ، يتم فيه تخزين المواد اللازمة للمعيشة ، والطوابق الأخرى معدة للسكن وفق نظام معين . ومن العناصر المعمارية الهامة التى تتوافر فى المنزل اليمنى ما يعرف باسم (المفرج) والمفرج اليمنى ، عبارة عن قاعة فسيحة أشبه بالمنظرة ، يوجد فى قمة المنزل من أعلى وبه فتحات ، ويستخدم كقاعة إستقبال رسمية .

بنيت منازل مدينة صنعاء القديمة من مادة الحجر المستجلب من جبل نُقم ، خاصة النوع الأبيض ، كما استخدم فى بنائها أيضاً حجر الحبش الأسود من جبل الجراف بالإضافة إلى استخدام الأحجار البركانية . هذا وقد استخدم فى مادة البناء الطابوق (الأجر) والزابو أيضاً (الطوب اللبن الذى يتميز بكبر حجم قوالبه) ، واستعمل الخشب بين مداميك البناء ، وفى السقوف والأرضيات ، وغشيت المنازل بالداخل بمادة الجص ومن الخارج بمادة النُورة ، وهى مادة جيرية بيضاء ، يتم حرقها ، أكثر من مادة الجص الأبيض ، إضافة إلى استخدام مادة القضاض وهى شبيهة بمادة الأسمنت .

هذا وقد زخرفت المنازل اليمنية من الداخل بأشرطة من الجص ، ازدانت بالكتابات والزخارف المختلفة ، ويكثر بها وجود الشمسيات والقمريات والمشربيات الخشبية ومن مادة الحجر أيضا ، وفى بعض الأحيان ، يثبت على واجهات المنازل قرون الوعل أو فى بعض أركان الدار . ولعل من أهم ما يميز واجهات المنازل اليمنية استخدام العقود فى الفتحات وفى الزخرفة المعمارية .

أنظر : الهمدانى : الاكليل ، طبعة بغداد ، ١٩٣١ ، جـ ٨ ، ص ٢٣ – ٢٥ ، يوسف محمد عبد الله : أوراق فى تاريخ اليمن ، جـ١ ، ص ١٢٠ ، جـ٢ ، ص ١٣٣ ، غازى رجب محمد : البيوت القلاعية فى اليمن ، مجلة سومر ، بغداد ، ص ١٦٠ – ١٦٤ ، محمد الأكوع : وصف صنعاء القديمة ، مجلة الاكليل ، العددان ٢ ، ٣ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٢ – ٣٠ ، نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العرب السعيدة ، طبعة بيروت ، جـ ١ ، ص ١٣٣ – ١٣٥

وأنظر أيضاً :

- Serjeant, R, B, Lewcock,R: San'á an Arabian Islamic City, England,1983,
- Suz anne et Max Hirschi: L'Architecture au yemen du Nord, Berger- Levrault, 1983,P.P.128–137.
- Michael Jenner: Yemen Rediscovered,London, 1983,P.P.66- 68.
- Piepen burg,F: Travellers Guide to yemen, Nicosia, 1983, P.P.80- 88.

(٤) الخان كلمة فارسية ، أطلقت على أماكن الاستراحات أو الاقامة على طرق المواصلات بين المدن وعلى مبان تجارية وأخيراً يطلق الخان على الفندق ، وقد ازدهرت من الناحية المعمارية ، خلال القرن السابع الهجرى / ١٣ م فى ايران وسوريا والأناضول ويتكون مبنى الخان من حجرات لإقامة المسافرين ومصلى وفى بعض الأحيان حمام بالاضافة إلى وجود اسطبل للحيوانات أنظر : صالح لمعى : المصدر السابق ، ص ٥٦ – ٥٧ .

والوكالات ، وقد تبقى فى اليمن بعضها خاصه فى مدينة صنعاء ويطلق عليها (السماسر) والبيمارستانات (المستشفيات) ، والأسواق والقياصر والحمامات[٢] وغيرها من المنشآت ذات الأغراض المدنية . أما المنشآت الحربية والدفاعية ، فقد تفوق فى بنائها المعمار خلال العصر الاسلامى ، وكان لليمن فى هذا النوع من المنشآت إسهام واضح ، فلاتزال القلاع اليمنيه باقية أعلى قمم الجبال ، وقد وهبتها طبيعة التضاريس فى بلاد اليمن خاصية دفاعية قل أن توجد فى بلاد إسلامية أخرى ، نظراً للإرتفاع الشاهق فى المرتفعات الجبلية ، فتميزت القلاع اليمنية بمناعتها وصلابتها ، ولها تاريخ مشهود فى هذا الصدد[٣] . كما لاتزال أسوار وأبواب المدن القديمة باقية كما فى مدينة صنعاء[٤] وزبيد وصعدة وغيرها من المدن اليمنية القديمة .

الواقع أن العمائر الدينية كثيرة ومتنوعة فى بلاد اليمن ، وهى جديرة بالبحث والدراسة ،

---

(١) الوكالات ، هى أبنية مخصصة لإقامة التجار القادمين من البلاد المجاورة ، حيث كانوا يقيمون فى الطوابق العليا ، وتوضع بضائعهم فى مخازن بالطابق الأرضى ، وغالباً ما يتكون مبنى الوكالة من عدة طوابق ، تفتح حجراتها على فناء مكشوف ، ويشتمل الطابق الأرضى على حوانيت مطلة على الشارع وغير ذلك من العناصر المعمارية الأخرى فى مبنى الوكالة .

أنظر : صالح لمعى : المصدر السابق : ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) تمتاز مدينة صنعاء القديمة ببقاء تسعة حمامات قديمة بها هى : حمام السلطان ، حمام شكر ، حمام الفزالى ، حمام سبأ ، حمام الأبهر ، حمام الطوسى ، حمام ياسر ، حمام الميدان ، حمام القوعة ، وكانت فى الأصل اثنا عشر حماماً .

أنظر : محمد الأكوع : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الواقع أن القلاع والاستحكامات الحربية اليمنية ، تحتاج لدراسة معمارية مفصلة ، فهى كثيرة ومنتشرة أعلى قمم الجبال فى اليمن نذكر منها قلعة مدينة ثلا وقلعة القاهرة فى مدينة تعز وقلعة مدنية رداع وقلعة ظفار ذبين وغيرها من العديد من القلاع اليمنية . والواقع أنه يتوافر فى القلاع اليمنيه ، العناصر المعمارية لبناء القلعة من حيث الأسوار وأحياناً تكون من عدة طبقات ويتقدمها خندق ، ويتوافر فيها من الداخل الأبراج وفتحات السهام وصهاريج المياه ، وحجرات للإقامة والتخزين وبئر أوآبار وطواحين ومعاصر ومسجد صغير أو مكان للصلاة ، وغير ذلك من العناصر الواجب توافرها فى بناء القلاع ، كما يلاحظ وجود أبراج تسمح بالمراقبة على مسافات معينه من القلعة ولازال بعضها يمكن رؤيته بالنسبة لقلعتى ثلا ورداع . كما أن تاريخ بعض هذه القلاع يعود إلى عصر ما قبل الإسلام وأعيد استخدامه فى العصر الإسلامى .

(٤) يرجع سور مدينة صنعاء إلى عصر ما قبل الإسلام وأعيد تجديده فى العصر الإسلامى ، وهو متهدم حالياً يتخلله أبراج وكان به إثنا عشر مدخلا هى : باب اليمن ، الخندق ، خزيمة ، النزيلى ، البلقة ، القع ، العبيلة ، الروم ، الشهارى ، الشقارديف ، شعوب ، باب المستشفى ، إضافة إلى وجود أبواب داخلية منها باب القصر ، باب السلاح ، باب الشرارة ، ولم يبق منها حالياً إلا باب اليمن .

والسور بوضعه الحالى مشيد من كتل كبيرة من قوالب اللبن فوق كتل من أحجار غير مهندمة

أنظر : ربيع القيسى وصباح الشكرى : دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية فى شطرى القطر اليمانى ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٧٠ - ٧٢ .

فهى تشمل الجوامع والمساجد[1] والمدارس والقباب والخنقوات والأربطة والكتاتيب (المعلامة) والأسبلة وغيرها ، وقبل أن نتعرض لنماذج من الجوامع والمساجد اليمنيه ، فإننا نشير بإيجاز إلى بعض الملامح العامة منها :

أولاً : كانت بلاد اليمن فى طليعة البلاد ، التى شهدت إقامة المساجد الأولى فى صدر الإسلام ، وخاصة فى عهد الرسول ﷺ ، وفق ما ورد فى المصادر التاريخية عنها ، وقد عرضنا لذلك ، من خلال الحديث عن الآثار الدينية التى تناولناها فى هذا الباب ، بمعنى أن المساجد العتيقة الأولى ، كان لها أهميتها فى اليمن ، وهو ما ينقص دراسته فى العمارة الإسلامية عامة .

ثانياً : تلى مرحلة تأسيس المساجد الأولى فى اليمن ، فى عهد رسول الله (ﷺ) مساجد أخرى عديدة ، بنيت فى فترة زمنية لاحقة ، فى عهد الخلفاء الراشدين ثم خلال العصر الأموى والعصر العباسى الأول ، ثم تتابع بناء المساجد بكثرة خلال حكم الدويلات الإسلامية العديدة المختلفة فى بلاد اليمن .

ثالثاً : إحتفظ تخطيط المسجد أو الجامع فى اليمن لفترة طويلة بالنظام المعمارى المعروف والقائم على الصحن أو الفناء المحاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة ، إلا أنه يلاحظ فى كثير من مساجد اليمن حجب الأروقة عن الصحن فى فترات متأخرة ، بحيث يبدو الفناء وكأنه معزول عن مساحات الأروقة ، وقد يرجع ذلك إلى عوامل الطقس لحماية المصلين .

هذا فضلاً عن المساجد الأخرى الصغيرة والتى تتكون من بلاطات ، تحمل بائكاتها عقوداً تجرى موازية أو متعامدة على جدار القبلة وهى كثيرة ومنتشرة فى اليمن ، وإن كان

---

(١) الواقع أننا إستخدمنا مصطلح الجامع والمسجد معاً ، نظراً ، لاستخدام المصطلحين باليمن معاً واطلاقهما على النماذج المعمارية التى تعرضنا لها فى هذا الباب ، ومن المعروف أن عمارة المساجد وما تبعها من زيادة رقعة الدولة الإسلامية بإنتشار الاسلام وزيادة عدد المصلين قد نشأ تعدد فى الألفاظ وأصبح هناك الجامع والمسجد ، وإن كان الجامع هو نعت للمسجد ، إذ أنه مكان إجتماع الناس ، وأيضاً المسجد الجامع حيث كانت تقام فيه صلاة الجمعة بوجود الخليفة أو من ينوب عنه فى صلاة الجمعة ، على أساس أنه مسجد الدولة الرسمى . وإطلاق مصطلح الجامع الكبير فى اليمن شائع ومعروف والأرجح أن إطلاق الجامع الكبير ، يعنى فى الدرجة الأولى أهميته بالنسبة لتأسيسه فى فترة مبكرة وعلى أساس أنه أيضا المسجد الرسمى فى المدينة اليمنية .

أنظر : سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، طبعة مصر ، جـ١ ، ص ١٦ - ١٧ .

معظم هذا النوع من المساجد يرجع إلى فترات متأخرة ، باستثناء القليل منها فى مدن اليمن وقراه .

ولعل أهم ما يميز الجوامع والمساجد اليمنيه وسيلة تغطيتها ، وغالباً ما تكون من سقوف خشبية مسطحة ، إلا أن هذه السقوف قد إزدانت بزخارف خشبية وفق أسلوب فنى وصناعى ، ظهر فى اليمن مبكراً ، حيث يعرف بالمصندقات الخشبية ، بمعنى تقسيم السقف إلى مساحات مستطيلة ومربعة من عدة مستويات ، تمتلىء بالزخارف المحفورة البارزة والغائرة والملونة والمطعمة فى أسلوب فنى يمكن القول فيه بظهور أسلوب الحشوات المجمعة على هذه السقوف فى اليمن ، قبل غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، تظهر فى سقوف الجامع الكبير بصنعاء والجامع الكبير بشبام وجامع جبلة ، وجامع ذى أشرق والجامع الكبير فى ذمار وغير ذلك ، ونعتقد تماماً بأن هذا الأسلوب الفنى قد ظهر فى اليمن خلال القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، إن لم يكن قبل ذلك ، نظراً للإشارات التاريخية التى وردت عن السقوف اليمنيه فى المصادر التاريخية ، والتى لايزال باقياً منها إلى اليوم كثير منها ، وقد أشرنا إلى ذلك الأمر ، ضمن الحديث عن الوصف المعمارى للأمثلة التى تعرضنا لها فى هذا الباب .

كذلك فإنه يوجد فى بعض الأحيان أربع قباب فى أركان المسجد ، وإن كان هذا الأمر لا يتكرر كثيراً فى المساجد اليمنيه . هذا وتختلف أيضا وسيلة التغطية فى بعض الجوامع والمساجد ، حيث يكون للقبة استخدام واضح فى وسيلة التغطية ، حيث يغطى بعض البلاطات قباب متجاوره متساوية ، أو قبة رئيسية تكتنفها من الناحيتين الشرقية والغربية قباب أخرى أقل إرتفاعاً ، ونعتقد بأن هذا الأسلوب ، فى التغطية ، يرجع إلى فترة متأخرة وربما يكون من تأثيرات العمارة العثمانية على العمارة اليمنيه المحلية ، كما يظهر أيضاً فى رواق القبلة فى بعض مساجد اليمن وضوح المجاز المتعامد على جدار القبلة ، حيث يتقدم المحراب فى بعض الأحيان قبة مرتفعة .

رابعاً : استخدم المعمار كل أنواع العقود المعروفة فى العمارة الإسلامية وبتنوع كبير ، وإن كان يلاحظ إقباله بشكل واضح على استخدام العقد المدبب بكل أنواعه ، كما غلب أيضاً إستخدام العقود المفصصة وبشكل لافت للنظر ، حتى فى إطارات العقود الأخرى غير المفصصة .

خامسا : يظهر فى مناطق الانتقال استخدام الحنايا الركنية الواسعة والعميقة واستخدام المثلثات الكروية أيضا على نطاق واسع ، ولعل الشكل المميز أن يلاحظ وجود عقود صماء أو تجاويف تزخرف المساحات بين مناطق الانتقال فى توافق معمارى بديع ، ويظهر هذا الأسلوب خاصة فى القباب التى تعلو المساحات فى بيوت الصلاة فى المدارس اليمنية .

سادسا : إختلفت أشكال الأعمدة والدعائم إلى حد كبير داخل العمائر الدينية الإسلامية اليمنية ، فبعضها يكون على شكل مستدير ذو محيط كبير ، كما فى الجامع الكبير فى صنعاء ، حيث ترتكز عليها العقود ، وبعض الأعمدة ذات ارتفاعات كبيرة وتحمل تيجانا يرتكز عليها السقف مباشرة كما فى جامع شبام ، وبعض الأعمدة قصيرة ترتكز على قواعد أو ربما ترتكز مباشرة على مستوى الأرض ، وبعض الأعمدة منقولة من مواضع وأماكن ترجع إلى ماقبل الاسلام ، كما فى كثير من البلاد الاسلامية الأخرى، كذلك يكثر وجود الأعمدة والدعائم المثمنة الشكل ، فضلا عن انواع الأعمدة والدعائم الأخرى ذات القطاع المربع والمستطيل .

سابعا : تزدان هذه المنشآت الدينية فى اليمن بالكتابات الأثرية والزخارف بدرجة لافتة للنظر ، والحق أن المعمار أو الفنان اليمنى ، كان له دوره الكبير فى هذا المجال ، إذ تمتلىء مساحة الجامع أو المسجد والمدرسة والقبة والضريح ، بأشرطة لاحصر لها من الآيات القرآنية الكريمة وبعض الأدعية المعينة وأسماء المؤسسين والمجددين ، فضلا عن ذكر ألقابهم الكثيرة فى خطوط متنوعة ، كوفية ونسخية وبخط الثلث وعلى مهاد من الزخارف النباتية والهندسية .

كما كان أيضا للزخارف النباتية والهندسية فى زخرفة المبنى من الخارج والداخل على حد سواء دور كبير جدا فى هذه العمائر . هذا ويمتاز المحراب اليمنى فى احتوائه على ثروة كتابية وزخرفية كبيرة ، وإن كان استخدام مواد الطلاء بالألوان البراقة ، قد أتلفت إلى حد كبير ، النصوص الكتابية والعناصر الزخرفية والهندسية على المحاريب وجدران المنشآت الدينية اليمنية .

ثامنا : يلاحظ على المنشآت الدينية اليمنية كثرة التجديدات والاضافات التى لحقت بها على مر العصور الاسلامية ، وكثير من هذه التجديدات أو الاضافات لم يتم على غرار الأصول المعمارية والزخرفية الأولى لها ، مما أفقدها كثيرا من طابعها الأصلى ، حيث يبدو الارتباك الواضح فى عمارتها نتيجة التجديد ، مما يشكل صعوبة كبيرة فى دراسة هذه المبانى وإرجاع الأجزاء المعمارية والزخرفية بها إلى أصولها الأولى .

تاسعا : أستخدم فى البناء الأحجار المختلفة خاصة نوع الحجر المعروف بحجر الحبش الأسود والذى يُجلب من المحاجر اليمنية الكثيرة المنتشرة فى كل بلاد اليمن ، كما أستخدم الطابوق (الآجر) فى البناء أيضا ، اضافة الى مواد الجص والنورة والقضاض والتى سبق الإشارة إليها ، كمان كان يستجلب من خارج اليمن المواد الجيدة من الأخشاب ، خاصة لزخارف السقوف .

عاشرا : أما بالنسبة للعناصر المعمارية فى تخطيط الجامع والمسجد فى اليمن فإنها تبدو واضحة تماما داخل المبنى وذلك باستثناء بعض العناصر المعمارية التى إندسرت خاصة المنابر[1] ، وان كان مابقى فيها وهو قليل ، يعطى تصورا حقيقيا عن جودة الأسلوب الفنى والعناصر الزخرفية التى أفردنا لها فصلا فى هذا الكتاب ، وكذلك المحراب[2] اليمنى وزخرفته .

على أن تخطيط المساجد اليمنية يتراوح بين المساحات المربعة والمستطيلة الشكل وتمتاز واجهاتها ببساطاتها المعمارية والزخرفية ، وان كان يظهر فى كثير من مساجد اليمن استخدام المداخل البارزة والتى يغطى كثيرا منها بعض القباب ، كما فى الجامع الكبير بذمار والجامع الكبير بصنعاء وجامع شبام وغيرها من المساجد الكبيرة ، وينفرد الجامع الكبير بصنعاء بوجود بعض زخارف من أشكال الطيور على بعض جدرانه الخارجية ،

---

(١) الواقع أن المنبر بشكله الحالى مأخوذ ومتطور عن المنبر فى مسجد الرسول ﷺ ، حين صُنع للمسجد منبر من خشب الأثل ، عبارة عن كرسى من ثلاث درجات ، فكان الرسول (ﷺ) ، يجلس على الدرجة الأولى ، واضعا قدميه الشريفتين على الدرجة الثانية ، التى جلس عليها سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، ثم جلس سيدنا عمر بن الخطاب وقدماه على الأرض ، ثم انتشرت بعد ذلك فكرة إستخدام المنبر فى المساجد الاسلامية . هذا ومن المعروف أن أول منبر صُنع بعد منبر النبى (ﷺ) ، منبر جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط فى مصر ، ويُعد منبر جامع القيروان ، هو أقدم المنابر الأثرية المعروف حتى الآن ، إذ يرجع تاريخه إلى عام ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م .

أنظر : زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، شكل ٢٨١ ، ص ٤٣٥ ، وأيضا : صلاح الدين البحيرى : عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها فى الفنون ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢)المحراب تجويف يحدد اتجاه القبلة ناحية الكعبة ، وفقا للموقع الجغرافى لكل بلد من بلاد العالم الاسلامى ، ومن المعروف أن أول محراب أحدث فى العمارة الاسلامية كان فى مسجد المدينة من أعمال عمر بن عبد العزيز ، يليه المحراب المجوف بمسجد عمرو بن العاص من أعمال قرة بن شريك والى مصر (٩٢ - ٩٤ هـ) .

نتيجة الأحجار التى نقلت من مواقع قديمة سابقة على العصر الاسلامى . أما المئذنة[1] فهى على جانب كبير من الأهمية نظرا لتميزها إلى حد ما عن غيرها من مآذن العالم الاسلامى ، و لعل السبب فى ذلك زخرفتها بالزخارف البديعة من مادتى الطابوق والجص ، فى أشكال يغلب عليها الطابع الهندسى ، بالإضافة الى الكتابات والزخارف النباتية . تتكون عادة من عدة طوابق ، فالقاعدة مربعة الشكل عادة ومشيدة من مادة الحجر (حجر الحبش) ، وتكون عادة مرتفعة ويقوم عليها عدة دورات أو طوابق مستديرة ومثمنة الشكل ومزخرفة بعناية تامة ، ويعلو هذه الأبدان أحواض (شرفات) متسعة ، مزدانة من الخارج بأشكال المقرنصات والدلايات ، وان كان أيضا يغلب استخدام العقود والمحاريب والتجاويف والحنايا الصماء فى زخرفة طوابقها ، وفى أحيان أخرى يقسم البدن إلى ستة عشر ضلعا بواسطة الخطوط الرأسية السميكة من مادة الجص ، ويتوجها من أعلى شكل مقبب قد يختلف من مئذنة الى اخرى ، ولعل مآذن مدينة زبيد فى مساجدها ومدارسها تتسم ببعض الخصائص المميزة عن المآذن اليمنية عامة ، خاصة فى تدرج قمتها ، وفى معظم الأحيان تكون المئذنة أو المآذن ملحقة بالمسجد وفى أحيان قليلة تنفصل عن البناء .

ومما يستلفت النظر فى المآذن اليمنية ، التى بُنيت خلال الفترة العثمانية فى اليمن ، احتفاظها بالطابع المحلى وخاصة زخرفتها بالزخارف اليمنية التى يغلب عليها الطابع الهندسى المؤلف من الطابوق (الآجر) والجص ، مما يجعلها تختلف عن أشكال المآذن العثمانية والمعروفة فى المنشآت الدينية فى العالم الاسلامى ، فضلا عن اختلاف وتعدد طوابقها .

على أننا لانجد ضمن مساجد ومدارس اليمن نماذج كثيرة للعنصر المعروف بدكة

---

(١) المئذنة أو المنارة كما يطلق عليها فى اليمن ، من العناصر المعمارية الأساسية فى عمارة المساجد ، وقد وردت الاشارات التاريخية الأولى عنها عام ٤٥ هـ / ٨٥٩ م حين بنى زياد بن أبيه مناره من الحجر فى جامع البصرة ، حيث يعزى تقدم فن العمارة الاسلامية فى البصرة فى عهد زياد بن أبيه ، كما ورد أيضا أن مسلمة بن مخلد أنشأ فى عام ٥٣ هـ / ٦٧٢ م أربع صوامع فى أركان جامع عمرو بن العاص فى مصر ، وربما كانت المآذن الأولى فى الاسلام اتخذت أشكال الأبراج . هذا وقد تنوعت اشكال المآذن وأساليب البناء فيها تنوعا كبيرا خلال العصر الاسلامى .

انظر : كريزول : الآثار الاسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دار قتيبة دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩ - ٣٠ ، حسين مؤنس : المساجد ، الكويت ١٩٨١ ، ص ١٢٩ - ١٣٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى ، الأسكندرية (مؤسسة شباب الجامعات) ، صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى ص ٣٠ - ٣٣ .

المبلغ[1] ، باستثناء أمثلة قليلة جدا ، وترجع الى فترات متأخرة ، كما أن مصطلح المقصورة[2] ، يطلق فى كثير من الأحيان فى اليمن على بعض الزيادات داخل المسجد والتى أضيفت فى فترات تالية . هذا وتشغل المطاهير والحمامات والبرك (الميضأة)[3] ، أهمية معمارية هامة فى المساجد والمدارس اليمنية وتختلف عن المياضىء فى معظم البلاد الاسلامية ، خاصة المطاهير والحمامات القديمة .

---

(١) تستخدم دكة المبلغ فى المبانى الدينية الاسلامية لجلوس المبلغين الذين يقومون بترديد بعض جُمل الامام أثناء الصلاة لتسميعها بصوت مرتفع إلى الصفوف الخلفية ، وتوجد عادة فى أروقة القبلة ، وتكون عادة من مادة الخشب وتحمل بواسطة أعمدة من الرخام ويصعد إليها بواسطة سلم خشبى ، وأقدمها بمصر الدكة الموجودة فى مسجد الماس الحاجب (٧٢٩ - ٧٣٠ هـ) .

أنظر : صالح لمعى : المصدر نفسه ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المقصورة فى الأصل : عبارة عن سياج على المحراب ، وأول من اتخذها معاوية بن أبى سفيان ، حين طعنة الخارجى وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم . والمقاصير الباقية بالمساجد حاليا ، عبارة عن ستائر مفتوحة من المشربيات من مادة الخشب وأقدمها مقصورة القيروان . ومن المعروف ان نشأة المقاصير يرجع لأغراض أمنية :

كريزول : المصدر السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) تُعد ميضأة جامع احمد بن طولون فى مصر ، هى أول المياضىء التى انشئت فى مصر (٢٦٣ - ٢٦٥ هـ) وكانت بعيدة عن المبنى ، ثم بنيت فى مصر فى الناحية الجنوبية داخل مساحة المسجد أو المدرسة أو الخانقاه وفى منسوب منخفض عن منسوب أرض المسجد ، ويختلف تخطيطها من بلد لآخر .

أنظر : صالح لمعى : التراث المعمارى ، ص ٣٣ - ٣٤ .

الفصل الأول

المساجـــد

يتضمن هذا الفصل دراسة موجزة لبعض الجوامع والمساجد فى بعض مدن اليمن كصنعاء وشبام كوكبان وثلا وجبلة وإب وتعز وزبيد ، وقد اعتمدنا فى هذه الدراسة فى المقام الأول على الزيارات الميدانية لمواقع هذه الآثار بالاضافة إلى بعض ماكتب ونشر عنها فى بعض المصادر العلمية ، بقصد الاشارة والالمام لوصفها وبعض عناصرها المعمارية والزخرفية وهى كالتالى :

١ - الجامع الكبير بصنعاء .
٢ - جامع الجند بالقرب من مدينة تعز .
٣ - الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان .
٤ - الجامع الكبير بزبيد .
٥ - جامع الأشاعر بزبيد .
٦ - الجامع الكبير بذمار .
٧ - الجامع الكبير فى مدينة إب .
٨ - مسجد السيدة بنت احمد الصليحى (أروى) فى مدينة جبلة .
٩ - مسجد ذى أشرق بالقرب من مدينة إب .
١٠ - الجامع الكبير بثلا .
١١ - جامع المدرسة بثلا .
١٢ - قبة الأمام الهادى بثلا .
١٣ - مسجد صلاح الدين بصنعاء .

١ - الجامع الكبير بصنعاء :

يعد الجامع الكبير بصنعاء من أقدم المساجد فى اليمن ، فهو من المساجد العتيقة التى بُنيت زمن رسول الله ﷺ ، إذ تُجمع المصادر التاريخية على تأسيسه فى حياة رسول الله (ﷺ) ، حين بعث بالصحابى وبر بن يحنس الأنصارى ، واليا على صنعاء فى عام (٦ هـ) ، وأمره ببناء هذا المسجد ، وقيل أن مؤسسه هو فروة بن مسك المرادى وقيل إبان

بن سعيد بن العاصى القرشى وقيل غير ذلك[1] . ومهما اختلفت الروايات التاريخية حول شخصية المؤسس ، فإن تأسيس هذا المسجد يرجع إلى فترة مبكرة ويسبق فى تاريخه غيره من المساجد الأولى فى كثير من بلاد العالم الاسلامى .

لقد كان من الطبيعى أن تكون عمارة هذا الجامع فى بدايته بسيطة تتمشى وعمارة المساجد الأولى : مساحة مربعة الشكل (١٢ م) بها مدخل واحد ، ومقسمة من الداخل إلى ثلاث ظُلات بوساطة اثنى عشر عمودا ، منها المنقورة والمسمورة[2] . تعرض هذا الجامع إلى مراحل مستمرة من التجديد والتعمير والاضافة ، خلال العصور الإسلامية المتلاحقة ، على إعتبار أنه من اوائل المساجد التى أسست فى اليمن فى صدر الإسلام ، من ذلك العمارة الكبيرة التى أُجريت به فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م) فى ولاية أيوب بن يحيى الثقفى وقد شملت هذه العمارة الكبيرة ، توسيع الجامع فى الاتجاه الشمالى ، من ناحية قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم ، كما يعتبر محرابه القديم فى مقدمة المحاريب الأولى التى بنيت فى صدر الاسلام[3] .

ومن الاضافات والتجديدات الأخرى التى حدثت بهذا الجامع ماتم فى فترة عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، أول وال لبنى العباس فى صنعاء ، إقامة أبواب الجامع ، حيث نقلت أحجار هذه الأبواب من بعض المنشآت القديمة المجاورة للجامع ، منها المدخل الذى يقع على يمين المحراب الذى نُقل من أبواب قصر غمدان ، وبه صفائح من

---

(١) يذكر الرازى عن مؤسسة ترجيح فروة بن مسك ويستند فى ذلك الى قوله : « هو الذى بنى الجبانة التى فى مقدم صنعاء لعيد المسلمين » ويذكر أيضا « أنه لما توجه فروة بن مسك المرادى إلى صنعاء ومخاليفها وحضرموت بأمر رسول الله ﷺ ، أمره أن يبنى مسجد صنعاء مابين الصخرة الململة الخضراء وبين قلعة غمدان » .

أنظر : الرازى : تاريخ مدينة صنعاء : تحقيق حسين العمرى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، ص ٤٩٩ ، حسين السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، طبعة مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ص ١٣ - ٢١ ، الحجرى : مساجد صنعاء ، طبعة بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٢٣ - ٣٢ .

Serjant, A and Lewock, R: Op. Cit, P. 322–350

(٢) المسبورة والمنقورة من الأعمدة القديمة الباقية فى الجامع ضمن أعمدة الرواق الجنوبى : والمسمورة العمود التاسع من ناحية الجدار الشرقى ، المنقورة : العمود السادس من ناحية الجدار الشرقى ، حيث المساحة الأولى للجامع .

(٣) يذكر النص الذى أورده الرازى فى هذا الشأن : « أمر أيوب بن يحى الثقفى أن يزيد من مسجد صنعاء ويبنيه بناءً جيدا محكما ، فبناه أيوب بن يحى ، وزاد فيه من نحو قبلته ، إلى موضع قبلته اليوم ، وحضر وهب بن منبه ذلك ، وقال لهم إن أردتم أن تنصبوا قبلته ، فاستقبلوا بهاضين الجبل المشهور قبلى صنعاء » .

وأيضاً :

Serijant, op. cit, p.323.

الفولاذ متقنة الصنع من ضمنها لوحان مكتوبان بخط المسند[1] . وقد تبع هذه الإضافة عمارة كبيرة أُجريت عام ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م ، يؤكدها نص هام على لوح حجرى مثبت على جدار مكتبة الجامع جهة المئذنة الشرقية بالخط الكوفى ، يُفيد بتجديد عمارته فى هذا العام ، على يد الأمير على بن الربيع بأمر الخليفة المهدى العباسى ، ويقرأ النص كالتالى :(**شكل** ١) .

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم .
سطر ٢ - لا اله الا الله وحد لاشر
سطر ٣ - يك له محمد رسول الله
سطر ٤ - ارسله بالهدى ودين الحق
سطر ٥ - ليظهره على الدين كله ولو
سطر ٦ - كره المشركون
سطر ٧ - امر المهدى عبد الله
سطر ٨ - امير المؤمنين اكرمه الله
سطر ٩ - باصلاح المساجد وعمارتها
سطر ١٠ - على يدى الامير على بن الر
سطر ١١ - بيع اصلحه الله فى سنة
سطر ١٢ - ست وثلاثين وماية (فاعظم)
سطر ١٣ - الله اجره وثقل عمله .

كما أُجريت عمارة أخرى كبيرة بهذا الجامع فى عام ٢٦٥ هـ على يد الأمير محمد بن يعفر الحميرى ، من ضمنها عمارة السقوف الخشبية بالجامع والتى صنعت من خشب الساج والباقى منها أجزاء كثيرة ، خاصة فى عمارة الرواق الشرقى ، وهى التى تتكون من مصندقات خشبية[2] غاية فى الدقة والابداع ، وتشبة الى حد كبير تلك المصندقات الخشبية التى لاتزال باقية فى جامع مدينة شبام باليمن ، الذى ينسب إلى أسرة آل يعفر[3] .

---

(١) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٥ .

(٢) أنظر فصل الزخارف الخشبية بهذا الكتاب .

(٣) أنظر جامع شبام كوكبان . وأنظر أيضا : الرازى : تاريخ صنعاء ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

على أن بعض المؤرخين اليمنيين ينسبون عمارة الرواق الشرقى فى هذا الجامع ، الى السيدة بنت احمد الصليحى فى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ - ١١٣١ م ، وذلك ضمن ماقامت به هذه الملكة من تجديدات فى عمارة هذا الجامع . وان كان هذا الأمر لايزال موضع جدل ونقاش ، والأرجح ان عمارة هذا الرواق ومعظم السقوف الخشبية بالجامع ، ترجع إلى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، نظر للتشابه الكبير بينهما وبين مثيلاتها فى جامع شبام كوكبان ، كما أن الكتابات الأثرية الباقية على جدران الجامع الكبير فى صنعاء ، يمكن نسبه الكثير منها ، إلى فترة ماقبل العصر الصليحى يضاف إلى ذلك أن تجديد عمارة الرواق الشرقى لم يرد فى وصية السيدة بنت أحمد الصليحى[1] . هذا وقد توالت التجديدات والاضافات على عمارة هذا المسجد خلال العصور الاسلامية المتعاقبة والتى سنشير اليها من خلال الوصف المعمارى الموجز لأجزائه .

تخطيط الجامع : الجامع مستطيل الشكل ، تبلغ مقاييسه حوالى (٦٨ م × ٦٥ م)[2] ، بنيت جدرانه الخارجية بحجر الحبش الأسود والشرفات العليا بالطابوق والجص .

يحتوى هذا الجامع على اثنى عشر بابا : ثلاثة فى جدار القبلة ، وفى الجدار الجنوبى مدخل واحد يعرف بالباب العدنى تتقدمه قبة صغيرة ، (لوحة ١) ، وبالجدار الشرقى خمسة مداخل وبالغربى ثلاثة مداخل .

يتوسط مساحة هذا الجامع فناء مكشوف (مساحته ٣٨٫٩٠ م × ٣٨٫٢٠ م) ، بوسطة كتلة معمارية مربعة الشكل (٦ م) ، تغطيها قبة ، وقد أعاد تعميرها الوزير العثمانى سنان باشا ، عندما رصف المسجد بالأحجار عام ١٠١٢ هـ ، ومحفوظ بهذه الحجرة حاليا وقفيات الجامع ومصاحفه ومخطوطاته ، أنظر (لوحة ٢) .

يحيط بصحن الجامع الأروقة الأربعة ، وأعمقها رواق القبلة (الشمالى) ، أنظر المسقط لأفقى للجامع (شكل ٢) .

واق القبلة : (٦١ م × ١٨٫٥٠ م عمقا) :

يتكون هذا الرواق من خمس بلاطات بوساطة خمسة صفوف من البائكات تتكون أيضا

---

(١) إسماعيل الأكوع : تقرير الجمهورية العربية اليمنية عن الآثار الإسلامية فى اليمن ، ص ٣٩٠ ، حاشية (١) كتاب (الآثار سلامية فى الوطن العربى ، تونس) .

(٢) ربيع القيسى وصباح الشكرى : دراسة ميدانية ، ص ٦٦ .

من أعمدة معظمها مستديرة الشكل وقليل منها على هيئة الدعائم ، وتحمل هذه الأعمدة والدعائم عقودا نصف دائرية الشكل ، وبعضها مدبب تدبيبا خفيفا ، والأعمدة مختلفة المقاييس وبعضها مُجدد ومطلى بطبقة حديثة من الجص (لوحة ٣) . البائكات موازية لجدار القبلة ، فيما عدا النهاية الشرقية والغربية من امتدادها ، حيث تتعامد على الجدار ، ويتوسط جدار القبلة كتلة المحراب ، (لوحة ٤) ، يتوسطها تجويف المحراب (سعته ١ م وعمقه ٧٠ سم) ، ويتوجه عقد مدبب مذهب ، يعلوه عقد آخر مدبب يرتكز على عمودين قصيرين أعلى تاجى عمودى تجويف المحراب . يكتنف العقدين السابقين من الناحيتين ومن أعلى شريط من الكتابات النسخية يقرأ من على يسار المحراب : « بسم الله الرحمن الرحيم أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً »[١] ، كما يقرأ على إفريز مستطيل الشكل أسفل تجويف العقد الأعلى « كلما دخل عليها زكريا المحراب »[٢] . هذا بالإضافة إلى كتابات أخرى طمست الى حد كبير نتيجة استخدام الألوان (الرنج) منها تاريخ هذا المحراب « عُمل هذا المحراب بعناية القاضى الأجل عمر بن سعيد الربيعى أجزل الله ثوابه فى سنة ٦٥٦ هـ » ، وأيضا كتابة فى جانبى عقد تجويف المحراب : « عمل هذا المحراب العبد الفقير الى الله عبد الصمد بن أحمد بن أبى الفتوح وولده أحمد وجعلا مايستحقانه من الاجرة على ذلك صدقة لله تعالى طلبا للثواب الجزيل تقبل الله منهما »[٣] ، هذا ويقع على يسار المحراب منبر تم إصلاحه عام ٩٤٨ هـ زمن الوزير العثمانى مراد باشا ، معظم حشواته من خشب الخرط ، (لوحة ٥) .

كذلك يزدان جدار القبلة بشرائط من الكتابات بخطى النسخ والثلث ، كما يظهر على سقف هذا الرواق[٤] وجود المصندقات الخشبية ذات الزخارف العديدة والملونة والمطعمة ، والذى لازال معظمها فى حالة لابأس بها من الحفظ ، وقد تم حجب هذا الرواق عن فناء المسجد كما هو الحال فى الأروقة الثلاثة الأخرى ، وذلك بواسطة أبواب خشبية مغطاة بالزجاج أنظر : (لوحة ٦) .

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٧٨ - ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣٧ .

(٣) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٩ .

(٤) ارتفاع السقف فى هذا الرواق ٥٠ر٤ م وفى الرواق الجنوبى ٨٠ر٥ م والشرقى ٥٥ر٦ م ، والغربى ١١ر٦ م .

الرواق الجنوبى : (٤٠ر٦٠ م × ١٠ر١٥ م) :

يقابل رواق القبلة الشمالى ، ويتكون هذا الرواق من أربع بلاطات بوساطة أربعة صفوف من الأعمدة والدعائم المستديرة والمربعة والمستطيلة ، وقد أضيفت البائكة الأخيرة جهة الصحن مؤخرا . تحمل الأعمدة والدعائم العقود المستديرة الشكل . والواقع أن هذا الرواق يتميز باحتوائه على المساحة الاصلية الأولى للجامع عند انشائه (١٢ م) وببقاء الجزء الأعلى من محراب قديم ، لعله يرجع الى فترة التجديدات المتوالية على عمارة الجامع فيما قبل القرن السادس الهجرى / ١٢ م ، كما يتضح بسقفه أيضا وجود المصندقات الخشبية باستثناء البلاطة جهة الصحن .

الرواق الشرقى : ٥٠ر٤١ م × ١١ م :

يُعد هذا الرواق من الناحية الأثرية ، مس أهم أروقة الجامع ، نظرا لما أثير من آراء حول شخصية مجددة أو ربما شخصية صاحب عمارته فى الأصل سواء كان من آل يعفر فى القرن الثالث الهجرى أو من أعمال السيدة بنت احمد الصليحى ف عام ٥٢٥ هـ ، إذ أن أهم مايميز سقف هذا الرواق روعة الزخارف النباتية والهندسية على المصندقات الخشبية والتى لاتزال فى حالة طيبة من الحفظ . يتكون هذا الرواق من ثلاث بلاطات ، بوساطة ثلاثة صفوف من البائكات التى تحمل عقودا يغلب عليها الشكل النصف دائرى ، وينقسم هذا الرواق الى جزءين شمالى وجنوبى عن طريق جدار مصمت مرتفع ، به محراب مجوف فى القسم الجنوبى ، (سعته ٣٥ر١ م وعمقه ٦٥ سم) .

الرواق الغربى : (٧٥ ر٣٩ م × ١١ م) :

يتماثل هذا الرواق الى حد كبير مع نظيره الشرقى من حيث عدد البلاطات وسقفه الخشبى الغنى بالعناصر الزخرفية وفى تقسيمه الى قسمين شمالى وجنوبى وأيضا فى وجود المحراب بالقسم الجنوبى (سعته ٩٥ سم وعمقه ٦٥ سم) ، ويلاحظ وجود ضريح فى الناحية الجنوبية من هذا الرواق ، يطلق عليه ضريح النبى حنظله بن صفوان(١) .

---

(١) يذكر المؤرخ الحجرى ، عن هذا الضريح قوله : « وفى الجانب الغربى من الجامع ، قبلى المنارة الغربية ، قبر النبى حنظلة بن صفوان ، حكاه الرازى فى تاريخ صنعاء ، ورأيت فى بعض المجاميع أن القبر منفصل عن المنارة وعليه بناء من الآجر والجص مرتفع نحو ذراع ، شوهد ذلك فى سنة ٩٨٥ هـ ، أيام الوزير مراد باشا ، وأنه كان فى العقد المكون فى الجدار قبلى المنارة كوة نافذة إلى الضريح وقد سُدت فى عام ١٠٤١ هـ .

أنظر : الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٣٠ .

للجامع مئذنتان فى الناحية الجنوبية ، واحدة فى الناحية الشرقية ، والثانية فى الناحية الغربية :

المئذنة الشرقية : (لوحة ٧) :

الواقع أن هذه المئذنة جُددت فى بداية القرن السابع الهجرى / ١٣ م ، إذ جددها الأمير علم الذين ورد سار بن بنامى الشاكانى فى عام ٦٠٢ هـ ، بعد أن كانت فى حالة متهدمة للغاية ، واستغرقت عملية التجديد عاما كاملا [١] ولايزال النص التأسيسى لتاريخ البناء قائما فى جدار المنارة ، كما أعيد تجديدها فى أوائل القرن الماضى . تتكون هذه المئذنة من قاعدة حجرية مربعة الشكل ، بها مدخلان ، أحدهما فى الناحية الشمالية والآخر فى الناحية الشرقية ، يقوم عليها بدن مستدير تعلوه شرفة مزدانة بصفوف من المقرنصات ، ويعلو البدن بدن آخر مسدس الشكل ، بكل ضلع فتحة نافذة معقودة ، ويتوج هذا البدن قبة صغيرة .

المئذنة الغربية : (اللوحة ٢) :

ينسب تجديد هذه المئذنة أيضا إلى الأمير ورد سار بن بنامى السابق الاشاره اليه ، وذلك من أساسها الى علوها ، إذ أنها كانت قد سقطت وتهدمت عام ٦٠٣ هـ[٢] . ولذلك فإن هذه المئذنة تشبه الى حد كبير المئذنة الشرقية ، وهى تتكون من قاعدة مربعة (٢٥ر٤ م)

---

(١) يذكر المؤرخ الرازى فى ذلك بعض النصوص الهامة التى تتعلق بالعمارة اليمنية فى القرن السابع الهجرى / ١٣ م فيقول : « فجهز لها البنائين والجعلاء وحمالة تحمل الجص من المحاجر ، مع أموال بذلها وسلمها أشترى بها جصا محمولا الى المسجد – وحضر الأمير عمارتها وأكثر زمان عمارتها لايغيب عنها ، إلا إذا توجه إلى غزوة يغزوها حتى إذا وصلت العمارة الى موضع الدرابزين فيها ، فأمر بعمل الدرابزين فيها ، فعمل من ألواح جيدة حسنة مزوقة وسُمرت بالمسامير الحديد البليغة الغليظة وجعل الدرابزين بنفسه من الساج وسمر المسامير وأحكمت صنعته ، ولم يعلم قط منذ الاسلام أنه كان فى صنعاء ، منارة لها درابزين ولافى مخلاف جعفر ولافى جميع البلاد من بلاد اليمن حتى أحدث فى مدينة صنعاء منارة بأمر هذا الأمير » .

أنظر : الرازى : تاريخ صنعاء ، ص ٥٢٠ – ٥٢١ .

(٢) ورد فى النص الخاص ببناء هذه المئذنة : « عمل أساسها على الصحيح من الارض ، وجعل فيها أحجار متجاورة صحنا وفيه النورة ، والجص طبقة حتى أحكم ، ثم بنيت بالأحجار قليلا ، ثم اطلع بناؤها بالآجر والجص وفرغ الى بعض عمارتها الى قريب من السقف .. ولم تزل العمارة متصلة غير منقطعة ، فى هذه المنارة الغربية بالآجر والجص الجديد حتى بلغت حد الدرابزين (الشرفة أو الحوض) ، ثم عُمل درابزينها صنعة محكمة أكثره بالساج حتى أحكم وأتقن ، وعمل باقيها مسدسا وركبت قبتها » .

الرازى : تاريخ صنعاء ، ص ٥٢١ – ٥٢٢ .

ويبلغ إرتفاع هذه القاعدة حوالى (٥ م) ، يقوم عليها بدن مستدير (ارتفاعه : ٢٣ م من مستوى الأرض) ، يعلوه حوض أو شرفة ، ثم بدن قصير من ستة أضلاع به فتحات نوافذ صغيرة ، معقودة تفتح فى كل اتجاه ويتوج المئذنة قبة صغيرة Ogee Shaped Dome .

والواقع أن الجامع الكبير بصنعاء بتخطيطه وعناصره المعمارية والزخرفية ، يشكل أهمية كبيرة بل قاعدة لدراسة الآثار الاسلامية الدينية فى اليمن ، فهو يرجع الى تاريخ مبكر من حيث تأسيسه فى السنوات الأولى من الهجرة وفى حياة رسول الله ﷺ ، مما يعد من المساجد العتيقة الأولى فى العالم الإسلامى ، وتدل كثير من تفاصيله المعمارية على زمن البناء الأول فكثير من أحجاره وأعمدته منقولة من أماكن ترجع فى تاريخها إلى ماقبل العصر الاسلامى ، فضلا عن وجود كثير من تيجان الأعمدة من تواريخ سابقة أيضا على العصر الاسلامى ، وبعضها يرجع الى القرون الأولى للهجرة ، خاصة القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ومابعده . كما أن طراز الكتابات والزخارف على جدرانه ومحاريبه وغيرها من عناصره المعمارية كثيرة للغاية، ومعظم هذه الكتابات من آيات من القرآن الكريم أو بعض العبارات الدعائية[1] وغيرها يشير إلى أسماء بعض المجددين والصناع فى الجامع ، فضلا عن أن الوحدات الزخرفية سواء كانت على السقوف الخشبية أو جدران المسجد ، على جانب كبير من الدقة والأبداع والتنوع سواء كانت نباتية أو هندسية . يضاف الى ذلك أهمية التخطيط وعلى اعتبار أنه أول مساجد اليمن فى الاسلام حيث الظُلات الأولى ثم الفناء المحاط بأروقة أعمقها رواق القبلة ، وهو ماكان له أكبر الأثر على تخطيط الجوامع والمساجد فى اليمن بعد ذلك .

٢ - جامـع الجـند :

يعتبر جامع الجند[2] من المساجد الأولى التى بنيت فى اليمن فى صدر الاسلام وفى

---

(١) أنظر : سامى حسن : ملامح أثرية عن الجامع الكبير بصنعاء ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد الثانى ، ١٩٧٩ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٧ .

(٢) مدينة الجند : نسبة إلى جند بن شهران ، بطن من المعافر ، وهى بلدة مشهورة ، تقع إلى الشرق الشمالى من مدينة تعز بمسافة ٢٢ كم ، وكانت الجند من أهم المخاليف فى اليمن ، إذ كانت أحد أقسامها الثلاثة ، وهى الجند ، أعظمها وصنعاء ومخاليفها أوسطها وحضرموت ومخاليفها أدناها . هذا وينسب إلى الجند كثير من أهل العلم والفقه ، ومدينة الجند اليوم مدينة صغيرة .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، تحقيق اسماعيل بن على الاكوع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، حـ ١ ، ص ١٤٥ - ١٥١ ، المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

عهد رسول الله ﷺ ، حين بعث بمعاذ بن جبل الى اليمن عام ٦ هـ ، ليعلم أهل اليمن القرآن وأحكام الشريعة الاسلامية [١] .

توجه سيدنا معاذ إلى مدينة صعدة وأمر أهلها ببناء مسجد ، ثم ودعهم وقدم صنعاء واجتمع بأهلها [٢] ، ثم توجه إلى الجند وحيث بركت ناقته بنى مسجد الجند . ولقد جرت العادة فى بلاد اليمن منذ تأسيس هذا المسجد إقامة الصلاة به فى أول جمعة من شهر رجب ، إحتفالا بأول جمعة أقيمت فى هذا الشهر الكريم فى اليمن [٣] .

وهذا المسجد العتيق شأنه شأن الجامع الكبير فى صنعاء ، لم يبق من عمارته الاولى سوى المساحة الصغيرة التى كان عليها المسجد من البداية ، والتى أدخلت ضمن المساحة الحالية للمسجد ، ومع ذلك فإن المصادر التاريخية ، لم تشر الى مراحل التجديد أو الإضافة التى حدثت فى عماراته إلا عام ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، حين ذكرت أن الحسين بن سلامة القائم بأمور بنى زياد فى عصر الدولة الزيادية قد جدد فى عمارته .

يذكر المؤرخ ابن المجاور فى تاريخه المعروف بالمستبصر « أول من بنى الجامع معاذ بن جبل ، مع أهل الجند وماحولها من القرى و أعاد بناءه القائد الحسين بن سلامة ، وجدده الأمير المفضل بن أبى البركات بن الوليد سنة ثمانية وأربعمائه بالحجر المنقوش واللبن المربع وأحرقه على المهدى سنة أربع وخمسين وخمسائه » [٤] .

ويستفاد من هذا النص الهام أن هذا الجامع قد أُعيد تجديده فى عهد الدولة الصليحية ، ثم أُحرق فى عام ٥٤٢ هـ على يد المهدى صاحب مدينة زبيد [٥] . هذا وقد تم تجديد

---

(١) ورد أنه لما توجه معاذ بن جبل إلى اليمن ودعه رسول الله ﷺ وألبسه عمامته وأركبه على ناقته وقال له : يامعاذ : « إن غاية من يشيع أحد أن يرجع وأنك لن تلقانى إلى يوم القيامة » ثم أوصاه بأشياء وأمور من أمر الدين » .

أنظر : الرازى : تاريخ صنعاء ، ص ٥١٥ .

(٢) ذكرت بعض المصادر التاريخية ، أن معاذ بن جبل ، هو الذى أمر ببناء جامع صنعاء فى بستان معاذ .

(٣) أنظر : الرازى ، تاريخ صنعاء ، ص ٥١٥ ، الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوط مصور ، دمشق ، وزارة الاعلام والثقافة اليمنية ، مشروع الكتاب ٦ / ١ ، ١٩٨١ ، ص ١١ ، ١٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ، القاهرة ١٩٧١ ، حـ ١ ، ص ٦٥ .

(٤) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، تحقيق أوسكر لوفقرين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، ص ١٦٥ .

(٥) ذكرت بعض المصادر أن الذى أحرق هذا المسجد ، هو المهدى بن على صاحب زبيد فى عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، الذى حاصر المدينة وقتل العديد من أهلها رميا فى بئر المسجد .

أنظر : ابن الديبع : قرة العيون ، حـ ١ ، ص ٢٧٢ ، غازى رجب : جامع الجند لبنة جديدة فى هيكل العمارة الاسلامية ، مجلة اليمن الجديد ، يناير ١٩٨٦ ، العدد الأول ، ص ٥٥ .

عمارته بأمر السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م حيث يذكر ابن المجاور عن ذلك « ورفع سقفه بالآجر والجص ، بعد أن ذهبه وأجراه بالذهب واللازورد »[١] . ويبدو أن سقفه كان فى ذلك الوقت فى غاية الدقة والاتقان ، كما هو معروف بالنسبة لسقوف المساجد اليمنية خاصة[٢] . كما تبع هذه العمارة إعادة تجديد الأروقة الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية . وفى عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، أمر الملك المسعود آخر ملوك بنى أيوب فى اليمن بهدم العمارة السابقة وإعادة تجديده مرة أخرى ، رغم تعذر المال فى ذلك الوقت .

لقد إهتم بعمارة هذا المسجد من جديد سلاطين الدولة الرسولية فى اليمن ، خاصة السلطان الأشرف ابن اسماعيل ، فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، الذى أمر أيضا باجراء سور حول مدينة الجند[٣] . هذا وقد استمرت يد التجديد متعاقبة على هذا المسجد حتى إلى وقت قريب[٤] وان تغيرت عمارته اليوم إلى درجة كبيرة .

تخطيط المسجد :

المسجد تخطيطه مستطيل الشكل (٦٥ م × ٤٣ م)[٥] ، يتوسطه فناء مكشوف (٣٣٫٩٠ م × ٢٦٫٢٥ م) ، يحيط به أربعة أروقة أعمقها رواق القبلة ، ويعلو جدران الأروقة جهة الصحن شرفات مسننة متجاورة (لوحة ٨) .

رواق القبلة : (٤١٫٩٠ م × ١٥٫٣٠ م) :

يتكون رواق القبلة من أربع بلاطات بواسطة أربعة صفوف من البائكات ، بكل صف أعمدة ضخمة مستديرة ، تقوم على قواعد مربعة ، وتحمل هذه الأعمدة الضخمة عقودا مدببة ، ويغطى الرواق سقف خشبى مسطح[٦] . يلاحظ وجو شبه مجاز قاطع عمودى على

---

(١) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) يذكر ابن المجاور عن سقف هذا المسجد « خذ من تعز المنبر ومن جامع الجند السقف »
ابن المجاور المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) غازى رجب : المصدر السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٤) حسين السياغى : معالم الآثار اليمنية ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٥) ربيع القيسى : المصدر السابق ص ٧٠ .

(٦) كان يوجد برواق القبلة ثلاث قباب مزخرفة أزيلت عام ١٩٦٠ م .

المحراب ، ويتوسط جدار القبلة محراب المسجد (عمقه ٤٠ سم وسعته ٨٠ر١ م) ، يعلوه عقد مدبب على عمودين ، ويحيط بطاقية المحراب عقد آخر . ويتميز هذا المحراب (الرئيسى) بوجود عدة نصوص فعلى واجهة عقده يقرأ « يأأيها الذين آمنوا إركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »[١] وأسفل العقد يقرأ « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[٢]، وفى باطن المحراب يقرأ : «لااله الا الله محمد رسول الله ﷺ تسليما » ، كما توجد كتابات أخرى على جانبى المحراب ، فعلى الجانب الأيمن : « فرغ من عمل هذا المحراب العبد الفقير الى رحمة الله عبد الله بن أبى الفتوح » ، وعلى الجانب الأيسر : « فى شهر رجب سنة ثمانى عشرة وستماية صلى الله على محمد واله ورضى الله عن الصحابة أجمعين »[٣]. وإلى الشرق من هذا المحراب ، يوجد محراب آخر ، خلو من الزخارف والكتابات ، يعلوه عقد مدبب (سعته ٦٢ سم وعمقه ٤٠ سم) وينسب إلى معاذ بن جبل . يقع منبر المسجد على يمين المحراب ، وهو منبر أثرى قديم[٤] . والواقع أن هذا الرواق محجوب عن الصحن بوساطة جدار مرتفع به ثلاثة مداخل ، الأوسط منها على محور المحراب ، ويتميز بوجود فتحات للنوافذ خاصة فى جداره الشرقى والغربى من الجص المفرغ ، تشبه إلى حدما النوافذ الجصية المفرغة بجامع أحمد بن طولون بمدينة القاهرة ، وإن كانت ترجع إلى فترة متأخرة .

الأروقة الثلاثة :

يتكون الرواق الجنوبى المقابل لرواق القبلة من أربع بلاطات ، بوساطة أربعة صفوف من البائكات بعضها على شكل عقود مدببة ممتدة والآخر على هيئة دعائم كبيرة مستطيلة الشكل تحمل عقودا مدببة فى أعلاها . أما الرواقان الشرقى والغربى فبكل منهما بلاطتان تقسمهما بائكتان ، من أعمدة اسطوانية كبيرة ، يقوم عليها عقود مدببة الشكل أيضا ، وتشبه البائكتين المطلتين على فناء المسجد عقود الجامع الطولونى بالقاهرة إلى حد كبير . هذا وقد تبقى فى الناحية الجنوبية من الرواق الشرقى قاعدة المئذنة القديمة التى انهارت فى فترة حكم الملك الرسولى يحيى بن اسماعيل (٨٣٠ - ٨٤٢ هـ) ثم أُعيد تجديدها ، إلا أنها سقطت بعد ذلك بقليل .

---

(١) قرآن كريم : سورة الحج ، الآية ٧٧ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .
(٣) ربيع القيسى : المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٤) أنظر فصل الزخارف الخشبية .

مئذنة المسجد : (لوحة ٩) :

تقع مئذنة الجامع الحالية فى الجهة الجنوبية من الرواق الغربى ، وهى ذات شكل فريد من نوعه بالنسبة لأشكال المآذن اليمنية ، بنيت من مادة الآجر وتتكون من قاعدة اسطوانية الشكل ، يعلوها بدن مثمن مرتفع ، يحيط به من أعلى شرفة مزخرفة بصفين من أشكال المقرنصات والدلايات ، يستدير أسفلها زخرفة من أشكال العقود . المصمتة المتجاورة ، ويقوم على هذه الشرفة (الحوض) بدن آخر مسدس الشكل به فتحات أخرى مصمته ، ويقوم عليها بدن اسطوانى قصير يغطيه من أعلى قمة مخروطية الشكل .

المداخل : يضم الجدار الجنوبى للمسجد ثلاثة مداخل يعلوها أعتاب حجرية بها نصوص كتابية مثل : « أمر بعمارته القاضى الفاضل محمد بن زيد .. » وعثمان (إسم البناء) وكتابة أخرى تحمل عبارة « عمل فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسائه غفر الله لكاتبه وقارئه امين » ، كما يوجد بالضلع الشرقى ايضا ثلاثة مداخل ، أحدها يؤدى الى حجرة كبيرة بها بئر قديم ، ولايوجد بالضلع الغربى مداخل ، هذا وتقع المطاهير والحمامات الخاصة بهذا المسجد فى الناحية الشرقية خارج جدران الجامع .

والواقع أن مراحل التجديد والاضافات المستمرة التى طرأت على عمارته ، قد غيرت من طبيعة عمارة المراحل الأولى للجامع إلى درجة كبيرة ، يتعذر معها تحديد عدد البلاطات لكل رواق على وجه الدقة ، كما أن السقوف الخشبية التى كانت تغطى الاروقة لاوجود لها الآن رغم وصف المؤرخ ابن المجاور لها وذكرها على أنها أهم مايميز هذا الجامع ، ونعتقد أن المنارة الحالية الباقية ترجع إلى فترة متأخرة ، وربما من أهم مميزات الكتابات على الجدار الشرقى والغربى والباقية حاليا تفيد إلى حد كبير فى محاولة تحديد بعض تواريخ الاضافة به خاصة إذا ماتم بعناية إزاله بعض طبقات الملاط الحديثة . ومع ذلك فإن جامع الجند يعد أثرا هاما بالنسبة للعمارة الدينية فى العصر الاسلامى فى اليمن .

٣ - الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان :[١]

يرتبط الجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان بالدولة اليعفرية (٢٢٥ هـ - ٣٩٣ هـ) ، التى اتخذت مدينة شبام عاصمة لها ، ذلك أنه إرتفع شأن آل يعفر الحواليين منذ بداية العصر العباسى الثانى ، وتقلدوا مناصب من قبل الخلفاء العباسيين ، حتى عهد الخليفة العباسى المعتمد للأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم عام ٢٥٧ هـ بحكم صنعاء ومخاليفها حيث أقام الخطبة للخليفة العباسى والأمير الزيادى فى زبيد وخلفه ابنه ابراهيم عام ٢٦٢ هـ فى حكم صنعاء ، وقد جوبه بكثير من الفتن والحروب ، ومالبث أن أعتزل الحكم فى نفس العام . والواقع أن آل يعفر دخلوا بعد ذلك فى منازعات عديدة ، ضمت أطرافا مختلفة ، حتى تمكن أسعد بن يعفر (٢٨٢ - ٣٣١ هـ) من إستعادة زمام الأمور ، حتى تقلص حكم آل يعفر نهائيا عام ٣٩٣ هـ [٢] .

أما عن تاريخ بناء هذا الجامع ومؤسسه فنعتقد أنه بنى قبل عام (٣٠٠هـ) ، ولعله من بناء الأمير أسعد بن يعفر ، ثم تواصل فيه التجديد والتعمير حتى نهاية الدولة اليعفرية[٣] . كما تعرض الجامع للتلف والخراب حتى أُعيد تجديده فى العصر العثمانى .

تخطيط الجامع : (شكل ٣) :

يُصعد إلى الجامع بواسطة عدة درجات من السلالم الحجرية فى الناحية الشرقية حيث

(١) شبام بكسر الشين ، اسم مشترك بين أربعة بلدان فى اليمن هى شبام كوكبان وشبام حراز وشبام الغراس من بلاد صنعاء وشبام حضرموت . وشبام كوكبان ، هى فى الأصل شبام أقيان ويقال شبام حمير ، تقع غربى صنعاء بمسافة ٣٤ كم بسفح جبل كوكبان نسبة إلى شبام بن عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد ، كما يطلق عليها أيضا شبام يعفر ، نسبة الى الملوك من آل يعفر الذين سكنوها . وشبام الآن ضمن منطقة همدان باليمن .

والواقع أن آل يعفر ، حين سكنوا هذه المدينة أقاموا بها التحصينات والأسوار ، فضلا عن القصور والمنازل والمساجد والحمامات والأسواق وغير ذلك ، وهم من ذرية ذى حوال الحميرى (٢٢٥ هـ - ٣٩٣ هـ) .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ، ص ٤٤١ - ٤٤٤ ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٦ حاشية ٣ ، ص ٢١١ ، حاشية ١٢ ، المقحفى : المعجم ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، حسين السياغى : معالم الآثار ، ص ٧٤ .

(٢) أنظر : عصام الدين عبد الرؤف : اليمن فى ظل الاسلام ، ص ٩٨ - ١٠٦ .

(٣) أنظر عن هذا الموضوع أيضا : الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٢٦ - ٢٧ ، تاج الدين عبد الباقى اليمانى : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن : تحقيق : مصطفى حجازى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٤ ، الجرافى : المقتطف من تاريخ اليمن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

تؤدى الى مساحة صغيرة مربعة الشكل تغطيها قبة ضحلة ، ويقع المدخل المؤدى الى الجامع فى الناحية الشمالية من الجدار الشرقى . تبلغ مساحة الجامع من الداخل حوالى (٣٥٫٦٠ م × ٢٣٫٨٥ م) ، يتوسطه فناء مكشوف مساحته (١٤٫٢٠ م × ١٢٫٦٠ م) ، ويلاحظ أن هذا الفناء قد حُجب تماما عن الأروقة بحيث يبدو وكأنه وحدة معمارية مستقلة بذاتها ، وذلك لبناء جدران مرتفعة فصلته عن الأروقة ، ويتم الدخول اليه من خلال مداخل فى الجدارين الشمالى والجنوبى .

رواق القبلة : (٢٣٫٨٥ م × ١٢٫٦٠ م) :

يتم الدخول إلى رواق القبلة من خلال المدخل الواقع فى جداره الشرقى فى الناحية الشمالية ، ويتكون هذا الرواق من أربع بلاطات ، بوساطة أربعة صفوف من الأعمدة المرتفعة بكل صف تسعة أعمدة ، ويقوم على هذه الأعمدة التيجان وهى مركبة من جزءين ، ترتكز عليها العوارض الحاملة لسقف الرواق ، ويلاحظ وجود دعامة واحدة فى صف الأعمدة الثانى وأخرى بالصف الثالث ، جهة جدار القبلة تحمل عقدين من شكل مدبب ، كما تظهر أشكال الأعمدة والتيجان المتداخلة مع الجدار المشترك بين الفناء والرواق من الداخل والخارج .

يتوسط جدار القبلة كتلة المحراب من الجص (لوحة ١٠) . ويتوسطها تجويف المحراب ، (إرتفاعه ٢٫٤٠ م وسعته ٧٥٫٥ سم وعمقه ٥٠ سم) ، ومتوج فى أعلاه بعقد نصف دائرى يرتكز على عمودين . يزخرف قمة تجويف المحراب شكل المحارة بأسلوب مُحور ، أسفل هذا الشكل ، شريط كتابى مذهب يقرأ : « كلما دخل عليها زكريا المحراب » ، أسفله مباشرة تجويف المحراب من أسفل متوج بعقد صغير نصف دائرى الشكل بوسطة وردة من اثنتى عشرة بتلة . هذا ويظهر على اطار العقد العلوى كتابة تقرأ « لا اله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله فاطمة أمة الله » ، كما يعلو إطار العقد من أعلى عقد زخرفى ثلاثى مفصص ، يقرأ بداخله « الحسين صفوة الله » . هذا بالاضافة الى الزخارف النباتية والهندسية ، على جانبى تجويف المحراب بعضها بسيط والآخر مركب ، والى الشرائط الرئيسية على جانبى وأعلى المحراب حيث كُتب بداخلها آية الكرسى (سورة البقرة الآية ٢٢٥) . يقع على يمين المحراب منطقة زخرفية أخرى أشبه بمحراب مزخرف ، مكتوب عليها بعض الأيات القرآنية الكريمة ومزخرفة بالزخارف النباتية والهندسية المتقنة ، فيقرأ على الاطار العلوى : « ياأيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ، وعلى الاطار الجانبى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل

عليكم فى الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين »[١] ويقرأ على الاطار الافقى الثانى من أعلى « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »[٢] والأقرب إلى الاحتمال أن هذه الكتابات تعود الى القرن التاسع الهجرى وتشبه الى حد كبير بعض الكتابات الأثرية فى مدرسة عامر بن عبد الوهاب فى مدينة رداع والتى تعود أيضا الى القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

كذلك يوجد على يمين المحراب الرئيسى فى هذا الرواق محراب آخر صغير ، تحيط به الكتابات من الأيات القرآنية الكريمة ، تبدأ على الاطار الأيسر للمحراب « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين » وعلى الاطار الجانبى ومن أعلى يقرأ : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك » . ومما تجدر الاشارة إليه عن الكتابات الأثرية فى هذا الرواق وجود عتب حجرى مستطيل الشكل ، يعلو فتحة النافذة فى الجدار الحديث المطل على الفناء من الناحية الجنوبية (مقاييسه : ٨٤ سم × ١٧ سم) يقرأ عليه بالخط النسخى البارز : « بسم الله الرحمن الرحيم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »[٣] .

تمتاز أعمدة هذا الرواق بارتفاعها الكبير وهى مستديرة الشكل ، ومعظمها بدون قواعد إذ يرتكز العمود مباشرة على مستوى الأرض ، وعليها تيجان مركبة من جزءين الأعلى مزخرف على شكل قطاعات مختلفة من أوراق البردى وسعف النخيل ، ويقوم فوق التيجان الطبان حيث ترتكز عليه عوارض السقف مباشرة .

والواقع أن سقف هذا الرواق يعد غاية فى الأبداع والدقة بالنسبة لزخارف السقوف اليمنية والذى يُحتمل نسبته إلى القرن الرابع والخامس للهجرة / ١٠ ، ١١ م ، ويبدو واضحا به أسلوب المصندقات الخشبية ذات الزخارف النباتية والهندسية المتنوعة مابيين الأوراق النباتية وأشكال الورود والأشكال النجمية والزخارف المضفورة ، فضلا عن التكوينات الهندسية المتقنة والملونة والمطعمة[٤] . (لوحة ٧٥) .

---

(١) سورة الحج : آية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٥ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) وأنظر أيضا عن هذا الموضوع Barbara Finster, Die Freitags Moschee Von Şibâm – Kauk aban ABB, 2-16

الأروقة اثلاثة الأخرى :

يقابل الرواق الشمالى (رواق القبلة) فى الناحية الجنوبية الرواق الجنوبى الذى يتكون من ثلاث بلاطات مقابل أربع بلاطات فى الرواق الشمالى ، بواسطة صفين من الأعمدة ، وان كان الصف الثالث يظهر مندمجا مع الجدار الذى يحجب هذا الرواق عن فناء المسجد كما فى بقية الجدران المطلة على الفناء (لوحة ١١) ، ويغطى هذا الرواق سقف مسطح من الخشب ، ويتم الدخول اليه من مدخلين فى الناحيتين الشرقية والغربية ، كما يتم الدخول اليه أيضا من الفناء من خلال فتحات بالجدار الشمالى ، ويضم هذا الجدار من الداخل محرابين .

يتكون أيضا كل من الرواقين الشرقى و الغربى من بلاطتين بواسطة صفين من الأعمدة ، أُدمج صف الأعمدة فى كل منهما جهة الصحن فى الجدار المشترك الحديث مع الفناء ، ويبدو على سقف الرواق الغربى وضوح مظاهر القدم ، خاصة فى وجود المصندقات الخشبية المماثلة لما فى سقف رواق القبلة بنفس المسجد .

المئذنة : (لوحة ١٢) :

توجد مئذنة المسجد فى الناحية الجنوبية الشرقية ، وأغلب الأحتمال أنها ترجع الى فترة متأخرة ، تتكون من قاعدة من حجر الحبش الأسود ، مرتفعة ، زخرفت القاعدة من أعلى بزخارف كتابية بخط النسخ وزخارف هندسية مضفورة ويقوم على هذه القاعدة بدن مثمن قصير من الآجر (الطابوق) ، مزخرف بزخارف متماثلة هندسية الشكل من الجص ، على كل ضلع من أضلاع المثمن ، ويعلو هذا البدن بدن آخر مستدير ومرتفع ، عليه أشرطة دائرية أفقية ، ويعلو هذا البدن حوض المئذنة ، يقوم فى وسطه بدن من ستة عشر ضلعا ، تتوجه طاقية المئذنة . وتعد هذه المئذنة رغم أنها ترجع الى فترة متأخرة مثالا طيبا لنماذج المآذن اليمنية المنتشرة وزخرفتها بالجص . هذا وتقع الحمامات والمطاهير الملحقة بالجامع فى الناحية الجنوبية .

والواقع أن جامع شبام رغم مااعتراه من إهمال شديد على مر العصور الاسلامية ، ثم العناية به مؤخرا ، لايزال مثالا هاما من مساجد اليمن التى أُنشئت فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، فهو ينتمى الى طراز العمائر الاسلامية ويمكن مقارنة بعض عناصره المعمارية وكثير من وحداته الزخرفية بأمثلة أخرى خارج اليمن كجامع احمد بن طولون بالقاهرة وجامع الكوفة وجامع قرطبة ، فضلا عن طراز سامرا فى الزخرفة والعديد

من العناصر الزخرفية النباتية والهندسية ، وهو كغيره من جوامع ومساجد اليمن ، لعبت فيه الكتابات الأثرية دورا كبيرا خاصة النصوص القرآنية التى تكاد تملأ كتلة المحراب الجصية .

على أننا نعتقد بأهمية هذا المسجد خاصة فى نشأة طراز زخارف السقوف اليمنية ، إذ أنه من المؤكد نسبة هذا المسجد إلى أمراء الدولة اليعفرية فى شبام فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، كما أن الأمير أبى يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر الحميرى الحوالى هو الذى جدد السقوف فى الجامع الكبير بصنعاء من خشب الساج وهى على غرار جامع الدولة اليعفرية فى شبام فى عام ٣٣١ هـ ، وهو الأمر الذى سنعود الى مناقشته عند الحديث عن الزخارف الخشبية فى اليمن .

٤ - الجامع الكبير بزبيد[1] : لوحة ١٣ ، ١٤

إن الجامع الكبير بزبيد يأتى فى مقدمة الآثار الاسلامية العديدة التى تحتفظ بها هذه المدينة العظيمة ذات التاريخ المتواصل من العلم والعلماء ، وهذا الجامع أيضا ، شأن غيره من جوامع ومساجد اليمن ، تعرض للعديد من الاضافات والتجديدات على مراحل العصور

---

(١) زبيد مدينة العلم والعلماء ، هى من أمهات المدن اليمنية ، تتبع حاليا لواء الحديدة ، سميت على اسم وادى زبيد وهو واد مشهور يصب فى تهامة ثم البحر الأحمر ؛ وكانت زبيد تسمى بالحصيب ، نسبة الى الحصيب بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن سبأ ، وقد غلب عليها الاسم الجديد لوجودها فى وادى زبيد .

إختط هذه المدينة عسكريا محمد بن زياد مؤسس الدولة الزيادية فى اليمن (٢٠٥ - ٤٠٢ هـ/ ٨٢٠ - ١٠١١ م) ، فى عام ٢٠٤ هـ بأمر الخليفة العباسى المأمون ، واتخذها عاصمة لدولته . لقد ظلت مدينة زبيد ، على امتداد فترات التاريخ الاسلامى مركزا من مراكز العلم والاشعاع الحضارى ، بما كان بها من علماء وفقهاء وطلاب علم ، الذين كانوا يأتون اليها من كل حدب وصوب حتى وصفت : « بأنها من بلاد العلم والعلماء والفقة والفقهاء والدين والصلاح والخير والفلاح » أدار عليها الحسين بن سلامة سورا ، ويذكر المؤرخ ابن الديبع أن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أدار عليها أربعة أسوار كان آخرها فى عام ٥٨٩ هـ ، وضمت المدينة أربعة أبواب هى : باب الشارق ، باب سهام ، باب النخل ، باب القرتب ، ولايزال بعضها باقيا بالمدينة بجانب بعض الأسوار والأبراج والدعائم الساندة ، والتى كان قد هدمها الامام المنصور الحسن بن محمد القاسم عام ١٠٤٥ هـ .

وليس أدل على أهميتها العلمية والدينية خلال العصر الاسلامى أكثر من وجود (٢٣٦) منشأة دينية بها مابين جامع ومدرسة ومسجد خلال عهد الدولة الرسولية (٦٢٦ هـ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) ، وقد تبقى من هذه الآثار حاليا : (٨١ أثرا) ، هذا إضافة إلى ماكان بها من مبان أخرى .

أنظر : عبد الرحمن بن الديبع : بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبد الله الحبشى ، مركز الدراسات اليمنية ، وابن الديبع أيضا : الفضل المزيد على بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، الحجرى مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ، ص ٣٨١ - ٣٩١ ، عبد الرحمن الحضرمى : زبيد وآثارها الاسلامية ، ص ٦٨ - ٧٦ ، كتاب الآثار الاسلامية فى الوطن العربى ، تونس ١٩٨٥ .

الاسلامية المتعاقبة ، فهو يرجع فى تاريخه الى ماقبل القرن الثالث الهجرى ، ربما إلى زمن أبى موسى الأشعرى ، إلا أن هذا المسجد قد أخذ أهميته الكبيرة كمسجد جامع فى مدينة زبيد فى عصر الدولة الزيادية ، حين جدده القائد الحسين بن سلامة عام ٣٩١ هـ ، ثم تعرض للهدم على يدى مهدى بن على مهدى الرعينى ، وأعاده المبارك بن كامل بن منقذ ، وعمره وجدده أيضا سيف الاسلام طغتكين عام ٥٨٢ هـ [(١)] ، ثم هدمه السلطان عامر بن عبد الوهاب وعمره من جديد فى عام ٨٩٧ هـ ، عمارة كبيرة متقنة على يد « المعلم على بن حسن المعمار »[(٢)] . ومما تجدر الاشارة إليه وجود النص التأسيسى لهذه العمارة على يمين ويسار المحراب فى رواق القبلة بخط النسخ ويقرأ فى ثلاثة سطور : « أمر بعمارة هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الظافر صلاح الدنيا والدين عامر بن عبد الوهاب فى شهر شوال سنة سبع وتسعين وثمان ماية » . هذا وقد جدد عقود الجامع (٢٧٠ عقد) الامام المهدى العباس[(٣)] عام ١١٨٥ هـ ، هذا فضلا عن الاصلاحات الأخرى التى تمت فى الجامع بعد ذلك التاريخ .

شُيد هذا الجامع بمادتى الآجر (الطابوق) والجص ، به ثلاث عشرة مدخلا وتبلغ مقاييسة من الداخل ٥٩ م × ٥٧ م ، ويتوسطه فناء مكشوف مساحته (٢٦٫٩٠ م × ١٤ م) ، تحيطه الأروقة الأربعة والتى يكون فيها رواق القبلة أعمق الأروقة .

---

(١) اسماعيل الأكوع : تقرير ، ص ٣٩٢ .

(٢) يذكر النص الذى أورده ابن الديبع فى هذا الشأن : «عمره عمارة عظيمة (السلطان عامر بن عبد الوهاب) ، على يد المعلم على بن حسن المعمار ورفعه عن الأرض نحو سبعة أذرع وجعل مقدمة بالأساطين على عمارته الأولى وجعل الجناحين والمؤخر عقودا فسيحة على أعمدة من الآجر والنُورة ، وزاد فى مقدمة إدخال الرواق القبلى من الشمسية فيه ، وزاد الأروقة القبلية فى توسيع الشمسية واتسعت اتساعا عظيما أضاق منه جوانب المسجد المذكور كلها وسُقف سقفا عجيبا وزخرف بأنواع النقوش وزخرف جداره القبلى ومحرابه بالذهب واللازورد وغير ذلك وجعل فى مقدمة قبتين كبيرتين شرقية وغربية وزخرفتا بأنواع النقوش وزيد فى الشرقية من الذهب واللازورد شىء كثير ، وجعل عليها دائرتى خشب وأبوابا وغلقا ليصلى بها السلطان ، إذا كان بمدينة زبيد ، وعوض ماتلف من الأساطين الخشب وزاد سبع أساطين فى الزيادة المذكورة ، ويحتوى على مائتين وسبعين عقدا وتسعين اسطوانة من الخشب ومائة وأربعين دعامة من الآجر والنُورة ويحتوى على إثنى عشر قبة وثلاثة عشر بابا فيها خمسة أبواب كبيرة وجُعل للباب القبلى والذى يليه من جهة الشرق مدرجان عليهما البابين » .

ابن الديبع : بغية المستفيد ، ص ٧٠ - ٧٣ .

(٣) أنظر : الجرافى : المقتطف ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

رواق القبلة : شكل ٤

يتكون رواق القبلة (الشمالى) ، من ست بلاطات ، ترجع البلاطة الأخيرة منهم والمطلة على الفناء الى فترة متأخرة ، إذ يعلو سقفها سقف البلاطات الخمس وتتكون البائكات من صفوف من الأعمدة المستديرة الضخمة الشكل (محيط العمود ٧٠ر٢ م) ، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة واسعة من مركزين ، يرتكز عليها سقف الرواق ، المصنوع من الخشب ، ويمتاز سقف هذا الرواق بوجود كتابات وزخارف نباتية وهندسية الشكل وملونة بألوان مختلفة ويختلف هذا الرواق المجدد عن السقوف ذات المصندقات الخشبية ، ويرجع ذلك إلى عام ١١٨٥ هـ ، ضمن ما قام به المهدى العباسى من تجديدات شملت العقود وسقف الرواق ويؤكد ذلك وجود نص كتابى يقرأ « وكان تاريخ حرفه العدد وسقاهم ربهم شرابا طهورا (١١٨٧ هـ) » ، ومما يقرأ على سقف هذا الرواق : لا اله إلا الله محمد رسول الله وأيضا :

لى خمسة أطفىء بها حر الوبا الحاطمة   المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمة
على الله فى كل الأمور توكلى   وبالخمس أصحاب العباء توسلى

ولعل أهم يمتاز به هذا الرواق عن غيره من أروقة المساجد فىاليمن إحتوائه على عدد كبير من العقود والأشرطة المصنوعة من مادة الجص بدرجة كبيرة ونادرة ، مزدأنه بالكتابات الأثرية من آيات من القرآن الكريم ونصوص أخرى بعضها بالخط الكوفى والآخر بخط الثلث وغيره بخط النسخ ، كما أن زخارف العقود يميزها اختلافها من عقد لآخر وتشير النصوص المكتوبة غير الآيات القرآنية الكريمة إلى عمارة الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب صاحب العمارة الكبيرة بهذا المسجد فى عام ٨٩٧ هـ . أما الزخارف النباتية والهندسية ، فهى كثيرة للغاية ، منها ماكان مهادا للكتابات ذاتها ومنها ماهو مستقل بذاته من الزخارف البسيطة والأخرى المركبة ، وقد شملت هذه الزخارف التفريعات النباتية والاوراق النباتية على إختلاف فصوصها وأشكال الورود المتنوعة والأوراق النصلية والرمحية والمراوح النخيلية وأنصافها ، فضلا عن تجميع مثل هذه العناصر بأسلوب محور عن الطبيعة (زخارف الأرابيسك) ، كما أن الزخارف الهندسية شملت النجوم المسدسة ، (لوحة ١٥) والمثمنة والجامات المختلفة والزخرفة على هيئة خلايا النحل والمعينات والمربعات والدوائر وأشكال البخاريات والأطباق النجمية .

يتوسط جدار القبلة كتلة المحراب : مصنوعة من الجص (٨٣ر٢ م عرض) ، يتوسطها

تجويف المحراب (ارتفاع ٦٥ر٢ م ، ٢٤ر١ م عمق ، ٢٣ر١ م سعة الفتحة) ، ويزدان هذا المحراب بالزخارف والكتابات ، فعلى قمته تقرأ الآية الكريمة (سورة الاخلاص) ، ويلى هذه الكتابة شريط مستدير على شكل زخرفة خلايا النحل ، ثم شريط آخر مستطيل يقرأ عليه : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . يزخرف هذا المحراب إطار من الجص المفصص واطار مماثل من الخارج ، يحصران بينهما شريطا من الزخارف النباتية المورقة ، قوامه الأوراق النباتية الثلاثية والخماسية والزخارف المجدولة المتكررة . يكتنف تجويف المحراب من الناحيتين ومن أعلى شريط من الكتابات الكوفية المزهرة لآيات من القرآن الكريم ، ويتوسط كل شريط دائرة بداخلها وردة سداسية تمتد رأسيا متكررة ، ويعلو قمة عقد المحراب ، منطقة زخرفية مربعة الشكل من الزخارف الجصية من ثلاثة صفوف بكل صف أربع دوائر مجوفة بداخلها وريدات متماثلة ، كما يكتنف هذه المنطقة الزخرفية الآية القرآنية الكريمة « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » . هذا وتنتهى كتلة المحراب من أعلى بهيئة الشرفة البارزة ، حيث يتوسطها دخلة بارزة معقودة ، يكتنفها من الناحيتين دخلتان وبطرفيها حلية معمارية ، أسفلها مباشرة يقرأ : أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » .

يلاحظ أيضا وجود بلاطة من القاشانى كبيرة الحجم (٢٨ر١ م × ٩٨ سم) ، تقع على يمين المحراب من أسفل ، (لوحة ١٦) ، يغلب عليها اللون التركوازى ، ويتوسطها جامة مفصصة الشكل ، مُحدد إطارها باللون الأبيض ، يحيطها من الداخل وردة مكررة ذات ست بتلات باللون الأبيض ، على أرضية زرقاء يحيط بها أشكال سداسية مكررة باللون الأسود على أرضية باللون التركوازى ، ويلاحظ وجود كتابة فى حالة تالفة من أعلى تقرأ « لا اله الا الله ».. ويوجد بهذا الرواق ثلاث قباب مزخرفة بواطنها وعقودها بالزخارف الجصية .

الرواق الجنوبى :

يتكون هذا الرواق من خمس بلاطات ، بائكاتها موازية لبائكات رواق القبلة ، وتتكون صفوف البائكات من أعمدة مستديرة ، مماثلة لأعمدة الرواق الشمالى ، وتحمل عقودا مدببة . يغطى هذا الرواق سقف مُجدد وفى نهايته الشرقية والغربية قبتان . ويلاحظ وجود فتحة فى الناحية الغربية من الجدار الجنوبى تؤدى الى الحمامات والمطاهير القديمة بالمسجد والتى تتوسطها بركة للمياه ، ويوجد بطرفى هذا الرواق قبتان .

الرواق الشرقى :

يتكون أيضا هذا الرواق من أربع بلاطات ، ولعل أهم مايميز هذا الرواق وجود حجرات تعلو البلاطة الأولى جهة الجدار الشرقى ، يطلق عليها المقاصير وعددها (١٤ مقصورة) وكانت تستخدم هذه الحجرات فيما مضى لسكنى طلبة العلم بالمسجد ، ويتم الوصول اليها من خلال ثلاثة قوالب من السلالم من الرواق فى نهايته الشمالية والجنوبية وبالوسط ، كما يتم الوصول الى سطح المسجد حاليا من خلال هذه المقاصير . كذلك يلاحظ بالرواق الشرقى قبتان .

الرواق الغربى :

يتكون هذا الرواق من أربع بلاطات ، تتعامد بائكاتها على رواق القبلة فى هذا الجانب ، وقد تم مؤخرا تدعيم صف البائكات جهة الجدار الغربى لتصدعه ، بوساطة أساطين ضخمة مثمنة الشكل ، ولعل ذلك ضمن تجديدات المهدى العباسى بالمسجد ، ويغطى هذا الرواق سقف مسطح كما فى الرواق الشرقى ، وان كان يلاحظ أن سقف هذا الرواق أقدم فى تاريخه من سقف الرواق الغربى .

المئذنة : (لوحة ١٧) :

ترجع مئذنة هذا المسجد الى القرن السادس الهجرى / ١٣ م ، ولعلها من أعمال سيف الاسلام طغتكين بالمسجد ، وتقع فى الناحية الجنوبية الغربية ، وتقوم على قاعدة مربعة الشكل ، يعلوها بدن قصير مستدير الشكل مقسم الى تجاويف مصمتة ، وتنتهى فى اعلاها بعقود مدببة متجاورة ، ويرتكز على هذا البدن بدن آخر مثمن الشكل عليه زخارف محزوزة من أشكال المعينات المتصلة ، وتتكون قمة المئذنة من جزءين الأعلى عبارة عن قمة متدرجة تقوم على الجزء الثانى من شكل مثمن به فتحات معقودة بعقود مدببة . ويعد شكل هذه المئذنة من الأنماط الشائعة فى مساجد ومدارس مدينة زبيد التى تتميز بل تنفرد بكثرة آثارها الاسلامية الدينية .

٥ - جامع الأشاعر بزبيد :

يعد جامع الأشاعر بزبيد من بين العمائر الدينية الهامة فى مدينة زبيد . يرجع بناء هذا الجامع الى ماقبل إختطاط مدينة زبيد عام ٢٠٤ هـ ، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن تأسيس الجامع قد تم فى عام (٨ هـ) ، على يد جماعة من قبيلة الأشاعرة ومنهم أبى

موسى الأشعرى . تعرض هذا الجامع على مر الفترات الاسلامية المختلفة إلى عدة مراحل من التجديد والتعمير ، فقد عنى به ملوك الدولة الزيادية منذ قيامها ، خاصة تلك العمارة الكبيرة التى أجراها بالمسجد القائد الحسين بن سلامة فى أواخر عصر هذه الدولة فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى / ١١ م[1] حيث شملت هذه العمارة تجديد شامل للمسجد ، وفى عام (٨٣٢ هـ) عمرة الأمير سيف الدين برقوق الظاهرى « عمارة حسنة متقنة وزاد فيه مااستحقه والمؤخر الشرقى وسقفه وقضصه ، وجعل جناح المسجد الأول عقودا فسيحة وعمر مقصورة النساء وجعل لها خزانة جيدة .. ورسم فيه بالذهب ونصب فيه منبرا »[2] .

كما تم تجديد وتعمير المسجد فى عام (٨٩٧ هـ) على يد السلطان عامر بن عبد الوهاب . « حيث هُدم جميعه وأعيد من جديد على يد المعمار شمس الدين على بن حسين العكبار[3] ، وفى عام (٩٤٩ هـ) أُصلح منبر الخطابة على يد مصطفى باشا النشار ، كما تم تجديد وإصلاح بعض سقوف الجامع فى عام (١٢٧٦ هـ) .

يقع المدخل الرئيسى لهذا الجامع وسط الضلع الجنوبى تقريبا ، وهو مدخل بارز ، يعلوه عقد مدبب ذو اطار مفصص ، وتؤدى فتحة المدخل الى ردهة صغيرة مربعة الشكل ، مغطاة بقبة ، مناطق انتقالها من أشكال المثلثات الكروية ، ويلاحظ فى الجدار الشرقى من هذه الردهة ، دخلة مصمتة معقودة ، وتؤدى هذه الردهة الى الرواق الجنوبى للمسجد مباشرة . تبلغ مساحة هذا الجامع من الداخل (٣٥،٥٠ م × ٢٤،٥٠ م) ، ويتوسطه صحن صغير مكشوف (١١ م × ٣٥،٥ م) .

رواق القبلة : يتكون هذا الرواق من ثلاث بلاطات بوساطة ثلاثة صفوف من الأعمدة ، بعضها مستدير والآخر من ستة عشر ضلعا ، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة واسعة ، زخرفت بواطنها بالزخارف الجصية ، ويغطى هذا الرواق سقف خشبى مستو ، لازال باقيا على بعض حشواته آثار الألوان التى كانت تزخرفها ، كما يبدو واضحا بقايا من الزخارف الأصلية فى الناحية الغربية من البلاطة الأولى ، إذ يظهر أشكال الورود السداسية والثمانية باللون الأبيض على أرضية حمراء ، بالاضافة إلى بعض العناصر النباتية الأخرى .

---

(١) أنظر : عبد الرحمن الحضرمى : جامع الأشاعر بزبيد ، الطبعة الأولى ، وأيضا الحضرمى : زبيد وآثارها الاسلامية ، ص ٧٣ .

(٢) محمد عبد الوهاب المقداد : جامع الأشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون فى فضل مسجد الأشاعر ، تحقيق عبد الرحمن الحضرمى ، مجلة الاكليل ، العددان ، ٣ ، ٤ ، ١٩٨١ ، صنعاء ، ص ١١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ١١٦ .

يتوسط جدار القبلة تجويف المحراب ، يعلوه عقدان على شكل نصف دائرى ، ومن الواضح أن هذا المحراب قد مر بعده مراحل من التجديد ، وان كان حاليا يخلو من الزخرفة وعلى يساره يوجد شريط ضيق مستطيل الشكل ممتد من أعلى إلى أسفل ، كتب بداخله آيه الكرسى . يوجد بجدار القبلة أيضا محراب صغير ، يقع إلى الشرق من المحراب الرئيسى السابق (سعته ٧٠ سم وعمقه ٥٠ سم) ، مُتوج بعقد بوسطة دائرة ، عليها كتابة تقرأ « عبد الرحمن المعسار » .

كذلك يوجد بجدار القبلة منبر قديم من الخشب ، داخل تجويف فى الجدار الشمالى يعلوه عقد مفصص ، يقوم على عمودين ، وقد تبقى من هذا المنبر القديم ، بعض درجات السلالم ، وبعض الحشوات الخشبية القديمة ، عليها زخارف محفورة حفرا بارزا ، إلا أنها مغطاة بطبقة من الطلاء الحديث ، ويبدو من أسلوب ونمط الزخارف تشابهها مع العناصر الزخرفية النباتية التى تعود إلى القرن السادس الهجرى كما فى منبر جامع الجند .

ولعل من أهم مايميز رواق القبلة بجامع الأشاعر بقاء كرسى خشبى (منبر الحديث) على جانب كبير من الأهمية ومصنوع من خشب الخرط ويحتوى على التاريخ وإسم الصانع[1] ، وبإحتواء هذا الرواق أيضا على كثير من الدخلات والتجاويف المصمتة على جانبى المحراب .

الأروقة الثلاثة : يتكون الرواق الجنوبى المقابل لرواق القبلة الشمالى من ثلاث بلاطات مقابل بلاطتين فى الرواقين الشرقى والغربى ، وتغطيهما سقوف مسطحة من الخشب ويغلب على عقود البائكات النوع المدبب المحمول على أعمدة ودعائم .

المداخل : يقع المدخل الرئيسى للمسجد وسط الجدار الجنوبى ، الذى طرأ عليه بعض أعمال التجديد ، بحيث يصعب معرفة وضعه الأصلى . يوجد أيضا بالجدار الشرقى مدخلان ، أحدهما فى الناحية الشمالية ، ويؤدى مباشرة إلى البلاطة الوسطى فى رواق القبلة ، ومدخل آخر فى الناحية الجنوبية من هذا الجدار ، ويؤدى إلى ردهة مستطيلة الشكل مكشوفة ، ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، وفيها يتم الوصول إلى الحمامات والمطاهير الملحقة بالمسجد فى الناحية الشرقية . كما يوجد بالجدار الغربى مدخل فى الناحية الشمالية ، مواز لنظيره فى الجدار الشرقى ، ومدخل آخر فى الناحية الجنوبية ، يحصران بينهما فتحات النوافذ فى هذا الجدار .

---

(١) أنظر : فصل الزخارف الخشبية .

المئذنة : تشبة مئذنة هذا المسجد إلى حد ما مئذنة الجامع الكبير بزبيد فى بعض تفاصيلها المعمارية رغم صغر حجمها ، ويدخل إليها بوساطة مدخل صغير من داخل المسجد ، وتزدان بالمقرنصات والفتحات الصماء وغيرها من العناصر الزخرفية التى تتميز بها مآذن مدينة زبيد .

٦ - الجامع الكبير بذمار[١] :لوحة ١٨

يقع الجامع الكبير بذمار فى وسط المدينة تقريبا . بنيت جدرانه بحجر الحبش الأسود والجص ، كما استخدم الطابوق فى بناء المئذنة . يرجع تاريخ هذا الجامع وفقا لما ورد فى بعض المصادر التاريخية ، إلى أنه بنى بعد الجامع الكبير بصنعاء بأربعين يوما ، فى عهد رسول الله ﷺ[٢] ، حيث يتردد اسم « دحية » ربما يكون هو « دحية الكلبى » الصحابى ، أو ربما المقصود بدحية شخص آخر . على أى حال فقد ذكر المؤرخ الرازى أن تأسيس هذا الجامع كان بعد الجامع الكبير بصنعاء ، وقبل بناء جامع الجند ، وقيل فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه[٣] .

والواقع أن هذا الجامع فى تخطيطه الحالى معقد إلى الغاية ، نظرا لكثرة الاضافات والتجديدات به ، وكذلك اختلاف الطرز المتباينة به من حيث العناصر المعمارية والتفاصيل الزخرفية من جزء لآخر .

---

(١) ذمار مدينة يمنية كبيرة ، تقع جنوب مدينة صنعاك بمسافة ٩٩ كم ، وترتفع عن مستوى البحر بمقدار ٢٣٠٠ م ، سُميت على إسم ذمار بن يحصب بن سعيد بن حمير الأصغر ، وقيل على إسم ذمار على يهبر ملك سبأ وذوريدان (١٥ - ٣٥ م) والذمار بمعنى ماوراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، هذا وقد نُسب الى هذه المدينة ، عدد كبير من رجال الدين و العلم والفقة . ذكرها الهمدانى بقوله « ذمار قرية جامعة بها زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد ويسكنها بطون من حمير وأنفار من الأبناء ، وأرضها كبريتية ، ومنها يجلب الكبريت الى سائر أعمال اليمن ويكون علو آبارهم ثلاثة أذرع » .

وتبدو مدينة ذمار اليوم ، مدينة يمنية كبيرة عامرة ، تظهر عليها مسحة من التاريخ ، اذ يوجد بها العديد من الآثار الاسلامية ، التى بنيت فى فترات مختلفة فى العصر الاسلامى ، فضلا عن الآثار العديدة التى ترجع الى ماقبل العصر الاسلامى كمسجد الامام يحيى بن حمزة الحسينى المتوفى عام ٧٤٧ هـ ومسجد الامام المطهر بن محمد المتوفى عام ٨٧٩ هـ ومشهد الامام الحسين بن القاسم المتوفى عام ١٠٥٠ هـ وغير ذلك من الآثار الاسلامية العديدة بالمدينة .

أنظر : الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، حـ ٢ ، ص ٣٤١ - ٣٥٠ ، المقحفى : المعجم ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، حسين السياغى ، معالم الآثار ، ص ٨٢ - ٨٤ ، مصطفى شيحة : ذمار مدينة تاريخية ، مجلة الميثاق ، العدد ٢٢٨ / ١٩٨٧ ، ص ٦ .

(٢) حسين السياغى : معالم الآثار اليمنية ، ص ٨٣ .

(٣) الحجرى : المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

ويعزى إلى « الزيدى » ، تجديد وإضافة بهذا الجامع ، وأيضا ، يصعب تحديد شخصية الزيدى المقصود بهذا التجديد فى عمارة الجامع ، ربمان كان المقصود به م, القاسم بن الحسين الزيدى من ولد الحسين بن زيد بن على ، الذى تولى مقاليد الأمور فى صنعاء وذمار ، فى عهد الامام المنصور بالله القاسم بن على العيانى (٣٨٩ - ٣٩٣ هـ)[١] ، ويُعزى إلى الزيدى هذا بناء الرواق الشمالى (رواق القبلة) الحالى فى المسجد ، وأغلب الاحتمال أن هذا التجديد صحيح الى حد كبير نظرا لبقاء بعض الحشوات الخشبية على جانبى المنبر الحالى ، يعود أسلوب الزخارف فيها إلى طراز زخرفة الأخشاب فى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م . كذلك كان للسلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب الذى استولى على مدينة ذمار عام (٥٨٣ هـ) دور واضح فى تجديد عمارة هذا المسجد ، إلا أن العمارة الرئيسية والأخيرة ترجع إلى عام ١٠٥٧ هـ وقام بها الامام محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ، طبقا لما هو مدون بالكتابات الأثرية على الجدار الجنوبى بالرواق الغربى

تخطيط الجامع (أنظر شكل ٥ ، لوحة ١٨)

الجامع بوضعه الحالى خليط من العمائر والزخارف التى ترجع الى فترات متعددة . به أربعة مداخل : مدخلان بارزان فى الضلع الغربى ، وآخر مماثل فى الضلغ الجنوبى ، وتبرز هذه المداخل الثلاثة عن سمت الجدران . يتم الدخول الى الجامع حاليا من المدخل الجنوبى ، حيث يؤدى إلى ردهة أو فناء مكشوف صغير ، إلى الشرق منه توجد الحمامات والمطاهير الحديثة الملحقة فى نهاية الرواق الشرقى من الناحية الجنوبية . أما المطاهير والحمامات القديمة فتقع على يسار الفناء الصغير المكشوف الذى يتقدم الرواق الجنوبى من الناحية الجنوبية . أما المدخل الرابع فيوجد بالجدار الشمالى ولايستخدم حاليا ، كما أنه لايبرز عن سمت الجدار .

يتوسط الجامع من الداخل صحن مكشوف تحيطه الأروقة الأربعة ، وهى تختلف عن بعضها إلى حد كبير ، بحيث يمكن اعتبار كل رواق وحدة بنائية معمارية مستقلة بذاتها .

الرواق الشمالى : (٥٠ر٥٠ م × ٥٠ر١١ م) : يتكون من أربع بلاطات تجرى عقودها موازية لجدار القبلة ، بوساطة ثلاثة صفوف من البائكات بكل صف ستة عشر عمودا ودعامة واحدة فى الناحية الغربية ، وتحمل هذه الأعمدة عقودا متنوعة نصف دائرية وبعضها مدبب

---

(١) الجرافى : المقتطف ، ص ١٢٤ .

تدبيبا خفيفا ، ويلاحظ تعامد البائكات فى الناحيتين الشرقية والغربية على جدار القبلة . يتوسط الجدار الشمالى المحراب الرئيسى ، إلا أنه يلاحظ أن عمليات الطلاء والدهان المستمر على هذا المحراب قد أتلفت إلى حد كبير الكتابات الأثرية وكذلك الزخارف على هذا المحراب . المحراب مجوف الشكل ومتوج بعقد مدبب تدبيبا خفيفا ويعلوه عقد مفصص ، يعلوه أيضا بدوره عقد مدبب الشكل محمول على عمودين ، ويقع على يسار المحراب الرئيسى منبر قديم وهام (ارتفاعه ٣٫٢٥ م وطول قاعدته من الجانب ٢٫٣٠ م) ، طُلى مؤخرا بدهان متعدد الألوان وبه حشوات قديمة توضح انتقال أسلوب سامرا الثالث على الجص إلى زخارف الأخشاب فى بلاد العالم الاسلامى ومنها اليمن فى القرن الثالث الهجرى / ٩ م ، حيث أسلوب الحفر المشطوف والوحدة الزخرفية الكبيرة والعناصر الزخرفية المعروفة والمتطورة إلى هذا الطراز (لوحة ١٩ : أ ، ب ، جـ ، د) . هذا ويزخرف باب هذا المنبر زخارف مسننة على هيئة مثلثات متجاورة (عددها ١٨ مثلثا) ، وتنقسم زخارف ريشتى المنبر إلى قسمين العليا بها مناطق هندسية ، من أشكال مربعة ومستطيلة ، ومن أسفل حشوات مستطيلة ومربعة أيضا ولكن يتوسطها معينات ، ويزخرف جوسق المنبر أيضا زخارف نباتية وهندسية وتغطيه طاقة مضلعة .

على أن الزخارف الخشبية فى هذا الرواق لاتقتصر على المنبر وحشواته ، والذى يرجع الى فترة مبكرة ، لعلها ترجع إلى العمارة التى أجراها الزيدى فى هذا المسجد فى أواخر القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، وإنما تمتد الزخارف الخشبية لتشمل سقف هذا الرواق ، على هيئة مصندقات خشبية ، خاصة جهة جدار القبلة ، كما يمكن مشاهدة أربعة مصندقات خشبية جهة المحراب فى حالة لابأس بها من الحفظ وملونة ، وبها بقايا من الزخارف النباتية والهندسية ، خاصة فى أشكال الورود ، وتشبه إلى حد كبير بعض المصندقات الخشبية فى جامع شبام والجامع الكبير بصنعاء ، ويمكن تأريخها بالقرن الخامس الهجرى / ١١ م ، وأخيرا يلاحظ حجب هذا الرواق عن فناء المسجد كما هو متبع فى كثير من المساجد اليمنية .

الرواق الشرقى :

الواقع أن هذا الرواق ، يبدو وكأنه مسجد منفصل عن عمارة المسجد وقائم بذاته فهو محجوب عن رواق القبلة بجدار مرتفع حتى مستوى السقف ، ويتم الوصول إلى رواق القبلة منه بواسطة فتحة مدخل صغيرة ، تقع فى النهاية الغربية من ضلعه الشمالى ، كما أنه

محجوب أيضا عن صحن المسجد ، بجدار مرتفع به عدة مداخل ، وكذلك فى الناحية الجنوبية حيث يوجد به مدخل واحد فى الناحية الغربية منه ، يؤدى إلى المطاهير والحمامات فى الناحية الجنوبية . مساحته مستطيلة الشكل طولها ١٧٫٤٥ م وعرضها ١١٫٢٠ م ، ويقسم مساحته الداخلية أربع بائكات متعامدة عقودها مدببة ونصف دائرية على جدار القبلة ، ويغطى هذا الرواق سقف مسطح من الخشب . يتميز جدار القبلة فى هذا الرواق بوجود كتابات وزخارف هامة إذ يتوسط هذا الجدار كتلة المحراب المصنوعة من الجص ، بوسطها تجويف المحراب ، لوحة ٢٠ / أ ، معقود فى أعلاه ، بعقد نصف دائرى الشكل ، يعلوه شريط مستطيل بداخله كتابة نسخية تقرأ « لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وآله وسلم » ، ويعلوها أيضا منطقة زخرفية متكررة ، ويحيط بها عقد مدبب تدبيبا خفيفا له إطار مفصص ، ويقوم هذا العقد على عمودين لكل عمود تاج مزخرف .

يكتنف المحراب من الناحيتين ومن أعلى شريط من الكتابات النسخية « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

هذا ويكتنف كتلة المحراب من الناحيتين شريط هام من الكتابات النسخية ، يتضمن النص التأسيسى لتجديد عمارة هذا الرواق ، ويبدأ على يسار المحراب حيث يقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذه المقصورة وأنشأ هذه الزيادة والتوسيع مولانا السيد الأفضل العلامة ناظم أمر الأمة الأمجد » ، وعلى يمين المحراب يُستكمل النص : « الهمام ملك الاسلام عز الدين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد المتقدم ذكره فى الطراز من الجامع الغربى . وعامله الله بالحسنى فى الدنيا والآخرة (وكان) التجصيص فى شهر شعبان فى عام (؟)[1] ، (اللوحة ٢٠ / ب) .

---

(١) الواقع أن هذا النص المكتشف حديثا فى غاية الأهمية وان كان التاريخ لايزال مطموسا فى نهاية الشريط على يمين المحراب حتى زيارة هذا الجامع فى شهر مارس ١٩٨٧ . وصاحب التجديد والتوسيع هو الأمير محمد بن الحسن بن القاسم ، الذى تولى أمور مدينة ذمار فى عهد المتوكل على الله اسماعيل (١٠٥٤ - ١٠٨٧ هـ) ، وقد كان هو وأخوه أحمد بن الحسن من أعظم قادة الجيوش اليمنية فى عهد المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم . ولعل التجديد هو عام ١٠٥٧ هـ ، طبقاً لما هو مدون على الجدار الجنوبى بالرواق الغربى .

الرواق الغربى : تبدو الاضافات واضحة إلى حد كبير فى هذا الرواق على الأخص وهو مكون من سبع بلاطات **وينقسم إلى جزءين : الجزء الأول :** (الشرقى) .

يقع هذا الجزء جهة صحن المسجد ، حيث تطل عقوده عليه من الناحية الشرقية ، مساحته (حوالى ١٣٫٣٠ م × ٧٫٩٠ م) ، وبه ثلاث بلاطات بوساطة ثلاث بائكات متعامدة على جدار المحراب ، وتتكون صفوف البائكات من أعمدة تحمل عقودا مدببة ونصف دائرية الشكل ، يتوازى حائط المحراب فى هذا الجزء من الرواق الغربى ، مع جدار المحراب فى الرواق الشرقى السابق ويتوسط جدار هذا الجزء كتلة المحراب من الجص ، **لوحة ٢١ .**

المحراب مجوف من أسفل ، ومتوج بعقد مدبب محمول على عمودين قصيرين ، ويعلو عقد التجويف عقد آخر كبير مدبب الشكل أيضا ، محمول على عمودين ، ويلاحظ بين تاجى العمودين شريط من الكتابة بالخط النسخى يقرأ « لا اله إلا الله محمد رسول الله فاطمة أمة الله الحسن و الحسين صفوة الله صلوات الله عليهم أجمعين » وعلى إطار عقد تجويف المحراب يقرأ : « يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا .. الخ » وعلى جانبى المحراب ومن أعلى شريط من الكتابات الكوفية المزهرة على مهاد نباتى : « آية الكرسى » ، كما يقرأ على إطار عقد المحراب من أعلى « أقم الصلاة لدلوك الشمس .. » .

هذا فضلا عن العناصر الزخرفية النباتية والهندسية العديدة فى كتلة محراب هذا الجزء . يلاحظ أن سقف هذا القسم أكثر إرتفاعا من سقف القسم الغربى المفتوح عليه ، ونعتقد بأن هذا الجزء ربما كان فى فى أصله من الاضافة أو التجديد الثانى فى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، رغم مااعتراه من تجديدات .

الجزء الثانى (الغربى)

يتكون هذا الجزء من أربع بلاطات بوساطة أربع بائكات عمودية على جدار القبلة ، وتبلغ مساحة هذا الجزء من الشمال إلى الجنوب حوالى (٢٥٫٩٠ م) ومن الشرق إلى الغرب

ويلاحظ ورود كلمة « التجصيص » وهذه الكلمة فى الواقع بمثابة مصطلح هام كناية عن أعمال الجص التى تمت فى زخرفة محراب وجدران هذا الرواق ، ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن الذى يقوم بتنظيف هذا الشريط وتوضيح الكتابة عليه بطريقة فنية ، أحد أبناء مدينة ذمار نفسها ، كما ذكر لنا وسيكون الكشف عن التاريخ أهمية خاصة بالنسبة لهذا الرواق وأيضا بالنسبة لأعمال هذا الأمير فى المسجد .

أنظر : الشوكانى : البدر الطالع فى محاسن مابعد القرن السابع ، حـ ١ ، ص ١٤٨ ، الجرافى : المقتطف ، ص ١٦٨ .

(١٥٫٦٢ م) ، وتحمل أعمدة البائكات عقود مدببة واسعة ، كما أن المحراب الثانى (الغربى) فى رواق القبلة ، يتبع بشكل عام هذا الرواق أو الجزء المجدد والمضاف إلى عمارة الجامع ، وهو من أعمال الأمير محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد عام (١٠٥٧ هـ) . يوجد بالجدار الغربى كما تقدم مدخلان وأربع فتحات للنوافذ بين المدخلين .

الرواق الجنوبى : يتميز هذا الرواق دون أروقة الجامع الأخرى بصغر مساحته وبتكوينه من بلاطتين فقط ، كما أنه محجوب عن بقية امتداد الرواقين الجانبيين . يتكون صف البائكات الشمالى من أربعة أعمدة والجنوبى من خمسة أعمدة ، ويلاحظ أن عقود البائكات الجنوبية ، أكثر ارتفاعا من الشمالية المطلة على الصحن . ولعل أهم مايميز هذا الرواق سقفه الخشبى ذو الحشوات الملونة وعليها زخارف نباتية وهندسية **(لوحة ٢٢)** ، ويغلب عليها أشكال الورود والاوراق النباتية الثلاثية محصورة داخل مربعات ومستطيلات ومعينات وجامات مختلفة الشكل ، وقد نفذت بعدة ألوان أهمها اللون الأحمر والأسود والأزرق .

فناء الجامع : (حوالى ١٦٫٧٠ م × ١٢٫٥ م) : أرضيته مبلطة بأحجار الحبش ، وهو يبدو وكأنه مفصول تماما عن أروقة المسجد ، نظراً لوضوح ظاهرة فصل الأروقة عن الصحن وبهذا الفناء جهة الجنوب الشرقى بعض شواهد القبور الصغيرة الحجم ، تخص بعض الرجال الذين دفنوا جهة ساحة المسجد ومنها شاهد يرجع الى القرن السابع الهجرى .

المئذنة : تقع مئذنة هذا المسجد فى الناحية الغربية ، ويُدخل اليها من مدخل صغير فى الرواق الجنوبى . تقوم على قاعدة مربعة مرتفعة من مادة الحجر ، على بعض أحجارها كتابات قديمة بخط المسند ، يقوم عليها بدن مستدير من الآجر ، مُقسم إلى مناطق رأسية ، تزخرفها أشكال متراصة رأسيا من أشكال المعينات والزخرفة المجدولة ، يعلو هذا البدن الحوض (شرفة) ، عليه بدن من الآجر مستدير ومُقسم إلى مناطق رأسية ، بكل منطقة وحدة زخرفية متماثلة من الآجر أيضا ، يعلوها بدن آخر اسطوانى الشكل ، به فتحات معقودة ، ويتوج المئذنة من أعلى طاقية مقببة .

وبعد فإن هذا الجامع يحتاج لدراسة شاملة مفصلة على حدة ، نظرا لكبر مساحته وتعدد الاضافات والتجديدات فيه ، بل وتعقد وحداته المعمارية إلى حد كبير ، فضلا عن عناصره الزخرفية العديدة على الأخشاب ومن الجص .

٧ - الجامع الكبير فى مدينة إب[١] : شكل ٦

يقع الجامع الكبير وسط المدينة ، على ربوة عالية ، ويتم الصعود إليه من خلال ممرات عديدة . يرجع تأسيس هذا الجامع وفق الروايات الواردة عنه إلى عهد الخلفية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد توالت عليه بطبيعة الحال عدة إضافات وتجديدات خلال العصور الاسلامية المتعاقبة منها بعض التجديد فى فترة الحسين بن سلامة القائم بأمور زبيد وتهامة فى بداية القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، ضمن ماقام به من نهضة معمارية كبيرة شملت العديد من مساجد اليمن . هذا وتنسب معظم عمارة الجامع حاليا إلى أسد الدين محمد بن الحسن بن أخى نور الدين عمر بن على بن رسول زمن الدولة الرسولية ، وجُدد أيضا فى عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب ، فى أواخر القرن التاسع الهجرى / ١٥ م وأيضا فى أيام الوزير العثمانى حسن باشا فى اليمن ، كما هو مذكور على جدار القبلة عام ٩٦٦ هـ[٢] .

يضم هذا المسجد ثلاثة مداخل فى الضلع الغربى ، منهم مدخل فى الناحية الجنوبية ومدخلين فى الناحية الشمالية يتقدمهما ظُلة ، مغطاة بثلاث قباب متجاورة . يؤدى المدخل الجنوبى إلى ردهة ، ومنها إلى الرواق الغربى بالمسجد ، وهو رواق صغير ، يتكون من بلاطتين بواسطة بائكتين ، ويقابل هذا الرواق ، الرواق الشرقى ، وهو من بلاطتين أيضا ، بواسطة بائكتين إلا أنه يلاحظ إمتداد هذا الرواق ناحيتى الشمال والجنوب أكثر من الرواق الغربى السابق . أما الرواق الجنوبى فمن بلاطة واحدة ، ومعظم عقود هذه الأروقة على شكل مدبب واسع .

رواق القبلة :

الواقع أن هذا الرواق كما يتضح من المسقط الأفقى ، معقد إلى حد كبير ، نظرا للإضافات والتجديدات العديدة التى تمت به فى الفترات المختلفة وحتى عهد قريب ، يميز

(١) تُعد مدينة إب من أجمل مدن اليمن وأكثرها خصوبة . تبعد عن مدينة صنعاء إلى الجنوب بمسافة ١٤٠ كم وترتفع عن مستوى البحر بحوالى ٢٠٠٠ م وموقعها فى السفح الغربى لجبل ريمان من بعدان ، وبها مركز اللواء ويشتمل على عشرين مكتبا . كان يحيط هذه المدينة سور قديم ذو خمسة أبواب هى : الباب الكبير وباب الراكزة وباب النصر وباب سنبل والباب الجديد ، وبها مساجد ومدارس أثرية أخرى ، منها المدرسة النظارية المعروفة باسم مدرسة المشنة من القرن العاشر الهجرى .

أنظر : الحجرى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣١ - ٣٤ ، المقحفى ، المعجم ، ص ٦ - ٧ .

(٢) بربارة فنستر : تقارير أثرية ، حـ ١ ، ص ٦٣

هذا الرواق تغطية البلاطتين الموازيتين جهة جدار القبلة بقباب صغيرة متجاورة (عددها ١٢ قبة) يتوسطها قبة عالية ، تغطى المساحة التى تتقدم المحراب ، **(لوحة ٢٣)** ، مناطق إنتقالها على شكل أربع حنايا ركنية مزدانة بالزخارف الجصية الملونة ، وكذلك باطن القبة . تغطى هاتان البلاطتان قبة كبيرة وقباب صغيرة ، من أعمال التجديد والتوسيع التى تمت فى عمارة هذا الجامع ، والتى قام بها الوزير العثمانى حسن باشا ، طبقا لما هو مكتوب على حشوة خشبية بجانب المحراب إذ يقرأ فى السطر الأول منها « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وكان ذلك فى تاريخ سنة ست وتسعين وتسعماية » . ومما يقرأ على السطر الثانى : « وبلغ رسوله الكريم ، أمر بتجديد عمارة هذا الجامع المبارك والمساجد .. مولانا ومالكنا الوزير حسن نصره الله تعالى .. » ، **(لوحة ٢٤)** .

أما محراب المسجد فيتوسط هذا الجدار وسط كتلة كبيرة من الجص مستطيلة الشكل ويعلو المحراب عقدان الأول نصف دائرى ، محمول على عقدين صغيرين ، يعلوه عقد أخر مدبب ، ذو إطار مفصص ، ويرتكز على عمودين أكثر ارتفاعا من العمودين السابقين ، ويكتنف المحراب من الناحيتين زخارف ملونة حديثة ، ويشاهد على المحراب بعض الآيات القرآنية الكريمة : « آية الكرسى » ، « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا .. » ، وبعض العبارات الأخرى منها « لا اله إلا الله محمد رسول الله » ، « سبحان الله » ، « الحمد لله » ، « الله أكبر » ، ويقع على يسار هذا المحراب ، محراب أخر حديث ، إلى الشرق منه منبر قديم من الخشب ، وبعض حشواته من خشب الخرط المفرغ ، **(لوحة ٢٥)** .

والواقع أنه لا يزال بين حشوات هذا المنبر بعض الحشوات التى ترجع الى تاريخ قديم ، وهذه الحشوات بها زخارف وبعضها مطعم ، فضلا عن بعض الحشوات المجمعة وبه بعض الكتابات الأثرية منها « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمل هذا المنبر المقام العالى المولوى الأمجدى الأوحدى شيخ .. محيى الأنام ونظام الاسلام .. » وعلى حشوة أخرى يقرأ « عمل هذا المنبر المبارك فى (العشرين) من شهر الحجة سنة ست وثمانى ماية » .

يلاحظ أن بقية إمتداد هذا الرواق فى اتجاه الناحية الجنوبية ، عبارة عن ست بلاطات ، يتوسطهم مجاز قاطع يتعامد على مساحة القبة التى تتقدم المحراب . ويبدو فى هذا الجزء المعمارى وضوح الارتباك نتيجة عمليات التجديد والاضافة ، فبعض العقود مدببة وبعضها

نصف مستديره ، وبعضها متعامد على جدار القبلة والآخر مواز له ، كما تغطى هذه البلاطات سقوف مسطحة من الخشب ، إلا أن السقف الخشبى للمجاز يتميز ببقاء بعض المصندقات الخشبية ذات الزخارف النباتية والهندسية[1] . ويجاور هذا الرواق الى الشرق مصلى حديث بنى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م . كذلك يلاحظ وجود كتابة نسخية جهة المداخل الشمالية من الجدار الغربى تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده ، أمر بعمارة هذا المقدم فى » و على السطر الثانى « الجامع المبارك مولانا المقام العالى المولوى الأسدى أسد الدين محمد .. عز نصره » . وأسفل هذه الكتابة يوجد تاريخ العمارة « سنة تسع وثلاثين وألف » . **(لوحة ٢٦)** هذا ويلاحظ وجود بلاطة واحدة تتقدم رواق القبلة المحجوب عن فناء المسجد ، فى جدارها المشترك مع الرواق ثلاثة مداخل ، ويرجع تاريخ انشائها ، الى عام ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م .

المئذنة : لوحة ٢٧ :

تقع مئذنة الجامع فى الناحية الجنوبية الشرقية ، على شكل بدن مثمن مرتفع ، يرتكز على قاعدة حجرية مربعة ويعلو البدن المثمن شرفة مزخرفة من الخارج بأشكال الدلايات ويتوجها من أعلى طاقية مقببة من جزءين ذات إطار دائرى ، يبرز إلى الخارج ، والبدن الرئيسى المثمن مزخرف بزخارف هندسية الشكل . هذا وقد تمكنا من قراءة تاريخ داخل قاعدة المئذنة على إفريز من الحجر بالجدار الشرقى (١٠٨ سم × ١٥ سم عرض) ، يحمل تاريخ عام ٦٨٥ هـ على الأرجح من سطرين يقرأ « أمر بعمارة هذه المنارة المباركة مولانا الأوحد نور الدين .. » وعلى السطر الثانى يقرأ « .. المسلمين محمد بن اسماعيل بن محمد بن ... سنة خمس وثمانية وستماية »[2] .

٨ - مسجد جبلة[1] .

تنسب عمارة هذا المسجد إلى السيدة (أروى) بنت أحمد الصليحى ، التى تولت دفة

(١) أنظر بربارة فنستر : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، شكل رقم ٢٤ .

(٢) نرجو من الله أن يكون قراءة هذا التاريخ على الوجه الصحيح نظرا لوجود الظلام داخل قاعدة المئذنة .

(٣) جبلة مدينة متدرجة مرتفعة (حوالى ٦٧٤٥ قدم فوق مستوى البحر) ، تمتاز بطابع عمارتها الاسلامية الجميلة ، وتبعد بمسافة قليلة عن مدينة إب السابق الاشارة اليها . كانت تسمى قديما بمدينة النهرين ، وقد شيدها فى العصر الاسلامى ، عبد الله بن على الصليحى عام ٥٤٨ هـ ، وسماها بجبلة ، على إسم يهوى كان يبيع الفخار بالمدينة ، ثم إنتقل إليها المكرم أحمد الصليحى وزوجته الملكة السيدة (أروى) بنت أحمد ، الذى فوض إليها تدبير أمور الدولة الصليحية . يوجد بهذه المدينة اثار عديدة ترجع إلى العصر الاسلامى منها دار العز التى أنشأتها السيدة بنت أحمد وقبة الزوم وغيرها .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ، ص ٣٤ .

الأمور فى وقت عصيب من زمن الدولة الصليحية فى اليمن فى الفترة مابين أعوام ٤٩٢ – ٥٣٢ هـ / ١٠٩٩ – ١١٣٨ م ، وقد أمرت السيدة بنت أحمد الصليحى فى عام ٤٨٠ هـ . بتحويل دار العز الأولى وهى قصر كبير إلى هذا المسجد القائم اليوم وذلك عند إنتقالها إلى مدينة حبلة[1] . ورغم ماتوالى على عمارة وزخرفة هذا المسجد من تغييرات ، إلا أنه لايزال محتفظا بكثير من عناصره الأولى والتى توضح التأثيرات المعمارية والزخرفية بين عمائر الدولة الصليحية فى اليمن والدولة الفاطمية فى مصر ، وفقا لما كان هناك من علاقات طيبة بين الخلفاء ورجال الحكم فى الدولتين .

يقع هذا المسجد فوق تل مرتفع جدا ، حيث يتم الوصول إليه بصعوبة فى وسط مدينة جبلة المرتفعة أيضا ، ويصعد إلى هذا المسجد من خلال منحدرات جبلية صاعدة فى الناحية الشرقية من المدينة ، ويؤدى أحدها إلى دهليز طويل ممتد من الجنوب إلى الشمال وتطل واجهة هذا المسجد فى الناحية الشرقية على هذا الدهليز .

تضم الواجهة السابقة حاليا ثلاثة مداخل ، بأعلاها كتابات قديمة ، منها مايقرأ أعلى المدخل الجنوبى « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين إنما يعمر مساجد الله .. » وعلى حشوات الباب يقرأ ، أنعمت فزد ، أنعمت فلك الحمد » ، « بسم الله الرحمن الرحيم أُدخلوها بسلام أمنين » بالإضافة إلى بعض الزخارف المحفورة من أوراق نباتية متعددة الفصوص .

تخطيط المسجد : شكل ٧ :

المسجد مستطيل الشكل يتوسطه فناء مكشوف (٢٠ م × ٨٥ر١٧ م) ، تحيطه الأروقة من جهاته الأربع ، أعمقها رواق القبلة فى الناحية الشمالية :

رواق القبلة (٦٠ر ٣١ م × ٦٠ر١٣ م) :

يتقدم هذا الرواق بلاطة على طول امتداد الرواق من الشرق إلى الغرب ، بنيت مؤخرا ، وتطل على فناء المسجد بوساطة عقود مدببة تحملها أعمدة ، وتغطى المساحة الوسطى منها قبة مرتفعة ، ويغطى المساحة الجانبية سقف خشبى حديث . يدخل إلى رواق القبلة من خلال خمسة مداخل فى الضلع الجنوبى ، ويقع الأوسط منها على محور محراب المسجد . يتكون هذا الرواق من أربع بلاطات بواسطة أربعة صفوف من الأعمدة المرتفعة ، بعضها

---

(١) نجم الدين عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٣٩ .

مستطيل الشكل والآخر مثمن تعلوها تيجان حديثة مستطيلة ومربعة ، يرتكز عليها مباشرة سقف الرواق .

يتعامد على المحراب مجاز قاطع ويتميز سقفه بوجود المصندقات الخشبية ذات الزخارف المختلفة والملونة ، ويعود تاريخ هذه المصندقات الخشبية إلى القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، تاريخ عمارة المسجد ، أما بقية السقف فى هذا الرواق فيعود إلى عام ١٣٥٨ هـ .

والواقع أن محراب هذا المسجد غاية فى الإبداع ، **(لوحة ٢٨)** ، عبارة عن كتلة مصنوعة من الجص يشغل أوسطها تجويف المحراب ، إلا أن الدهان قد غطى كثير من زخارفه وكتاباته القديمة . تبلغ سعة كتلة المحراب (٢٫٨٥ م) وتجويفه (٨٥ سم) ، يعلوه عقد مدبب ذو إطار عريض ، محمول على عمودين ويزخرف طاقيته شكل المحارة ، بينما تملأ تجويفه ، وحدة زخرفية مكررة ، قوام زخرفتها ورقة العنب الخماسية ذات الفص الرئيسى المثقوب ، ويعلو المحراب عقد آخر محمول على عمودين مزخرف بسلسلة من العقود المدببة الصغيرة ، بالإضافة إلئ زخرفته بالزخارف النباتية والهندسية ، ويتميز هذا المحراب بإحاطته بالكتابات الكوفية التى تقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم أقبل على ربك وكن من الساجدين ولاتكن من الغافلين وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ومن الناحيتين على جانبى المحراب بسم الله الرحمن الرحيم إنما يمعر مساجد الله .. » بالإضافة إلى كتابات أخرى . أما منبر المسجد فقد طليت حشواته بطلاء مختلف الألوان ، وبه زخارف نباتية وهندسية ، وبالرواق أيضا كرسى من الخشب به كتابات على جانبيه تقرأ « أمر بعمل هذا الكرسى سيدى بن أحمد ابن عبد القادر ابن الناصر ابن عبد الله ابن على ابن شمس الدين ابن الامام شرف الدين وذلك بسدانة الفقيه الصالح محمد ابن عبد الله الهندى غفر الله لمن أعان فى عمل هذا الكرسى عمل الفقير الى الله تعالى الحاج عبد الله بن الحاج حسن النجار » ويؤرخ بعام ١٨٠٣ م[١] .

ومن أهم مايتميز به هذا الرواق وجود بناء مربع فى الزاوية الشمالية الشرقية (طول ضلعه ٣٫٦٠ م) ، يعرف بضريح السيدة (أروى) ، **(لوحة ٢٩ ، ٣٠)** ، وتزخرف واجهته الشرقية والأخرى الجنوبية زخارف معمارية ونصوص قرآنية وغيرها بالإضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية . فعلى الواجهة الشرقية أربع دخلات مجوفة معقودة بعقود صغيرة محمولة

---

(١) ربيع القسى : دراسة ميدانية ص ٧٦ .

على أعمدة صغيرة (إرتفاع الدخلة ١٫٣٠ م وسعتها ٦٠ سم) تتوسطها منطقة زخرفية أشبة بالبخارية الكبيرة ، أما الواجهة الجنوبية ، فيتوسطها مدخل خشبى صغير ، يكتنفه من الناحيتين ، دخله معقودة بعقد مدبب . تستمر الأشرطة الكتابية على الواجهتين من أعلى ، لآيات من القرآن الكريم بالخط الكوفى والنسخى ، وترجع الكتابات الكوفية إلى القرن الخامس الهجرى / ١١ م على مهاد من الزخرفة النباتية لآيات من القرآن الكريم تقرأ « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وماالحياة الدنيا إلا متاع الغرور » وبالخط النسخى يقرأ : « فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ، قل إنى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى من البينات من ربى وأُمرت أن أسلم لرب العالمين صدق الله العظيم » .

الأروقة الجانبية :

أما الأروقة الثلاثة الأخرى ، فيلاحظ أن الرواق الجنوبى يتكون من بلاطة واحدة وبجداره الجنوبى مدخلان يتم الوصول بواسطتيهما إلى المطاهير والحمامات فى الناحية الجنوبية من المسجد ، ويتكون الرواق الشرقى من بلاطتين بوساطة بائكتين ، بكل منها ثمانية أعمدة ، ترتكز عليها عقود مدببة الشكل ، والرواق الغربى من بلاطتين أيضا ، إلا أنه يلاحظ وجود ردهة محجوبة جهة الناحية الجنوبية من الجدار الغربى ، تستخدم كمعلامة حاليا لتحفيظ القرآن الكريم .

مئذنتا المسجد :

يوجد بهذا المسجد منارتان فى الناحية الجنوبية ، أحدهما فى الناحية الشرقية والأخرى فى الناحية الغربية .

المئذنة الشرقية : لوحة ٣١ :

تتكون هذه المئذنة من قاعدة حجرية مربعة مرتفعة ، يقوم عليها بدن من ستة عشر ضلعا من الآجر ، مزخرف بالزخارف الجصية ، على شكل صفوف أفقية تستدير حول البدن من اشكال هندسية ، بعضها على شكل (حرف اللام الف المقلوب) ، يعلو هذا البدن حوض (شرفة) ، مزخرف من الخارج بالمقرنصات والدلايات الصغيرة ، ويعلو هذا البدن ، بدن مثمن قصير به فتحات معقودة من أعلى ، وتنتهى المئذنة من أعلى بقبة صغيرة مضلعة الشكل .

والواقع أنه يبدو على هذه المئذنة أنها جُددت مؤخرا ، بالإضافة إلى وجود تاريخ أعلى المدخل المؤدى إليها يرجعها الى عام ٧٤٧ هـ حيث يقرأ : « لا اله إلا الله محمد رسول الله ، جُددت هذه المنارة في شهر المحرم سنة سبع وأربعين وسبعماية » ، ثم نص التجديد « جُددت فى زمن الحاج أحمد عبد الله باسلامه من مدينة إب » .

المئذنة الغربية :

الواقع أن هذه المئذنة بوضعها الراهن ، تبدو عليها مظاهر القدم أكثر منها على المئذنة الشرقية ، فيما عدا استخدام اللون الأبيض فى طلائها . تتكون من قاعدة مثمنة ، يرتكز عليها بدن من ستة عشر ضلعا ، يعلوه بدن آخر مستدير الشكل ، ثم شرفة صغيرة ، ويرتكز على البدن السابق بدن قصير أيضا ، ينتهى فى أعلاه بقبة صغيرة . هذا وقد زخرفت هذه المئذنة بأشكال الحنايا الصماء والأشكال الهندسية الزخرفية الأخرى وعليها بعض الكتابات التى ترجع إلى فترة متأخرة .

والواقع أن هذا المسجد يعتبر مثالا طيبا للعمارة اليمنية فى القرن الخامس الهجرى / ١١ م ويرتبط إلى حد كبير ببعض العمائر الدينية الفاطمية فى مصر خلال نفس القرن ، وذلك من حيث أشكال العقود الفاطمية وفى كثير من تفاصيل العناصر الزخرفية والشرفات المسننة والدخلات الصماء وأسلوب الخط الكوفى ، مما يوضح التأثيرات الفنية المتبادلة بين العمارة الفاطمية فى مصر والعمارة اليمنية التى إزدهرت فى اليمن خلال القرن الخامس الهجرى / ١١ م .

٩ - مسجد ذى أشرق(١)

يعود تاريخ هذا المسجد إلى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز . طبقا لما أورده المؤرخ اليمنى نجم الدين عمارة ، الذى ذكر أنه كان يوجد نص كتابى على افريز من الحجر فى الواجهة يقرأ عليه « هذا المسجد مما أمر به عمر بن عبد العزيز بن مروان » ، إلا أنه من المؤكد أن تجديد عمارته كانت بأمر الحسين بن سلامة القائد الزيادى السابق الاشارة

---

(١) « ذى أشرق » بلدة مرتفعة قريبة من مدينة جبلة ، وهى أثرية قديمة ، تقع فى سفح جبل الحيزم ، وهى من بلاد اليمن التى ضمت العديد من العلماء والفقهاء وروّاد العلم وأرباب الصنائع .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ، ص ٨١ - ٨٢ ، المقحفى : المعجم ، ص ٢٥ .

ليه ، إذ يوجد نص كتابى يشير إلى ذلك . والواقع أن تخطيط المسجد وبقاء بعض العناصر لزخرفية ترجع عمارته إلى القرن الخامس الهجرى ، رغم مااعتراها من تجديد أو إضافة[1]

يقع هذا المسجد على تل مرتفع يتوسط المدينة وتطل واجهته الرئيسية على الناحية الجنوبية ، **(لوحة ٣٢)** ، يتوسطها حجر المدخل ،ويتوجه عقد مدبب ، ويعلو فتحة المدخل عقد آخر مدبب الشكل . تكتنف حجر المدخل من الناحينتين دخلتان مصمتتان مماثلتان لحجر المدخل وعلى نفس الارتفاع ، ويلاحظ وجود دخلة مماثلة فى الناحية الغربية من الواجهة ولاتوجد دخلة مماثلة لها فى الناحية الشرقية ، والتى ربما تكون قد أزيلت فى التغييرات الأخيرة التى طرأت على عمارة المسجد ، وذلك نظرا لعدم التماثل القائم حاليا فى هذه الواجهة . كما يلاحظ وجود بعض الأشرطة أعلى الواجهة بالخط الكوفى . هذا ويتقدم هذه الواجهة بركة كبيرة للمياه .

تخطيط المسجد : شكل ٨ :

المسجد مستطيل الشكل يتكون من فناء مكشوف محاط بأروقة أربعة ، أعمقها رواق القبلة (ثلاث بلاطات) مقابل بلاطتين فى الرواق الجنوبى ، وبلاطة واحدة فى الرواق الشرقى الذى يطل على فناء المسجد بواسطة أربعة عقود ، أما الرواق الغربى ، فهو محجوب الآن تماما عن الفناء بواسطة جدار مرتفع .

رواق القبلة :

يلاحظ أن رواق القبلة محجوب تماما عن الفناء بواسطة بناء جدار مرتفع يشكل واجهة خاصة لهذا الرواق فى الناحية الجنوبية ، ويتوسط هذا الجدار فتحة مدخل ، متوجة بعقد مدبب الشكل ، وتكتنفها من الناحيتين ، دخلتان مصمتتان متماثلتان ويعلو اثنين من هذه التجاويف ، بطرفى الواجهة عقد ثلاثى مفصص ، ويعلو الدخلتين جهة المدخل عقد مدبب الشكل . هذا وتتميز دخلتا نهايتى الواجهة بارتفاعهما أكثر من الدخلتين وحجر المدخل ، **(لوحة ٣٣)** . ويبدو أن هذه الواجهة كانت مزدانة بأشرطة من الكتابات الأثرية بالخط الكوفى ، وقد بقى منها بعضها ، أعلى المدخل والدخلات الصماء ، والتى يمكن قراءة بعض كلماتها مثل « إنما يعمر مساجد الله .. ، وعمل سعيد ، وعمل كيال بن جراح » ، من أسماء

---

(١) أنظر : بربارة فنستر : تقارير أثرية ، ص ٤٥ - ٤٦

المعماريين والصناع الذين عملوا بالمسجد ، ويظهر أيضا تاريخ عام (٤١٠ هـ) كتاريخ فى عمارة المسجد .

يتكون هذا الرواق من ثلاث بلاطات ، بواسطة بائكتين من صفين من الأعمدة المرتفعة ، عددها ثمانية فى كل صف ، يرتكز عليها السقف الخشبى مباشرة ، وهو سقف غاية فى الأهمية ، نظرا لاحتوائه على أسلوب وزخارف المصندقات الخشبية ، التى تغطى كل هذا الرواق ، وهى تشبه إلى حد كبير مثيلاتها فى جامع شبام وجامع جبلة والجامع الكبير بصنعاء ، وتتميز هذه الزخارف بدقتها وتنوعها بين الزخارف النباتية والهندسية[1] . هذا وقد تعرض هذا السقف إلى التجديد مؤخرا ، وقد ترتب على ذلك تلف العديد من مصندقاته الخشبية . كذلك يمكن ملاحظة شبه مجاز متعامد على محراب المسجد إذ أن سعته أكثر قليلا من المساحات الجانبية (مساحته ٨ر١ م والمساحات الجانبية ٤ر١ م) .

أما محراب المسجد فهو مجدد حاليا وزخارفه حديثة ، وإلى جانبه المنبر ، قديم وعليه كتابات بالخط الكوفى تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، وعلى الدرجة الأخيرة من السلم يقرأ : « عمل هذا المنبر يحيى بن .. » ويمكن تأريخ حشوات هذا المنبر القديمة بالقرن الخامس الهجرى / ١١ م .

مئذنتا المسجد :

يوجد بطرفى الجدار الغربى للمسجد مئذنتان احداهما فى الناحية الشمالية والأخرى فى الناحية الجنوبية . وأغلب الاحتمال أن المئذنتين قد جددتا فى فترة متأخرة ، وفيما يلى وصف لهما .

المئذنة الشمالية : يبدو أن هذه المئذنة أقدم من المئذنة الجنوبية ، بدنها أسطوانى الشكل يرتكز على قاعدة مربعة وتنتهى من أعلى بقبة مخروطية صغيرة . **(لوحة ٣٤) .**

المئذنة الجنوبية : لوحة ٣٤ :

الواقع أن هذه المئذنة تتميز بارتفاعها الشاهق ، ويمكن مشاهدة هذه المئذنة من على بعد مسافة كبيرة جدا ، وتتكون من عدة طوابق ، تبدأ من أسفل بقاعدة غير منتظمة

(١) أنظر : بربارة فنستر : تقارير أثرية (الأشكال ١٢ - ١٥) .

الشكل ، يرتكز عليها بدن مرتفع مستدير تستدق إستدراته إلى أعلى ، وقد زخرف هذا البدن بفتحات نوافذ مفرغة ، تعلوها أقواس متماسة ، ويعلو هذا البدن حوض كبير ، مزخرف من الخارج بدلايات ومقرنصات بدقة وإتقان ، يعلو البدن السابق بدن آخر مستدير الشكل ، به دخلات صغيرة مصمتة ومعقودة ، وينتهى هذا البدن من أعلى بشرفتين مستديرتين مزخرفتين بالزخارف الهندسية المفرغة ، ويعلو قمة المئذنة قبة صغيرة مضلعة الشكل .

والواقع أن هذا المسجد يعتبر أيضا نموذجا معماريا لعمائر القرن الخامس الهجرى / ١١ م باليمن ، خاصة فى تفاصيلة الزخرفية ، ويتشابه فى بعض عناصره المعمارية والزخرفية بمثيلاتها فى جامع الحاكم بأمر الله ومسجد الصالح طلائع من مساجد القاهرة فى العصر الفاطمى وان كان بصورة مصغرة ، كما يتضح به الطابع المحلى ، لاسيما فى استخدام المصندقات الخشبية وزخارفها المتنوعة والتى تشبه بعض المصندقات الخشبية فى جوامع اليمن التى ترجع إلى القرن الخامس الهجرى .

١٠ - الجامع الكبير بثلا[1] شكل ٩ ولوحة ٣٥

يعود تأريخ تأسيس الجامع الكبير بثلا إلى فترة مبكرة من بداية العصر الاسلامى وان كان يصعب تحديد تاريخ البناء الأول نظرا لكثرة الأضافات والتجديدات التى حدثت فى عمارة هذا الجامع ، والذى أصبح حاليا يحتوى على خليط إلى حد كبير من القديم والجديد على حد سواء ، وسنحاول تحديد أجزاء هذا الجامع من خلال الوصف المعمارى لوحداته على قدر الامكان .

يقع هذا الجامع على تل مرتفع شأن الكثير من غيره فى المدن اليمنية التى تتميز عادة بارتفاعها ، وموقعة فى وسط المدينة ، ويتم الوصول إليه من خلال ممر صاعد ، حيث تطل

---

(١) ثلا مدينة كبيرة تبعد عن مدينة صنعاء بحوالى ٤٥ كم إلى الشمال الغربى ، وترتفع من مستوى سطح البحر بحوالى ٢٤٠٠ م وقد سميت هذه المدينة على إسم ثلا بن لباخة بن أقيان بن حمير الأصغر . يصفها القاضى حسين السياغى بقوله : « فيها القصور الشامخة والأبنية الفخمة والأسواق ومحل هجرة العلماء وبها كثير من الكهوف الواسعة ومدافن الحبوب وبرك الماء وبها القلعة الأثرية القديمة ، التى تحصن بها الأمام المطهر شرف الدين المتوفى عام ٧٩٠ هـ فى حربة ضد الاتراك » .

والواقع أن قلعة مدينة ثلا من أهم القلاع الحربية فى اليمن ، نظرا لوجودها على قمة أعلى مرتفع فى منطقة ثلا مما حصنها تحصينا طبيعيا جيدا ، كما يتوافر بهذه القلعة معظم العناصر الحربية اللازمة لبناء القلعة ، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن تاريخ بناء هذه القلعة يعود إلى ماقبل العصر الاسلامى ، ثم أعيد تجديدها عدة مرات .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن جـ ١ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، حسين السياغى ، معالم الآثار ، ٧٢ - ٧٣ .

واجهته الجنوبية على فناء واسع مكشوف ، فى الناحية الغربية منه إيوان مستطيل الشكل ، يفتح بعقدين نصف دائريين على هذا الفناء ، زخرفت فتحة العقد الجنوبى بكتلة بنائية ضخمة ، على هيئة ورقة نباتية خماسية ، يعلوها فتحة مستديرة ، ويكتنفها من الناحيتين حليات معمارية مدلاة إلى أسفل (لوحة ٣٦) ، وأغلب الاحتمال أن هذا الايوان كان يشكل فى الأصل وحدة معمارية ضمن مساحة الجامع الرئيسية وربما كان يستخدم للتدريس فى الجامع . كما يزيد من أهمية هذا الايوان ، بقاء بعض الأشرطة الكتابية الممتدة على جدرانه بخط النسخ ، فى الجهات الغربية والجنوبية والشرقية ، وتشمل آية الكرسى والنص التأسيسى وبعض العبارات وأبيات من الشعر . أما النص التأسيسى فيقرأ كالتالى « وكان الفراغ من هذه العمارة المباركة فى شهر ذى الحجة سنة سبع وتسعين وسبعماية من الهجرة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم » ، (لوحة ٣٧) ، ويقرأ أيضا : « ما استعمل هذا الماء فى غير الشرب فهو فى الحرج وأضيق من الضيق ولا أحله الله عليه ، ياشاربي الماء الزلال عليك هذا القول حتما إشرب وقل لعن الذى حرم الحسين ظمأ » ، لوحة ٣٧) .

تطل واجهة الجامع على الناحية الجنوبية من الفناء السابق الاشارة إليه ، وهى واجهة بسيطة خالية من العناصر الزخرفية ، ويتوسطها فتحة المدخل المؤدية إلى الجامع على نفس محور المحراب تقريبا ، وإلى الغرب منها مدخل آخر .

تشكل عمارة الجامع من الداخل خليطا من القديم والجديد كما تقدم ، حيث يبدو الارتباك المعمارى الواضح على أجزائه المعمارية والتى نوجز وصفها فيما يلى :

الجامع تخطيطه حاليا مستطيل الشكل (أنظر : المسقط الأفقى ، شكل ٩) ، تبلغ مساحته الداخلية من الشمال إلى الجنوب حوالى (٢٠ر٢٨ م) ويتكون من عشر بلاطات موازية لجدار القبلة يفصلها تسع بائكات تتكون صفوف الأعمدة فى معظمها ، من أعمدة مرتفعة تحمل عقودا نصف دائرية ومدببة الشكل . ويمكن تقسيم هذه المساحة إلى قسمين رئيسيين الشمالى والجنوبى .

القسم الشمالى :

يبلغ إتساع هذا القسم من الشرق إلى الغرب حوالى (٩٠ر١٨ م) ، به خمس بلاطات ، يغطيهما سقف خشبى حديث ، ويتعامد على محراب القبلة مجاز قاطع ، ويلاحظ أن عقود البائكات موازية لجدار القبلة ، باستثناء قليل منها على شكل متعامد على الجدار . يلاحظ

أيضا أن عدد الأعمدة فى البائكات الثلاث جهة جدار القبلة خمسة فى كل صف وفى البائكة الرابعة سبعة أعمدة وفى البائكة الخامسة والأخيرة فى هذا القسم أربعة أعمدة ويكمل بقية الصف جدار سميك . وقد جاء هذا الاختلاف فى عدد الأعمدة ، نتيجة التجديدات فى عمارة هذا القسم . يتوسط جدار القبلة كتلة المحراب بوسطها تجويف المحراب ، ويتوجه عقد مفصص الشكل ، يعلوه شريط من الكتابة النسخية وتوجد دائرتان على كوشتى عقد المحراب على شكل وردة بارزة متعددة البتلات ، ويكتنف المحراب من الناحيتين ومن أعلى كتابة نسخية لآيات من القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم .. » ، وعبارة ﴿ لا اله الا الله محمد رسول الله ﴾ ، « على ولى الله » وذلك على مهاد من الزخرفة النباتية .

ونعتقد أن هذا القسم من المساحة الأصلية الأولى للجامع والتى يمكن تأريخها فيما قبل القرن الثامن الهجرى / ١٤ م .

القسم الجنوبى :

يمتاز هذا القسم بامتداده من الشرق إلى الغرب ويمكن تقسيمه إلى وحدتين معماريتين رئيسيتين :

الوحدة المعمارية الشرقية :

يبدو على هذه الوحدة المعمارية التى تتبع إمتداد القسم الشمالى السابق من الشمال إلى الجنوب الإضافة أو التجديد فى مساحة الجامع ، وعقود البائكات نصف دائرية ومدببة الشكل ومعظمها مواز لجدار القبلة وقليل منها متعامد على الجدار . ويغطيه سقف خشبى جُدد مؤخرا .

الوحدة المعمارية الغربية :

الواقع أن هذه الوحدة أشبه بمسجد صغير مستقل بذاته داخل المساحة الرئيسية للجامع ، ويرجع هذا المسجد الصغير فى تاريخه إلى عمارة العصر العثمانى فى اليمن عامة . يمتاز بتقارب أعمدته من بعضها حيث تقوم عليها عقود مدببة (لوحة ٣٨) الشكل تحمل قبابا ضحلة صغيرة قليلة الارتفاع ، مناطق انتقالها من المثلثات الكروية ، وتتوسطها قبة رئيسية اكثر إرتفاعا ، وتظهر من خارج سطح المسجد على شكل متدرج (لوحة ٣٩) . إن أهم مايميز هذا المسجد الصغير تلك الكتابات النسخية وبخط الثلث والزخارف النباتية والهندسية

والمنَفذة بمادة الجص ، وهى تعتبر فى حد ذاتها عملا فنيا فى غاية الدقة والابداع وتشمل الكتابات آيات عديدة من القرآن الكريم ، وتمتد أيضا هذه العناصر على بواطن القباب والعقود وواجهاتها وتيجان الأعمدة الجصية التى ملئت أيضا بالكتابات والزخارف . ويضم هذا المسجد محرابا صغيرا .

تقع المئذنة الحالية للجامع ، فى الناحية الجنوبية الغربية ، وهى مئذنة حديثة أسطوانية الشكل يستدق محيطها إلى أعلى ، وتنتهى بقمة مخروطية صغيرة . أما المطاهير والحمامات بهذا المسجد ، فتقع فى الناحية الجنوبية ويتم الدخول إليها من فتحة مدخل صغير فى الناحية الغربية من الجدار الجنوبى للجامع .

والواقع أن هذا الجامع يحتاج إلى دراسة معمارية وزخرفية متكاملة ومفصلة لتحديد الأجزاء القديمة والتى ترجع إلى تاريخ متأخر .

١١ - جامع المدرسة بثلا : لوحة ٤٠

يعد جامع المدرسة بثلا ضمن العمائر العديدة التى أنشأها المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن المهدى أحمد ، والذى ينتهى نسبة إلى الامام الهادى يحيى بن الحسين (٨٧٧ - ٩٦٥ هـ) . ومن المعروف أن مؤسس هذه المدرسة أنشأ سبع مدارس فى أنحاء اليمن[١] ، يطلق عليها جميعا (مدرسة الامام شرف الدين) ، وإن كان لم يكن لهذه المدارس صفات المدارس المعروفة بمصطلحها من حيث تدريس بعض المذاهب الدينية ، فقد كانت بمثابة مساجد ، أطلق عليها اسم المدرسة محازاة لما ألفه الناس فى عصر الدولة الرسولية ، حيث كانت مدارسهم متخصصة فى تدريس بعض المذاهب السنية ، وقد كانت مدارس الامام شرف الدين ، من المراكز الهامة فى تدريس العلوم الاسلامية بها وخرج منها عدد كبير من العلماء ورجال الدين فى شتى فنون المعارف الاسلامية[٢] .

والواقع أن المدارس السبع التى أنشأها الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين ، قد روعى فى كل منها أن تحتوى على مسجد للصلاة ومقصورة فى مؤخرة المسجد للعلماء والمتعلمين تُدرس فيها العلوم ، بالاضافة إلى مكتبة موقوفة على العلماء والمتعلمين مع بناء

(١) هى : مدرسة صنعاء ، مدرسة ذمار ، مدرسة كوكبان ، مدرسة حجة ، مدرسة السودة ، مدرسة ظفير حجة ، مدرسة ثلا .
(٢) أنظر : اسماعيل الاكوع : المدارس الاسلامية فى اليمن / منشورات جامعة صنعاء / رقم ١ (الطبعة الأولى) .

غرف صغيرة فى ساحة المسجد كمساكن للطلبة ، وجعل فى كل مدرسة منها ما تحتاج إليه ، ووقف على المتعلمين فيها المرتبات اللازمة لمعيشتهم[1] .

ويعد جامع المدرسة بثلا واحد من هذه الجوامع (المدارس) ، حيث يضم ملحقات عديدة من أهمها جامع أو مسجد صغير وايوان وقبة كبيرة وضريح فضلا عن الملحقات العديدة الأخرى .

يقع جامع المدرسة على مشارف مدينة ثلا من الناحية الجنوبية ، حيث يصعد إليه من خلال عدد من درجات السلالم الحجرية ، نظرا لموقع الجامع على تل مرتفع فى المدينة . يتم الدخول إلى جامع المدرسة حاليا من خلال المدخل الوحيد فى الضلع الشرقى من السور الحالى ، ويُفضى هذا المدخل إلى فناء واسع مستطيل الشكل تتوسطه بركة مياة كبيرة ، يكتنفها من الناحيتين الشمالية والجنوبية درجات مستطيلة كبيرة من السلالم الحجرية .

تطل واجهة الوحدات المعمارية الرئيسية على الفناء من الناحية الغربية حيث يصطف فى الناحية الشمالية الايوان ، إلى الجنوب منه مسجد صغير ، يليه جنوبا أيضا قبة كبيرة ملحق بها ضريح صغير ، وتقع بعض المبانى المتهدمة فى الناحية الجنوبية الشرقية ، وكانت بمثابة مساكن للطلبة والأساتذة ، ويصعد إليها بوساطة عدد من درجات السلالم ، ويؤدى إليها ممر قصير على جانبه الشرقى بعض المقابر القديمة ، عليها شواهد قبور لعلماء وفقهاء ، وفى الناحية الغربية يوجد دهليز كبير ضمن ملحقات المدرسة ، وفيما يلى وصف موجز لبعض الوحدات المعمارية .

أولا : الايوان :

تبدأ عمائر الجانب الشرقى بالايوان فى الناحية الشمالية ، مستطيل الشكل ، يفتح على الفناء بعقد كبير مدبب ممتد واسع (سعته ٣٫٤٢ م) ، ويغطيه سقف مسطح من الخشب ، ويتوسط جداره الشمالى محراب ، وأغلب الظن أن هذا الايوان كان يستخدم فى التدريس .

---

(١) أنظر : يحيى شرف الدين : إبتسام البرق فى سيرة خير الخلق ، تحقيق محمد بن يحيى بهران ، الطبعة الأولى بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٧ – ١٨ .

ثانيا : المسجد :

يقع المسجد إلى الجنوب مباشرة من الايوان السابق ، وبواجهته مدخلان متجاوران ، ويفضى المدخلان إلى المسجد مباشرة أو بيت الصلاة : مساحة مستطيلة الشكل طولها ٤٤ر١١ م وعرضها ٦ر٨ ، مغطاة بسقف خشبى مسطح ، محمول على أربعة أعمدة مرتفعة ، تقوم عليها عوارض خشبية كبيرة وسميكة ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، ومن المرجح أن سقف هذا المسجد كان مكونا من مصندقات خشبية ، على غرار المصندقات التى تمثل أسلوباً فنيا وصناعة محلية فى اليمن ، وقد بقى بعضها ضمن السقف المجدد حاليا فى هذا المسجد . يتوسط الجدار الشمالى محراب من الجص متوج بعقد ذو اطار مفصص ، يعلوه جامة دائرية بداخلها كتابة نسخية تُقرأ « الله » . يلاحظ فى الناحية الجنوبية للمسجد مساحة صغيرة مستقطعة من مساحة المسجد بواسطة عقد كبير ممتد على هيئة حدوة الفرس (سعة فتحة العقد) ٤٢ر٣ ، وتعتبر هذه المساحة المستقطعة حاليا بمثابة ردهة قصيرة ، يُدخل من خلالها إلى القبة الرئيسية إلى الجنوب مباشرة من مساحة المسجد ، وعن طريق فتحة مدخل ضيقة سعتها (٥٢ سم) وارتفاعها ٥٥ر١ م .

القبة : قاعة كبيرة أبعادها من الداخل (١٢ر٥ م × ٤٤ر٤ م) ، تغطيها قبة كبيرة مرتفعة ، مناطق إنتقالها من أربع حنايا ركنية كبيرة وعميقة ، تحصر بينها أيضا أربع حنايا مجوفة مصمتة ومعقودة بشكل زخرفى من مادة الجص . هذا ويلاحظ وجود مقبرة فى الناحية الشمالية جهة مدخل هذه القبة ، عليها بناء مستطيل من الآجر المغطى بطبقة من الجص ، تظهر عليه آثار بعض الكتابات المطموسة حاليا نتيجة الطلاء[1] .

والواقع أن زخارف هذه القبة تُشكل فى حد ذاتها وحدة فنية رائعة من أعمال الزخارف الجصية فى اليمن فى القرن العاشر الهجرى / ١٦ م ، إذ أنها مزدانة بدرجة لافتة للنظر بأشرطة الكتابات النسخية والزخارف النباتية والهندسية ، التى تملأ باطن القبة وبواطن الحنايا الركنية والدخلات الصماء . وتتركز الزخرفة على جدران القبة ، على الجدار الشمالى ، إذ يلاحظ وجود زخرفة جصية لمحراب صغير بوسط الجدار متوج بعقد مدبب ، تعلوه زخرفة الدروع البارزة ، وتكتنفه من الناحيتين أشكال البخاريات المزدانة بالتفريعات النباتية والأوراق المتعددة الفصوص ، فضلا عن الأشرطة الكتابية . تتعدد العناصر الزخرفية

(١) لم أستطع الاستدلال على صاحب هذه المقبرة (مقاييس البناء أعلى المقبرة : ٨٨ر١ م × ٨٤ سم × ٧٢ سم إرتفاع) .

الجصية بهذه القبة لتشمل العناصر الكثيرة نذكر منها ، أشكال الورود والأوراق النصلية والرمحية ومناطق الدروع البارزة وثمار الرمان والأشكال النجمية وخلايا النحل والأشكال الخماسية والسداسية والاطارات المفصصة والأشكال التى تشع من مركز واحد . تفتح هذه القبة فى الناحية الشرقية على حجرة صغيرة[1] مغطاة بقبة ضحلة (مقعرة) ، بواسطة عقد متسع (٢٫٣٣ سم) وارتفاعه (٢٫٧٣ م) يشكل مدخلا متصلا بين الحجرتين وتتوسطها مقبرة تعلوها تركيبة خشبية ممتدة من الشرق إلى الغرب (أبعادها ١٫٣٨ م × ١ م عرضا × ٨٨ سم ارتفاعا) .

ومما يتضح من الكتابات الكثيرة التى تستمر فى أشرطة جصية على جدران هذه الحجرة أنها خاصة بقبر الامام المطهر[2] بن الامام شرف الدين صاحب جامع المدرسة ، حيث يُقرأ من هذه الكتابات الكثيرة : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه قبة مولانا السيد المقام المجاهد فى سبيل ذى الجلال والأكرام .. فخر الدين والاسلام المطهر بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين والد شمس الدين بن أمير المؤمنين بن يحيى مرتضى بن رسول رب العالمين عليه أفضل الصلاة والسلام »[3] . هذا وتغطى هذا المدفن الصغير قبة مقعرة الشكل .

١٢ - قبة الامام الهادى بثلا : لوحة ٤١

ومن بين الآثار الاسلامية الهامة بمدينة ثلا أيضا قبة الامام الهادى التى شيدها الامام محمد بن الهادى بن يحيى بن حمزة عام ٨٤٩ هـ والتى تضم قبرة بها جهة المدخل المؤدى إليها .

تقع هذه القبة على مقربة من الجامع الكبير بثلا بجوار جامع المدرسة السابق الاشارة إليه ، حيث تطل واجهتها على فناء واسع كبير مكشوف فى الناحية الجنوبية . وبهذه الواجهة مدخل وحيد على محور المحراب ، يعلوه عقد مستدير الشكل .

---

(١) أبعاد هذه الحجرة : (٣٫٢٠ م × ٢٫٣٩ م) .

(٢) تولى الامام المطهر الأمور فى اليمن عقب وفاة والده الامام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين ، وكان له دور كبير فى حروبه مع الأتراك فى اليمن ، وقد توفى عام ٩٨٠ هـ .

أنظر : الجرافى : المقتطف ، ص ١٥٢ .

(٣) تشمل التركيبة الخشبية التى تعلو ضريح المطهر على أبيات من الشعر كتبت على الحشوات بخط الثلث البارز ويلاحظ وجود شاهد قبر كبير من الرخام ملقى على الضريح .

تبلغ مساحة القبة من الداخل (٦٣ر١٢ × ٢٥ر١٢ م) ، وتُغطى هذه المساحة ، قبة شاهقة الارتفاع ، أقيمت على عقود مصمتة ، ومناطق إنتقالها على شكل الحنايا الركنية العميقة ، وزخرفت القبة من الداخل بالكتابات والزخارف النباتية بمادة الجص ومن الخارج بمادة القضاض . يحيط برقبة هذه القبة من الداخل شريط من الكتابات النسخية ، يتضمن النص التأسيسى للبناء : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامة على محمد النبى الأمى أفضل خلقه أجمعين وعلى سائر النبيين والمرسلين الصالحين ، تقبل منا إنك أنت السميع العليم إنك أنت التواب الرحيم واغفر لنا انك على كل شيء قدير ، أمر بعمارة هذا المسجد المبارك .. محمد بن الهادى بن أمير المؤمنين المؤيد بالله يحيى بن حمزة ابن على ابن الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تقبل الله منه وعفا عنه وغفر له ورحمه وجميع المسلمين » (**لوحة ٤٢**) .

المحراب : تشكل كتلة المحراب المصنوعة من الجص أهمية كبيرة ، فى زخرفة هذه القبة من الداخل (**لوحة ٤٣**) فهى تعتبر وحدة زخرفية معمارية ، على جانب كبير من الاتقان . تشغل هذه الكتلة الجصية ، مساحة العقد الشمالى الأوسط (ارتفاعه ٧٠ر٤ م وسعته ٢ر٤ م) يتوسطها تجويف المحراب (عمقه ٣٠ر١ م وارتفاعه ٣٠ر٢ م وسعته ١٢ر١ م) تتوجه طاقية على هيئة المحارة ويكتنف تجويف المحراب من الناحيتين عموادن من الجص تعلوهما تيجان صغيرة ، يرتكز عليها عقد المحراب على شكل نصف مستدير ويزدان إطار هذا العقد ، بكتابة بخط الثلث تقرأ « قال النبى ﷺ من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا فى الجنة» ويزخرف كوشتى عقد المحراب ، زخارف هندسية بارزة على شكل معينات صغيرة متماسة كشكل هيئة خلايا النحل . هذا ويعلو تجويف المحراب ، شريط من الكتابة بخط النسخ تقرأ « لا اله إلا الله محمد رسول الله عدة للقا الله » ، ويعلو تجويف المحراب عقد آخر كبير مدبب تدبيبا خفيفا . يكتنف تجويف المحراب ، من الناحيتين منطقة زخرفية مستطيلة الشكل ، يتوسط كل منها شكل زخرفى بارز ، على هيئة مثمن بداخله وردة من ثمانية رؤوس ، تحيطها كتابة نسخية على مهاد من الزخارف النباتية والهندسية مُوزعة توزيعا زخرفيا بديعا وتقرأ على الجانب الأيسر للمحراب « إنما يعمر مساجد الله .. » وعلى الجانب الأيمن « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى .. » .

هذا بالإضافة إلى بعض الكتابات الأثرية الأخرى فى تجويف العقد الرئيسى لكتلة المحراب (آية الكرسى ، سورة الإخلاص) ، إضافة إلى كتابات أخرى على يمين ويسار

المحراب ، منها كتابة تحمل اسم الصانع « من عمل محمد بن يحيى .. صنعا » ، وبعض الآيات القرآنية الكريمة الأخرى .

الضريح :

يوجد ضريح المؤسس « محمد بن الهادى » قرب مدخل القبة من الداخل ، حيث يعلو قبره بناء صغير من الآجر مغطى بالجص (١٫٣٢ م طول × ١٫١٨ م عرض × ٩٠ سم ارتفاع) ، مثبت عليه شاهد قبر (٦٥ سم × ٣٧ سم) يحتوى على سبعة وعشرين سطرا من الكتابة بخط الثلث نورد نصه لأهميته .

سطر ١ - سبحان من تعزز بالقدرة والبقا

سطر ٢ - وقهر العباد بالموت والفنا

سطر ٣ - الحسن والحسين سبطا رسول الله

سطر ٤ - بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين

سطر ٥ - فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا

سطر ٦ - قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل مايهجعون

سطر ٧ - وبالأسحار يستغفرون وفى أموالهم حق للسايل

سطر ٨ - والمحروم قال النبى ﷺ من وقف على قبر مسلم

سطر ٩ - وقال الحمد لله الذى لايبقى إلا وجهة ولايدوم إلا ملكه واشهد أن لا اله إلا الله

سطر ١٠ - وحدة لاشريك له الها واحدا احدا صمدا فردا وترا لم يتخذ صاحبه ولا

سطر ١١ - ولدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد واشهد أن محمدا صلى الله عليه

سطر ١٢ - عبده ورسوله جزا الله محمدا عنا خيرا بما هو اهله وصلى عليه وعلى عترته

سطر ١٣ - الطيبين الأخيار المصطفين الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس

سطر ١٤ - وطهرهم تطهيرا غفر الله للميت ذنب خمسين (سيئة) وكتب (للقائل) اربعين الف

سطر ١٥ - حسنة ومحا عنه اربعين الف (سيئة) ورفع له اربعين الف درجة فى الجنة

سطر ١٦ - وقال صلى الله عليه وسلم وعلى اله من زار قبرا من قبور أهل بيتى ثم مات فى عامه الذى زار فيه

سطر ١٧ - وكل لله بقبره سبعين ملكا يسبحون له إلى يوم (القيامة) وقال صلى الله عليه من

سطر ١٨ - زار قبرى من قبور أهل بيتى يريد بذلك برى وصلتى زرته بالموقف يوم (القيمة)

سطر ١٩ - هذا قبر العبد الحقير الخايف المستجير

سطر ٢٠ - فى طاعة ربه الراجى لرحمه ربه محمد بن الهادى (ابن) امير المؤمنين المؤيد بالله

سطر ٢١ - يحيى بن حمزة بن على بن الحسين (ابن) رسول الله ﷺ رحمة الله رحمة واسعة

سطر ٢٢ - وغفر له مغفرة جامعة وقد أوصى الى جميع اخوانه من المسلمين والمسلمات أن يبروه

سطر ٢٣ -

سطر ٢٤ -

سطر ٢٥ - كانت وفاته رحمه الله عليه صبيحة يوم (الثلاثا) اخر يوم من

سطر ٢٦ - رمضان سنة تسع واربعين وثمانى ماية فرحمة ربى

سطر ٢٨ -

١٣ - مسجد صلاح الدين بصنعاء شكل ١٠

هذا المسجد من المساجد العامرة فى الجهة الشرقية من مدينة صنعاء عمرة الإمام صلاح الدين محمد بن الامام المهدى المتوفى عام ٧٩٣ هـ ، ودفن بجوار مسجده هذا[١] . تعرض هذا المسجد بعد ذلك التاريخ أيضا للاضافة والتجديد الذى شمل منارة فى بداية القرن الحادى عشر للهجرة وزيادة أخرى فى عام ١١٢٨ هـ[٢] .

يُدخل إلى هذا المسجد (**لوحة ٤٤**) ، من خلال فتحة صغيرة فى ضلعه الجنوبى تُفضى إلى ردهة صغيرة ، فى ضلعها الشرقى مدخل يؤدى إلى الحمامات الحديثة . كذلك يتم

(١) هو الامام صلاح الدين محمد بن الامام المهدى ، ينتهى نسبة إلى الامام يحيى بن الحسين ، خلف والده الامام المهدى وتلقب بالامام الناصر ، وكان له دور كبير فى اليمن ، فقد استولى على كثير من البلاد اليمنية واستولى على مدينة صنعاء وسار إلى زبيد ، وله إضافات وتجديدات معمارية فى بعض الآثار الاسلامية باليمن ، وقد ورد عنه أنه « إشتغل بالعلم حتى تأهل للإمامة وبلغ فوق رتبة الأجتهاد وبرز فى العلوم كلها تفسيرها وحديثها ونحوها ولغاتها ومعانيها وبيانها ومنظومتها وأصولها وفروعها ومعقولها ومسموعها وكتب الزهد والتاريخ والفلك والهيئة والنجوم » .

أنظر : الشوكانى : البدر الطالع جـ ٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٦١ .

الوصول من الردهة السابقة إلى سقيفة مستطيلة الشكل مغطاة بسقف مسطح ، وتفتح على فناء مكشوف بواسطة عقدين من شكل نصف دائرى ، وفى ضلعها الشرقى فتحة مدخل تؤدى إلى ممر ، ينتهى من الناحية الجنوبية بالحمامات والمطاهير ، كما يوجد فى هذا الممر أيضا فتحة مدخل أخرى تؤدى إلى البلاطة الأخيرة فى الناحية الجنوبية من المسجد . وهذه الزيادة فى مساحة المسجد من أعمال الحاج حسن السودى فى القرن الثالث عشر الهجرى / ١٩ م[١] . هذا ويلاحظ وجود بعض الحجرات الصغيرة تعلو سطح الحمامات والمطاهير القديمة كانت تستخدم كحجرات لإقامة الطلبة أثناء قيامهم بالدراسة فى المسجد .

يُدخل إلى المسجد عن طريق باب فى وسط ضلعه الجنوبى تقريباً (سعته ١,٦٦ م وارتفاعه ٢,٦٣ م) ، أو عن طريق المدخل الثانى فى الناحية الشرقية جهة الممر أو الدهليز السابق . تبلغ أبعاد المسجد من الداخل حوالى (١٨,٦٢) من الشمال إلى الجنوب و (١٤,٤٥ م) من الشرق إلى الغرب ، ويتكون من سبع بلاطات بواسطة ست بائكات تجرى عقودها موازية لجدار القبلة ،ويتكون كل صف من البائكات من أربعة أعمدة فيما عدا البائكة الأخيرة جهة الجنوب (عمودان فقط)[٢]. وتحمل هذه الأعمدة تيجانا على شكل الناقوس المقلوب ، وتشبه إلى حد كبير تيجان الأعمدة بمسجد الأبهر بصنعاء ، وتقوم على هذه التيجان عقود نصف دائرية واسعة وممتدة ، تزين واجهاتها إطارات مفصصة . تستمر أشرطة الكتابات الجصية المذهبة حول جدران المسجد لايات من القرآن الكريم ، وبعضها يحمل إسم المنشىء وتاريخ الانشاء . يلاحظ وجود مساحة إضافية للمسجد على امتداد البلاطتين جهد جدار القبلة فى إتجاه الغرب (مقصورة) مستطيلة الشكل مساحتها (٩,٢٦م ×٤,٦٠ م) . عقودها متعامدة على جدار القبلة ، وهذه الزيادة من أعمال الشيخ حسن بن محمد الشاطبى فى عام ١١٢٨ هـ[٣]. يضم الجداران الشرقى والغربى للمسجد فتحات للنوافذ حديثة ، كما يوجد مدخل آخر فى الضلع الغربى من الناحية الجنوبية ، يفتح على الفناء المكشوف .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٢) عدد أعمدة المسجد ٢٢ عمود .

(٣) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٦١ .

المحراب : لوحة ٤٥ :

يتوسط جدارالقبلة كتلة المحراب من الجص (ارتفاعها ٢,٩٠ م) ويتوسطها تجويف المحراب (عمقه ١,٣٧ م وسعته ٩٥ سم وارتفاعه (١,٨٧ م) والواقع أن هذا المحراب غاية فى الدقة والإبداع فكتاباته النسخية وزخارفه مذهبة . يتوج طاقيته شكل المحارة المشعة حول منطقة زخرفية رئيسية تتوسطها ، أسفلها مباشرة منطقة زخرفية على شكل ثمانى فى الوسط محاطة من الناحيتين بزخرفة ، وتعرف هذه الوحدة الزخرفية عند أرباب الصناعات والحرف فى اليمن « بالخاتم السليمانى » . يعلو طاقيه المحراب المعقودة بعقد نصف دائرى شريط من الكتابة النسخية ، يقرأ عليه « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » .

كما يعلو تجويف المحراب عقد كبير نصف مستدير يقوم على عمودين صغيرين على جانبى المحراب ويتوسط العقد زخرفة على هيئة الدرع البارز من الجص على أشكال زخرفية نجمية متشابكة وكتابات تقرأ « إقرأ بإسم ربك الذى خلق » ، ويقوم أيضاً على هذا العقد عقد آخر مدبب ، على واجهته كتابة نسخية تقرأ : ﴿ يأيها الذين أمنوا إركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ ، كما تتوسطه زخرفه بارزة على هيئة جامة أو « صُره » بداخلها زخارف متشابكة لأطباق نجمية وزخارف نباتية وهندسية ، هذا بالإضافة إلى وجود آية الكرسى علىالاطار الخاص للعقد الآخر من أسفل . يكتف المحراب من الناحيتين ومن أعلى شريطان من الكتابات والزخارف المذهبة والملونة . وتقرأ هذه الكتابات على يسار المحراب « بسم الله الرحمن الرحيم أقم الصلاة لدلول الشمس إلى غسق الليل وقران الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل » ، ويستمر على الشريط العلوى « فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً وقل رب إدخلنى » وعلى يمين المحراب : « مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا صدق الله العظيم ورسوله النبى الكريم » . هذا فضلا عن أشرطة الكتابات التى تستمر على جدران المسجد الأربعة وهى تحمل بعض الآيات من القرآن الكريم وألقاب وإسم المنشىء والمجدد (الشيخ حسن بن محمد الشاطبى عام ١١٢٨ هـ) ، وبعض الألقاب والأدعية ، وتتعرض هذه الكتابات حاليا للتلف المستمر .

قبة الضريح :

يوجد بهذا المسجد قبة للضريح[1] المدفون فيه الإمام صلاح الدين صاحب هذا المسجد

(١) لم نتمكن من دخول قبة الضريح من الداخل .

ومقبور معه فى هذا الضريح إبنه وحفيده وزوجته وبعض الائمة - وتقع هذه القبة فى الناحية الغربية بالنسبة للمسجد وتطل على الناحيتين الجنوبية والشرقية للفناء ، وتمتاز الواجهتان الشرقية والجنوبية بوجود دخلات مصمتة عديدة بعضها معقود ، وتزخرف بعضها أشكال المحارة . ويظهر تثمين القبة من الخارج ، كما فى قبة المدرسة البكيرية بصنعاء وغيرها من القباب اليمنية .

المئذنـة : لوحة ٤٦ : الواقع أن مئذنة هذا المسجد تعد من أهم وأجمل المآذن فى العمارة الإسلامية اليمنية ، وهى فى الوقت نفسه تُعد كمثال طيب لأمثلة المآذن الصنعانية ، قاعدتها مربعة الشكل من حجر الحبش الأسود عليها فتحات مفرغة للنوافذ حيث تتوسط نافذة مصمتة معقودة على جانبيها نافذتان مُفرغتان ، ويعلو نصف القاعدة شريط من الزخرفة المضفورة (المجدولة) أعلاه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؛ ويعلو الكتابة شريط آخر من الزخرفة المجدولة تحصر بداخلها أشكالا من المعينات . يعلو القاعدة بدن مثمن قصير مزخرف بزخارف من الطابوق والجص على شكل حنايا صماء معقودة فى أعلاها تحصر بينها أشرطة رأسية من المعينلت المتماسة ، وينتهى هذا البدن من أعلى بأشكال من المقرنصات الصغيرة ، يعلو هذا البدن المثمن بدن مرتفع مستدير الشكل من الآجر أيضاً ، وزخرفته غاية فى الابداع المنفذ باستخدام الآجر مع الجص ، على شكل عنصرين متكررين من الزخرفة الهندسية ، من أعلى على شكل معينات ومن أسفل على شكل معينات تنتهى من أسفل بضعلين يحصران بينهما أشكال المعينات المتماثلة والمتكررة ويفصل المنطقتين الزخرفيتين من أعلى وأسفل زخرفة بالجص على شكل تموجات المياه . يقوم على هذا البدن الاسطوانى حوض كبير (شرفة) مزخرف من الخارج بصفوف من المقرنصات والدلايات ، وينتهى الحوض فى أسفله من الخارج بفتحات صماء ، ويعلو هذا الحوض طابق مثمن به فتحات معقودة من أعلى ، تقوم عليه قمة المئذنة من شكل مقبب مضلع .

ينسب بناء هذه المئذنة إلى والى العثمانيين باليمن الوزير سنان باشا (١٥٧٠ - ١٥٧٢ م) كما هو واضح فى اللوحة التأسيسية على قاعدة المئذنة . والواقع أنه يبدو واضحا تماماً الطراز اليمنى المحلى لشكل المئذنة عامه فى بلاد اليمن خلال الحكم العثمانى ، حيث لم تتأثر هذه المآذن بطراز المآذن العثمانية إلا قليلا واحتفظت بطابعها المحلى وفق الوصف السابق .

الفصـل الثانـــى

المـــــدارس

إنتشر فى بلاد اليمن التخطيط المعمارى للمدرسة كمنشأة دينية بجانب الجوامع والمدارس فى إطار العمائر الإسلامية . والمدرسة كتخطيط معمارى ، لها وظيفتها الخاصة ، بتعليم الطلبة المذاهب الإسلامية أو بعضها ، فضلاً عن العلوم الدينية الأخرى المتنوعة . ومن المعروف أن التخطيط المعمارى للمدرسة يختلف تماماً عن التخطيط المعمارى للمسجد أو الجامع ، فالمدرسة تعتمد على الايوان[1] والمسجد يعتمد على الرواق ، فضلا عما تتطلبه المدرسة كوحدة معمارية للدراسة والتعليم من مساكن للطلبة والأساتذة ، وما يتطلب ذلك الأمر من أوقاف للصرف عليها تتضمن صيانة العمارة وأجور المدرسين ونفقات معيشة الطلبة .

والواقع أن نشأة نظام المدرسة فى العمارة الإسلامية ، قد جرى حوله كثير من الجدل والنقاش مما ترتب عليه ظهور آراء كثيرة فى هذا الموضوع ، أقربها ما ذهب إليها الدكتور عباس حلمى من خلال مناقشاته لكل النظريات المعمارية التى تناولت طبيعة نشأتها وتطورها وانتشارها فى العالم الإسلامى ، وقد انتهى فى رأيه إلى أن المصدر الأول الذى إشتقت منه المدرسة تخطيطها المعمارى كان هو فى الأصل الدور السكنية وليس الايوان فى العمارة الساسانية كما هو معروف ، وأنه يجب الفصل بين نظام المساجد ونظام المدارس ، منذ بداية نشأته ، إذ أن طبيعة وظيفة المدرسة ، فى المقام الأول ، هو الدرس والتعليم ، فقد دُرست العلوم الدينية على نطاق واسع فيها ، فضلا عن أهمية التدريس فيها لمذهب سُنى معين . ويرى الدكتور عباس حلمى أن أصل نشأة هذا النظام التعليمى فى الإسلام[2] ، كان مهده مكة والمدينة ، منذ القرن الأول الهجرى ، ثم بدأ يقل فيهما النشاط العلمى ، فى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، حيث إنتقل هذا النشاط العلمى بعد ذلك فظهرت المبانى المخصصة للتعليم فى مدينة بغداد بالعراق وانتشرت فى القرون التالية ، بعد ذلك ، وهى التى عرفت بدور العلم وبيوت الحكمة ، كما انتقلت إلى مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / ١٠ م[3] . وعلى ذلك فإنه يمكن

---

(١) الأيوان مساحة مستطيلة الشكل مصمته من ثلاثة جوانب ومفتوحة من جانب واحد بعقد كبير أو عدة عقود .

(٢) أنظر : عباس حلمى كامل : المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، ١٣٩٨ هـ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

القول بظهور المدرسة الإسلامية كنموذج من نماذج العمائر الإسلامية فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى فى شرق العالم الإسلامى ، إذا أُنشئت المدرسة البيهقية والسعيدية وغيرها ، ثم توقف إنشاء المدارس ، إلى أن بُعث من جديد على يد الوزير نظام الملك فى عهد السلاجقة فى مدن نيسابور وبغداد وطوس وغيرها ، ثم واصل الأتابكة فى الموصل ودمشق وصلاح الدين فى شمال العراق ومصر وسوريا بناء المدارس الإسلامية[1] .

لقد تميز العصر الأيوبى فى مصر عن غيره من العصور السابقة بظهور المدارس الكبيرة لتدريس المذاهب الإسلامية الأربعة ، وتعتبر المدرسة الناصرية ، أول المدارس الإسلامية التى أنشأها صلاح الدين ، ثم المدرسة الصلاحية عام ٥٧٢ هـ بجوار قبر الإمام الشافعى بالقاهرة ، ثم المدرسة السيوفية ، وكان يلحق بهذه المدارس فى بعض الأحيان سبيل وكُتاب ومدفن للمنشىء[2] .

على أن طبيعة عمارة المدرسة تتوقف إلى حد كبير على المنشىء وأهميته وبالتالى حجم المدرسة ومشتملاتها المعمارية ، إن كان من ايوان واحد أو أكثر ، بالإضافة إلى الوحدات المعمارية الأخرى الملحقة بها ، كما كان فى بعض الأحيان تتعدد طوابق المدرسة ، خاصة فى حجرات الطلبة ، تبعاً لأهميتها الدينية .

لقد كان لبلاد اليمن نصيب وافر فى إنشاء المدارس فى مدنها وقراها ، بحيث تعددت وتنوعت طبيعة العمارة فيها ، ويتضح من العدد الهائل الذى أحصاه القاضى إسماعيل الأكوع فى مؤلفه عن المدارس اليمنية[3] ، أهمية طبيعة هذا البناء فى فترات متلاحقة من تاريخ اليمن ، بالإصافة إلى العدد الكبير من الطلاب الذين درسوا بها وتخرجوا منها وكذلك علماء اليمن ورجال الدين والفقهاء الذين كانوا أساتذة بهذه المدارس ، وإن كان يبدو واضحا شهرة بعض المدن اليمنية خاصة فى وفرة عدد المدارس بها عن غيرها خاصة مدينة زبيد التى احتوت على عدد كبير للغاية منها ، والتى لايزالَ باقيا بها من المدارس عدد آخر لابأس به ، سنعرض لبعضها فى هذا الفصل ، بالإضافة إلى مدن تعز ورداع وصنعاء وغيرها من المدن اليمنية ، وقد تركز بناء المدارس بصفة خاصة فى جنوب اليمن .

---

(١) سعاد ماهر محمد : مساجد مصر ، جـ ١ ، ص ١٨ – ٢٠ .
وأيضا : Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Vol, II, P.P. 104- 134.
وأحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ .
(٢) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٧٢ – ٧٣ .
(٣) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن : ص ٧ – ٨ ، ١٢ .

أما من حيث التخطيط العام للمدرسة اليمنية فيبدو فيه من أول وهلة إختلافه إلى حد كبير عن غيره من الكثير من المدارس الإسلامية فى أرجاء العالم الإسلامى ، خاصة وأنها كانت تستخدم فى معظم الأحيان فى تدريس مذهب واحد من مذاهب السنة ، وهو الأمر الذى إنعكس على تخطيطها المعمارى على شكل فناء أوسط مكشوف ، فى الناحية الشمالية منه بيت الصلاة (البنية) وفى الناحية الجنوبية إيوان مفتوح على الفناء ، كما فى كثير من المدارس اليمنية ، خاصة فى مدينة زبيد ، ويوجد بالمدرسة اليمنيه عادة مئذنة ، وإن كان هناك بعض المدارس لا تحتوى على مآذن ، بالإضافة إلى مساكن الطلبة والمطاهير والحمامات وبرك المياه . هذا وقد تميزت المدارس اليمنية الكبيرة والتى أنشأها السلاطين والأمراء وكبار رجال الحكم بعظمه وفخامه البناء وتعدد الطوابق فى بعض الأحيان . والواقع أن وسيلة التغطية فى المدرسة اليمنيه ، تُعد هى الأساس فى تحديد نماذج عمارتها حيث تنوعت فهناك نوع من هذه المدارس يمتاز بتغطية بيت الصلاة بقبة واحدة كبيرة شاهقة الارتفاع ، ونوع ثانى يغطى فيه بيت الصلاة قبة كبيرة تحيطها قباب أقل حجما ، ونوع ثالث ، تغطى فيه بيت الصلاة مجموعة من القباب المتجاورة والمتساوية تقريبا فى أحجامها ، ونوع رابع تغطى فيه بيت الصلاة قبة كبيرة ، بينما يغطى الجناحين سقف خشبى مسطح ، ونوع خامس يغطى فيه بيت الصلاة سقف خشبى مسطح وسنشير إلى هذه الأنواع من خلال الأمثلة التى سنتعرض لها فى هذا الفصل ، فضلا عن كثير من المميزات والخصائص المعمارية التى قد تنفرد فيها مدرسة عن أخرى أو تتشابه معها فى بعض العناصر والتفاصيل .

أما عن نشأة هذه المدارس فى اليمن ، فإنها تعود كما يذكر القاضى إسماعيل الأكوع إلى آواخر حكم الدولة الأيوبية فى اليمن (٥٦٩ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٩ م) ، حين شرع الملك المعز إسماعيل بن طغتيكين بن أيوب فى بناء أول مدرسة له بزبيد عام ٥٩٤ هـ وسماها بالمدرسة المعزية (مدرسة الميلين) ، وقد أعقب ذلك حدوث انتشار سريع لنظام المدارس فى اليمن ، خاصة فى عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) ، إذ أنه ما من ملك من ملوكهم المشهورين ، إلا وقد بنى له مدرسة أو مدرستين[١] ، ومنهم من بنى أكثر من ذلك ، إضافة إلى ذلك ، تلك المدارس التى أنشأها كبار رجال الحكم والأثرياء وبعض السيدات . على أنه يمكن القول بأن المدارس اليمنيه قد تركزت فى كثير من مدن

---

(١) إسماعيل الأكوع : المدارس الاسلامية ، ص ٧ .

وقرى اليمن الأسفل ، وعلى الجانب الآخر كانت الجوامع الكبيرة والمساجد فى اليمن الأعلى تقوم بنفس دور المدارس من حيث التعليم فى مجالات العلوم الدينية ، وإن اختلف المضمون بينهما .

وسنعرض فى هذا الفصل إلى تسع مدارس يمنيه ، من حيث تخطيطها المعمارى كنماذج للمدارس اليمنيه خلال العصر الأسلامى مع توضيح أوجه الشبه والخلاف بينها ، حتى تتضح الصورة العامة عن تخطيط المدرسة اليمنية وعناصرها الزخرفية وهى المدرسة العامرية برداع ، وثلاث مدارس بمدينة تعز هى الأشرفية والمظفرية والمعتبية ، وأربع مدارس فى مدينة زبيد هى المدرسة الجبرتية ، المدرسة السكندرية ، المدرسة الكمالية ، المدرسة الفرحانية .

(١) المدرسة العامرية برداع[١] : لوحة ٤٧

المدرسة العامرية برداع من المدارس اليمنية الكبيرة والتى تفردت ببعض العناصر المعمارية عن المدارس اليمنية الأخرى . أنشأها السلطان عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤ - ٩٢٣ هـ) ، وهو أعظم سلاطين الدولة الطاهرية[٢] (٨٥٨ هـ - ٩٤٣ هـ) ، التى أعقبت دولة بنى رسول فى اليمن ، وكان لهذا السلطان دوره الكبير فى النواحى السياسية والعسكرية في اليمن فى تلك الحقبة التاريخية . كما يتميز عصر هذا السلطان بكثرة العمائر الدينية ، التى شملها بالانشاء والتجديد والإضافة فى بعض مدن اليمن .

شيد السلطان عامر بن عبد الوهاب هذه المدرسة فى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، وأشرف

---

(١) رداع العرش ، مدينة يمنية كبيرة آهلة بالسكان ، تقع شرق مدينة ذمار بمسافة ٥٣ كم ، وترتفع عن مستوى البحر بمقدار ٢١٠٠ م ، وتضم هذه المدينة عدة آثار ، ترجع إلى ما قبل العصر الإسلامى ، منها قلعة ، ذكرت عنها المصادر التاريخية أن بناءها يعود إلى عصر ما قبل الإسلام وإلى زمن التُبع شمر يهرعش ، وقلعة أخرى غيرها فى المدينة ، وقد أعيد تجديد هذه القلاع وإستخدامها فى العصر الإسلامى عدة مرات .

أنظر : مصطفى شيحه : رداع مدينة الآثار باليمن ، مجلة المتحف العربى ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٤ - ١٠٧ ، الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص٣٥٩ - ٣٦٥ .

(٢) تُعد الدولة الطاهرية فى اليمن ، آخر الدول السنية الجنوبية ، التى تولت الحكم فى بلاد اليمن ، وكانوا بنو طاهرهم عمال الدولة الرسولية فى عدن ولحج وخرجوا عليها وأسسوا دولتهم على أنقاضهم .

أنظر : سيد سالم : الفتح العثمانى الأول لليمن ، ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٠ ، الجرافى : المقتطف ، ص ٩٤ - ١٩٧ .

على بنائها وزيره الأمير على بن محمد البعدانى[1] ، وتعرضت هذه المدرسة لمراحل مستمرة من الإهمال والخراب ، منها محاولة هدمها فى عام (١١٣٠ هـ) على يد محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب .

المدرسة مستطيلة المسقط ، **شكل ١١** يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب (٤٠ م) وعرضها من الشرق إلى الغرب (٢٣ م)[2] ، وتتكون من طابقين مرتفعين ، وتتخلل واجهاتها فى النواحى الشمالية والشرقية والغربية عقود كثيرة من طابقين على شكل مدبب ممتد . يشتمل الطابق الأول فى هذه المدرسة على مساكن الطلبة وقاعات للدرس وحوانيت تطل على الشارع ، وفى الطابق الثانى مسجد المدرسة وتغطية ست قباب مرتفعة تتآلف إلى حد كبير مع بناء المدرسة وعقود واجهاتها مما يكسبها شكلا معماريا فريدا بين المدارس اليمنية .

يقع مدخل هذه المدرسة ، فى النهاية الجنوبية من الواجهة الشرقية ويبرز عن سمت الواجهة بمقدار (٣ م) ، ويُفضى إلى دركاه مستطيلة الشكل ، تعلوها مقصورة ، يتم الوصول إليها من سلم يصعد إلى سطح المدرسة **لوحة ٤٨** ، وقد كانت هذه المقصورة مخصصة للسلطان عامر بن عبد الوهاب حين يفد إلى زيارة المدرسة .

يشكل مسجد المدرسة أهمية معمارية كبيرة فى الطابق الثانى وينقسم إلى قسمين رئيسيين : بيت الصلاة والفناء (أنظر التخطيط) .

الفنـاء : يتقدم الفناء بيت الصلاة ، وهو فناء مكشوف أبعاده (٩,٣٠م × ٨,٤٥م) ، يُدخل إليه من خلال فتحة مدخل ، تقع فى منتصف الجدار الجنوبى تقريباً . يحيط هذا الفناء فى الجهات الأربع ، بلاطة واحدة ، تطل عليه بواسطة ثلاثة عقود مدببة ، وتغطى هذه البلاطات سقوف خشبية مسطحة . يتميز الرواقان الشرقى والغربى ، بوجود قاعات للدرس على طول امتداد الرواقين (حوالى ١١م × ٢,٣٠م) .

بيت الصـلاة : يُعد بيت الصلاة فى هذه المدرسة وحدة معمارية وزخرفية متناسقة تماما ، مستطيل الشكل أبعاده من الشرق إلى الغرب (١٢,٤٠م) ومن الشمال إلى الجنوب (٨م) ، وتتوسط هذه المساحة بائكة من عمودين ، تقوم عليهما عقود واسعة مدببة فى

---

(١) إسماعيل الاكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن ، ص ٢٥٠ - ٢٥٣ .

(٢) تقرير البعثة الفرنسية ، مجلة اليمن الجديد ، العدد ١١ ، نوفمبر ١٩٨٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

الجهات الأربع ، وتقسم هذه العقود من أعلى ، مساحة بيت الصلاة إلى ست مربعات صغيرة ، تغطيها ست قباب مرتفعة متجاورة . يتوسط جدار القبلة المحراب ، مطلى حاليا بطبقه من الجص ترجع إلى فترة متأخرة . ولعل أهم ما يميز بيت الصلاة فى المدرسة العامرية ، بجانب تغطيته بقباب متجاورة ، هو زخرفة بواطن القباب ومناطق إنتقالها وبواطن وواجهات العقود وأجزاء من الجدران بالزخارف الجصية الملونة والكتابات الأثرية فى توافق بديع ، شمل الخطوط الكوفية والنسخية وخط الثلث ، وعناصر زخرفية عديدة متنوعة ، نباتية وهندسية وبألوان متنوعة يسودها الأحمر والأخضر والأسود . هذا ويحيط ببيت الصلاة ، من الناحيتين الشرقية والغربية وكذلك من الناحية الشمالية خلف جدار القبلة ثلاثة دهاليز ، واحد فى كل ناحية . يطل الدهليز الشرقى على الشارع بواسطة أربعة عقود واسعة وفى نهايته الجنوبية قبة مفصصة الشكل وكذلك فى نهايته الشمالية ، كما يتميز الدهليز الشمالى خلف بيت الصلاة ببقاء فسقية مثمنة الشكل ، وتملأ هذا الدهليز أشرطة الكتابات والزخارف بخطى النسخ والثلث ومعظمها لآيات من القرآن الكريم .

والواقع أن هذه المدرسة تشبه إلى حد كبير فى تخطيط بيت الصلاة فيها المدرسة المعتبية فى تعز والتى سنتناولها بالوصف ، ففى كل منهما تغطى بيت الصلاة ست قباب متجاورة مزخرفة بواطنها بالزخارف الجصية الملونة والتى تتشابه فيها كثير من العناصر الزخرفية فى كلا المدرستين . كما تتشابهان أيضاً فى وجود الفناء المحاط بعقود وفى وجود الدهليز الشرقى والغربى ، وإن إنفردت مدرسة رداع فى وجود الدهليز الشمالى خلف بيت الصلاة . والواقع أن الزخارف الجصية الملونة فى مدرسة رداع تتفوق على مثيلاتها فى المدرسة المعتبية بتعز وتشبه زخارفها إلى حد كبير نفس طابع الزخارف فى المدرسة الأشرفية الكبرى بتعز وأيضا فإن المدرسة الأشرفية بتعز تتكون من طابقين وإن كان الطابق الأول كان يستخدم للتخزين .

تبقى المدرسة العامرية برداع كأثر إسلامى عظيم لصاحبه السلطان عامر بن عبد الوهاب ، الذى أوقف عليها اوقافا كثيرة ، وتفوقت فى عمارتها على غيرها من المدارس الأخرى التى أنشأها فى زبيد وتعز وغيرها .

(٢) المدرسة الأشرفية بتعز[1] ، لوحة ٤٩ ، ٥٠ :

لاشك أن المدرسة الأشرفية بتعز تأتى فى مقدمة مفاخر العمارة اليمنية فىالعصر الإسلامى عامة وعصر الدولة الرسولية خاصة ، فهى مُنشأة دينية كبيرة ، متعددة الأغراض التعليمية والدينية ، فقد جمعت بين وظيفة المسجد والمدرسة والخانقاه والمعلامة والأضرحة وغير ذلك . بناها السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل المجاهد عام (٨٠٠ هـ)[2] . وتعرضت عمارة هذه المدرسة للتجديد والاضافة ، وهى تبدو اليوم بمئذنتيها العاليتين كدرة للآثار الإسلامية فى مدينة تعز .

تخطيط المدرسة ، شكل ١٢

شُيدت هذه المدرسة بمادتى الحجر والجص وفى بعض الأجزاء بالطابوق (الآجر) والجص . ولهذه المدرسة أربعة مداخل ، أهمها المدخل الرئيسى فى الناحية الجنوبية : مدخل بارز ومرتفع ، بُنى من الحجر المشهر بالأخضر والأحمر ويبرز عن الواجهة بمقدار (٣,٢٨م) ، تتوسطه فتحة مدخل يعلوها عقد مدبب وآخر مفصص ، ويعلو فتحة المدخل إفريز من الحجر يقرأ عليه : « أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة مولانا ومالكنا السلطان السيد الأجل الملك الأشرف ممهد الدنيا والدين إسماعيل بن العباس بن على بن داود بن يوسف خلد الله ملكه ونصره » ، ويستكمل هذا النص على قاعدة المئذنة الشرقية ، أعلى مدخلها « وكان ابتداء العمارة بهذه المدرسة السعيدة فى ثانى ربيع الآخر سنة ثمان ماية » :

---

(١) تعز مدينة من أكبر مدن اليمن ، تبعد عن صنعاء بحوالى ٢٥٦ كم ، وتقع فى سفح جبل صبر ، كانت تعرف قديما باسم العدنية ، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجرى / ٩م . سكنها الصليحيون والرسوليون ، وكانت عاصمة الدولة الرسولية فى اليمن . بقيت بها مساجد ومدارس وحمامات وغيرها منتشرة فى أنحاء المدينة . هذا بالإضافة إلى وجود سبع مدارس إسلامية هامة بناها سلاطين الدولة الرسولية ، إذ بنى كل واحد منهم مدرسة هى : المنصورية ، المظفرية ، المؤيدية ، المجاهدية ، الأفضلية ، الأشرفية ، الظاهرية .

أنظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، المقحفى : المعجم ، ص ١٠٧ .

(٢) رتب الملك الأشرف فى هذه المدرسة « إماما ومؤذنا وقيما ومعلما وأيتاما يتعلمون القرآن ومدرسا على مذهب الإمام الشافعى ومعيدا وعدة من الطلبة ومدرسا يتحدث بحديث رسول الله ﷺ ومدرسا فى النحو والأدب وجماعةمن الطلبة أيضا ، ووقف بها عدة من الكتب النفيسة فى كل فن ، وأوقف على المدرسة وعلى المرتبين فيها وقفا جيدا يقوم بكفايتهم » . أما الملك الأشرف إسماعيل صاحب هذه المدرسة ، فكان هو رجل من أهل العلم ، إذ إشتغل بفنون كثيرة ، تولى الملك عام ٧٧٨ هـ ، وأنشأ عدة عمائرمنها جامع المملاح فى ظاهر مدينة زبيد ورتب فيها مدرسا على مذهب الإمام الشافعى وغيره ، وزاد فى جامع ذى عدينة وأنشأ عده أسبله . وقد توفى هذا السلطان فى عام ٨٠٣ هـ .

أنظر : إسماعيل الأكوع : المدارس الأسلامية ، ص ١٩٧ - ٢٠٦ ،

يؤدى مدخل المدرسة إلى ردهة مربعة صغيرة ، تغطيها قبة ضحلة من الآجر على جانبيها ايوانان صغيران ، كان يستخدمان لدراسة الأيتام بها ،. أما المدخل الشرقى والآخر الغربى ، فهما بارزان ومتماثلان ، وعلى جانبيهما مكسلتان ، وتغطى كل منهما قبة ضحلة .

بيت الصلاة : (أنظر التخطيط)

يقع بيت الصلاة فى الناحية الشمالية من المدرسة ، ورد وصفه فى وقفية المدرسة : « قبة كبيرة فيها المحراب ، محمولة على أربعة عقود وجناحان شرقى وغربى ، وكل جناح فيه أربع قُبب ، وفى القبة شباكان من جهة القبلة شرقى المحراب وغربيه وفى كل جناحين شباكان من جهة القبلة شرقى المحراب وغربية »[1] .

والواقع أن الوصف السابق والوارد فى وقفية المدرسة ، مطابق إلى درجة كبيرة ، بالنسبة للوضع الحالى لبيت الصلاة ، حيث يدخل إليه من فتحة مدخل تتوسط الضلع الجنوبى لبيت الصلاة ، على نفس محور المحراب . تبلغ أبعاد بيت الصلاة من الشرق إلى الغرب (٢٥,٤٠م) ومن الشمال إلى الجنوب (٧,٦٥م) ، وتغطى المساحة الوسطى منها قبة شاهقة الارتفاع ، ويكتنف مساحة هذه القبة من الناحيتين الشرقية والغربية جناحان واحد فى كل ناحية ، حيث يغطى كل جناح أربع قباب أقل ارتفاعا من القبة الرئيسية . وتقوم القباب فى بيت الصلاة على اثنى عشر عقدا من العقود ذات المراكز الأربعة والتى ترتكز على أربع دعائم كبيرة فى مساحة بيت الصلاة . هذا ويلاحظ أن مناطق انتقال القبة الرئيسية والقباب الصغيرة المتجاورة من أشكال الحنايا الركنية . ويزخرف باطن القبة والحنايا الركنية والدخلات المصمته بها وأشكال العقود المفصصة بين مناطق الانتقال ، زخارف ملونة جصية غاية فى الابداع من دوائر وأشكال نجمية وورود مروحية الشكل وزخارف الأرابيسك ، فضلا عن زخرفةرقبة القبة بمجموعة من أشكال الحنايا الصماء وأشكال المحارات والعقود المفصصة وعناصر أخرى عديدة من الزخارف النباتية والهندسية كزخرفة الميمات والجفوت وبألوان مختلفة هى الأبيض والقرمزى والأزرق والأحمر وإستخدام اللونين الذهبى والفضى بدرجة كبيرة . أما الزخارف الكتابية فلها أيضا دور هام فى زخرفة هذه القبة بخطى الثلث والنسخ ، ومنها ما يقرأ على سمت القبة الرئيسية « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﷺ » . على أن الزخارف الجصية فى بيت الصلاة تستحق دراسة زخرفية شامله نظراً لما تفردت به

---

(١) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ١٩٩ .

هذه الزخارف وما كان لها من أثر كبير فى بعض المدارس الإسلامية الأخرى باليمن ، وخاصة فى مجال الزخارف الجصية .

يتوسط جدار القبلة المحراب (سعته ١,٨٠م وعمقه ١,٤٠م) ، ومزدران أيضا بالزخارف الجصية وعلى طاقيته كتابه نسخية (سورة الاخلاص) ، أسفلها شريط من الكتابة الكوفية ، ويعلو المحراب عقد نصف دائرى الشكل ذو اطار مفصص ومزخرف ، وتظهر على هذا المحراب زخرفة الدروع ، كما تكتنفه أشرطة من الكتابات (آيات من القرآن الكريم) .

يحيط بهذه القبةجناح فى الناحية الشرقية وآخر فى الناحية الغربية ، ويغطى كل جناح أربع قباب ، زخارفها أقل من زخارف القبة الرئيسية السابقة ، ويدخل إلى بيت الصلاة بواسطة عدة مداخل فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية . ويتسم التخطيط المعمارى لبيت الصلاة بوجود القبة المركزية المحاطة بأربع قباب فى الناحيتين الشرقية والغربية ، وهو التخطيط الذى نجد له مثيلا فى مدارس مدينة زبيد .

تضم هذه المدرسة وحدات معمارية أخرى نشير إليها بإيجاز فيما يلى :

١ - **قاعتـا الـدرس** : فى الناحيتين الشرقية والغربية ، ويغطى كل منها قبو طولى .

٢ - **الخانقـاه** : تقع فى الناحية الجنوبية ، فى مواجهة الدهليز الجنوبى للمدرسة : على هيئة قاعة مستطيلة مُقسمة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة عقدين مدببين ممتدين ، بحيث تمثل مساحة مربعة صغيرة فى الوسط (دور قاعة) ، تغطيها قبة مرتفعة ، مناطق إنتقالها من حنايا ركنية ، ويكتنف هذه المساحة المربعة من الناحيتين الشرقية والغربية إيوانان (عمق الرواق الشرقى حوالى ٢,٩٠م والغربى ٢,٤٥ م) .

٣ - **ساحة الدفن** : إلى الجنوب مباشرة من بيت الصلاة (١٠,٩٥م × ١٠م) وبها عدة أضرحةتعلوها قباب .

٤ - **دهاليز المدرسة** : توجد ثلاثة دهاليز متصلة تتقدم الوحدات المعمارية الرئيسية فى بناء المدرسة ، وذلك فى النواحى الجنوبية والشرقية والغربية ، وتؤدى إليها المداخل الثلاثة البارزة الرئيسية فى جدران المدرسة ، وتطل هذه الدهاليز على الجهات الثلاث ، بواسطة عقود مدببة واسعة ، وبعض هذه الدهاليز تنتهى بقباب صغيرة .

٥ - **الحمامات والمطاهير** : وتقع فى الناحية الجنوبية الشرقية من المدرسة .

مئذنتا المدرسة : لوحة ٤٩

لهذه المدرسة مئذنتان غاية فى الجمال ويمكن رؤيتهما من مسافة بعيدة من خلال التدرجات المرتفعة لمدينة تعز ، إحداهما فى الناحية الشرقية والأخرى فى الناحية الغربية - والواقع أن المئذنتين متماثلتان إلى حد كبير ، فيما عدا بعض التفاصيل الصغيرة ، ويتكون كل منهما من قاعدة مرتفعة مربعة الشكل من حجر الحبش زُخرفت من أعلى بدخلات أشبه بالمحاريب ، معقودة فى أعلاها بعقود نصف دائرية ، ويرتكز على هذه القاعدة بدن مثمن الشكل وأضلاعه مجوفة على شكل المحاريب الصماء المعقودة أيضا بعقود نصف دائرية الشكل وببعضها بعض الفتحات الضيقة (على شكل فتحات السهام) للإضاءة والتهوية ، ويعلو هذا البدن بدن آخر مثمن الشكل واضح به زخرف المحاريب فى كل ضلع من أضلاع المثمن ، ويفصل بين الدورتين حوض كبير (شرفه) مزدان من الخارج بأشكال الحنايا الصماء الكبيرة والصغيرة ، يعلوه حوض آخر (شرفة) ثم بدن مثمن ثالث ، متوج بقبة صغيرة نصف كروية الشكل ، ويدخل إلى هاتين المئذنتين من خلال مداخل صغيرة فى الناحية الجنوبية جهة الدهليز الجنوبى .

(٣) المدرسة المظفرية بتعز لوحة ٥١ ، ٥٢

يُطلق عليها أيضا جامع المظفرية ، حيث تكون هذه التسمية فى الواقع أدق من إطلاق إسم المدرسة عليها . تنسب عمارتها إلى السلطان الملك المظفر بن عمر بن على بن رسول المتوفى عام (٩٦٥ هـ)[1] ، زاد فى عمارتها الملك المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر من سلاطين الدولة الرسولية (٧٢١ - ٧٦٤ هـ) ، كما تنسب الزيادة الشرقية فى الجامع إلى السلطان الملك الأشرف الثانى إسماعيل بن العباس بن داود (٨٣٠ - ٨٤٢ هـ) .

يقع مدخل هذه المدرسة فى الناحية الغربية ، وهو مدخل بارز متوج بعقد مفصص

---

(١) وُلد صاحب المدرسة بمكة المكرمة عام ٦١٩ هـ ، وتولى مقاليد الحكم عام ٦٤٧ هـ عقب وفاة والده وتوفى ودفن فى مدرسته عام ٦٩٥ هـ . كان المظفر يوسف بن عمر عالماً كبيراً ، خلف العديد من المصنفات الدينية والعلمية فى الحديث والفلك والعقاقير الطبية وفنون الصناعات وبنى بعض الآثار الإسلامية الأخرى كالجامع المظفرى بمدينة المهجم ، وله بعض الإصلاحات فى الكعبة الشريفة ، كما خُطب له بمكة والحبشةوعيذاب ودهلك . هذا وقد رتب فى مدرسته هذه مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة وإماما ومؤذنا ومعلما وعشرة من الأيتام ، يتعلمون القرآن ، ودرس بهذه المدرسة (الجامع) عديد من العلماء وتخرج منها علماء وفقهاء .

أنظر : إسماعيل الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ٨٤ - ٩٢ .

الشكل . يقوم تخطيط هذه (المدرسة) على الصحن المحاط بأروقة ، أعمقها رواق القبلة ، وإن كان من الواضح تعرض عمارة هذه المدرسة لإضافات وتغييرات عديدة لحقت بها وغيرت على الأرجح من صورة بنائها الأول إلى حد كبير ، هذا وقد سقطت مئذنة المدرسة عام ١٩٦٢[٢] ، وأستعيض عنها بمئذنة حديثة ، وإن كنا نعتقد أن بيت الصلاة ربما يكون أقل الأجزاء المعمارية تعرضا للتغيير ، بالنسبة للحالة العامة للمدرسة ككل .

يتكون بيت الصلاة : (رواق القبله) ، من مساحة مستطيلة ، كبيرة ممتدة من الشرق إلى الغرب ، تتكون من أربع بلاطات بواسطة ثلاثة صفوف من البائكات ، تجرى عقودها موازية لجدار القبلة من النوع المدبب ، وواضح بعمارة هذا الرواق عدة إصلاحات أجريت به خلال العصور الإسلامية المتلاحقة . يغطى هذا الرواق مجموعة من القباب المتجاورة إلا أنه يلاحظ وجود قبة شاهقة الارتفاع يكتنفها من الناحية الشرقية والغربية قبتان واحدة فى كل ناحية مرتفعة أيضا . على أنه ينحصر وجود القباب المرتفعة والأخرى الأقل إرتفاعا فى تغطية البلاطتين جهة الجدار الشمالى ، ويغطى البلاطتين الأخرتين سقف خشبى مسطح . وتبدو الزخارف الجصية الملونة فى بواطن القباب وحنايا الانتقال وكذلك على العقود بواطنها وواجهاتها بالكتابات والزخارف النباتية والهندسية التى تشبه إلى حد كبير الزخارف الجصية الملونة بالمدرسة الأشرفية ، كما يلاحظ وجود شبه مجاز عمودى على محراب القبلة .

تقوم القبة الرئيسية على أربع حنايا ركنية كبيرة وعميقة ، تحصر بينها أشكالا من العقود المفصصة المزخرفة بتجاويف صماء ، ويعلو منطقة الانتقال مثمن القبة ، فُتحت فى أعلاه طاقات صماء أيضا ، بالإضافة إلى وجود إطار دائرى يزخرفة حنايا متماسه مصمته . زخرف سمت القبة والحنايا والتجاويف الصماء ، بزخارف ملونة وآيات من القرآن الكريم . وتتماثل إلى حد كبير القبة الغربية والشرقية مع القبة الوسطى الرئيسية من حيث عناصرها المعمارية ووحداتها الزخرفية ، وإن كانت القبة الشرقية أكثر زخرفة من القبة الغربية ، خاصة فى وجود أشكال الورود المروحية والأطباق النجمية .

أما فناء المسجد (المدرسة) فهو صغير محاط بثلاث بلاطات تطل بعقوها عليه وتُغطى هذه البلاطات قباب ضحلة : ثلاث قباب فى الناحية الجنوبية وواحدة فى الناحية الشرقية وقبتان فى الناحية الغربية .

---

(٢) ربيع القيسو : دراسة ميدانية ، ص٧٢ حاشية ١٩٦ .

أما الرواقان الشرقى والغربى فواضح بهما عملية التجديد من فترة متأخرة ، ويتكون الرواق الشرقى من أربع بلاطات والغربى من ثلاث بلاطات وهو حديث تماما إذا أن عملية التجديد فيه تعود إلى وقت قريب .

والواقع أن هذه المدرسة فى تخطيطها المعمارى بمثابة جامع أو مسجد ، وتختلف تماما عن الأبنية المتعارف عليها فى اليمن والخاصة بالمدرسة كمنشأة تعليمية .

(٤) المدرسة المعتبية بتعز[١] :

تنسب عمارة هذه المدرسة وفق ما ورد فى الوقفية الغسانية إلى الجهة الكريمة[٢] جهة[٣] الطواشى[٤] الأجل جمال الدين معتب بن عبد الله الأشرف » ، المتوفية عام ٧٩٦ هـ[٥] . ورد وصف هذهالمدرسة بالتفصيل فى الوقفية الغسانية ، والتى نسوق منها بعض الفقرات ، من خلال الوصف المعمارى الحالى للمدرسة . يقع مدخلها فى الضلع الجنوبى (أنظر المسقط الأفقى ، **شكل** ١٣) ، ويتوج هذا المدخل عقد مفصص الشكل ، يُفضى المدخل إلى ردهة قصيرة ، يغطيها قبو برميلى الشكل ،ويلاحظ وجود النص التأسيسى للمدرسة على عتبين أحدهما حجرى والآخر خشبىفى حالة تالفة . وتؤدى كتلةالمدخل البارزة السابقة ، إلى دور قاعة ، مربعة الشكل ، تغطيها قبة ، مناطق إنتقالها على حنايا ركنية على يمينها ويسارها ايوان صغير مغطى بقبو نصف دائرى . وتفتح الدور قاعة فى الناحية الشمالية منها ، على دهليز مستطيل الشكل ، ممتد من الشرق إلى الغرب ، مغطى بقبو طولى ، والدهليز مصمت

(١) حددت الوقفية الغسانية موقعها بسفل السراجية من نواحى مدينة تعز .

أنظر : إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص ٢٠٨ .

(٢) الجهة فى اللغة ، إسم الناحية ، وكان يكنى باللفظ عن المرأة الجليلة ، كماكان يكنى عن الرجل العظيم بالجناب ، واستعمل مع أداة التعريف كلقب أصل لمؤنث حقيقى ، وأول ظهور لقب « الجهة الكريمة » ، على نقش بعقد وقف مؤرخ بعام ٥١٢ هـ ، حين أطلق على رزين بنت عبد الله أم ولد الأمام المستظهر أمير المؤمنين فى مسجد « إنا أعطيناك الكوثر بمكة » ، وكان يطلق هذا اللقب فى عصر المماليك على أميرات البيوت الحاكمة .

أنظر : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨ ، دار النهضة العربية ، ص٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٣) لقب جهة ، هو من غير أداة التعريف ومضافا إلى إسم مذكر ،يدل على صلة قرابة فى النقوش على الآثار ، بمعنى زوجة . أنظر المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٤) الطواشى : هو لقب يطلق على جند الأمراء فى المكاتبات ، وكان أيضاً من الألقاب العامة التى تطلق على الخصيان من الغلمان ، أنظر حسن الباشا : المصدر السابق ،ص ٣٨٢ .

(٥) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص٢١٠ - ٢١١ .

فى نهايته الغربية ومفتوح فى نهايته الشرقية ، حيث يودى إلى الحمامات والمطاهير فى الناحية الشرقية . يُدخل إلى فناء المدرسة ، من خلال فتحة مدخل تتوسط الضلع الشمالى لهذا الدهليز .

الفناء : عبارة عن مساحة صغيرة مربعة الشكل مكشوفة ، محاط بثلاث بلاطات فى الجهات الشرقية والغربية والشمالية ، التى تتقدم بيت الصلاة ، وتطل هذه البلاطات على الفناء بعقود مدببة واسعة ، ويلاحظ أن المعمار قد أوجد عقودا مصمته الشكل علىالواجهة الشمالية للدهليز السابق طبقا لمبدأ التماثل فى بائكات الفناء ، أو ربما تكون هذه العقود كانت مفتوحة فى الأصل وسُدت فى فترة متأخرة ، نتيجة الترميمات والتجديدات فى المدرسة ، هذا ويعلو البائكات جهة الصحن شرفات مسننة .

بيت الصلاة : أنظر المسقط الأفقى :

مساحته مستطيلة الشكل ، بوسطها بائكة من دعامتين كبيرتين مثمنتين ، ترتكز عليهما عقود مدببة . تنقَسم هذه المساحة المستطيلة إلى ستة مربعات من أعلى ، يغطيها ست قباب متماثلة ومتجاورة وتشبه إلى حد كبير مثيلاتها فى بيت الصلاة فى مدرسة عامر بن عبد الوهاب برداع والسابق الإشارة إليها . وقد ورد وصفها فى الوقفية الغسانية على النحو التالى : « مجلس قبلى سقفه قبب وفيه المحراب ، وفيه شباكان قبليان ، أحدهما عن يمين المحراب والآخر عن يساره ، مشبكان بحديد ، ثم إيوانان مستطيلان عن يمين المجلس ذى المحراب وعن يساره وفى المجلس سبعة عقود وفى كل جناح خمسة عقود شرقية وغربية وعقدان مستقلان » .

والواقع أن هذا الوصف الوثائقى ينطبق تماما على بيت الصلاة ، فبيت الصلاة ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، القسم الذى يتقدم بيت الصلاة (المساحة الوسطى) ويحيط هذا القسم إيوان (جناح) فى الناحية الشرقية وآخر فى الناحية الجنوبية .

تمتاز بواطن القباب خاصة بزخرفتها على جانب كبير من الإبداع ملونة بألوان مختلفة ، يغلب عليها اللون القرمزى لزخارف نباتية وهندسية ونصوص كتابية ، تشبه إلى حد كبير مثيلاتها بمدرسة عامر بن عبد الوهاب برداع ،كما زخرفت العقود وأجزاء من الجدران بنفس هذه الزخارف فى تناسق تام ، **لوحة ٥٣** .

يكتنف بيت الصلاة من الناحيتن الشرقية والغربية دهليز ممتد من الشمال إلى الجنوب ،

يطل الدهليز الشرقى على الناحية الشرقية بعقود مدببة ممتدة ، وينتهى فى ناحيته الشمالية بقبة ضحلة مقامة على أربع حنايا ركنية ، ويماثل الدهليز الغربى هذا الدهليز . والواقع أن الوقفية الخاصة بهذه المدرسة ، تُضيف معلومات جيدة عنها ، منها أنه كان يُدرس بهذه المدرسة المذهب الشافعى ، وقد نصت على كيفية التدريس بها ، فضلا عن الملحقات المعمارية الأخرى التى أشارت إليها ، وقد ورد ضمن نصوصها ما يفيد بأنها جامع وهو نص هام لإطلاق صفة الجامع على المدرسة .

(٥) المدرسة الجبرتية بزبيد ،

يُطلق عليها أيضاً مسجد الجبرتية . بناهاالشيخ إسماعيل بن عبد الصمد الجبرتى (٧٢٢ - ٨٠٦ هـ) ، وهو من رجال الصوفية فى عصر الدولة الرسولية ، وساعد فى بنائها السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الرسولى ، وجدد عمارتها السلطان عامر بن عبد الوهاب عام (٩٠٩ هـ) ، وجُددت عمارتها أيضاً عام ١١٨١ هـ[١] وفقا للنص المكتوب أعلى عقد المدخل ، **(لوحة ٥٤)** . (جُددت عمارة هذه المدرسة المباركة ، فى شهر شعبان سنة ألف ومايه وواحد وثمانين بعناية مولانا الأكرم سعد بن سعيد ...) .

تخطيط المدرسة : (شكل ١٤)

يدخل إليها من فتحةمدخل فى ضلعها الجنوبى ، ويعلوه نص التجديد بخط الثلث والسابق الإشارة إليه . تتكون فى تخطيطها العام من صحن مكشوف وبيت للصلاة فى الناحية الشمالية ، يقابله فى الناحية الجنوبية إيوان صغير ، ويلاحظ وجود مئذنة صغيرة ، على شكل جوسق فى الناحية الجنوبية القريبة من واجهة بيت الصلاة .

بـيت الصــلاة :

تمتد واجهة بيت الصلاة من الشرق إلى الغرب وتطل على فناء المدرسة ، وتتضمن هذه الواجهة أربعة مداخل ، تعلوها عقود مدببة ذات إطارات مفصصة ، أعلاها شريط من الكتابة النسخية ، وتعلو المداخل فتحات للنوافذ ، ويزدان أعلى جدار الواجهة بشرفات على شكل الورقة النباتية الثلاثية .

أما بيت الصلاة من الداخل ، فهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل ، مقسمة إلى ثلاثة

---

(١) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ،ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أقسام بواسطة عقدين كبيرين مدببين على شكل حدوة الفرس ، ويغطى هذه المساحة سقف خشبى مسطح .

والواقع أن سقف هذه المدرسة المسطح يثيربعض التساؤلات حول طبيعةالتغطية الأولى للمدرسة ، سواء كانت من قباب متجاورة أو قبةمركزية محاطة بقبتين فى الجانبين ؟

يتوسط المحراب جدار القبلة ، ويتوجه عقد نصف دائرى كبير يُقرأ على إطاره ، الآيه القرآنية الكريمة « أقم الصلاة لدلوك الشمس .... » . كما بزخرف هذا المحراب شكل المحارة من أعلى وثلاثة عقود مدببة صغيرة من أسفل ويتوج عقد المحراب شريط من الكتابة يقرأ « إنما يعمر مساجد الله ... » ، ويلاحظ وجود دائرتين على كل منها لفظ الجلالة (الله) ، على جانبى إطار عقد المحراب ، وأعلى المحراب الآية القرآنية الكريمة ، « والهكم إله واحد ... » ، ويكتنف كوشتى عقد المحراب نجمتان ثمانيتان ، تنتهى من أعلى وأسفل بورقة نباتية ثلاثية على شكل البخارية .

على أنه توجد بعض النوافذ المصمته حاليا فى الجدارين الشرقى والغربى لبيت الصلاة ، وبعض النوافذ المُفرغة بأشكال هندسية ، وعلى جانبى المحراب دخلتان عميقتان مماثلتان . هذا ويلاحظ بالجدار الغربى مدخلان أحدهما فى الناحية الشمالية والآخر فى الناحية الغربية ، يؤديان إلى قاعتين للدرس بالمدرسة فى الناحية الغربية منها ، وتفتح القاعة الجنوبية على فناء المدرسة ، كما يلاحظ أيضاً أن قاعة الدرس الشمالية مغطاه بقبو برميلى الشكل ، أما القاعة الجنوبية ، فيغطيها سقف خشبى مسطح .

الأيــوان :

يقع الايوان فى الناحية الجنوبية ، مقابل بيت الصلاة فى الناحية الشمالية ، ويطل على الفناء بعقدين واسعين ممتدين مدببين ، يعلوهما أطار مفصص ، ويزخرف جدار هذا الايوان شريط من الجص عليه وحدة مكررة من زخارف مجدولة .

(٦) المدرسة الفرحانية بزبيد :

يُعزى بناء هذه المدرسة إلى السيدة الحرة جهة الطواشى جمال الدين فرحان زوجةالسلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل ، من سلاطين الدولة الرسولية فى اليمن ،المتوفية عام ٨٣٦ هـ ، وتعرف هذه المدرسة أيضاِ بمدرسة أم السلطان بزبيد[1] .

(١) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ،ص ٢١٣ - ٢١٤ .

يقع مدخل هذه المدرسة فى الناحية الشرقية ، حيث يُتوج فتحة المدخل عقد مفصص الشكل ، ويؤدى هذا المدخل إلى دهليز كبير ، ينتهى فى الناحية الجنوبية منه بالحمامات والمطاهير الملحقة بالمدرسة . يتوسط المدرسة فناء مكشوف مستطيل الشكل (حوالى ١٤,٧٠م × ١١,٦٥م) ، إلى الشمال منه بيت الصلاة وإلى الجنوب الإيوان المقابل (أبعاده ١١,٤٨م × ٣,١٥م) .

واجهة بيت الصلاة : غاية فى الدقة من حيث تماثل المداخل بها وزخرفتها بالأشرطة الكتابية ، **لوحة ٥٥** ، إذ توجد بها ثلاثة مداخل ، تعلوها ثلاثة عقود ، الأوسط نصف دائرى ، وعقد المدخل الشرقى والغربى أيضاً على شكل مدبب تدبيباً خفيفاً ، يعلوهما ثلاث دخلات مستطيلة الشكل بداخلها عقود زخرفية مفصصة داخل مناطق مستطيلة أسفلها عقدان مدبيان ، لهما إطارات زخرفية من الجص . يمتد شريط من الكتابة ، على مستوى عقود المداخل ، بحيث تستمر الكتابات داخل إطارات العقود ، لبعض الآيات من القرآن الكريم ، (آية الكرسى) ، (إنما يعمر مساجد الله ...) ، ويتوج الواجهة شرفات من أعلى .

تؤدى المداخل الثلاثة السابقة إلى **بيت الصلاة** من الداخل ، على شكل مساحة مستطيلة ، أبعادها (١٠,٨٧م) من الشرق إلى الغرب و(٦,٣٠م) من الشمال إلى الجنوب ، مقسمة إلى ثلاثة أقسام بواسطة عقدين كبيرين مدببين ممتدين ، بهما كتابات ، خاصة جهة المحراب ، حيث يقرأ عليهما بعض الآيات القرآنية الكريمة منها ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... ﴾ ، ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان .... ﴾ ، ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ... ﴾ ، ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق .... ﴾ ، بالإضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية على نطاق كبير .

يغطى بيت الصلاة سقف خشبى مسطح عليه تاريخ عام ١٣٤١هـ ، مما يجعلنا نعتقد بأن تغطية بيت الصلاة فى هذه المدرسة كان من القباب أسوة بغلبة هذا النوع من التغطية فى المدارس الإسلامية اليمنية عامة .

الأيــوان الجنوبــى :

يفتح هذا الايوان فى الناحية الشمالية على فناء المدرسة بثلاثة عقود مدببة ، ويزخرف جداره الجنوبىعقود صغيرة متماسة ، يتصل بها من أسفل وأعلى أشكال نجمية من الجص من ستة وثمانية رؤوس وزخرفة أخرى على شكل المعينات . ويلاحظ فى الجدارين الشرقى

والغربى للإيوان ، فتحة نافذة مفرغة ، يكتنفها دخلتان بارزتان تتوسطهما دائرة مفتوحة للإضاءة والتهوية (قنديلية) .

المئذنـة ، لوحة ٥٦ :

تتوسط مئذنة هذه المدرسة الضلع الشرقى للفناء ، قليلة الارتفاع ، وتتداخل قاعدتها المثمنة مع جدار الفناء ، ويقوم على هذه القاعدة بدن مثمن الشكل ، به دخلات أشبه بالمحاريب ، تعلوها عقود مدببة ، ويعلو هذا البدن ، بدن آخر قصير مثمن الشكل مزخرف بخطوط محزوزة متقاطعة ، تعطى أشكال المعينات الصغيرة ، ويرتكز على هذا البدن ، بدن آخر قصير أيضاً مثمن الشكل ، بكل ضلع منه ، فتحة مدببة ، أما قمة المئذنة فهى على شكل متدرج من أشكال القمم المعروفة فى مآذن مدينة زبيد - وأغلب الإحتمال أن هذه المئذنة ترجع إلى فترة متأخرة عن عمارة المدرسة فى القرن التاسع الهجرى / ١٥ هـ .

(٧) المدرسة الكمالية بزبيد ، لوحة ٥٧ :

تنسب عمارة هذه المدرسة إلى الأمير كمال بك الذى تولى أُمور مدينة زبيد عام ٩٢٧ هـ[١] . تنفرد هذه المدرسة بمدخل بارز فى الناحية الشمالية منها ، بوسطه فتحة مدخل ، علىهيئة عقد مدبب ممتد يكتنفه من الناحيتين أعمدة مندمجة فى الجدار ، على مستوى إرتفاع المدخل ، ويلاحظ على يسار الداخل حنية مصمته معقودة . يُفضى المدخل السابق إلى ردهة قصيرة تغطيها قبة ، مناطق إنتقالها على شكل المثلثات الكروية ومزخرفة بعشر حطات من المقرنصات ، كما تتصل هذه الردهة فى الناحية الجنوبية منها بحجرة أخرى صغيرة مغطاه بقبة أيضا .

هذا ويتم الدخول إلى فناء المدرسة ، من خلال فتحة ، على شكل عقد كبير فى الضلع الشرقى من الردهة السابقة .

يتوسط المدرسة من الداخل فناء مكشوف أبعاده حوالى (١٦,٢٧م × ١١,٦٠م) ، ويقع بيت الصلاة شمال الفناء والايوان فى جنوبه .

---

(١) مؤسس هذه المدرسة وهو كمال بك ،كان من كبار جنود السلطان سليم العثمانى ، وقد رافقه خلال حملته على مصر ، وتدرج فى المناصب ، حتى وصل إلى منصب الأمير ، ووفد إلى اليمن ، وخلال وجوده فى اليمن قام بقتل الأمير إسكندر الذى كان قائما بأمور زبيد وتوابعها ، وشغل مكانه عام ٩٢٧هـ ، ولكنه ما لبث أن قتل عام ٩٣٠ هـ بأمر جنده .

أنظر عن هذه المدرسة :

إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية . ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

الايــوان : (١٥,٤٥م × ٤,٨٠م) ، مغطى بثلاث قباب متجاورة ، مناطق إنتقالها من أشكال المثلثات الكروية ويفتح الايوان على الفناء بثلاثة عقود واسعة مدببة .

بيــت الصــلاة : يتوسط جدار بيت الصلاة ، مدخل معقود بعقد مدبب ، تكتنفه من الجانبين ، نافذتان من الجص المفرغ على شكل المحراب . وتغطى مساحة بيت الصلاة قبة مركزية مرتفعة فى الوسط ، وهى تشغل المساحة التى تتقدم المحراب ، يحيطها من الناحيتين الشرقية والغربية ، جناحان ، يغطى كل منهما قبتان ، كما فى المدرسة السكندرية بزبيد .

تقوم القبة المركزية على أربع حنايا ركنية ، تنتهى من أسفل بأربع حنايا أخرى صغيرة ، ويبدو أنه كان يزخرف أعلى منطقة الإنتقال من القبة شريط على هيئة سلسلة من العقود المتجاورة ، كما يزخرف تجويف المحراب أشكال من المقرنصات الصغيرة ، تشبه إلى حد كبير مثيلاتها من المقرنصات فى محراب المدرسة البكيرية فى صنعاء . هذا ويلاحظ وجود بركة كبيرة للمياه فى الجانب الشرقى من المدرسة جهة الجنوب ، محاطة بسقيفة فى الجهات الأربعة ، عبارة عن عقدين مدببين فى كل جانب يرتكزان على دعامة فى الوسط ، ويغطى هذه السقائف قباب ضحله متجاورة من نوع القباب الضحلة المعروفة فى عمارة العصر العثمانى .

(٨)المدرسة السكندرية بزبيد . لوحة ٥٨ وشكل ١٥

يُعزى بناء هذه المدرسة إلى الوالى العثمانى باليمن إسكندر موز(١) والمتوفى عام (٩٤٣ هـ) ، حيث تبدو هذه المدرسة متميزة بين المدارس العديدة فى مدينة زبيد ، خاصة فى إحتوائها على مئذنة عالية ، تشبه فى شكلها العام ، أنماط المآذن فى العمارة العثمانية .

تُعد هذه المدرسة أيضاً من الناحية المعمارية من المدارس الإسلامية اليمنية ، التى تغطى المساحة الوسطى من بيت الصلاة فيها قبة مركزية مرتفعة وتحيطها قباب جانبية أقل إرتفاعا وتضم هذه المدرسة مئذنة عالية .

---

(١) هو الأمير إسكندر بن سولى المشهور باسكندر موز ، قام بالأمر فى اليمن بعد توجه مصطفى بن بيرم إلى الهند ، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه تمكن من مملكة اليمن كلها وأظهر فيها العدل والكرم ووصفته بأنه كان شجاعاً وكريماً وقد أحبه أهل اليمن ، وقد استمر فى حكم اليمن لمدة ستة أعوام ونصف .

أنظر : محمد بن أحمد النهروانى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، ص ٥٦ - ٥٨ .

يقع مدخلها فى الناحية الغربية من الضلع الجنوبى لسور المدرسة ، ويتقدم بيت الصلاة فناء مشكوف أبعاده (٩,٨٥م × ٦,٤٢م) ، محاط بأربع صفوف من البائكات فى النواحى الأربعة ، عقودها مدببة ممتدة ومتماثلة : (ثلاثة عقود فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، وعقدان فى الناحيتين الشرقية والغربية » .

بيت الصـــلاة :

يتشابه بيت الصلاة فى هذه المدرسة مع مثيله فى المدرسة الأشرفية بتعز وإن كان بصورة مصغرة وتبلغ مساحته (١٧,٩م × ٧,٢٥م) ، ويتم الدخول إليه من خلال ثلاثة مداخل الأوسط أكثر إتساعاً وإرتفاعاً من المدخلين الجانبيين .

تغطى المساحة الوسطى التى تتقدم المحراب ، قبة مرتفعة ، يظهر تثمينها من الخارج ، ويغطى الجناحين الشرقى والغربى قباب أقل إرتفاعا (أربع قباب فى كل جناح) ، وقد سقطت قبتا الجناح الغربى ، واستعيض عنهما حاليا بسقف مسطح .

تقوم القبة الرئيسية على عقدين كبيرين مدببين فى الناحيتين الشرقية والغربية ، وترتكز على الجدارين الآخرين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ومناطق إنتقال القبة من أربع حنايا ركنيه كبيرة وعميقة ، وتحصر هذه المناطق بينها حليات معمارية على شكل عقود متماسه . ويبدو من آثار الألوان القليلة الباقية على باطن القبة زخرفتها بالرسوم والكتابات الملونة ، إذ لايزال باقيا من زخرفتها بعض أشكال الدوائر المتماسة وأشرطة من الكتابات (آية الكرسى) ، كما أن زخارف مناطق الإنتقال (الحنايا) تشبه مثيلاتها فى المدرسة الأشرفية بتعز ، خاصة الأوراق الرمحية والنصلية والورود المروحية وبعض أشكال الزهور ، فضلا عن الأوراق الثنائية الملتفة والأشكال الهندسية الأخرى الرباعية والخماسية والسداسية ، التى تتشابه مع مثيلاتها فى المدرسة العامرية برداع .

هذا ويلاحظ وجود عدة طبقات من الملاط (الجص) على كتلة محراب المدرسة ، مما يدل علىالتجديد المستمر الذى حدث فى بيت الصلاة خاصة ، وان لم يعد باقيا من الكتابات والزخارف القديمة على كتلة المحراب شىء يذكر .

ونعتقد بأن كتلة المحراب القديمة كلها كانت فى الأصل مصنوعة من الرخام الجيد ، إذ يمكن مشاهدة بعض منه على جانبى المحراب . أما محراب بيت الصلاة فهو مجوف على هيئة عقدين ، أحدهما نصف دائرى والآخر مدبب ، ويكتنف المحراب عمودان قصيران ،

وتزخرف طاقيته زخارف هندسية تالفه ، وتعلوها (سورة الإخلاص) بخط نسخي ، يحيطها من الناحيتين ، زخارف نباتية مورقة . هذا ويكتنف المحراب من الناحيتين دخلتان مصمتتان .

الجناحان الشرقى والغربى :

يغطى الجناح الشرقى قبتان ، أقل إرتفاعا من القبة الرئيسية ، ومناطق إنتقالهما من المثلثات الكروية وتقوم القباب على عقدين كبيرين ، فى الناحيتين الشرقية والغربية وعلى الجدارين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، ويلاحظ وجود دخلات صماء فى الجدار الشرقى . أما الجناح الغربى فيغطيه حالياً سقف خشبى مسطح نظراً لسقوط قبتة فى فترة متأخرة ، ويوجد بجدارة الشرقى أيضا تجاويف صماء ، إلا أنه يشاهد بها فتحات مربعة الشكل للتهوية والإضاءة .

الايوان الجنوبى : (١٨,٦٥م × ٢,٥٥م) ، يفتح على الفناء بثلاثة عقود مدببة ممتدة ، ويمكن ملاحظة ، بقاء بعض الأشرطة الكتابية والعناصر الزخرفية النباتية والهندسية ،على الجدار الجنوبى للإيوان والتى أتلفها الطلاء المستمر . هذا ويتم الوصول إلى البركة والحمامات والمطاهير بالمدرسة من فتحة المدخل بوسط الجدار الغربى فى السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة .

المئذنـــة :[١]

تتميز هذه المدرسة بوجود مئذنة مرتفعة مبنية من مادة الآجر (الطابوق) تتكون من بدن اسطوانى يستدق إلى أعلى ، وينتهى بحوض أو شرفة ، مزخرفة من الخارج بصفوف من المقرنصات أو الدلايات . ويعلو البدن بدن آخر مثمن الشكل عليه قمة المئذنة من جزئين ، كما هو معتاد فى قمم المآذن فى مساجد ومدارس مدينة زبيد .

(٩) المدرسة البكيرية بصنعاء

ينتمى تخطيط المدرسة البكيرية فى صنعاء إلى طراز العمارة الإسلامية فى العصر العثمانى ، إذتغطى قبة الصلاة فيها ، قبة كبيرة شاهقة الارتفاع ، **لوحة ٥٩ .**

---

(١) أفادنى الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الحضرمى أنه يوجد على قاعدة هذه المئذنة من الداخل تاريخ يرجعها إلى القرن السابع الهجرى / ١٣م ؟

تقع قبة البكيرية أو المدرسة كما يطلق عليها فى ميدان قصر صنعاء . شيدها الوزير العثمانى حسن باشا باليمن فى عام ١٠٠٥ هـ ، وأنفق علىعمارتها أموالا كثيرة ، وسماها بالبكيرية ، نسبة إلى بكير بك مولى الوزير حسن ، الذى وقع من على فرسه ومات لساعته ، وكان قريبا من الوزير ، وقد حزن عليه حزنا شديداً وجزع لوفاته « وقبره شرقى هذه القبة ، ثم عمر القبة للصلاة وسماها باسم مولاه بكير(١) » .

لاتزال عمارة وزخرفة هذه القبة ، فى حالة جيدة من الحفظ ، خاصة وأنها تعرضت لتجديدات تمت فى العصر العثمانى باليمن ، إذ جددت عام (١٢٩٨ هـ) ، بأمر السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد « وفرشت بالمفارش الفارسية وأُحضر لها منبراً من الرخام وحسنت مرافقها(٢) »

يُدخل إلى هذه المدرسة بواسطة مدخل بارز عن سمت الجدار الغربى للفناء الذى يتوسط المدرسة ، حيث يلاحظ وجود قبة تغطى مساحة هذا المدخل ، (سعته ٢٫١٩م) ويلاحظ أن مساحة هذه القبة تبرز إلى خارج الجدار الغربى وداخله أيضاً . يعلو فتحة المدخل عقد عاتق ، أعلاه عتب ، وتحيط فتحة المدخل أشكال زخرفية من الورود المروحية الشكل .

تؤدى فتحة المدخل إلى دهليز ممتد من الشمال إلى الجنوب ، وينتهى فى الناحية الشمالية جهة بيت الصلاة وفى الناحية الجنوبية بالمطاهير والحمامات القديمة الملحقة بالمدرسة ، المصطفة فى الناحية الجنوبية وتغطيها أربع قباب متساوية .

تخطيط المدرسة : أنظر المسقط الأفقى : **شكل ١٦**

تنقسم هذه المدرسة إلى قسمين رئيسيين : الفناء وبيت الصلاة ، بالإضافة إلى بعض الملحقات المعمارية الأخرى .

أولاً : الفنـــاء : (٢٤,٤٠م × ٢٠,٥٠م) ، أرضيته مبلطة بحجر الحبش ، إلى الجنوب منه المطاهير والحمامات القديمة المغطاة بأربع قباب ، وإلى الشمال بيت الصلاة ، وفى الناحية الغربية الدهليز الممتد من الشمال إلى الجنوب وفى الناحية الشرقية ، دهليز آخر (٢٤,٣٠م × ٢,٧٠م) ، مغطى بسقف خشبى مسطح ، ويتم الوصول إلى مئذنة المدرسة من الجهة الشمالية من هذا الدهليز .

---

(١) أنظر : الأكوع ، المدارس اليمنية ، ص ٢٨٣ ، الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ١٧ - ٢١ .

(٢) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ١٧ .

بيت الصـلاة :

يتقدم بيت الصلاة أو القبة **سقيفة** مستطيلة الشكل ممتدة من الشرق إلى الغرب ، أبعادها (٢٠,٥م × ٦,٤٥ م) ، تفتح على الفناء بثلاثة عقود مدببة واسعة ، **لوحة ٦٠** ، العقد الأوسط منهما أكثر إتساعاً من الجانبين ، ويقوم العقد على عمودين ، ويرتكز العقدان الجانبيان على الجدارين الجانبيين فى الناحيتين الشرقية والغربية ، ويتميز تاجا العمودين بوجود أحزمة من النحاس الأصفر ، كما يزخرف تيجان الأعمدة زخرفة جصية من عناصر نباتية وهندسية . يغطى هذه السقيفة ثلاث قباب متساوية متجاورة .

والواقع أن الزخارف الجصية كثيرة للغاية على بواطن هذه القباب وعلى المثلثات الكروية فى مناطق الانتقال وعلى الجدران بطريقة لافتة للنظر ، بحيث تعتبر هذه السقيفة وحدة فنية زخرفية ، تعبر عن طابع الزخارف المحلية فى اليمن خاصة ، فضلاً عن أنها تعود فى تاريخها إلى العصر العثمانى . ونشير إلى هذه الكتابات والزخارف فيما يلى :

الكتابات الأثرية على السقيفة :

تملأ الكتابات الأثرية الأجزاء المعمارية السابق الإشاره اليها فى السقيفة ، ومعظمها من آيات من القرآن الكريم ، فعلى العقد المطل على الناحية الغربية يقرأ : « هو الله الذى لا اله الا هو .. ، سورة الحشر الآية ٢٤ » ، وشريط الكتابة حول القبة : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا .. ، « سورة الفتح ، الآيات : ١ - ٤ » « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، .. « سورة آل عمران ، الآيات ، ٢٥ - ٢٧ ، وعلى القبة الغربية ، شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة .. » ، « سورة آل عمران ، الآية ١٨ » ، وعلى القبة الشرقية : يأأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة .. ، « سورة الجمعة ، الآية ٩ » .

كما يقرأ أيضا على هذه السقيفة « بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ، « سورة النور ، الآية ٣٥ » ، وأيضا فى « بيوت أذن الله أن ترفع .. ، سورة النور ، الآية٣٦ » ، وأيضا « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون .. ، سورة الأنبياء ، الآية ١٠١ - ١٠٢ » . وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة .

أما العناصر النباتية والزخرفية التى تزين هذه السقيفة ، وهى من أعمال الجص ، فتشمل التفريعات والأوراق النباتية المتنوعة والمتعددة الفصوص وأشكال الزهور والوريدات والأوراق النصلية والرمحية وتشكل فى مجموعها طراز الزخرفة النباتية المورقة والمعروفة

بالأرابيسك ، وكذلك أشكال النجوم المتنوعة وزخرفة الميمات والجفوت وأشكال البخاريات وأنصافها والمثلثات الكبيرة والصغيرة والمعينات وأشكال المحارة والدوائر وخلايا النحل والعقود والتجاويف والدخلات الصماء والتى أستخدمت كحليات معمارية أسفل بواطن القباب . ويرجع تاريخ هذه السقيفة وزخارفها إلى التجديدات التى قام بها السلطان عبد الحميد فى المدرسة عام ١٢٩٨ هـ .

القبة :

يدخل إلى بيت الصلاة من خلال مدخلين متماثلين فى نهايتى الجدار المشترك بين السقيفة والقبة ، يعلو كل منهما عقد مدبب ويعلوهما عقد حجر المدخل ، مفصص الشكل ، ويوجد أعلى المدخل الغربى ، لوحة تأسيسية ، عليها أبيات من الشعر تحمل تاريخ التجديد وتقرأ :

ذا جـــــامـــع تعميره جـــامـــع	للفتـــح والنصر ولـــــذاك النجيب
عبـــد الحميـــد النـــدب سلطـــاننـــا	سيف رســـــول الله ذاك الحبيب
لـــذا أتى تـــاريـــخ إتمـــامـــه	نصر من الله بفتح قريب (سنة ١٢٩٨ هـ)

يغطى مساحة بيت الصلاة (١٧٫٣٠م) ، قبة شاهقة الارتفاع ، نصف كروية الشكل ، تظهر منطقتها المثمنة من الخارج ، مناطق إنتقالها من الحنايا الركنية المتسعة ، ويظهر فى الأركان حطات زخرفية من المقرنصات والدلايات ويلاحظ فى الجدارين الشرقى والغربى نافذتان وفى الجدار الجنوبى أربع فتحات ، تفتح على السقيفة السابقة .

تزدان هذه القبة أيضا بالزخارف الجصية وكثير منها ملون ومذهب ، وتتبع أسلوب وطراز زخارف « الروكوكو » ، التى ذاعت على العمائر العثمانية ، خاصة فى استخدام أوراق الأكانتس وأشكال الزهريات فى أوضاع طبيعية ومقلوبة ومحورة ووحدات زخرفية كبيرة الحجم . هذا ويلاحظ أن المعمار قد إستقطع مساحة مستطيلة الشكل (٩٫٨٠ م × ٥٫٨٠ م) فى الناحية الجنوبية الشرقية من مساحة القبة ، وتطل على الناحية الغربية من داخل القبة بعقدين مدببين ، يرتكزان على دعامة قصيرة فى الوسط وتغطى هذه المساحة المستقطعة قبتان صغيرتان ، مناطق إنتقالهما من المثلثات الكروية ، هذا فضلا عن الكتابات الأثرية داخل هذه القبة ، منها فى سمت القبة « بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار » (سورة الحشر ، آية ٢٣) .

يضم بيت الصلاة ثلاثة عناصر معمارية هامة ، هى : المحراب والمنبر ودكة المبلغ :

المحراب : لوحة ٦١ :

يتوسط جدار القبلة (عمق تجويفه ٨٠ سم) ، يزخرفه عقد مفصص متدرج من أعلى إلى أسفل ، ومزخرف بأشكال المقرنصات والدلايات الزخرفية ، محمول على عمودين رشيقين وبه ثلاثة أشرطة من الكتابات النسخية المذهبة : الشريط الأول : هو «« الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم صدق الله » والشريط الثانى يقرأ عليه : « وزيركم غدا حبا أفاض الندا وفى فتح كل الممالك أحيا وأفنا العدا بنا جامعا للاله وطرزه بمسجدا فكم عابد وزاهد به ود وأن يعبدا وإشراق نور القبوللله فيه صدقا بدا وفى الفتح تاريخه تراهم ركعا سجدا » ، وعلى الشريط الثالث يقرأ : « تاريخ تعمير هذا الجامع اللامع ١٢٩٧ هـ غازى عبد الحميد الثانى .

المنبر :

يقع إلى الشرق من المحراب ، ويعتبر من ضمن التجديدات التى قام بها السلطان عبد الحميد فى القبة ، مصنوع من مادة الرخام الجيد . المنبر مزدان بالزخارف الهندسية المفرغة : يؤدى مدخله من خلال درجات السلالم إلى الجوسق على شكل قمة مخروطية ، تقوم على أربعة عقود نصف دائرية الشكل ، تحملها أربعة أعمدة رخامية دقيقة ، ويلاحظ وجود كتابات على هذا المنبر ، فعلى باب المنبر يقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله » وعلى جوسقه يقرأ : « يارحمن يارحيم يامالك ياقدوس ياسلام ، ياحنان يامنان ، ياديان ، ياغفران يابرهان » ، كما يلاحظ أيضا وجود زخرفة الأطباق النجمية ووحداتها على ريشتى المنبر .

دكة المبلغ : لوحة ٦٢ :

تشغل دكة المبلغ المساحة الوسطى بين المدخلين فى القبة ، وتطل على القبة بثلاثة عقود محمولة على ثلاثة أعمدة رشيقة ، ويتم الصعود اليها من خلال درجات من السلالم ويغطيها سقف خشبى مسطح ويحيطها من أسفل درابزين قصير .

المئذنة : لوحة ٦٣ :

تمتاز مئذنة هذه المدرسة بدقتها وروعتها ، خاصة فى أنها تنتمى الى الطراز المحلى

اليمنى ، رغم أن بناءها يعود إلى فترة العصر العمثانى ، تقع قرب نهاية الضلع الشرقى فى الناحية الشمالية بالنسبة لفناء المدرسة ويتم الوصول إليها من الدهليز الشرقى . وتتكون من قاعدة حجرية ، نصفها الأعلى من مادة الآجر (الطابوق) ونصفها الأسفل من حجر الحبش ، وتزخرف واجهات القاعدة زخارف جصية معقودة بداخلها كتابات ، يعلوها بدن قصير مثمن ، مزخرف أيضا بالزخارف الجصية الهندسية ، ويعلو هذا الطابق بدن مرتفع مستدير الشكل ومقسم إلى مناطق رأسية بالجص ، ويتميز أعلى هذا البدن ، بوجود زخارف هندسية . يعلو هذا الطابق من المئذنة حوض كبير (شرفة) ، مزخرف من الخارج بتجاويف معقودة ، بداخلها مناطق زخرفية ، هندسية الشكل أيضا ، ويعلو هذا الحوض طابق آخر ، مقسم إلى ستة عشر ضلعا بالجص وبكل ضلع أيضا ، زخارف هندسية ، ويتوج هذه المئذنة من أعلى قبة صغيرة مضلعة الشكل .

تمثل هذه القبة بملحقاتها أسلوب من طراز العمارة العثمانية فى اليمن ، حيث يغطى بيت الصلاة فيها قبة مركزية شاهقة الارتفاع ، بجانب زخرفتها بطراز الزخارف المعروف فى العمارة والفنون العثمانية ، كما أنها تعد من أجمل الآثار الاسلامية فى اليمن ، وتشهد للمعمار اليمنى والمزخرف بتوافق العمل المعمارى والزخرفى معا ، وبأسلوبهما المحلى .

البــاب الثانـــى

الفنـون الزخرفيـــة

واكبت بلاد اليمن فى مجال الفنون الزخرفية ، البلاد الاسلامية الأخرى ، منذ بدأ ينتشر الفن الاسلامى ، ورغم قلة التحف الأثرية المتخلفة من العصور المتتالية فى اليمن ، فإن القليل يعطى منها فكرة أو تصورا عاما عن طبيعة المواد المختلفة التى أنتجت فى اليمن وفق الاسلوب الصناعى والزخرفى المحلى . وتختفظ متاحف اليمن [1] ببعض الامثلة الهامة من التحف الاثرية التى توضح دراية الصانع اليمنى بما هو معروف ومتبع فى الأساليب الصناعية والزخرفية لكثير من المواد ، وإن كانت هذه الامثلة من التحف، قليلة للغاية ، لا تتفق وحجم التراث المعمارى الكبير فى اليمن ، ولعل قلتها تعود إلى عدم إجراء حفائر علمية منظمة ، فى المواقع الأثرية والمدن الاسلامية القديمة فى اليمن حتى الآن ، والتى لو تمت فإنها ستسفر على العثور على لُقى أثرية عديدة ، تضيف معلومات جديدة فى هذا المجال .

والواقع أننا نعرض فى هذا الباب لمادتى المعدن والخشب ، حيث يبدو إقبال الصانع والفنان اليمنى فى هذين الفنين واضحا للغاية ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى توافر عدة امثله صناعية وزخرفية فيهما ، هذا فضلا عن تقدم الفنان اليمنى الواضح فى مجال الرسوم الملونة على الجص خاصة فى عمائره ، وهو الأمر الذى نعرض له أن شاء الله فى دراسة خاصة مفصلة .

وقبل أن نعرض لبعض الامثلة المعدنية وكذلك الخشبية فى الفصلين من هذا الباب بإيجاز فإننا نشير أيضا فى إيجاز إلى بعض المواد الأخرى :

الخزف اليمنى : يستفاد من العثور على قطع أثرية صغيرة ، تم تجميعها من مناطق فى اليمن معرفة كل أنواع الخزف بمهارة ، ذلك أن القطع الصغيرة التى اُلتقطت من مواقع اسلامية يمنية بمتحف قسم الآثار بجامعة صنعاء ، توضح معرفة الصانع والفنان اليمنى بأنواع الخزف الاسلامى على تنوعه ، خاصة الخزف المرسوم والمحزوز تحت الطلاء وفوقه ، والخزف ذى البريق المعدنى وتقليد سلطان آباد والبورسلين والسيلادون ، فضلا عن الأنواع

---

(١) من أهم المتاحف فى اليمن والتى تحتوى على تحف اسلامية : المتحف الوطنى بصنعاء وهو المتحف الرئيسى باليمن ، وقد اعتمدنا فى دراستنا على بعض القطع والتى لا تزال غير مسجلة به حتى الآن ومعروضة فى قاعاته ، إضافة إلى متحف قسم الآثار بكلية الآداب ، جامعة صنعاء ، وهو متحف حديث يحتوى على الموميوات التى كشفت مؤخرا وبعض شواهد القبور التى نشرناها وتحف معدنية مختلفة ترجع إلى فترات متأخرة ، وبمدينة تعز متحف ثالث يضم بعض المقتنيات القديمة والحديثة . هذا ويحتفظ المتحف الحربى الذى يُفتتح قريبا بتحف اسلامية أخرى خاصة قطع السلاح .

الأخرى العديدة والمعروفة ضمن أنواع الخزف الاسلامى . والحق أن العناصر الزخرفيه على هذه القطع الصغيرة مماثلة إلى حد كبير لمثيلاتها على الخزف الاسلامى عامة ، مما يجعلنا نعتقد بأهمية صناعة الخزف وزخرفته فى اليمن وهو الأمر الذى يظل مرهونا بالعثور على قطع خرفية كثيرة فى المواقع الأثرية اليمنية ، إذا ما أجريت بها حفائر علمية ، ستضيفه معلومات هامة عن الخزف اليمنى فى العصر الاسلامى ، يشمل أنواعه ومواد صناعته وأساليب زخرفته والأفران الخاصة به وربما توقيعات الصناع وأساليبهم الخاصة ، فضلا عما يكون عن أهمية الطابع المحلى للخزف اليمنى .

المنسوجات اليمنية :

اشتهرت اليمن خلال عصورها القديمة والاسلامية بجودة منسوجاتها المتنوعة ، ورغم عدم توافر قطع من النسيج فى متاحف اليمن حاليا ، يمكن نسبتها إلى الفترات السابقة من العصر الاسلامى ، رغم وجود عديد منها خارج اليمن ، فإن المصادر التاريخية تتحدث عن المنسوجات اليمنية وجودتها وانتشارها فى الاسواق خارج بلاد اليمن . يضاف إلى ذلك ما عثر عليه مؤخرا من قطع كثيرة من نسيج الكتان ضمن لفائف موميوات منطقة شبام الغراس ، [1] توضح مرحلة كبيرة من التطور الذى مر بمراحل صناعة المنسوجات اليمنية ، فضلا من العثور على لفائف من الجلود الجيدة والمتداخلة مع لفائف الكتان . [1]

لقد أشارت النقوش اليمنية القديمة ، بخط المُسند ، إلى أهمية صناعة المنسوجات اليمنية ، حيث ورد أن ملوك اليمن فى عصور ما قبل الاسلام أنشأوا دورا للنسيج ، كانت تدر عليهم ، دخلا كبيرا من المال ، وكان كثيرا ما يتم تصدير المنسوجات اليمنية إلى خارج اليمن . [2] وكان لكثير من المدن والقرى اليمنية شهرة فائقة فى انتاج أنواع معينة من المنسوجات كصنعاء والعدنية وسحول وغيرها . [3] وتميزت البرود اليمانية بشهرة عالمية كبيرة ، إذ ذاع صيتها فى شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فضلا عن الحلل اليمنية والثياب السعيدية بصنعاء

---

(١) شاركت فى هذه الحفائر عام ١٩٨٣ ضمن فريق الحفر الاثرى بقسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء
أنظر : مجلة الدراسات اليمنية ، العدد ١٦ / ١٩٨٤ ، صنعاء ، ص ١٠٥ - ١١٨

(٢) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعه الثانية ، بغداد ١٩٧٨ جـ ٥ ، ص ٢٦١

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب فى العصر الجاهلى ، بيروت ١٩٧٠ ص ١٢٠ .

واختصت سحولا والجريب بالبرود أيضا والشروب وهى منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل فى لُحمتها خيوط الذهب ، كما إختصت عدن أيضا بصناعتها [1] .

والبرود نوع من الأقمشة ، غالبا ما تكون من مادة الكتان ، المصبوغ بأصباغ يمنية محلية ، خاصة ما يعرف منها باسم « الورس » ، وهو نبات يعطى صُفرة فاقعة ، وكان الورس من الأصباغ النادرة التى يتم تصديرها من اليمن إلى بعض البلاد الأخرى لاستخدامها فى الصباغة [2] . هذا فضلا عن أنواع أخرى عديدة من المنسوجات اليمنية ، لا يتسع المقام لذكرها بالتفصيل [3]

كذلك تغنى الشعراء بالمنسوجات اليمينية ومدُن إنتاجها من ذلك قول طرفه :

وبــالسفــح آيـــات كـــأن رســومهـــا   يمـــان وشتهـــا ريـــدة [4] وسحـــول [5]

هذا وقد عرف فى بلاد اليمن كل أنواع المواد الخام اللازمة لصناعة النسيج منها شعر الماعز والصوف من الضأن والقطن والحرير والكتان والوشى (من كل لون) وغير ، فضلا عن أدوات الصناعة وأساليبها [6] .

ولعل ما يؤكد أيضا جودة صناعة المنسوجات اليمنية ما ورد فى كتاب جلستان للشاعر الايرانى سعدى ، عن رحلة تاجر ماهر ، قام برحلة تجارية ، يكسب من ورائها ، يشترى فيها من كل بلد أجود ما فيه ، ثم يبيعه فى البلد الآخر ويأخذ منه أشهر ما فيه ، فيذكر « أُريد أن أحمل الكبريت من إيران إلى الصين ، ومن هناك آخذ الخزف الصينى إلى بلاد الروم ، ثم أحمل الديباج الرومى إلى الهند والفولاذ الهندى إلى حلب وآخذ الزجاج الحلبى إلى اليمن والأقمشة اليمنية إلى إيران » [7] .

على أنه رغم هذه الشهرة الكبيرة فى صناعة المنسوجات اليمنية ، فإنه للأسف الشديد أن المتاحف اليمنية لا تحتفظ بقطعه حاليا من المنسوجات الاسلامية القديمة ، وما هو معروف

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٠

(٢) يوسف محمد عبدالله : اللبان والعقيق والجنبية ، ص ٧٤ (تحت الطبع - وزارة الاعلام والثقافة فى اليمن) .

(٣) أنظر : واضح الصد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٣ - ١٠٠

(٤) ريدة ، هى ريده الصيمر من البلاد اليمنية .

(٥) سحول ، بلد يقع بين إب جنوبا وَقفر يريم شمالا باليمن .

(٦) واضح الصد : المصدر السابق ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٧) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٨٢ .

من المنسوجات اليمنية ، محفوظ خارج متاحف اليمن ، منها بعض قطع النسيج المحفوظة بمتحفى الفن الاسلامى بالقاهرة ومتحف قسم الآثار بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ونذكر فيما يلى بيان بقطع المنسوجات اليمنية المحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة : [1]

مسلسل	رقم السجل	الوصف	المصدر
١	٩٠٥٣	قطعة من نسيج مصبوغ ، عليها سطر من الكتابة ، مطرز بخيوط بيضاء باسم الخليفة المقتدر بالله ، صُنعت فى طراز الخاصه بصنعاء ٣٣١ هـ (٩٠ سم × ٢٤ سم)	مشتراه من المسيوتانو فى ١٥ / ٢ / ١٩٣٠
٢	٩٢٦٦	قطعة من نسيج مصبوغة بألوان مختلفة ، بنى وأزرق وأبيض ، عليها سطر بالخط الكوفى ، المطرز بخيوط بيضاء ... الأمام الملك أمير المؤمنين ، (٤١ سم × ٣٨ سم)	مشتراه من المسيوتانو فى ١٧ / ١٢ / ١٩٣٠
٣	٩٤٦٤	قطعة من نسيج لونها أصفر فاقع ، عليها أشكال معينات محددة بخيوط رفيعة بيضاء ، داخلها معينات صغيرة مطرزة بالأصفر ، عليها سطر من الكتابة ، مطرز بخيوط بيضاء يقرأ . « بسم الله الرحمن الرحيم بركه من الله لعبد الله ابن أحمد الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين »	مشتراه من المسيوتانو فى ١٧ / ١٢ / ١٩٣٠
٤	١٠٣٧٨	قطعة من نسيج مصبوغ بالألوان المختلفة من أصفر وأزرق وأبيض ، على شكل نقط وخطوط مستقيمة ومتعرجة	عثر عليها فى عين الصيرة فى ١٥ / ٨ / ١٩٣٠

(١) أتقدم بالشكر للأستاذ فاروق عسكر وكيل متحف الفن الاسلامى بالقاهرة والخبير حاليا بالمتحف الوطنى بصنعاء لتقديمة هذه القائمة

المصدر	الوصف	رقم السجل	مسلسل
مشتراه من تانو في ١٤ / ٤ / ١٩٣٦	قطعه من نسيج يمنى مُقلم باللون السمنىَ ، على أرضية بيضاء ، عليها كتابة كوفية بالخيط الأبيض المطرز باسم الامام عبدالله أبى العباس المعتضد بالله مؤرخة بسنة « أربع وثمانين ومايتين » ، (٧٠ سم × ٣٠ سم)	١٣٢٢٤	٥
عثر عليها بالفسطاط في ٢٧ / ٣ / ١٩٣٧	قطعة من النسيج اليمنى ، مصبوغة بلون بنى ، عليها خطوط زرقاء متقاطعة وسطر من الكتابه الكوفية ، المطرزة بالخيط الأبيض باسم الامام المعتمد على الله أمير المؤمنن « مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بصنعا سنة ست وستين ومايتين » ، (٥٠سم × ٢٠ سم)	١٣٦٦٦	٦
عثر عليها فى الفسطاط في ١٢ / ٦ / ١٩٣٨	قطعة نسيج يمنى مصبوغة ، عليها بقايا من سطر كتابة ، بالخيوط البيضاء يقرأ منه « مما عمل فى طراز صنعا سنة اثنين وثمانين ومايتين » ، (٤٠ سم × ٢٢ سم)	١٤٠٣٠	٧
مشتراه من مسيوتانو في ١٤ / ٩ / ١٩٣٩	قطعة نسيج يمنى ، مصبوغة ، يتوسطها حروف من الكتابة مطبوعة بماء الذهب بداخلها كتابة كوفية ، (٤٤ سم × ٢٦)	١٤٤٧٠	٨
كانت محفوظة بمخازن المتحف وسُجلت في ١٧ / ٣ / ١٩٦٢	قطعة من نسيج يمنى ، بخطوط لونها بنى ، على أرضية بيضاء ، عليها سطر من الكتابه الكوفية ، المطرزة بلون بنى فاتح » ... ير المؤمنين اكرمه الله مما عمل فى طراز صنعا سنة خمس وثمانين وما .... » ، (٢١ سم × ١٧ سم)	٢٢٥١٧	٩

فن الكتاب : إزدهرت الحركة العلمية فى اليمن خلال العصور الاسلامية ، ويشهد على ذلك العدد الكبير والذى يفوق الوصف من المخطوطات اليمنية التى كتبت فى فترات مختلفة من العلوم الدينيه والأخرى الدنيوية ، وقد شملت هذه المخطوطات معظم فنون العلم والمعرفة . والواقع أن نظرة سريعة واحدة على فهارس المخطوطات المحفوظه فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء كافيه لتوضيح الثراء العلمى والدينى فى بلاد اليمن ، وقد شهدت القرون المتتاليه علماء وفقهاء ومؤرخين وغيرهم ، ولاتزال مكتبات العالم تحتفظ بكثير من مؤلفاتهم المخطوطة . [1] هذا فضلا عما يحتفظ به الأفراد فى اليمن من مخطوطات كثيرة متوارثه ، بالغة الأهمية ، وجميع ذلك يؤكد ذلك الثراء الدينى والعلمى الذى تمتعت به اليمن خلال العصور الاسلامية المتلاحقة ، فى فنون عديدة .

لقد كان للخط العربى فى اليمن دور بالغ الأهمية فى المخطوطات الاسلامية اليمنية ، حيث أستخدم فى كتاباتها كل أنواع الخطوط العربية المعروفة فى الفن الاسلامى ، وحقا فإن بلاد اليمن وعلى ضوء ما اطلعنا عليه من أنواع عديدة من الكتابات فإنه يمكن القول بأنها ضربت بسهم وافر فى هذا المجال ، ولدينا أمثلة متنوعة كثيرة فى اليمن بجانب كتابة المصاحف والمخطوطات ، كالحفر على مواد الحجر والرخام [1] وعلى جدران ومحاريب وقباب وواجهات العمائر الدينيه والمدنيه وبكل أنواع الخطوط العربيه المعروفة فى بلاد العالم الاسلامى .

كذلك نعتقد بوجود مدرسة محلية عربية للتصوير الاسلامى فى اليمن ، وذلك اعتمادا على نسخة من مقامات الحريرى محفوظة فى مكتبه الجامع الكبير بصنعاء ، بها تصاوير عديدة ، وأيضا فى وجود مجموعات كبيرة من الأوراق التى توجد عليها رسوم كثيره .

---

(١) أنظر أيمن فؤاد السيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٤ ، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقيه .

وأنظر أيضاً : عبدالله الحبشى : مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ، نشر مركز الدراسات اليمنيه ، وأيضا : مراجع تاريخ اليمن ، دمشق ١٩٧٢

وأيضاً : حسين بن عبدالله العمرى : مصادر التراث اليمنى فى المتحف البريطانى ، دمشق ١٩٨٠ .

(١) أنظر : مصطفى عبدالله شيحه : شواهد قبور اسلامية من جبانة صعدة باليمن - جزءان (تحت الطبع) .

وأيضاً مصطفى عبدالله شيحه : دراسه أثرية لشواهد قبور اسلامية محفوظة بقسم الأثار بكلية الأداب ، جامعة صنعاء ، القاهرة ١٩٨٤

والحق أنه تبع الأنتاج العلمى الغزير فى اليمن مواد وأدوات الكتابة من ورق ومداد ومحابر ، فضلا عن التجليد وفق الطرز الاسلامية المعروفة فى فن التجليد .

الزجاج اليمنى

الواقع أنه يصعب حاليا تكوين فكرة عامة عن صناعة الزجاج وزخرفته فى اليمن خلال العصر الاسلامى ، نظرا لعدم وجود مجموعة من التحف الزجاجيه التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة علميه ، رغم وجود بعض القوارير والقنينات بالمتحف الوطنى بصنعاء ، وهى مشابهه لمثيلاتها بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة حيث تؤرخ بالقرون الثلاثه الأولى للهجره ، من حيث شكلها العام ، إلا أن هذه القوارير والقنينات معروضة ، وعليها طبقه الكمخ ، والتى يتعذر معها حاليا ، معرفة إذا كانت تحتوى على زخارف من عدمه أو كتابات . هذا ويشاهد على سطح بعض المواقع الأثرية فى اليمن قطع صغيرة من الزجاج ، على بعضها عناصر زخرفية مختلفه ، بعضها يمكن تأريخه فيما قبل القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها فى تكوين فكرة عامة عن الزجاج اليمنى ، خلال العصر الاسلامى .

الفصـل الأول

المعــادن

إشتهرت بلاد اليمن منذ القدم بوفرة المناجم التى تستخرج منها المعادن المختلفه ، كالذهب والفضة والحديد والرصاص وغيره وذلك فى مناطق عديدة من جبال اليمن ، وقد أشار القرآن الكريم ، الى معرفة سكان شبه الجزيرة العربية بالمعادن وصناعة التعدين والاشتغال بها [1] . كذلك أشار كثير من المؤرخين إلى المناجم العديدة فى اليمن وأهميتها فى صناعة ، بعض الأدوات المعدنية المعينه عن الأخرى ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤرخين ، الهمدانى فى كتابيه الإكليل وصفة جزيرة العرب ، منها ما يوجد فى جبل خولان من معدنى الذهب والفضة ، وفى مدن إب وبنى غصين والرضراض وفى نهم عدة مناجم للمعادن يُستخلص منها الحديد ، وكذلك فى جبل نقم المطل على صنعاء ، إضافة إلى مناجم أخرى عديدة ، تستخلص منها معادن أخرى مختلفه ، كجوهر الزمرد والياقوت وغيره .

هذا وتشتهر منطقة مأرب بوجود المعادن بها ، خاصة حول السد القديم ، كما توجد معادن الرصاص الأسود فى بلاد برط والمعافر من اليمن الأعلى والأسفل . [2] أشار المؤرخ الهمدانى أيضا ، إلى نوع من المعادن ، عُرف بإسم الشزب ، كان يصنع من ألواح وصفائح وقوائم وسيوف ونُصل سكاكين ، [3] ، كما تعددت الأسماء أو المصطلحات ، التى كانت تطلق على المعدن الواحد ، لتمييز درجة جودته ، وربما اللون فيه أيضا ، فكان يُطلق على الفضه على سبيل المثال : اللجين ، الصريف ، الرضراض ، الوذيلة .

على أنه يبدو أن استخراج المعادن من جبال اليمن ، كان يتركز بصفة رئيسية قبل العصر الاسلامى حول منطقة سبأ ، والمناطق المجاورة لها ، وكان لأهل منطقة صعدة فى اليمن وسائل جيدة فى استخلاص خامات الحديد وصهره وإعادة سبكه ، وذلك فى الجبال

---

(١) أنظر الآيات القرآنية الكريمة التاليه : سورة الكهف : الآية ٩٦ ، سورة الحج ، الآيه ٢١ ، سورة سبأ ، الآيه ١٠ ، سورة الاسراء ، الآيه ٥٠ ، سورة الرعد ، الآيه ١٧ .

(٢) الهمدانى : صفه جزيرة العرب ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، الهمدانى ، الاكليل : ص ٣٠ - ٣١ .
العرشى : بلوغ المرام ، ص ١٦٠ - ١٦٥

(٣) الهمدانى : صفه جزيرة العرب ، ص ٣٢٢ ، العرشى ، بلوغ المرام ، ص ١٦٢

المحيطه بالمدينه (صعدة) ، فقد عثر على أدوات وأفران أُستخدمت لصهر المعادن ، خاصة الحديد وتخليصه من الشوائب العالقه به ، كما ورد أيضا ذكر كثير من هذه الأدوات فى أشعار العرب . [1]

تأتى صناعة السلاح فى مقدمة أنواع الصناعات المعدنية فى اليمن ، وفى مقدمتها أيضا صناعة السيف ، إذ ذاعت شهرة بلاد اليمن ، حتى عمت شبه الجزيرة العربيه وخارجها ، رغم توافر نفس الصناعة فى أماكن أخرى بشبه الجزيرة العربية . لقد ذاعت شهرة سيوف يمنية كثيره ، نُسبت إلى البلاد التى صنعت فيها ، كالسيوف المشرفية والقلعية والاريحية ، واليرعشيه نسبة إلى الملك شمر يرعش ، والسيف المعروف بالصمصامه وهو سيف عمرو بن معد يكرب .. ولقد كان لشهرة السيف اليمانى أيضا مواصفات خاصة من جودة وصلابة وليونة ، وقيل فيه كثير من الأشعار ، كما أُطلقت عليه نعوت خاصة [2] ، ويذكر الكندى عن السيف اليمانى قوله أنه يأتى فى مقدمة أنواع السيوف العتيقة ، ويصفها بقوله « جوهرها [3] مستطيل معرج متساوى العقد [4] » وعن السيوف التى طَبعت باليمن يحددها بقوله : « فيها أربع قدود » [5] ، كما أن من العلامات المميزة للسيوف اليمانية العتيقة قبل الاسلام وجود ثقبين فى سنبل السيلان يكون فيه ثقب السنبل من إحدى وجهتيه أوسع من الوجهة الأخرى ، أو الواجهتان متساويتان ووسطه أضيق [6] » والواقع أن السيوف اليمنية العتيقة ، والتى شبهها الكندى بالفرس العتيق المراد به التكريم « فمالحقته خواص الكريم فهو عتيق فى أى دهر صنع » [7] ، تميزت بعدة مميزات هامة ، جعلت منها السيوف التى تصدر من اليمن إلى شبه الجزيرة العربيه ، وغيرها من بلاد العالم ، ولعل من أهم المميزات

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف ، ص ١١١ - ١١٩

(٢) نبيل عبد العزيز : خزانة السلاح لمؤلف مجهول ، مكتبه الأنجلو المصريه ، ١٩٧٨ ، ص ، ٢٤ .

(٣) جوهر السيف أو فرنده : عبارة عن تموجات تظهر على صفحات النصال بأشكال مختلفة ، منها ماهو على شكل عقد متلاصقة متقاربة ، وبها خانات تبدو على أشكال الفولاذ ، ومنها ماهو على شكل هندسى متراكب فوق بعضه ، وللجوهر أربعة أنواع مشهورة ، هى الدمشقى والايرانى والهندى والأرناؤدى ، ولكل نوع منهم ميزة خاصة »

أنظر : عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الاسلامى ، مطبعه دار الكتاب العربى ، مصر ، ص ١٦٦

(٤) الكندى : السيوف وأجناسها ، تحقيق عبد الرحمن زكى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٤ ، جـ ٢ ، ص ٧

(٥) المصدر السابق ، ص ١٦

(٦) المصدر السابق ، ص ١٦

(٧) الكندى : المصدر السابق ، ص ٧

الصناعية فى السيف اليمانى ما يعرف بالشهادست والداست على نصله ، والشهادست » عبارة عن وجود شطب على نصل السيف ، مكون من زوايا مربعة داخل الشطب نفسه بحيث تبدو متساوية على وجه النصل [1] وأما الداست : « فيعنى وجود شطب واحد فى الوسط واثنين فى الشفرتين [2] .

لقد وصِفت السيوف اليمنية فى أشعار العرب بكثرة وأُشيد بها ، بل وتفاخروا ببعض منها مما نُسب إلى بلاد يمنية معينة [3] ، بنوعيها المستقيم والمنثنى . وتعد السيوف المستقيمة ، من أقدم الأسلحة التى سادت فى الحضارات القديمة ، ويرجح بداية نشأتها فى آسيا ، قبل معرفة السيف المقوس ، وتنقسم السيوف المستقيمة فى العصر الاسلامى إلى نوعين الأول : سيوف مستقيمة ذات حد واحد ، والثانى سيوف مستقيمة ذات حدين وهى الأكثر استعمالا وشيوعا[4] . أما السيوف المقوسة أو المنثنيه ، فإنه يصعب تحديد وقت نشأتها ومكانها ، وإن كان هناك احتمال تطورها عن المدى المصنوعة من البرونز ، عند بعض الشعوب القديمة ، والمقصود من وراء تقوس النصل فى السيف ، هو الحصول على قوة اكثر فى القطع ، خاصة فى استعمال هذه السيوف على ظهور الجياد .

من المعروف وجود عدة أنواع من السيوف **المقوسة كالشمشير** ، الذى يتميز بسمكه وضيق نصله واحتوائه على حد واحد وببساطة مقبضه وخفته ، وتكون واقيته عادة صليبية الشكل ، ومن أنواع السيوف المقوسة أيضا **القليج** ، وهو طراز من النصال ، يتحول فيه الظهر أو ينتقل من نصل ذو حد واحد ، قبيل الطرف ، الى حدين بزاوية واضحة ، وقد إنتقل هذا الطراز إلى إيران ومنها إلى مصر وغيرها من البلاد ، وهناك نوع ثالث يعرف

---

(١) المصدر السابق ، ص ، ١٦

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦

(٣) مما قيل فى السيف اليمنى :

	فـــــإذا سللتـــــــه بهر الشمس	ضيـــــــاء فلم تكــــــــد تستبين
	وكــــأن الفرنــــد والرونـــق	الجـــارى فى صفحتـــه مـــاء معين
وأيضا :	بـــأيمر من رمـــاح الخـــط لـــدن	وأبيض صـــــارم ذكر يمــــــانى
وأيضا :	كـــأنهم أسيف بيض يمـــانيـــه	غضب مضـــاربهـــا بـــاق بهـــا الأثر
وأيضا :	أيقتلنى والمشرفى مضـــــــاجعى	ومسنونـــة زرق كـــأنيـــاب أغـــوال

أنظر : النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، حـ ٦ (نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب المصريه) ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤

وأيضا : واضح الصمد : الصناعات والحرف ، ص ١١٤ - ١٣٢

(٤) عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٢٣

باليتاغان ، يتميز بقلة تقوسه وله نصل واحد مزدوج الأنحناء ، ويتفق فيه إنحناء خط النصل ، مع حركة معصم اليد أثناء الطعن ، وقد ذاع هذا النوع فى تركيا . [1]

يحتفظ المتحف الوطنى فى صنعاء بعد كبير من السيوف ، مستقيمة ومنثنية ، درسنا بعض أنواعها فيما سبق [2] ، ونذكر منها بايجار فى هذا الكتاب **سيفين جديدين : لوحة ٦٤**

السيف رقم (١) [3] لوحة ٦٤ / أ ، ب ، جـ

سيف مقوس من طراز القليج طوله (٨٦ سم) ، له مقبض مصنوع من خشب الأبنوس ، مغطى برصائع فضية ممتدة على قائم المقبض (القتير) ، على شكل دوائر ومعينات من الوجهين ، وتمتد حتى نهاية قائم المقبض ، حيث توجد مجموعة من الأسلاك الفضية (طولها ٤ سم) ، ويلاحظ وجود شريط ضيق من الفضة ، على متن المقبض ، مزخرف بتهشيرات هندسية بارزة . للسيف واقية صليبيه الشكل (١٨ سم × ٨,٩ سم) ، تكسوها طبقه من الفضة ، وتزخرف جهة الحواف بأوراق نباتية رمحية . أما نصل السهف فمصنوع من الفولاذ ، وينتهى بإلتواء عريض حاد يستمر حتى نهاية طرفه المدبب .

يتميز هذا السيف بوجود زخارف مذهبة بأسلوب « التزميك [4] » ، تبدأ من بداية وجه ومتن النصل ، وتشتمل على زخارف نباتية وهندسية ، وبعض الكتابات ، التى أصابها التلف إلى حد كبير . تبدأ هذه الزخارف من أعلى بزخرفة على هيئة المحراب ، الذى ينتهى إلى أسفل بشكل العقد المفصص المتدرج ، حيث يتصل بمنطقة أخرى زخرفية مُذهبه مستطيلة الشكل تنتهى فى أسفلها وأعلاها أيضاً ، بشكل العقد المفصص السابق ، تليها منطقة زخرفية ثالثة مُذهبة أيضا بها كتابات بخط بسيط ، كما يلاحظ وجود نفس طابع الزخارف المذهبة على حواف نصل السيف .

---

(١) أنظر : عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٤٩ - ١٥٤

(٢) أنظر : مصطفى عبدالله شيحه : دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمانيه معاصرة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٦ - ٢٥ ، لوحه ٩ - ٢٣ والأشكال ٧ - ١٢ .

(٣) « بدون رقم فى المتحف »

(٤) أنظر : الحسين عبد الله الشمرى : السيف العربى ، مجلة التراث الشعبى ، العدد الثامن ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ ، وزارة الاعلام العراقية ، ص ٣١ ، عبد الرحمن زكى : السيف ، ص ١٨٤

والواقع أن العناصر الزخرفية القائمة على نصل هذا السيف ، قوامها العناصر النباتية والهندسية ، خاصة التفريعات النباتية والأوراق الثلاثية والخماسية [1] ، وتمتاز المنطقه الوسطى باحتوائها على شكل نجمى من ستة رؤوس ، يتوسطه عنصر زخرفى دقيق أشبه بالترس شكل ١٧ / أ ، أما الكتابات التى توجد على وجه ومتن هذا السيف فهى تقرأ على الوجه ربما « لا اله الا الله » وأسفلها « توكيت على الله » وعلى المتن « نصر من الله وفتح قريب ... المؤمنين ... الحمدلله » .

على أن الزخارف المذهبة على نصل هذا السيف ، لا يقتصر على المناطق السابقة الاشارة إليها ، وانما تمتد أيضا جهة التواء حد السيف ، حيث توجد وحدات نباتية مذهبة على شكل وريدة تحيط بها زهرة متكررة بالاضافة إلى الأوراق النباتية الثلاثية **شكل ١٧ / ب** ، ولهذا السيف غلاف مصنوع من مادة الخشب المصفح بالمعدن ، ويحتوى هذا الغلاف ، على زخرف محزوزة بارزة لعناصر نباتية وهندسية دقيقة .

يرجع هذا السيف على الأرجح إلى تاريخ مجموعة السيوف الموجودة بالمتحف الوطنى بصنعاء والتى درسنا بعضا منها ، نظرا لوضوح الأسلوب الزخرفى للعناصر الزخرفية والهندسية ، والتى تنتمى جميعها ، إلى طراز الزخارف فى العصر العثمانى [2] ، خاصة الطرازين الهاتاى Hatayi والرومى [3] .

السيف رقم (٢) لوحة ٦٥ / ا

سيف مقوس طوله (٨٣ سم) ، مقبضه على هيئة رأس الثعبان مفتوح الفم ، تحيطه زخرفة هندسية محزوزه من الفضة ، يبلغ طول المقبض (١٣ سم) ، وحوافه مزخرفة بأشكال من المعينات ، بداخلها دوائر صغيرة ، ويلاحظ وجود قطعه على شكل العملة (الذهبية) مثبتة جهة رأس قائم السيف وأخرى وسط الواقية . ينتهى قائم السيف بالواقية ، صليبية الشكل (٨ سم × ٨ سم) ، تتوسطها القطعة المذهبة المستديرة وتحيطها زخرفة نباتية فى الجهات الأربعة على هيئة المروحة النخيلية وكذلك أعلى الواقية وأسفلها ، شكل ١٧ / جـ

---

(١) أنظر : فريد شافعى : طرز سامرا ، ص ١٠ - ١٤، وفريد شافعى أيضا : مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٦ ، جـ ١ ، ١٩٥٤ ، ص ٦٨

(٢) أنظر : مصطفى شيحه : المصدر السابق ، ص ٢٥

(٣) أنظر : سعاد ماهر محمد : الخزف التركى ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٦٥ - ٦٦

أما نصل السيف فمن مادة الفولاذ (طوله ٧٠ سم) ويظهر على بداية وجه ومتن النصل كتابه بسيطه تقرأ على الوجه ، « نصر من الله وفتح قريب » داخل إطار مستطيل مساحته (٤,٥ سم × ٣,٢ سم) فى ثلاثة سطور . على المتن يقرأ فى أربعة سطور : « برسم السلطان على بن أحمد [١] » . وللسيف غلاف من الخشب المصفح بمعدن الفضة ، عليه زخارف نباتية هندسية وبارزة . ويمكن نسبه هذا السيف إلى مجموعة السيوف السابق الاشارة إليها .

والواقع أن المتحف الوطنى بصنعاء ، يحتفظ ضمن قاعاته بالطابق الثانى ، بقاعة كاملة للسيوف المقوسة والمستقيمة ذات الطرز والأنواع والأشكال المختلفة والمزدانه بزخارف عديدة ، وكثير منها من صناعة اليمن [٢] . وتتميز قوائم هذه السيوف المعروضة بالمتحف ، بوفرة الزخارف النباتية والهندسية المحفورة حفرا بارزا وغائرا عليها ، خاصة أشكال الورود والأوراق الرمحية والنصلية والزخارف الهندسية المتنوعة هذا فضلا عن مجموعة أخرى من السيوف تحتوى على كتابات بحروف أجنبية على نصالها ، ربما تكون من صناعة اليمن أيضا ، أو عن طريق الاهداء من خارج اليمن ، كما تمتاز أيضا مجموعة أغلفة السيوف بالمتحف بوجود زخارف عديدة عليها نباتية وهندسية ، لوحة ٦٥ / ب ، جـ ، د بالاضافة إلى كثير من علامات المصانع الخاصة بالسيوف ، لاسيما أشكال الأهلة والنجوم وسعف النخيل .

على أنه يوجد بين مقتنيات المتحف الوطنى بصنعاء بعض أدوات القتال التى ترجع إلى فترة متأخرة اعتبارا من القرن العاشر الهجرى / ١٦ م ، تضم خوذات ودروع وجنابى وبنادق ومسدسات ، وغيرها من أدوات القتال ومعظمها متأثر فى طرازه الفنى والزخرفى بالتأثيرات الايرانية والتركية منها .

درع [٣] فى حالة جيده من الحفظ ومصنوع من الحديد ، **(لوحة ٦٦)** ، قطره ٤٢,٥ سم ، يتوسطه وجه آدمى بارز ، تحيطه بتماثل تام ، أجزاء صغيرة بارزة من الحديد أيضا ، ذات أهمية حربية فى استخدام الدرع ، على شكل هلال فى الجانبين ومن أعلى وأسفل على شكل درعين صغيرين بارزين ، على هيئة زخارف من أشكال الوريدات الرباعية داخل دوائر ومعينات صغيرة .

---

(١) لم أستطع حاليا الاستدلال على السلطان المقصود بهذا الاسم ، وبالتالى يمكن تأريخ هذا السيف على وجه الدقه .

(٢) مصطفى شيحه : المصدر السابق ، ص ١٦ – ١٩

(٣) رقم السجل بالمتحف : ٧٨٥

هذا ويحيط بوجه الأدمى وسط الدرع أربع مناطق زخرفية محزوزة ، على هيئة البخاريات ، بداخل ثلاث منها رسوم لفرسان مُذهبة ، أحدهما يرفع بيده سيفا مقوسا ، ويتمنطق بحربة فى خصره ، والثانى ، يقبض بيمناه على حربة طويلة والثالث ، يمسك فى يُمناه بباز ، ويقبض بيسراه على كلب صغير ، أما البخارية الرابعة فيشغل مساحتها الرئيسية أسفل وجه الآدمى حفر للبؤة ، داخل منطقة على شكل جامة بيضاوية الشكل ، تمسك برجلها اليمنى بسيف مقوس مرفوع إلى أعلى ، ويظهر على ظهرها نصف قرص الشمس كرمز للقوة الساطعة .

تتركز زخرفة هذا الدرع الرئيسية جهة الحافة ، التى يستدير حولها شريط سميك من الزخارف البارزه على مهاد من الزخارف النباتية والهندسية ، قوامها ثمانى وحدات زخرفية ، بها كتابات فارسية ، ومناظر لفرسان على جيادهم ، فى أوضاع مختلفة من مناظر الصيد ، بعضهم يطعنون بحرابهم بعض الحيوانات ، كما تظهر مناظر أيضا لبعض الحيوانات المفترسة ، وهى تهاجم بعض الحيوانات الأليفة ، وتشاهد كلاب الصيد ، ضمن الزخارف فى تنوع زخرفى على حافة الدرع .

والواقع أن أشكال الوجوه الآدمية ، تذكرنا بمثيلاتها فى تصاوير المخطوطات الصفوية ، حيث يبدو تشابه ملامح الوجوه وأشكالها وأغطية الرؤوس والثياب بينهما [١] ، مما يجعلنا نرجح نسبة هذا الدرع إلى القرن العاشر الهجرى / ١٦ م .

شمعدان من النحاس المكفت بالفضة [٢] ، لوحة ٦٧ : (ارتفاعه ٢٤,٥ سم) ، وقطر قاعدته (٢٢,٦ سم) : يزدان هذا الشُمعدان بالزخارف النباتية والهندسية ، فضلا عن احتوائه على نص كتابى على رقبته وبدنه . تتكون رقبة [٣] الشمعدان من جزءئين ، حيث يزحزف الجزء الأول « بيت الشمعة » ، من الخارج شريط دائرى ، بداخله تفريعات نباتية ، وأوراق نباتية محورة عن الطبيعة ، ويتوسط الرقبة شريط رئيسى من الكتابة بالخط النسخى يقرأ : « المقر العالى المالكى العالمى » ، على مهاد بسيط من الزخرفة النباتية والهندسية ،

---

(١)

Schultz, w : Die Persisch- Islamische Miniaturmauerei, Lei Pzig, Tafel, 139, 141, 136.

Blochet, E, Les enlamues des Manusurits orientaux, Planches, Lxx, Lxxi, Lxxxi.

(٢) رقم السجل الفرعى بالمتحف (١٧) .

(٣) ارتفاع رقبة الشمعدان (١٢,٥ سم)

ويلاحظ آثار تكفيت واضحة فى حروف النص بالفضة ، على أرضية سوداء من مادة « النيللو » ، ويكتنف الشريط السابق من أعلى وأسفل ، شريط دائرى آخر ، به زخارف هندسية ، على هيئة العقود الصغيرة المدببة والمتماسة . أما بدن الشمعدان ، **لوحة ٦٨** ، فيدور حوله شريط عريض بداخله كتابة نسخية تقرأ « المقر العالى المالكى الاجلى العالمى العاملى الغازى المالكى الملكى» **لوحة ٦٩**

يتخلل هذا النص الكتابى ثلاث دوائر كبيرة ، تفصل على التوالى بين كل ثلاث كلمات من النص ، وتتوسط كل منها دائرة صغيرة ، بداخلها ورده مروحية الشكل ، مكونة من ست بتلات ، وتوجد زخرفة أشبه « بالترصيع » ، بين الدائرتين ، من أشكال هندسية ، على شكل معينات صغيرة وأشكال خماسية وسداسية ، كما يحيط بهذا الشريط الزخرفى ، من أعلى شريط آخر بداخله ، زخارف محزوزة حزا عميقا ، على شكل معينات صغيرة ، تفصلها دوائر صغيرة أيضا ، وشريط آخر من أسفل ، بداخله تفريعات نباتية وأوراق نباتية محزوزة حزا عميقا . هذا ويلاحظ على قاعدة هذا الشمعدان من أسفل زخرفة لطائر أشبه بالبط مكررة حول القاعدة (عددها خمسة عشرة بطة) ويزخرف قرض بدن هذا الشمعدان من أعلى شريطان دائرايان من التفريعات النباتية والأوراق والثمار والوريدات المروحية الشكل .

ويعد هذا الشمعدان هو الوحيد من نوعه ، الذى يحتفظ به المتحف الوطنى بصنعاء ، ويتضح من النص الكتابى على رقبته وبدنه ، أنه صُنع لأحد الأمراء أو السلاطين أو كبار رجال الدولة باليمن . على أننا نعتقد أيضا بأن هذا الشمعدان قد يكون ضمن المصنوعات المعدنية اليمنية ، وليس من مجموعة التحف المعدنية التى صنعت فى القاهرة للدولة الرسوليه ، إذن أن مستوى زخارفة ، يقل كثيرا عن المستوى الجيد للشماعد المنسوبه إلى مصر أو الشام ، خلال العصر المملوكى [١] ، وان كان قد جمع فى عناصره الزخرفية بين العناصر النباتية المتعددة وكذلك الزخارف الهندسية ، فضلا عن رسوم البط التى ذاعت على التحف المعدنية ، خاصة فى عصر الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى / ١٤ م [٢] ، وخلاصة القول أنه يمكن اعتباره تقليدا لنماذج الشماعد المموكية فى مصر أو ربما فى العراق أو إيران [٣] . على أنه من المعروف وجود صلات فنية وثيقة بين مصر واليمن ،

(١) أنظر : Wiet, g: Catalogue Général du musée Arabe du caire, Objets en cuivre, Le Caire, 1984, pl, xxvii, xxix, xxx, xxxi, xxxii, xxxiii, xxx/x

وأنظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٥٦ - ٥٥٨ .

(٢) ديماند : الفنون الاسلامية ،ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٥٧

(٣) أنظر : زكى محمد حسن : الأطلس : الأشكال أرقام ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

خاصة خلال العصر الرسولى والمملوكى ، وقد إنعكست هذه العلاقة بوجه خاص فى مجال الفنون الزخرفية على التحف المعدنية ، حيث كان يشتغل بعض صناع المعادن فى مصر لحساب الدولة الرسولية فى اليمن ، وكثيرا ما كان يتم استيراد الأوانى المعدنية من مصر إلى اليمن ، فضلا عن قدوم الصناع إلى بلاد اليمن [١] . هذا ويحتفظ المتحف الوطنى بصنعاء بمجموعة من الاوانى المعدنية ، تمثل فى طرازها العام الفنى تلك العلاقة ، نشير إلى بعضها بايجاز :

دست من النحاس الاصفر [٢] **:** قطر الفوهة ٥٠ سم وارتفاعه ٢٠ سم : يستدير حوله من الخارج كتابات نسخية ، على مهاد من الخطوط المنحنية ، ويفصل الكتابات ست مناطق دائرية ، تحتوى ثلاث منها على كتابات والباقية على زخارف هندسية ، على مهاد من الخطوط المنحنية ، ومما يقرأ من النص على هذا الاناء « مما عمل برسم الجناب العالى الأميرى الكبيرى المالكى المخدومى الهمامى السندى الجليسى السنى الشهابى شهاب الدين أحمد بن الجناب العالى الاميرى الكبيرى المالكى المجدى الهمامى السندى السيفى الحسنى السنى خاير الدين خالد .... بن الحاحا يزيد (زبيد) طهره الله تعالى » . وقد كتب هذا النص بحروف بارزة على أرضية من الخطوط الهندسية المائلة ، **لوحة ٧٠** ، ويُحتمل ارجاع هذه القطعة المعدنية بصفة مبدئية إلى القرن الثامن الهجرى / ١٤م ، اعتمادا على أسلوب الكتابة فيها وكذلك الألقاب الواردة عليها التى سادت التحف المعدنية فى العصر المملوكى [٣] .

دست من النحاس الاصفر [٤] **(قطر الفتحة ٤١,٥ سم وارتفاعه ١٩ سم)** ، يتميز أيضا بوجود شريط من الكتابة النسخية حول البدن من الخارج على مهاد من الزخارف النباتية من

---

(1) Dimand, M; Un Published Metalwork Of The Rasulid Sultans Of yemen, Metroplitan Museum Studies, Vol, III, 1930, P.P. 229-237.

وأنظر أيضا : ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ١٥٧ ، زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٦٠ - ٥٦٢ ، تاريخ الدولة الرسولية لمولف مجهول : تحقيق عبد الله الحبشى ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، (دمشق ١٩٨٤) ، محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية فى عهدهما ، الاسكندرية ١٩٨٤ .

(٢) رقم السجل الفرعى بالمتحف : ١٢

(٣) Wiet, G, op. cit , Pls: XL, XLii, XliV, XLV

(٤) رقم السجل الفرعى بالمتحف : ١١

طراز الأرابيسك ، يقرأ ، « المقر العالى المولوى المالكى العادلى الغازى المجاهدى المرابطى المثاغرى الكفيلى المؤيدى السيفى منكوتمر نائب السلطنة المعظمة بالمالك السلامية [1] (باب) ، دامت سعادته » ، لوحة ٧١ ، ٧٢ ، ويفصل بين كلمات النص السابق ست مناطق دائرية ، تشتمل كل منها على دائرة داخلية صغيرة ، تنقسم أفقيا إلى أربع مناطق مستطيلة ، يحيط بها دائرة أكبر ، تحتوى على زخرفة لأشكال البط الطائر ، موزعة توزيعا جميلا ، على مهاد من العناصر النباتية والهندسية ، هذا ويظهر بين الكتابة والزخرفة آثار تكفيت بالفضة والنحاس الاحمر ، وربما تمثل التقسيمات الهندسية بداخل الدائرة الصغرى رنك البريدى ، كما يلاحظ وجود زخرفة فى قاع الاناء من الداخل ، قوامها خطوط منحنية تنبثق من دائرة صغيرة فى مركز قاع الاناء وتسير فى اتجاه عقارب الساعة ، ويحيط بها دائرة من أسماك محورة عن الطبيعة ، تسير فى اتجاه يخالف عقارب الساعه ، كما يشاهد أيضا على الاناء من الخارج حز لكتابة بسيطة تقرأ : « برسم العباس » ، وهى تعود لفترة متأخرة ، بالنسبة للنص الرئيسى على بدن الاناء . ويمكن نسبة هذه الاناء إلى القرن الثامن الهجرى / ١٤ م ، اعتمادا على النسبة لصاحبه منكوتمر ، فضلا عن طراز الخط النسخى وكذلك الزخارف النباتية والهندسية ومناظر البط الطائر التى شاعت فى عصر الناصر محمد ابن قلاوون ، كما هو الحال على كرسى العشاء بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وغيره من التحف الأخرى [2] .

---

(١) السلامية : بلدة فى أواسط سورية الغربية ، قرب مدينة حماه ، وهى المركز الرئيسى للطائفة الاسماعيلية فى بلاد الشام ، وكانت إحدى مراكز نفوذ الحركة القرمطية وحركة الحشاشين فى أواخر العصر العباسى .

أنظر :

Réne Davssavd, Thpographie Historique de la syrie, Paris, 1938 S.V. Salamieh,.

وذكرها ياقوت فى معجمة بقوله «قرية كبيرة بنواحى الموصل على شرقى دجلتها بينهما ثمانية فراسخ للمنحدر إلى بغداد مشرفة على شاطئ دجلة ، وهى من أكبر قرى مدينة الموصل وأحسنها وأنزهها ، فيها كروم ونخيل وبساتين ، وفيها عدة حمامات وقيسارية للبز وجامع ومنارة

أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، طبعه دار صادر بيروت ، ١٩٨٤ م حـ ٣ ، ص ٢٣٤ .

(٢) يمكن مقارنة هذه التحفة من حيث أسلوب الكتابة بعلبة اسطوانية من النحاس المكفت بالفضة يقرأ عليها : المقر العالى المولوى الاميرى الكبيرى الغازى المجاهدى المرابطى المثاغرى المؤيدى الاخرى العونى الغياثى السيفى طغاى تمر الساقى الملكى » ، من عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى / ١٤ م .

أنظر : زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٥٥٥ ، والأطلس : الاشكال ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٥ م

يحتفظ أيضا المتحف الوطنى بمجموعة أخرى من الأوانى المعدنية منها بعض الصوانى التى ترجع إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين : ١٤ ، ١٥ م ، على بعضها بعض الكتابات منها **صينية** بها كتابات بخط الثلث تقرأ « يا ربيع » .... « أهلا » « سهلا » ، « تفضل » ، « سيدى » ، « مشروب » ، « الهنا »[١] ، ومنها **صينية أخرى** يقُرأ عليها : « ما وجدت من يحفظ الود إذ جنى أولاد رب البلاد عاب شر العباد »[٢] فضلا عن كتابات أخرى يصعب قراءتها .. ومن هذه الأوانى المعدنية أيضا : **ابريق من النحاس الأحمر**[٣] ، **لوحة ٧٣ / ١** ، ذو بدن كمثرى الشكل (ارتفاعه ٢٩ سم وقطر القاعدة ١٠ سم) يرتكز على قاعدة مستديرة ، وله مقبض يصل بين الفوهه وأعلى البدن ، فضلا عن صنبور تزخرفه أشكال هندسية ، ويزخرف بدن هذا الابريق من الناحيتين ، منطقة زخرفية كمثرية الشكل بها عناصر الأوراق الثنائية والثلاثية والوريدات الصغيرة وبعض أشكال الثمار ومن المرجح نسبته إلى القرن الحادى عشر للهجرة / ١٧ م ، وابريق آخر[٤] : **لوحة ٧٣ / ٢** ، يحتوى على نص كتابى يرجعه إلى عام ١١٤٣ هـ إذ يقرأ « عمل الواثق برب الناس حسن بن عبد النبى حرر ذلك فى ربيع الأول سنة الف ومايه وثلاثة وأربعين » . ويختلف شكل هذا الابريق عن الابريق السابق فبدنه يستدق إلى أعلى ويرتكز على قاعدة كبيرة قطرها (١٣ سم)[٥] مستديرة الشكل ، وله فوهة كبيرة يغطيها غطاء معدنى بالاضافة إلى المقبض والصنبور وبعض الحلقات المعدنية الزخرفية . والواقع أن بدن هذا الابريق يحتوى على زخرفة محزوزة حزا بسيطا ، تظهر أسفل البدن على شكل عقود صغيرة متماسة بداخلها ورود ، وعناصر زخرفية نباتية أخرى وهندسية كالمثلثات وزخرفة أسنان المنشار والخطوط المتعرجة . وتعد مجموعة التحف المعدنية بالمتحف الوطنى بصنعاء هى من أكثر مقتنيات المتحف من المواد الأخرى ، فهى تشمل دسوت وصوانى وأباريق ومحابر ومباخر ومجموعة من الحلى وبعض الأوانى على هيئة الحيوانات والطيور ومن هذه المجموعة شاهدة معدنى مؤرخ بعام ١١٧٩ هـ[٦] على شكل قائم اسطوانى به ثلاث كرات معدنية ، مزخرفة بزخارف هندسية ، وفروع نباتية متموجة وأوراق ثلاثية ، ويحمل القائم قرصا صغيرا من الفضة ، عليه

---

(١) رقم السجل الفرعى للمتحف : ٢٥

(٢) رقم السجل الفرعى للمتحف : ١٤

(٣) بدون رقم بالمتحف .

(٤) بدون رقم بالمتحف .

(٥) إرتفاعه (٢١,٥ سم)

(٦) الشاهد بدون رقم بالمتحف ، ارتفاعه ٨٨ سم وقطر الوسط (٣٠ سم)

لفظ الجلالة ، على جانبية زخارف دقيقة محزوزة من طراز الأرابيسك ، ويقرأ جهة الحافة « وقف هذا الهلال المبارك على سيدى الشيخ أحمد بن علوان بتاريخ شهر رجب » ، وعلى ظهر القرص يقرأ « عام ١١٧٩ هـ » **لوحة ٨٤** .

وضمن مجموعة هذا المتحف أيضا عدة محابر جيدة ، تمتاز بغنى زخرفتها بالعناصر المختلفة الكتابية والنباتية والهندسية فعلى واحدة [١] منها يقرأ : « لمولاها السعادة والسلامة وطول العمر » وعلى ثانية[٢] منها يقرأ بعض أبيات من الشعر منها « من مد أقلامه يوم ليعلمها للناس ... فكل يحمى من عامله ... وأن مد على رق أنامله أمر بالرق ... » [٣] .

كذلك تضم مجموعة متحف قسم الآثار بكلية الآداب ، جامعة صنعاء ، مجموعة لا بأس بها من المتحف المعدنية ، إلا أنها ترجع إلى فترة متأخرة ، من أهمها مجموعة من المباخر المعدنية النحاسية ، وهى تؤكد استمرار أهمية صناعة المعادن فى اليمن فى الفترات المتأخرة ، ومعظمها ذات زخارف مفرغة من عناصر نباتية وهندسية .

وما من شك أن العصر الرسولى فى اليمن (٦٢٦ هـ - ٨٥٨ هـ) ، يعتبر العصر الذهبى لصناعة المعادن فى اليمن ، وذلك للأسباب التى التى أشرنا إليها سابقا ، حيث يوجد بعض الأمثلة العديدة من التحف المعدنية التى صنعت خلال هذا العصر فى بعض المتاحف العربية والأجنبية والتى لاتزال معروضة بها كمتحف المتروبليتان فى الولايات المتحدة الامريكية [٤]، ومتحف الفنون الزخرفية بباريس [٥] ، ومتحف دار الآثار العربية ببغداد [٦] ومتحف اللوفر بباريس [٧] ، وغيره من المتاحف الأخرى ، وجميعها تدل دلالة واضحة على أهمية صناعة المعادن وتطورها فى اليمن ، ومن بين التحف المعدنية ، تلك المجموعة الهامة المحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، والتى نورد القائمة التالية بها :

---

(١) رقم السجل بالمتحف : ١٢٢

(٢) بدون رقم بالمتحف .

(٣) نقوم بدراسة مفصله عن المحابر الموجودة بالمتحف الوطنى بصنعاء ، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن تصدر قريبا .

(٤) Dimand, op. cit. P. p. 229 - 257.

(٥) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٦١ - ٥٦٢

(٦) زكى محمد حسن ، الأطلس ، ص ٤٦٦ م شكل ٥٣٨

(٧) المصدر السابق ، ص ٤٦٦ ، شكل ٥٣٩

مسلسل	رقم السجل	الوصف	المصدر
١	١٥٠٤٤	صدرية من نحاس ، عليها كتابة نسخية داخل مناطق يتخللها رنك الدواه ، وهى باسم قواجا الخازندار .	مجموعة هرارى
٢	١٠٥٠٥٠	قاعدة شمعدان من نحاس ، عليها كتابة نسخية باسم « سيف الاسلام على » تتخللها جامتان ، بداخل كل منها زهرة خماسية[1].	مجموعة هرارى
٣	١٥٠٩٠	طاسة من النحاس عليها كتابة نسخية باسم « الملك المنصور عمر بن رسول » تتخللها دوائر ، بكل منها زهرة خماسية ، وعليها من الداخل والخارج جامات زخرفية بها صور فرسان وأشخاص .	مجموعة هرارى
٤	١٥١٢٢	غطاء تنور من نحاس مزخرف بالتخريم عليه سطر من الكتابة باسم السلطان على بن الملك المؤيد داود ، يتخلل كل سطر ثلاثة رنوك مستديرة من زهرة خماسية .	مجموعة هرارى
٥	١٥١٥٣	صينية من نحاس ، بوسطها سبع دوائر ، بها صور أشخاص ، يحيط بها كتابة تتخللها ست جامات ، بها صور أشخاص ، وعلى الحافة سطر كتابة باسم « الملك المظفر يوسف » تتخلله زهرات ذات خمسة أطراف	مجموعة هرارى
٦	٤٠٢٢	صينية من النحاس مزخرفة ومكفتة بالفضة بوسطها سبع دوائر بداخلها صور آدمية وحيوانية ، عليها دائرة كبيرة بها كتابه أولها « عز لمولانا السلطان » ، وآخرها « يوسف بن عمر بن على بن رسول عز نصرة »	مشتراه من مسيو كيتكاس

(١) الزهرة أو الوردة الخماسية هى شعار الدولة الرسولية فى اليمن (رنك) وهى تمثل زهرة اللؤلؤ.

مسلسل	رقم السجل	الوصف	المصدر
٧	٣٢٥٩	صندوق من نحاس أصفر بغطائه ، على بدنه شريط كتابه نصها « مما عمل برسم الجناب العالى المولوى الاميرى × .... عفيف الدنيا والدين على بن مولانا امير المؤمنين × شريف الدين بن مولانا أمير المؤمنين شمس الدين نصره الله تعالى، وحفطه امين × وعمل (بصنعا) المحروس بالله تعالى » . وعلى حافة الغطاء كتابه نصها « لمولاى السعادة والسلام × وطول العمر ما هملت غمامه × وما طلعت نجوم ....× وماغرد على × الغصن الحمام ورام السعد × بر الاسلام ...	مشترى من أحد التجار الفيوم

وأخيرا فإننا نشير إلى **الجنبية اليمنية** [1] ، على اعتبار أنها من الصناعات المعدنية ، ذات تاريخ قديم ولازالت صناعاتها قائمة إلى اليوم ، ولازال يتحلى بها أهل اليمن جميعا ، على أنها مظهر من مظاهر قوميتهم التى يعتزون بها ، كما أنها فى الوقت نفسه ، تعد إحدى مظاهر صناعة السلاح اليدوى ، التى تخلفت من الصناعات الحرفية القديمة ، خلال فترات العصر الاسلامى فى اليمن (**شكل ١٨**) فهى عبارة عن خنجر صغير ، ملتو فى نهاية طرفه المدبب ، وتوضع فى غلاف ، وتُثبت حول الخصر من الامام بحزام يلتف حول الوسط .

على أنه لا يعرف على وجه التحديد ، متى بُدئ فى استخدامها فى اليمن كنوع من أنواع الأسلحة الخفيفة ، وإن كان يرد فى كثير ن الروايات المتواترة ، بين أبناء اليمن ، أنها ظهرت منذ تاريخ طويل ، قد يعود إلى ما قبل الألف عام[2] وهو ما يظهر فعلا على قطعة مستطيلة من حجر الألبستر ، محفوظة بالمتحف الوطنى بصنعاء ، عليها حفر بارز لشخص واقف فى هيئة تعبدية مجانبة ، ويرتدى لباسا شعبيا ، ويحمل فى وسطه من الامام خنجرا ، يقرب بشكله العام إلى حد ما من شكل الجنبية حاليا . وأن كان التقوس لا يظهر

(١) إستقيت بعض المعلومات عن الجنبية اليمنية من بعض المصادر اليمنية وبعض الزملاء اليمنيين وكذلك الطلبة بقسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء فلهم الشكر على هذه المعلومات .

(٢) رقم السجل بالمتحف : م . ى ، ٦٩ .

كثيرا فى شكلها ، ويحمل بيسراه سيفا مستقيما ، ويرجع تاريخ هذه القطعة الأثرية إلى القرن الثانى قبل الميلاد .

تتكون الجنبية اليمنية من مقبض ونصل ، والواقع أن مقبض الجنبية ، يشكل أهمية كبيرة خاصة ، ويكون فى معظم الأحيان سبب ثمنها المرتفع جدا والذى يصل فى بعض الأحيان إلى حوالى (مليون ريال يمنى) ، ويحُرص على توارث الجنبية اليمنية فى معظم الأحيان ، لأهمية مقبضها ، إذ أنه يصنع الثمين منه ، من قرون بعض الحيوانات المعينة كالخرتيت والظرافة ووحيد القرن ، ويتم استيراد قرون هذه الحيوانات من خارج اليمن ، كالجبشة وكينيا .

كما تصنع مقابض الجنابى اليمنية أيضا من مواد أخرى كالخشب والعاج والفضة والنحاس والحديد . وعادة ما يناسب المقبض قبضة اليد ، ويثبت مع النصل بواسطة مسمارين من الحديد ، مع استخدام مادة البخور المذابة فى الزيت المغلى كمادة مُثبتة ولاصقة .

تمتاز مقابض الجنابى اليمنية بزخرفتها بزخارف يغلب عليها عادة الطابع الهندسى ، بارزة وغائرة ، وفق أسلوب فنى معروف ، خاصة بالنسبة للمقابض التى تكون من قرون الحيوانات أو من مواد الخشب والفضة وغيرها ، على شكل الحبيبات الصغيرة المتماسه ، وأشكال المربعات والمعينات الدقيقة فى صفوف رأسية وأفقية ، كما يتم ترصيع المقابض من الوجهين ببعض العملات الذهبية القديمة فى كثير من الأحيان ، مما يكسبها شكلا بديعا ، ويزيد من قيمتها الأثرية والمادية . وهناك بعض المصطلحات الصناعية والفنية التى تطلق فى اليمن على مقابض الجنابى ورؤوسها كالعلاو والجديد والكهرب والكرك والمصوعى وغير ذلك .

أما النصل ، فيصنع فى معظم الأحيان من الفولاذ بحيث يكون ناصع البياض ، كما يصنع من الحديد الهندوانى والرداعى والجونى ، ويتكون النصل من ثلاث سواق ، واحدة منها فى الوسط وساقتيان فى الجانبين ، وهو نصل قصير ينتهى بالتواء فى طرفه .

وتوضع الجنبية فى غلاف أو غمد ، يصنع أيضا من مواد مختلفة ، كالخشب والفضة ، وتصنع الأغلفة الخشبية من خشب يطلق عليه خشب الطنب ، الذى ينمو فى اليمن ، ويتميز بإمتصاص الرطوبة ، ويكسى هذا الغلاف الخشبى من الخارج ، بطبقة من الجلد المدبوغ ، ومن الداخل بطبقة من القطن الناعم . وللأغلفة الخشبية أنواع مختلفة تبعا

لصناعتها فى المدن اليمنية المختلفة منها ما يعرف بالغلاف الصنعانى والغلاف البيضانى نسبة إلى مدينة البيضاء باليمن ، وتزخرف هذه الأغلفة أيضا بالزخارف المختلفة .

أما الأغلفة المصنوعة من مادة الفضة (التوزة) ، فتزخرف بالزخارف البارزة وبطريقة الضغط على هيئة أشكال المعينات والمربعات والحبيبات والزخارف النباتية المختلفة . على أن كثيرا من زخارف أغلفة الجنابى اليمنية تتشابه إلى حد كبير بصورة مصغرة ، مع زخارف أغلفة السيوف اليمنية ، والقديم منها يشبه كثيرا من أغلفة السيوف بالمتحف الوطنى بصنعاء ، خاصة التى تنتمى إلى طابع الزخارف فى العصر العثمانى ، وفى بعض الأحيان تُزخرف بواسطة خيوط ملفوفة من الجلد ومضفورة حول الغلاف .

هذا ويثبت غلاف الجنبية فى حزام يلتف حول الخصر ، من خيوط لامعة مصبوغة بماء الذهب أو ببعض الأكاسيد المعدنية الأخرى ، وقد يُصنع هذا الحزام من القماش المبطن والمزين بزخارف متنوعة نباتية وهندسية بأسلوب التطريز ، وعادة ما يكون عرضه فى حدود (١٠ سم) أو أكثر من ذلك قليلا ، وهناك بعض الأحزمة المصنوعة من الجلد ويكون ثمنها عادة قليلا .

هذا وتذكر الروايات أيضا أن أول من قام بصناعة الجنابى فى اليمن ، أسرة يمنية تعرف ببيت الصنعانى نسبة إلى مدينة صنعاء ، منذ أكثر من ألف عام ، ومن الأسرات المعروفة بصناعة الجنابى أيضا فى اليمن أُسرة بيت العزيزى وبيت الرحبى وبيت السيقل وأسرة السنيدار .

الفصل الثانى

الأخشاب

تعد المشغولات الخشبية من الصناعات الحرفية التى برع فيها الصانع والفنان خلال العصر الاسلامى وقد ساعد على تقدم هذه الصناعة ، براعة بعض البلاد الاسلامية فى المنتجات الخشبية الدقيقة التى كان لها تراث فنى فى هذا المضمار قبل العصر الاسلامى كما كان فى مصر ، حيث اشتهر أقباطها فى صناعة وزخرفة الأخشاب[1] . على أنه من المعروف ندرة وجود الأخشاب الجيدة فى كثير من البلاد الاسلامية ، حيث كان يتم إستيراد الاخشاب الجيدة من خارج هذه البلاد وصناعتها محليا ، وفق الطرز الفنية التى سادت فيها .

لقد جرى استخدام مادة الخشب ، على نطاق واسع فى أعمال النجارة خلال العصر الاسلامى فى المنشآت الدينية والمدنية على الأخص ، فقد أستخدمت فى عمل الأبواب والنوافذ والسقوف والمنابر والمقاصير والدكاك وكراسى المصاحف والأسياج والأحجبة والمشربيات والافاريز والمحاريب الخشبية المتنقلة والتوابيت أو التراكيب الخشبية وكراسى العشاء والصناديق والدواليب ، وغير ذلك من استخداماتها فى المشغولات الخشبية المختلفة .

كذلك مرت صناعة وزخرفة الاخشاب بمراحل مختلفة من التطور الصناعى والفنى فى البلاد الاسلامية المختلفة والتى كان بها من التأثيرات الفنية المتباينة نتيجة تبعيتها من الناحية السياسية للدولة الساسانية أو البيزنطية ، حيث غلب تأثير الفن الساسانى والبيزنطى على الأسلوب الفنى السائد فى هذه البلاد على المشغولات الخشبية فى بداية العصر الاسلامى [2] واستمرت هذه التأثيرات الفنية ، خلال القرنين الأولين للهجرة . ولعل أبر ما يميز خصائص المنتجات الخشبية خلال القرنين الأولين للهجرة وضوح أسلوب الحفر البارز والغائر واستخدام عناصر زخرفية متنوعة على حشوات الأخشاب فى هذه الفترة ، كالتفريعات النباتية والأوراق الثلاثية والخماسية وكيزان الصنوبر وأوراق الأكانتس وعناصر الحبيبات ، ووجود الثقوب أو العيون بين أوراق الفصوص الثلاثية والخماسية وثمار الرمان والعروق المتموجة والعناصر الكأسية وغيرها ، ويظهر ضمن العناصر الزخرفية الهندسية الدوائر وأنصافها والمثلثات والمربعات والمستطيلات والجدائل والسلال والعناصر الجناحية والمعينات

---

(١) عبد العزيز حميد ، ، صلاح العبيد : الفنون العربية الاسلامية ، بغداد ، ص ١٠٨ - ١٠٩

2 – Papadopoulo, A: Islam and Muslim Art, London, 1980, P. 190

وغيرها من العناصر الهندسية البسيطة [1] ، فضلا من وضوح الكتابات الكوفية وبعض العناصر الزخرفية من أشكال الحيوانات والطير .

ويأتى فى مقدمة المشغولات الخشبية التى تنسب إلى هذه الفترة ، بعض الحشوات الخشبية فى المسجد الأقصى وبعض الأبواب الخشبية [2] (تكريت) ، ومنبر جامع القيروان ، الذى يعتبر أقدم المنابر الأثرية ، المعروفة حتى الآن (القرن ٣ هـ / ٩ م) ، وهو يحتوى على عناصر زخرفية متطورة [3] . على أنه بظهور طرز سامرا ، وخاصة الطراز الثالث منها ، وانتقاله إلى زخارف الأخشاب الطولونية بمصر ، وانتشاره بعد ذلك فى بلاد العالم الاسلامى ، حيث الوحدة الزخرفية الكبيرة وأسلوب الحفر المشطوف ووضوح التماثل إلى حد كبير ، كان قد تبعه تطور صناعى وزخرفى سريع فى هذه المادة عامة فى بلاد العصر الاسلامى ، حيث تنوع الأسلوب الصناعى والزخرفى إلى حد ما وفق أساليب صناعة وزخرفة الأخشاب فى البلاد الاسلامية المختلفة ووفق أساليبها المحلية وجودة الأخشاب فى كل بلد عن الآخر .

ومن المظاهر البارزة فى المشغولات الخشبية ، ظهور الأسلوب الصناعى الجديد المعروف بتجميع الحشوات الدقيقة وتطعيمها فى بلاد العالم الاسلامى ، وهو أسلوب فنى معقد ويتم صناعته بدقة ومهارة كبيرتين . ويمكن القول بظهور هذا الاسلوب الصناعى الجديد فى نهاية القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، وهو عبارة عن صناعة الأداه الخشبية ، من قطع صغيرة أو حشوات من الخشب ذات أشكال هندسية متنوعة تُجمع وتُعشق داخل إطارات أو سراديب ، وتؤلف أشكالا هندسية منتظمة ، عُرفت فيما بعد بزخارف الأطباق النجمية [4] ، التى يتوسطها ترس تحيط به كندات ولوزات وسروات وعناصر هندسية أخرى ذات تسميات حرفية أو صناعية ، يعرفها أهل الصنعة . وربما كان السبب فى ظهور هذا الاسلوب المتطور ، هو ندرة الأخشاب الجيدة فى كثير من الأقطار الاسلامية وتفاوت درجات الحرارة بها ، مما جعل الصانع أو الفنان يستفيد بكل قطعة صغيرة من الخشب التى

(١) فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٤ ، حـ ٢ ، ١٩٥٢ ، ص ٦٨ - ٩٣

(٢) زكى حسن : الأطلس : الأشكال ٢٧٢ - ٢٧٦ ، ص ٤٣٤ .

(٣) زكى حسن : الأطلس ، شكل ٢٨١ ، ص ٤٣٥ ، فريد شافعى : المصدر السابق ص ٧٥ - ٧٩ .

(٤) حسن الباشا : المدخل ، ص ٤٤٠

تجمع معا ، واضعا فى حسابه التمدد والانكماش الذى يعترى مادة الخشب ، فكانت تجمع بدون مواد مثبتة أو لاصقة فى معظم الأحيان بدقة ومهارة ، مما يحافظ على عدم تشوه هذه القطع أو تقوسها . [1]

ويبدو هذا الأسلوب الصناعى السابق واضحا على المحاريب الخشبية الثلاثة المنقولة والمحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وهى محراب الجامع الأزهر (٥١٩ هـ ١١٢٥ - ١١٢٦ م) ، ومحراب السيدة نفيسة (٥٤١ هـ / ١١٤٥ - ١١٤٦ م) ، ومحراب مشهد السيدة رقية (حوالى ١١٥٥ م) [2] . ومما لا شك فيه أن ما تبع تطور أسلوب الحشوات المجمعة حيث ظهرت الأطباق النجمية الكاملة المتعددة الكندات وأنصافها وأرباعها ، على نطاق زخرفى واسع ، كان له صداه فى زخرفة الأخشاب وانتشار هذا الأسلوب الفنى على مواد أخرى ، بل أنه أصبح من أهم المبتكرات الاسلامية المعقدة فى مجال الزخارف الهندسية ، وقد ترك هذا العنصر الزخرفى تأثيره على الفنون الغربية .

هذا وقد زاد من أهمية هذا الأسلوب الصناعى الجديد ، زخرفة الحشوات فيه بعدة مستويات من الزخارف مع تطعيم الحشوات بمواد قيمة أكثر ثمنا من مادة الخشب ، كالعاج والأبنوس والصدف وغيره من المواد .

على أن أسلوب الحشوات المُجمعة وما آل اليه من زخارف الأطباق النجمية كعنصر زخرفى رئيسى إنما يظهر بشكل واضح على المنابر الخشبية التى صُنعت فى مختلف بلاد العالم الاسلامى بمهارة ودقة [3] .

والواقع أن التطور الفنى الكبير الذى شهدته كثير من بلاد العالم الاسلامى فى صناعة وزخرفة الأخشاب بها ، لم يكُتب له أن يستمر طويلا بنفس الصورة التى كان عليها حتى القرن العاشر الهجرى / ١٦ م ، بفعل الغزو العثمانى لكثير من بلاد العالم الاسلامى وما ترتب عليه من نقل كثير من الصناع من بلادهم إلى عاصمة الدولة العثمانية الجديدة ، فقد نتج عن ذلك تدهور واضح فى صناعة وزخرفة فن الأخشاب ولم تعد تظهر المشغولات الخشبية المختلفة بصورتها التى كانت عليها قبل القرن العاشر الهجرى / ١٦ م ، وإن كان قد ترتب

---

(١) محمد عبد العزيز مزروق : الفن الاسلامى : تاريخه وخصائصه ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٤٦ - ١٤٩ .

(٢) زكى حسن : فنون الاسلام : الأشكال ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٣) Papadopoulo, op. cit, pls, 212- 220

على السيطرة العثمانية فى البلاد الاسلامية المختلفة ظهور أساليب جديدة ، بالاضافة إلى الأساليب الصناعية السابقة والتى قلت الجودة فيها إلى حد كبير .

والحق أن بلاد اليمن كان لها دورها المميز بين بلاد العالم الاسلامى فى ميدان الزخارف الخشبية إلى حد كبير ، ورغم أن المتحف الوطنى بصنعاء لا يحتفظ بأمثلة من الصناعات الخشبية اليمنية الدقيقة ، التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة الأخشاب اليمنية ، فإن العمائر اليمنية قد احتفظت ، بجانب هام فى المشغولات الخشبية والتى لا يزال الباقى منها إلى اليوم فى حالة جيدة ، توضح معها صناعة وزخرفة الأخشاب اليمنية خلال العصر الاسلامى ، من سقوف ومنابر وكراسى للحديث والمصاحف وأبواب وأفاريز وحشوات أخرى دلت على مواكبة فن صناعة الأخشاب فى اليمن للبلاد الإسلامية الأخرى ، بل تفوق الصانع والفنان اليمنى ، فى مجال زخارف السقوف خاصة ، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته فى عديد من مساجد ومدارس اليمن .

والواقع أن بلاد اليمن تُعد فقيرة فى إنتاج الأنواع الجيدة من مادة الخشب وإن كان يوجد بها بعض الأخشاب الجيدة ، كالسدر وشجر الجوز فى أعالى الجبال وشجر التألب وشجر القرظ والعرعر والطلح والقتاد وغيره [1] . هذا وقد أشار المؤرخ ابن المجاور إلى ذكر بعض المناطق فى اليمن ، التى يستجلب منها أخشاب جيدة فى تهامة ووادى زبيد [2] ، بالاضافة إلى وجود بعض الأسواق فى اليمن الخاصة بالاتجار فى الأخشاب ، إضافة إلى ما كان يستجلب من أخشاب جيدة . من بلاد عديدة من خارج بلاد اليمن ، خاصة خشب الساج الهندى . كذلك فقد عُثر على بعض أدوات النجارة وبعض المشغولات الخشبية فى شبه الجزيرة العربية من صناديق خشبية وشبابيك وغيرها ، وقد ورد ذكر بعض أدوات النجارة فى الشعر الجاهلى والتى كانت تستخدم فى ذلك الوقت [3] . ويأتى خشب الطنب فى مقدمة الأخشاب اليمنية الجيدة والتى لا تزال تنمو فى اليمن إلى اليوم .

والحق أن زخارف السقوف اليمنية ، تعتبر من أجمل زخارف السقوف فى العالم الاسلامى ، خاصة وأنها ترجع إلى فترة مبكرة فى تاريخها ، مما تثير معها عدة تساؤلات

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف ، ص ٢٧ - ٣١

(٢) من ذلك ما أشار إليه هذا المؤرخ بقوله « ..... وفى هذه البلاد (القحمة) عُقد لم تسلك لكثرة شجرها ووعَرها ويقطع من هذه العُقد خشب يسمى الرقع يُعمل منه النشاب ويُسلف منه على النجارين من الديوان كل ألف فردة بدينارين ملكية .... وهذه الأشجار بين أنهار وعيون »

أنظر : ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٦٢

وأنظر أيضا : الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسوليه ، حـ ١ ، ص ١٦٥

(٣) أنظر : جواد على : المفصل ، جـ ٧ ، ص ٥٤٩ ، وواضح الصمد : المصدر السابق ، ص ١٩ - ٢٠

حول طبيعة صناعة الأخشاب فى اليمن وزخارفها المتطورة ، خاصة وأن بعض المصادر التاريخية أشارت صراحة إلى تواريخ سقوف بعض المساجد اليمنية فى القرن الثالث الهجرى / ٩ م كما فى الجامع الكبير فى شبام كوكبان والجامع الكبير فى صنعاء ، وجامع مدينة جبلة فى القرن الخامس الهجرى ، وقد نُفذت هذه السقوف ، بدرجة متطورة للغاية ، دلت على تقدم حرفة النجارة باليمن خلال العصر الاسلامى ، وإذا ما صحت نسبة بعض هذه السقوف إلى القرن الثالث الهجرى / ٩ م ، فتكون بلاد اليمن من أوائل البلاد الاسلامية التى كان لها دورها الهام فى هذه الصناعة الحرفية .

السقوف الخشبية [١] : اشارت بعض المصادر التاريخية اليمنية ، كما تقدم ، إلى اهمية صناعة وزخرفة السقوف الخشبية فى المساجد ، على اعتبار أنها من الأعمال الهامة التى كان يقوم بها كبار رجال الدويلات الاسلامية المختلفة فى اليمن ، حيث تكون من أهم أعمالهم فى المنشأت الدينية . وقد تبقى من السقوف الخشبية القديمة بعض الامثله التى تعطى تصورا عاما لفن زخارف الأخشاب ، خاصة وأنها ترجع إلى فترة مبكرة ، ومن هذه الأمثلة الباقية بعض السقوف فى أروقة الجامع الكبير فى شبام كوكبان (**لوحة ٧٥**) ، والجامع الكبير فى صنعاء (**لوحة ٧٦**) ، وفيهما يبدو السقف مكونا من عوارض خشبية سميكة متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة ومربعة الشكل يطلق عليها المصندقات الخشبية غنية بالزخارف النباتية والهندسية[٢] . والواقع أنه يبدو فى سقفى ←

---

(١) يتكون السقف الخشبى فى العادة من عروق وألواح ، توضع عليها طبقة من الحصير ، وتعلوها طبقة من الخرسانة ، وتقسم المساحات بين العروق بواسطة قطاعات خشبية إلى مربعات ومستطيلات ، وتلون هذه المساحات بنقوش نباتية وهندسية وتستخدم ألوان عديدة فى إبرازها ، فضلا عن استخدام التذهيب فى بعض الاحيان ، وتوجد أسقف خشبية تغطى فيها العروق من أسفل بألواح خشبية (السقف العجمى) ، وذلك حتى يظهر السقف كله كمسطح واحد تُعمل به الصرر ، ويدهن ويزخرف بلون واحد ويذهب ، وهناك نوع من السقوف الخشبية على هيئة مقرنصات بدلاية ، وأغلبها غير حامله (سقف مُعلق ذو غرض زخرفى فقط) .

أنظر : صالح لمعى : المصدر نفسه ، ص ٨٥ – ٨٦ ، زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٤٧٠ .

(٢) يظهر فى اشكال السقوف اليمنية وجود عوارض خشبية طويلة تعلو طباق العقود ، يوضع فوقها قطع خشبية صغيرة ورفيعة (٢ سم – ٣ سم) ، وتوضع عرضيا بحيث تكون طرفيها فوق الأخشاب الطويلة ، ثم يوضع فوقها الطين المبلول والجاف ، ويلى هذا السقف سقف آخر على بعُد حوالى (٦٠ سم) مكون من حشوات خشبية دقيقة تحجب السقف السابق وهى المعروفة بأسلوب المصندقات الخشبية فى اليمن ، بمعنى أن السقف مكون من مستويين أو أكثر ، الأعلى لحماية السقف الثانى المزخرف .

على أننا نعتقد بوجود أسلوب صناعى فنى خاص بالسقوف اليمنية وبوجود مصطلحات خاصة لأعمال مشغولات النجارة فى اليمن ، إلا أنه للاسف لم نستطع الاستدلال عليها من الصناع الحاليين فى اليمن ، وربما يظهر فى هذا الأمر عدد من المخطوطات اليمنية التى تتعلق بالصناعات والحرف اليدوية قريبا فى اليمن ، ستكون هامة فى هذا النوع من الفن .

جامعى شبام وكوكبان وضوح جانب كبير من الدقة والاتقان ، خاصة فى عمل التقاسيم الهندسية المتحدة مع العناصر الزخرفية النباتية والهندسية الملونة فى معظم الأحيان والتى تظهر فى « المحققات » . وتبدو العناصر النباتية ممثلة فى التفريعات النباتية وأشكال الورود الكبيرة والصغيرة المتعددة البتلات ، والأوراق النباتية المتعددة الفصوص وأنصاف المراوح النخيلية (وزهرة اللوتس) وبعض الثمار وأشكال الزهور وغيرها . كما يبدو وجود كثير من العناصر الهندسية خاصة أشكال النجوم المتعددة الأطراف والجدائل والأشرطة المضفرة والدوائر والحبيبات المتماسة والأشكال الهندسية البسيطة كالمربعات والمستطيلات والمثلثات والأشكال الصلبانية وعنصر الزخرفة المعروف « بالميمات » الذى يظهر مبكرا على زخارف الأخشاب فى اليمن [1] .

وقد تم تنفيذ هذه الزخارف بأسلوب الحفر البارز والغائر ، إلا أنه يلاحظ أن كثيرا من العناصر الزخرفية النباتية قد نفُذت بأسلوب قريب من الطبيعة إلى حد كبير ، رغم أن هذه السقوف ترجع إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠ ، ١١ م) ، مع أنه يظهر على بعض التحف الخشبية خاصة على بعض حشوات منبر الجامع الكبير فى ذمار الأسلوب الثالث من أساليب الزخرفة لسامرا ، وهو الأسلوب الذى إنتقل إلى زخارف الأخشاب فى مصر فى العصر الطولونى ، مما يجعلنا نعتقد بوجود الأسلوب الأول فى الزخارف الخشبية القريب من الطبيعة والأسلوب الثانى المتميز بالبعد عن الطبيعة فى آن واحد على الزخارف اليمنية عامة والاخشاب اليمنية خاصة ، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم حاليا بسيادة احدهما فى شمال اليمن أو جنوبه نظرا لقلة الامثلة الباقية من الزخارف الخشبية والتى يمكن الاعتماد عليها حاليا فى هذا الصدد وإن كنا سنشير إلى بعض هذه الامثلة من خلال الحديث عن زخارفها فى هذا الموضوع .

على أن زخارف المصندقات الخشبية فى سقوف المساجد ، لا يقتصر وجودها على سقف الجامع الكبير فى مدينة صنعاء والجامع الكبير فى مدينة شبام كوكبان ، وإنما توجد فى عديد من سقوف المساجد اليمنية ، نذكر منها على سبيل المثال :
تلك المصندقات الخشبية فى الجامع الكبير فى ذمار : (القرن ٤ هـ / ١٠ م) ومسجد جبلة : (القرن ٥ هـ / ١١ م) وجامع مدينة إب (مابعد القرن ٦ هـ / ١٢ م) ، وغير هذه الأمثلة فى سقوف المساجد اليمنية ، والتى تدل على إستخدام هذا الاسلوب الفنى المتميز

---

(1) Finister, B: op. cit. abb, 5-16, Tafel, 43 -55.

لزخارف السقوف فى المساجد والتى كانت ماثلة أيضا فى جامع الجند بتعز وكانت على حد قول المؤرخ ابن المجاور « خُذ من تعز المنبر ومن جامع الجند السقف » . (١)

ونشير فيما يلى بإيجاز الى بعض زخارف المصندقات الخشبية فى جامع ذى أشرق ، حيث يتمثل فى هذه المصندقات ، زخارف بارزة لعناصر نباتية وهندسية ، منفذة بأسلوب صناعى وزخرفى متقدم ، فعلى القطعه الأولى (**شكل ١٩ / أ**) ، يظهر بالوسط وردة رباعية الشكل ، أشبه بصليب صغير ، تحيطها زخرفة مجدولة متداخلة ، تستدير حولها زخرفة محورة على شكل المراوح النخيلية المتماسه من أعلى ، وعلى القطعه الخشبيه الثانيه ، شكل **١٩ / ب** ، يلاحظ وجود وردة رباعية أيضا ، محاطه بزخرفة مجدولة ، تؤلف وحدة زخرفية متكررة على شكل حرف الميم ، ويتخذ هذا الحرف شكلا أكبر على حواف المربع الرئيسى وبداخله وردة رباعية مماثلة ، بينما يتوسط أضلاع المربع وحدة زخرفيه مماثلة من طراز الأرابيسك ، وترجع هذه الزخارف الى أسلوب القرن السادس الهجرى / ١٢ م .

كذلك تمتاز زخارف بعض المصندقات الخشبية القليلة الباقية فى جامع السيدة بنت احمد الصليحى فى مدينة جبلة (القرن ٥ هـ / ١١ م) ، بوجود زخارف من أشكال نجمية كبيرة ثمانية الأطراف ، تحيطها عناصر نباتية متماثلة ، قوامها الأوراق الثلاثيه المثقوب فصها الأوسط وأشكال الورود والشرائط المجدولة والأشكال البسيطة الهندسيه والملونة باللون الذهبى والبنى على أرضية زرقاء فاتحه . (٢)

ومن أمثلة هذه المصندقات ما تبقى فى الجامع الكبير بمدينة إب والتى يمكن تأريخها بالقرن السادس الهجرى / ١٢ م إذ تبقى جهة مجاز رواق القبلة ثلاثة مصندقات خشبية ، بعضها مزخرف على هيئة شكل نجمى كبير من ثمانية أطراف تتوسطه وردة ، تحيطها تفريعات نباتية **شكل ١٩ / جـ** ، على زواياها الأربع ، أربع وحدات زخرفية متماثلة مكونة من وردة ثمانية بالوسط تحيطها أربع أوراق نباتيه خماسية مثقوب فصها الأوسط .

ويظهر تغطيه بعض أروقة المساجد اليمنية بطراز من السقوف ، أُستخدم فيه ألواح خشبية متجاورة رُسم عليها بالألوان زخارف نباتيه وهندسيه كما فى الرواق الجنوبى فى

---

(١) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ١٦٦

(٢) بربارة فنستر : تقارير أثرية ، الأشكال أرقام ٢٠ – ٢٢

الجامع الكبير بذمار (**لوحة ٢٢**) ، أما فى الجامع الكبير بزبيد فيرتكز سقف رواق القبلة على العقود المدببة التى تحمل عوارض خشبية مربعة تبعد عن بعضها بمسافة (٤٠ سم) وتحمل ألواحا من الأخشاب الملونة والمزدانة بالزخارف ، ويعلوها خليط من رمل وأحجار صغيرة وقضاض بارتفاع (٤٠ سم) وتبدو الألوان الزاهية واضحة حيث يسود الزخارف الألوان الحمراء والسوداء ، والبيضاء ، اضافة إلى الكتابات الأثرية ، التى ترجع تاريخ التجديد الى عام ١٠٥٧ هـ . ويمكن نسبة زخرفة الأخشاب فى المثلين السابقين (جامع ذمار وجامع زبيد) إلى أسلوب صناعة وزخرفة السقوف المتأثر بالأساليب الفنية التى مارسها الفنان فى العهد العثمانى ، حيث رسم الفنان اليمنى الزخارف المراد تنفيذها ، على الألواح الخشبية المسطحة التى تكُون جسم السقف البسط ، أو فى داخل الأشكال الهندسيه التى تكُونها السدايب ، كما فى سقف مسجد دواد باشا وغيره فى مصر ، أما بالنسبه لاستخدام التلوين والتذهيب فى مثل هذه الأسقف ، فيغطى السطح المراد زخرفته بمحلول مخفف من مواد معينة ثم يغطى بطبقه سميكة من الشمع والنفط ، تجنبا للرطوبه التى تؤثر على سلامة الأخشاب وتُفسد الألوان ، ثم تذاب الألوان بواسطه صفار البيض المذاب واستخدام الغراء من رق الغزال أو السمك [١] .

وما من شك أن السقوف اليمنية الخشبية وما تعرضنا له من بعض الأمثلة السابقة تؤكد تفوق الفنان اليمنى فى هذا المجال .

المنابر اليمنية : تتفق المنابر اليمنيه الأثرية الباقية فى عناصرها الأساسيه مع أشكال المنابر المعتادة فى العالم الاسلامى ، ومن المعروف أن المنبر يتكون من جزءين رئيسيين هما المدرج والجوسق ، ويشمل المدرج باب المنبر ويطلق عليه باب المقدم والريشتان فى جانبى المنبر على شكل مثلث كبير وبهما باب الروضة ، « كل منهما على جانبى الريشه » ، ويشمل المدرج أيضا السلم وسياجه (الدرابزين) . أما الجوسق : فيتكون من جلسة الخطيب وجوانبها وتحمله قوائم خشبية[٢].

وتوجد أمثلة عديدة من المنابر القديمة ذات الحشوات الخشبية المختلفه وقد أشرنا إلى

(١) ربيع خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٧٢

(٢) نعمت أبو بكر : منبر جامع الست تاتار الحجازية ، ص ١٤٣ - ١٤٦

بعضها فيما سبق كمنبر جامع الأشاعر فى مدينة زبيد ومنبر جامع ذمار ومنبر الجامع الكبير فى إب والمنبر فى جامع ذو أشرق . ونشير إلى **منبر جامع الجند بايجاز (لوحة : ٧٧)** .

الواقع أن هذا المنبر ، يعد من المنابر اليمنية الباقية التى ترجع إلى فترة زمنية متقدمة إلى حد ما ، إذا ما استثنينا بعض الحشوات الباقية فى منبر الجامع الكبير بمدينة ذمار والتى ترجع وفق أسلوبها الزخرفى إلى القرن الثالث الهجرى ، اعتمادا على وجود الطراز الثالث لسامرا عليها ، ويحمل منبر الجند تاريخا يرجعه الى نهاية القرن السادس الهجرى / ١٢ م ، وفق الكتابة المحفورة أعلى عقد مدخل باب المقدم على حشوة خشبية تقرأ « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، مما أمر بعمله الجناب الأجل .. (وذلك) الحسن بن على بن حسن العنسى فى شهر المحرم أول سنة ثمان وثمانين وخمس ميه ، عمل ابن النظام ابن حسين » وقد كتب هذا النص الهام بالخط الكوفى .

يقع هذا المنبر بين المحرابين بجدار القبلة ، وقد كسيت مواد الطلاء كل حشواته الخشبية التى تلفت إلى حد كبير ويبلغ عرض هذا المنبر حوالى (٤,٥ م) ، وارتفاعه حتى جلسة الخطيب ، حوالى (٧,١٣ م) ، وحشواته من أسلوب الحشوات المجمعه التى تشبه إلى حد كبير حشوات المحاريب الثلاثة الخشبية المحفوظه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (المحاريب الفاطمية) فهى حشوات سداسية مجمعه على شكل بداية ظهور الأطباق النجمية ، وممتلئه بالزخارف النباتية المورقة ، المحفورة حفرا بارزا .

باب المقدم : (١,٧١ م ارتفاع × ٩٦,٥ سم) ، مكون من دلفتين ، ويعلوه عقد مدبب ، والواقع أن هذا الباب يرجع إلى فترة متأخرة عن حشوات جانبى المنبر ، ويؤدى الى درجات السلالم المؤدية إلى جلسه الخطيب ، حيث يعلوها جوسق مخروطى الشكل ، محمول على أربعة قوائم خشبية (ارتفاعها ٢,٥٠ م) ، ويحيط بالسلم درابزين من خشب الخرط « البلدى » ، إرتفاعه : (٦١ سم) . على جانبى المنبر الريشتان ، على شكل مثلثات متداخلة بالاضافه إلى قائم خشبى ذو حشوات مجمعة فى الجانبين ويشاهد باب الروضه فى ريشه المنبر فى الجانبين .

والواقع أن زخارف الريشة فى الجانبين قوامهما التفريعات النباتيه وكذلك الأوراق بأسلوب محور عن الطبيعه ونعتقد بارجاعهما إلى فترة متأخرة عن تاريخ إنشاء المنبر ربما تكون فى القرن السابع الهجرى / ١٣ م أو الثامن الهجرى / ١٤ م ، عكس الحشوات المجمعه ذات الزخارف النباتيه الدقيقه المكونه من الأوراق الثلاثيه والخماسية المحاطه بتفريعات نباتيه ، **لوحة ٧٧** وتشبه هذه الحشوات كما سبقت الاشارة الحشوات فى المحاريب الخشبيه السابقه ، إضافة إلى حشوات فى مصراع باب من جامع الصالح طلائع بالقاهرة (القرن ٦ هـ / ١٢ م) ، وحشوات المنبر الخشبى فى المسجد الأقصى (٥٦٤ هـ) الذى ينسب إلى نور الدين زنكى ، كما تتشابه هذه الحشوات المجمعه أيضاً مع التابوت الخشبى المنقول من المشهد الحسينى إلى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من العصر الأيوبى [١]

والواقع أن هذا المنبر يمثل خليطا من الحشوات الخشبيه التى ترجع فى تاريخها من عام ٥٨٨ هـ ، إلى مابعد ذلك ، وذلك اعتمادا على طراز الزخارف ، كما أنه يدل على دراية الصانع فى اليمن بالأساليب الصناعيه والزخرفيه المتبعه على زخارف الأخشاب فى العالم الاسلامى بحيث يضاف إسم الصانع (ابن النظام بن حسين) إلى أسماء الصناع فى صناعة وزخرفة الأخشاب فى القرن السادس الهجرى ، وقد يكون من الصناع اليمنيين ، ويلاحظ أن تاريخ عام ٥٨٨ هـ ، يتفق والحكم الأيوبى فى اليمن .

كذلك تحتفظ المدرسه الأشرفية بمدينة تعز ببعض الأبواب الأثرية القديمة وكذلك الأحجبة (الأسياج) القديمة والتى تعطى أمثلة أخرى لاستخدامات المشغولات الخشبية فى المبانى الدينيه اليمنية ، ومن أمثلة ذلك الباب الخشبى المؤدى إلى بيت الصلاة بالمدرسه (ارتفاعه ٢,٢٨ م × ١,٢٤ م عرض) ، مكون من دلفتين وبكل دلفه ثلاث حشوات الوسطى مستطيلة منهما ، ويزخرف هذه الحشوات زخارف هندسيه مجدولة يتدلى منها شكل المشكاه كما على أحد الأبواب فى المدرسه العامرية برداع ، بالاضافة إلى بعض الزخارف النباتيه والهندسيه الأخرى ، والتى ترجع فى أسلوبها العام إلى زخارف القرن التاسع

---

(١) زكى حسن : الأطلس : الأشكال : ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .

الهجرى / ١٥ م ، كما يلاحظ استخدام الخط الكوفى فى القرن التاسع الهجرى فى اليمن عامة ، حيث يوجد أعلى مدخل هذا الباب كتابة تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمنين » وقد أُستخدم فى كتابة هذا النص أسلوب الكتابة الكوفية المضفرة والمورقة ، والتى بلغت أوجها فى القرن السادس الهجرى / ١٢ م فى بلاد العالم الاسلامى ، **لوحة ٧٨** .

ويبدو واضحا فى الأعمال الخشبية بهذه المدرسه استخدام خشب الخرط[١] فى عمل بعض الأسياج على بعض المقابر وسط فناء المدرسه (**لوحة ٧٩ ، ٨٠**) ، حيث يتضح دراية الصانع اليمنى فى استخدامه لخشب الخرط وتشكيل وحدات زخرفية هندسية متكررة فى دقة واتقان تتفق وكثير من الامثلة الخشبية المعروفة فى بعض المنشآت الدينيه فى مصر خلال العصرين المملوكى والعثمانى .

ويظهر استخدام خشب الخرط الدقيق أيضا بأسلوب جيد على كرسى أو منبر الحديث [٢] ، القائم حاليا فى رواق القبلة بمسجد الأشاعر فى زبيد [٣] ، **لوحة ٨١** ، حيث يبدو تشكيل الفنان لعوارض الكرسى على شكل الأطباق النجمية المحاطه بأنصاف وأرباع الأطباق النجمية أيضا فى تداخل بديع ، تشبه الى حد كبير بعض المشغولات الخشبية فى

---

(١) تنقسم خراطه الخشب إلى نوعين عادة يعرف النوع الأول بالخراطه البلدية كبيرة الحجم والنوع الثانى يُعرف بالخراطة الدقيقة ، التى بلغت درجه كبيرة من الدقة فى العصر العثمانى ، خاصة فى تكوين أشكال زخرفية هندسية دقيقة منها .

والواقع أن مجال استخدام خشب الخرط كبير جداً ، إذ أستخدم فى عمل الدرابزين فى المنابر ودكك المبلغين والمقرئين وفى عمل الأحجبة والحواجز والمشربيات والنوافذ وغيرها ، وتنقسم الخراطة الدقيقة إلى عدة أنواع منها الخرط الميمونى والميمون المفوق والخرط المعروف باسم المسدس المفوق والخرط المعروف باسم أبو جنزير والخرط المسمى باسم الصليب الفاضى والصليب المليان ، فضلا عن المصطلحات الحرفية التى تتعلق باستخدام الزخارف الهندسيه على خشب الخرط .

أنظر : ربيع خليفه ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٦ .

(٢) ارتفاعه ١,٧٥ م وعرضه ٨٧ سم .

(٣) ورد فى بعض المصادر التاريخية عن هذا المنبر (الكرسى) : « نُصب منبر الحديث والوعظ بمسجد الأشاعر بزبيد نصبه الامير الكبير ابو غازى بن العمار الكبير الملقب شهاب الدين ، كان أميرا كبيرا من امراء الدولة المظفرية وكان كثيرا ما يتولى فى المدن الكبار ... وهو أول من نشر قراءة كتب الحديث والوعظ بمسجد الأشاعر بزبيد بعد صلاة الصبح والعصر فى كل يوم ووقف لذلك وقفا جيدا على من قرأها وذلك بعد أن أمر بنصب منبر فى جانب المسجد المبارك يقعد عليه القارىء ليسمع قراءته كل من كان فى المسجد المذكور عظة وتذكارا ، قال الخزرجى « وهو مستمر على ذلك الى عصرنا ماتغير منه شىء قلت أراد سنه ثمانمائه فى أيام بنى الرملوى الخطباء المعروفين »

أنظر : محمد بن عبد الوهاب المقداد : جامع الأشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون فى فضل مسجد الأشاعر ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الحضرمى ، مجلة الاكليل ، العددان ٣ ، ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١١٨

المدرسه الأشرفية بتعز وبعض أعمال النجارة فى خانقاه فرج بن برقون بالقاهرة (القرن ٩ هـ) .

والواقع أن هذا الكرسى يحتوى على نص كتابى هام يرجعه إلى عام ٩٢٧ هـ ، كتب بخط الثلث البارز ويقرأ منه : « هذا الوقف سيدنا ومولانا الاميرى الكبيرى ... ، المنبر المبارك لقراءة الحديث فى الأشاعر رابع عشر رجب الفرد سنة سبع وعشرين وتسعمية [1] ، عمل المعلم محمد السندى » .

التراكيب الخشبية (التوابيت) :

تميزت بعض العمائر الدينية اليمنية كالمساجد والقباب بوجود مجموعة جيدة من التوابيت الخشبية التى تعلو بعض قبور كبار الشخصيات فى اليمن خلال العصر الاسلامى ، ويوجد منها عدة فى بعض الوحدات المعمارية الملحقة بمسجد الأمام الهادى يحيى بن الحسين فى مدينة صعدة باليمن ، بالاضافة إلى بعض التراكيب الخشبيه فى جامع ظفار ذبين وفى جامع المدرسه بثلا وغيرها .

ونذكر من أمثلة أنواع هذه التراكيب الخشبيه : التابوت الملحق بقبة جامع الأبهر فى صنعاء والتابوت بقبة الأمام المهدى عباس بصنعاء أيضا

تابوت جامع الأبهر : [2] لوحة ٨٢ ، وشكل ٢٠

يتكون هذا التابوت من ثلاثة طوابق من الخشب متدرجة ومستطيلة الشكل [3] ، يعلوها

---

(١) أشار المصدر السابق إلى نصب هذا المنبر فى عام ٦٧٤ هـ حيث صُنع من خشب الطنب ، إلا أنه يستفاد من النص أن التاريخ هو على الأرجح عام ٩٢٧ هـ ، وقد كتب رقم المئات فى مساحة ضيقه جداً فى نهاية الحشوة ، وأغلب الظن أن هذا الكرسى أو المنبر هو غير المقصود فى المصدر السابق ، والذى ظل قائما بالمسجد حتى عام ٨٠٠ هـ .
أنظر : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، حاشية رقم ٢٦

(٢) مسجد أو جامع الأبهر من المساجد الأثرية بمدينة صنعاء ، كان يعرف قديما بمسجد بنت الأمير ، إذ عمرته السيدة فاطمة بنت الأسد السرواى فى عام ٧٧٦ هـ ، وزاد فى مساحته الأمام المنصور بالله الحسين بن الأمام المتوكل قاسم المتوفى عام ١١٦١ هـ والمقبور بالقبة الموجود بها الضريح .
أنظر : الحجرى : مساجد صنعاء : ص ٥ - ٦

(٣) مقاييس الطابق الأول ٢,١٢ م طول × ١٠٢ سم عرض × ١٠٧ سم ارتفاع .
مقاييس الطابق الثانى ١,٩٧ م طول × ٨٢ سم عرض .
ويبلغ إرتفاع الطوابق الثلاثة للتابوت (٢,٦١ م) حتى بدايه قاعدة الشكل المخروطى .

شكل مخروطى ، يقوم على قاعدة متعددة الأضلاع ، وكل طابق مكُون من حشوات مستطيلة ومربعة عليها زخارف محفورة حفرا بارزا بتماثل تام على الجانبين والوجهين ، ويفصل هذه الحشوات سدايب خشبية سميكة عليها زخارف مماثله لزخارف حشوات التابوت . ويلاحظ فى الطابق الأوسط شباكان لكل منهما دلفتان صغيرتان من الخشب ، واستخدم خشب الخرط المفرغ خاصة فى الطابق الثانى والثالث للتابوت .

زخرفت الحشوات بزخارف متنوعة نباتيه وهندسية وكتابيه ، وفق أسلوب الأرابيسك ، فالعناصر الزخرفيه النباتيه ضمت التفريعات النباتيه والأوراق النباتيه الثنائيه والثلاثية والخماسيه بتنوع فى أشكالها فبعضها خاصة الأوراق الثلاثيه على شكل كأسى وبعضها يتميز باستطاله الفص الأوسط ، فضلا عن أشكال الورود المتعددة البتلات والزهور خاصة زهرة القرنفل واللوتس وغيرها ، كما يلاحظ وجود أشكال من العقود المفصصة والمدببة الشكل . أما الزخارف الهندسية فتلعب فيها أشكال الأطباق النجمية ووحداتها المختلفه الدور الرئيسى وكذلك أشكال من العقود المفصصة والمدببة الشكل . وكذلك أشكال النجوم المدسسةوالدوائر وأنصافها والمربعات والمعينات والجدائل والزخارف المسننة وغيرها أيضاِ والتى حفر كثير منها بأشكال مُفرغة .

ولعل الكتابات كان لها دورها الكبير ضمن عناصر زخرفة هذا التابوت خاصة وأنها مُفرغة ، اذ يُقرأ على التابوت بعض الآيات القرآنية الكريمه والأدعيه والأسماء غير الواضحة وغيرها ، فعلى حشوات الطابق الأول والثانى « آيه الكرسى » وفى الطابق الثانى يُقرأ أيضا على بعض حشواته : إن فى خلق السموات والأرض ..... فقنا عذاب النار » وعلى يسار النافذه يقرأ « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وبعض الكلمات الأخرى ... « محمد بن محمد ... » ، بسم الله الرحمن الرحيم « من المحرم من سنة .... لله .

والواقع أن الحشوه الخشبية التى يوجد عليها تاريخ صناعة التابوت تقع ملاصقه لجدار قبة الضريح ، مما يتعذر معه قراءتها على وجه صحيح ، وان كنا نستبعد أن يكون التاريخ هو عام (٩٥٨ هـ) ، (كما ذكر لى بعض من حاول القراءة على هذه الحشوة) ، ذلك أن صاحب الضريح هو الأمام المنصور بالله الحسين بن الأمام المتوكل قاسم والذى توفى عام ١١٦١ هـ ، هو الذى شيد هذه القبة الملحقة بالمسجد فى الناحية الجنوبيه منه ، وفق ماهو مذكور فى الوثيقة الحجريه المثبته بجوار شاهد القبر الخاص به فى الجدار الشرقى للقبة والتى نسوق منها بعض النصوص الهامة التاليه والتى توضح عمارته للقبه :

سطر ٥ : أمر بتوسعته (المسجد) من جانبه العدنى (الجنوبى) بمن صلى مولانا أمير المؤمنين وسيد

سطر ٦ : المسلمين المنصور بالله رب العالمين الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين حفظه الله تعالى .

سطر ٧ : ... وأمر أيضا بعمارة قبة نفيسة متصلة بالمسجد وصرح غربى

سطر ٩ : تتسع لقبر ذاته الكريمة بعد وفاته

سطر ١١ : ... ولقد فاز من وسع من الله من يسعد ومن البشر أن تاريخه قصد بقصد ١١٤٥

سطر ١٢ : وأما الوضع الذى كان هو استثناه لقبر ذاته من القبة التى عمرها على ضريح والده ...

هذا ويرد تاريخ وفاته على شاهد القبر الحجرى المجاور لهذه الوثيقة إذ يقرأ على السطر رقم ١٢ أيضا :

« النعيم يوم السبت ثالث وعشرين ربيع الأول سنة احدى وستين ومائة وألف رحمه الله وعفى عنه » على أننا نعتقد بنسبة هذه التركيبه الخشبية الخاصة بالأمام المنصور بالله الحسين إلى القرن الثانى عشر للهجرى / ١٨ م وربما تكون قد صُنعت فى حياته أو أضيفت مباشرة على مقبرته داخل القبة عقب عام ١١٦١ هـ .

تابوت الأمام المهدى عباس لوحة : ٨٣

يوجد هذا التابوت الخشبى أعلى مقبرة الأمام المهدى عباس بن المنصور الحسين ، وهو ابن المنصور الحسين صاحب التابوت السابق ، فى قبته علو مدينة صنعاء ، وقد عمر هذه القبة فى عام ١١٦٤ هـ وتوفى هو فى عام ١١٨٩هـ ، وكان له جهد كبير فى تعمير وتجديد المساجد فى اليمن [1] . ويقع هذا التابوت فى الزاوية الجنوبية الشرقيه بالنسبه لمساحة القبة ، ويكاد يكون ملاصقا للجدار الجنوبى تماما فى الناحيه الشرقيه ، وهو الأمر الذى يشكل صعوبة فى قراءة النصوص على هذا التابوت فى هذه الناحيه كما فى التابوت

(١) الحجرى : مساجد صنعاء ، ص ٧٠

السابق . ويبدو على حشوات هذا التابوت امتداد يد التجديد لبعضها فى فترة تلت وضعه على المقبرة .

يشبه هذا التابوت فى شكله العام التابوت السابق بإستثناء بعض الاختلافات البسيطه ، فهو يتكون من ثلاثة طوابق متدرجة [1] ، ويتميز بوجود أربع نوافذ فى الطابق الثانى لكل منها دلفتين صغيرتين يعلوهما عقد صغير [2] ، أما الطابق الثالث فهو مستطيل الشكل أيضاً وينتهى فى الناحيتين الشرقيه والغربيه بحشوات خشبيه مجمعه على شكل القبو الصغير الذى ينتهى فى كل ناحية بعقد مدبب بداخله عقود صغيرة مدببة الشكل ، بالاضافة إلى وجود حشوه خشبية تتوسط الناحيتين الشماليه والجنوبيه من هذا الطابق ، بحيث يبدو وكأن غطاءه على شكل برميلى ، ويعلو هذا الطابق الأخير قبة صغيرة ترتكز على قاعدة مثمنة .

أُستخدم فى زخرفة حشوات جوانب هذا التابوت حشوات أخرى صغيرة مُطعمة وملونة ، على جانب كبيرة من الدقة والمهارة وبألوان متعددة ومذهبة ومفضّضة . وقبل أن نتعرض لزخارف هذا التابوت النباتية والهندسية فإننا نشير إلى الكتابات الأثرية الباقية عليه إذ أنها كثيرة خاصة أن الحشوات التى كان عليها إسم صاحب التابوت يبدو أنها فقدت وبقى أسماء آبائه على الحشوات الباقية حيث يقرأ على حشوتين فى الجانب الشمالى : « ... بن الامام أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين الحسين بن أمير المؤمنين الامام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن امير المؤمنين الامام المهدى لدين الله أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين بن الامام القاسم بن محمد بن على الرشيد بن أحمد بن الحسين ويكمل بقية النص على حشوتين على الجانب الجنوبى للتابوت بخط النسخ أيضا : « المنصور بالله يحيى بن الناصر لدين الله أحمد الهادى إلى دين الله يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن على بن أبى طالب » .

كما توجد بعض الأيات القرآنية الكريمة بخط النسخ أيضا على بعض حشوات هذا التابوت وهى : « أن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، والآية القرآنية الكريمة » أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذين كنتم توعدون » ، وأيضا سورة الفاتحة وآية الكرسى .

---

(١) أبعاد الطابق الأول : ٢,١٧ طول × ١,٣٣ م عرض × ١,٣٠ م ارتفاع
أبعاد الطابق الثانى : ٢ م طول × ١,١٨ م عرض × ٥٨ سم ارتفاع
(٢) مقاييس النوافذ : فى الناحيتين الشماليه والجنوبيه ٤٧ سم × ٣٧ سم
وفى الناحيتين الشرقيه والغربية ٤٧ سم × ٣٢ سم

وينفرد هذا التابوت بوجود أسماء الله الحسنى على العديد من حشواته على النحو التالى : فعلى الضلع الشرقى يقرأ : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، هو الله الذى لا إله الا » ، وعلى الضلع الجنوبى : « هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارى المصور الغفار القهار الوهاب الرازق الفتاح العليم القابض » ، وعلى الضلع الغربى : « الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف » وعلى الضلع الشمالى : « الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المغيث الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى » .

كذلك تكمل أسماء الله الحسنى على الأشرطة السفلى على هذه التركيبة ، فيقرأ على الحشوات بالضلع الشرقى :
المبين الولى الحميد المحصى المبدى المعيد المحيى المميت الحى القيوم » ، وعلى الحشوات فى الضلع الجنوبى : « الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو » ، وعلى حشوات الضلع الغربى : « الرووف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع » ، وعلى حشوات الضلع الشمالى : « الغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور الذى ليس كمثله شى وهو السميع البصير صدق الله »[1] . كما توجد كتابات أخرى على هذا التابوت أيضا وهى عبارة : « لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين سبطى رسول الله صلوات الله عليهم » ، وأيضاً « أنما الاعمال بالنيات » ، ويرد تاريخ وفاة الامام المهدى عباس على حشوة خشبية بالتابوت حيث يقرأ التاريخ « يوم الخميس تاسع عشر رجب سنة ١١٨٩ هـ » ، هذا فضلا عن بعض الأدعية والشعر .

والواقع أن الكتابات الأثرية ذات النصوص الدينية وغيرها تبدو واضحة بخطى النسخ والثلث على حشوات هذا التابوت بشكل لا فت للنظر ، كما أن الزخارف النباتية والهندسية تؤدى دور كبيرا فى العمل الزخرفى ، خاصة الأوراق النصلية والرمحيه والخماسية وبعض الزهور والورود المنتشرة فى زخارف الطراز العثمانى ، فضلا عن التفريعات النباتية .

وتبدو التقاسيم الهندسية فى أشكال الحشوات والسدايب المربعة والمستطيلة المزدانة بأشكال الأطباق النجمية والأشكال النجمية المسدسة وغيرها وعناصر الأطباق النجمية والجامات والفصوص والعقود المفصصة والمدببة والتى زخرفت أطاراتها بالكتابات والزخارف المختلفة وقد أكسبها استخدام التذهيب بريقا خاصا . على أن هذا التابوت الخشبى يدل

---

(١) استخدام الخطاط الأشكال النجمية بمثابة فواصل بين كل عدد معين من أسماء الله الحسنى المكتوبة على الحشوات السابقة .

دلالة خاصة ، على إستمرار تقدم صناعة وزخرفة الأخشاب فى اليمن حتى نهاية القرن الثانى عشرة للهجرة / ١٨ م والذى نعتبره نهاية للأساليب الحرفية الصناعية والزخرفية فى اليمن بنهاية هذا القرن تقريبا ، بحيث يمكن القول بوجود طراز خاص لصناعة التوابيت الخشبية فى اليمن من حيث الشكل العام والأساليب الزخرفية ، خلال العصر العثمانى .

المشربية اليمنية لوحة ٨٤

يلاحظ وجود كثير من المشربيات الخشبية القديمة على واجهات القصور والمنازل اليمنية ، خاصة فى مدينة صنعاء القديمة ، مما يدل على كثرة استخدامها فى المبانى اليمنية . ومن المعروف أن صناعة المشربيات الخشبية ، تعود فى تاريخها إلى ما قبل القرن السادس الهجرى / ١١ م ، لاسيما فى مصر حيث كان لأقباطها تقدما ملحوظا فى عمل المشغولات الخشبية ، خاصة فى استخدام أخشاب الخرط الدقيقة ، وقد ازدهرت هذه الصناعة فى كثير من بلاد العالم الاسلامى خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، وواصلت تقدمها بعد ذلك ، حتى بلغت أوج ازدهارها خلال العهد العثمانى ، وكانت تُزود فى بعض الأحيان بدُلف صغيرة من الزجاج للتحكم فى تيار الهواء .

ويذكر الدكتور زكى حسن أن كلمة المشربية ، لعلها مُحرفة من مشربة بمعنى الغرفة العالية ، أو المكان الذى يشرب منه ، حيث كان يوضع فى خارجات صغيرة بها أوانى الشراب الفخارية لتبريد المياه بداخلها (١) . ويبدو استخدام المشربيات فى العمارة الاسلامية عامة لأهميتها كعنصر معمارى وزخرفى ، لتغطية فراغات معينة فى الواجهات خاصة أو فى حسُن استغلال الممرات والدهاليز العليا المطلة على القاعات والأفنية (قاعات المغانى) ، بحيث تسمح فى الحالتين برؤية أصحاب الدار خاصة من النساء ما يدور من مناسبات اجتماعية فيها ، دون أن يراهم من فيها ، فضلا عن أهمية المشربيات فى الواجهات بالنسبة لأدخال الهواء وحجب الشمس إلى حد كبير ، مما يساعد على تخفيف حدة الضوء (٢) . وتبدو

---

(١) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٤٧٠ - ٤٧١

(٢) يوجد فى مدينة القاهرة أمثلة عديدة من المشربيات الأثرية فى الواجهات والدهاليز والممرات المطلة على قاعات الاحتفالات أو المناسبات الخاصة ، كما يوجد ضمن مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وبيت الكريدلية مجموعة أخرى منها ما هو بمدخل سبيل السلطان محمود (١٥٧٠ م) وبمنزل الكريدلية ١٦٣٢ م ، وجمال الدين الذهبى ١٦٣٧ م وبمنزل السحيمى ، كما تشاهد المشربيات أيضا على واجهات بعض المنازل القديمة بالقاهرة ، وبالمتحف القبطى بالقاهرة أيضا ، بعض النماذج من أجزاء من المشربيات الأثرية .

المشربية فى صناعتها من خشب الخرط الدقيق على هيئة مكعبات صغيرة دقيقة أو كرات خشبية أو أعواد خشبية أفقية ورأسية متقاطعة بحيث تؤلف أشكالا زخرفية فى شكلها البسيط من مستطيلات ومربعات صغيرة [٤] ، فضلا من الزخارف الأخرى الدقيقة النباتية والهندسية وبعض أشكال الطيور والحيوانات ، فضلا عن بعض الكتاب الموجودة على بعضها .

ويبدو استخدام خشب الخرط الدقيق على نطاق واسع على العمائر اليمنية متمثلا فى صناعة المشربيات فى واجهات المنازل الحالية ، والتى لا تزال باقيا منها إلى اليوم أمثلة عديدة فى صنعاء ورداع وزبيد وجبلة وتعز وغيرها من المدن اليمنية ، حيث تبرز المشربية فى كثير من الأحيان خارج الجدار وبعضها يتساوى مع الجدران ، وتُحمل على كوابيل من الحديد أو الخشب وفى بعض الأحيان على أحجار أو طابوق متدرج ، يأخذ هيئة رؤوس بعض الحيوانات أو الطيور .

تعرف المشربيات عادة فى اليمن بإسم الشبابيك التركية ، وإن كانت هذه التسمية تدل على معرفة أهل اليمن بها خلال فترات الحكم العثمانى ، إلا أننا لا نعتقد بصحة هذا الرأى فخشب الخرط واستخداماته المختلفة معروف فى اليمن من قبل الفترة العثمانية بها ، وقد سبق أن أشرنا إلى استخدامه فى فتحات الأبواب والنوافذ وفى عمل الدرابزين الخاص بالمنابر ، والأمثلة على ذلك توجد فى المدرسة الأشرفية (٨٠٠ هـ) وفى منبر الحديث بجامع الأشاعر بزبيد (٩٢٧ هـ ؟) وفى بعض الأمثلة بالمتحف الوطنى بصنعاء وغير ذلك .

على أن المشربيات أو فتحات النوافذ المعروفة باسم الشبابيك التركية يغلب عليها خلوها من الزخارف العديدة فهى على شكل أعواد رئيسية دقيقة من خشب الخرط التى يكون بعضها مائل أو متقاطع ، بحيث تُؤلف مربعات ومستطيلات صغيرة هندسية الشكل بالاضافة إلى بعض الاشكال الهندسية الأخرى الدائرية ونصف الدائرية .

ويلاحظ على بعض المشربيات اليمنية زخرفة السدايب الخاصة بالاطارات بالزخارف

---

(٤) أنظر : فريد شافعى : العمارة العربية الاسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ١٩٨٢ ، ص ٨ - ٩ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ ، كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية فى مصر ، ص ٧١ - ٧٦ ، ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ١٢٣ ، ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٩٠ - ٩٢ ، توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، حـ ٢ ، ص ٢٦٤ .

الدقيقة كالكتابات أو الأوراق النباتية والأشكال الهندسية ولاسيما النجمية منها والأوراق المختلفة وبعض أشكال الطيور أو أن تكون هذه العناصر جميعها مجتمعة على المشربية اليمنية ، كما أن بعضها قد يبرز بروزا ملحوظا إلى الخارج بحيث يبدو وكأنه جزء من جوسق متعدد الأضلاع وفى بعض الأحيان قد تتكون المشربية من عدة طوابق صغيرة ذات نوافذ على شكل العقود المتجاورة .

المراجـــع

المراجع العربية :

القرآن الكريم .

إبراهيم المقحفى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .

أحمد فكرى : مدارس القاهرة ومساجدها ، جـ ٢ ، القاهرة ١٩٦٩ .

اسماعيل الأكوع : تقرير الجمهورية العربية اليمنية عن الآثار الإسلامية فى اليمن ، كتاب الآثار الإسلامية فى الوطن العربى ، تونس ، ١٩٨٥ ، (ص ٣٨٩ - ٣٩٣) .

- المدارس الإسلامية فى اليمن ، منشورات جامعة صنعاء ، رقم ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠ .

أيمن فؤاد السيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، طبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٧٤ .

بربارة فنستر : تقارير أثرية من اليمن ، ترجمة عبد الفتاح البركاوى ، المعهد الألمانى للآثار بصنعاء ، الجزء الأول ، ١٩٨٢ .

تقرير البعثة الفرنسية بصنعاء عن جامع ظفار ذيبين ، مجلة اليمن الجديد ، العدد ١١ نوفمبر ١٩٨٢

تقرير حفائر شبام الغراس ، مجلة الدراسات اليمنية ، صنعاء ، العدد ١٦ / ١٩٨٤ ، ص ١٠٥ - ١١٨ .

توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة ، القاهرة ١٩٧٠ ، (جـ ٢) .

ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة .

جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٢ ، جـ ٧ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٨ .

جوستاف لوبون : الحضارة العربية ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨ .
- مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٩ .

حسين أحمد السياغى : معالم الآثار اليمنية ، طبعة مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء .

حسين بن أحمد العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى مُلك اليمن من ملك وإمام ، تحقيق أنستاس الكرملى ، ١٩٣٩ .

الحسين عبد الله الشمرى : السيف العربى ، مجلة التراث الشعبى ، العدد الثامن ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ .

حسين بن عبد الله العمرى : مصادر التراث اليمنى فى المتحف البريطانى ، دمشق ١٩٨٠ .

حسين مؤنس : المساجد ، الكويت ١٩٨١ .

الخزرجى : (أبو الحسن على بن الحسين) ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م
- العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك . مخطوط مصور ، دمشق .
- العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد الأكوع ، جزءان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

ابن الديبع : (أبو عبد الله عبد الرحمن على الشيبانى) ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م
- بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبد الله الحبشى ، طبعة مركز الدراسات اليمنية والبحوث ، صنعاء .
- الفضل المزيد على بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .
- قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٧١ .

ديماند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الرازى : (أبو العباس أحمد بن عبد الله الصنعانى) ، ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين العمرى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ .

ربيع خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، القاهرة ١٩٨٤ .

ربيع القيسى وصباح الشكرى : دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية فى شطرى القطر اليمانى ، بغداد ١٩٨١ .

زكى محمد حسن : الفنون الإسلامية ، الطبعة الأولىٰ ، القاهرة ١٩٤٨ .
- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، طبعة بغداد .

سامى حسن : ملامح أثرية عن الجامع الكبير بصنعاء ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد الثانى ، ١٩٧٩ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٧ .

سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٧١ .
- الخزف التركى ، القاهرة ١٩٧٧ .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، جـ ٢ ، مؤسسة شباب الجامعات ، الاسكندرية .
- المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى - الأسكندرية .
- تاريخ العرب فى العصر الجاهلى ، بيروت . ١٩٧٠ .

السيد مصطفى سالم : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م الطبعة الثالثة ، القاهرة .

الشوكانى : (محمد بن على) ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م .
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . جزءان ، دار المعرفة ، بيروت .

صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر . دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ .

صلاح الدين البحيرى : عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون - حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .

عباس حلمى كامل : المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية .
مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، ١٣٩٨ هـ .

عبد الله عبد الكريم الجرافى : المقتطف من تاريخ اليمن ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

عبد الله محمد الحبشى : مصادر الفكر الإسلامى فى اليمن . مركز الدراسات اليمنية صنعاء -
مراجع تاريخ اليمن ، دمشق ١٩٧٢ .

عبد الرحمن الحضرمى : زبيد وآثارها الإسلامية وأوضاعها الراهنة .
كتاب الآثار الإسلامية فى الوطن العربى ، تونس ١٩٨٥ . (ص ٦٨ - ٧٦) .
- جامع الأشاعر بزبيد ، الطبعة الأولى ، صنعاء .

عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الإسلامى . مطبعة دار الكتاب العربى ، مصر .

عبد الرحمن فهمى : فجر السكة العربية . القاهرة ١٩٦٥ .

عبد العزيز حميد ، صلاح العبيد : الفنون العربية الإسلامية .
دار الحرية للطباعة بغداد .

عصام الدين عبد الرؤوف : اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول .
دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢ .

عمارة اليمنى : (أبو محمد نجم الدين) ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م
تاريخ اليمن ، تحقيق محمد الأكوع ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م .

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٥ .

غازى رجب محمد : البيوت القلاعية فى اليمن ، مجلة سومر ، بغداد -
جامع الجند ، لبنة جديدة فى هيكل العمارة الإسلامية : مجلة اليمن الجديد ، يناير ١٩٨٦ ، العدد الأول .

فريد شافعى : زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد ١٣ ، جـ ٢ ، ١٩٥٢ .
- مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ، مجلة كلية الآداب ،المجلد ١٤ ، جـ ٢ ، ١٩٥٢ .
- العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ١٩٨٢ .

كريزول : الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دمشق ١٩٨٤ .

كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

الكندى : (يعقوب بن اسحق) ت ٢٦٠ هـ
السيوف وأجناسها ، تحقيق عبد الرحمن زكى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٤ ، جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٥٢ ، ص ١ - ٣٧ .

لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ .

محمد بن أحمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، تحقيق إسماعيل الأكوع ، جزءان الطبعةالأولى ١٩٨٤ .
- مساجد صنعاء ، طبعة بيروت ١٣٩٨ هـ .

محمد بن أحمد النهروانى : البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

محمد بن إسماعيل الكبسى : اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية . مطبعة السعادة ، القاهرة .

محمد عبد العال محمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما . الأسكندرية ١٩٨٤ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى تاريخه وخصائصه . بغداد ١٩٦٥ .

محمد بن على الأكوع : وصف صنعاء القديمة ، مجلة الأكليل ، صنعاء ، العددان ٢ ، ٣ / ١٩٨٣ .

محمد بن عبد الوهاب المقداد : جامع الأشاعر المسمى قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون فى فضل مسجد الأشاعر .
تحقيق وتعليق عبد الرحمن الحضرمى . مجلة الأكيل ، صنعاء ، العددان ٣ ، ٤ / ١٩٨١ .

مصطفى عبد الله شيحه : دراسة أثرية لشواهد قبور إسلامية محفوظة بجامعة صنعاء القاهرة ١٩٨٤ .

- دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمانية معاصرة . القاهرة ١٩٨٤ .
- دراسة أثرية لشواهد قبور إسلامية بالسودان .
مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٠ - ١٧٠ .
- درهمان من العصر الأموى بالمتحف الوطنى بصنعاء .
مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، العدد الثامن / ١٩٨٥ ، ص ٩٠ - ١١٢ .
- رداع مدينة الأثار باليمن ، مجلة المتحف العربى ، الكويت ، العدد الثالث / السنة الثانية / ١٩٨٧ .
- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن - جزءان (تحت الطبع) .

مؤلف مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبد الله الحبشى ، دمشق ١٩٨٤ .

نبيل عبد العزيز : خزانة السلاح لمؤلف مجهول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العرب السعيدة . طبعة بيروت .

نعمت أبو بكر : منبر جامع الست تاتار الحجازية . مجلة الدراسات الآثارية الإسلامية ، المجلد الأول ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٣ - ١٦٩ .

النويرى : (شهاب الدين أحمد) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م
نهاية الأرب فى فنون الادب ، جـ ٦ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

الهمدانى : (أبو محمد الحسن بن أحمد) ت ٣٤٤ هـ / ٩٤٥ م
- صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، طبعة بغداد ، ١٩٣١ .

واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى - الطبعة الأولى . بيروت ، ١٩٨١ .

ياقوت : (شهاب الدين أبى عبد الله الحموى) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ .
معجم البلدان ، جـ ٣ ، طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٨٤ .

يحيى شرف الدين : إبتسام البرق فى سيرة خير الخلق .
تحقيق محمد بن على بن يحيى بهران ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٣ .

يوسف محمد عبد الله : أوراق فى تاريخ اليمن وآثاره جزءان ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٥ ،
اللبان والعقيق والجنبية . (تحت الطبع) وزارة الإعلام اليمنية .

المراجع الاجنبيه

- Blochet, E : Les enluminures des Manuscrits orientaux- Paris, 1926.

- Creswell, K.A.C : The Musluim Architecture of Egypt, Vol, I, Ikhshids and Fatimids 939–11771, A. D, rephint, New York, Hacker Art Books, 1978.

- Davssavd, R : Topographie Historique de la syrie, Parise, 1984.

- Diamand, M : UnPublished Metalwork of The Rasulid sultans of yemen, Metroplitan Museum studies. Vol, III, pp.229–237.

- Finister, B : Die frietags Moschee von s̃ibám- Kaukaban, Baghdader Mitteilun-gen, Band, 10, 1979.

- Jenner, M: Yemen Rediscovered, London, 1983.

- Papadopoulo, A: Islam and Muslim Art, London, 1980.

- Piepenburg, F : Travellers Guide to yemen, Nicosia, 1983.

- Schultz, W: Die Persisch- Islamische Miniaturmalerei, Leipzig, 1914.

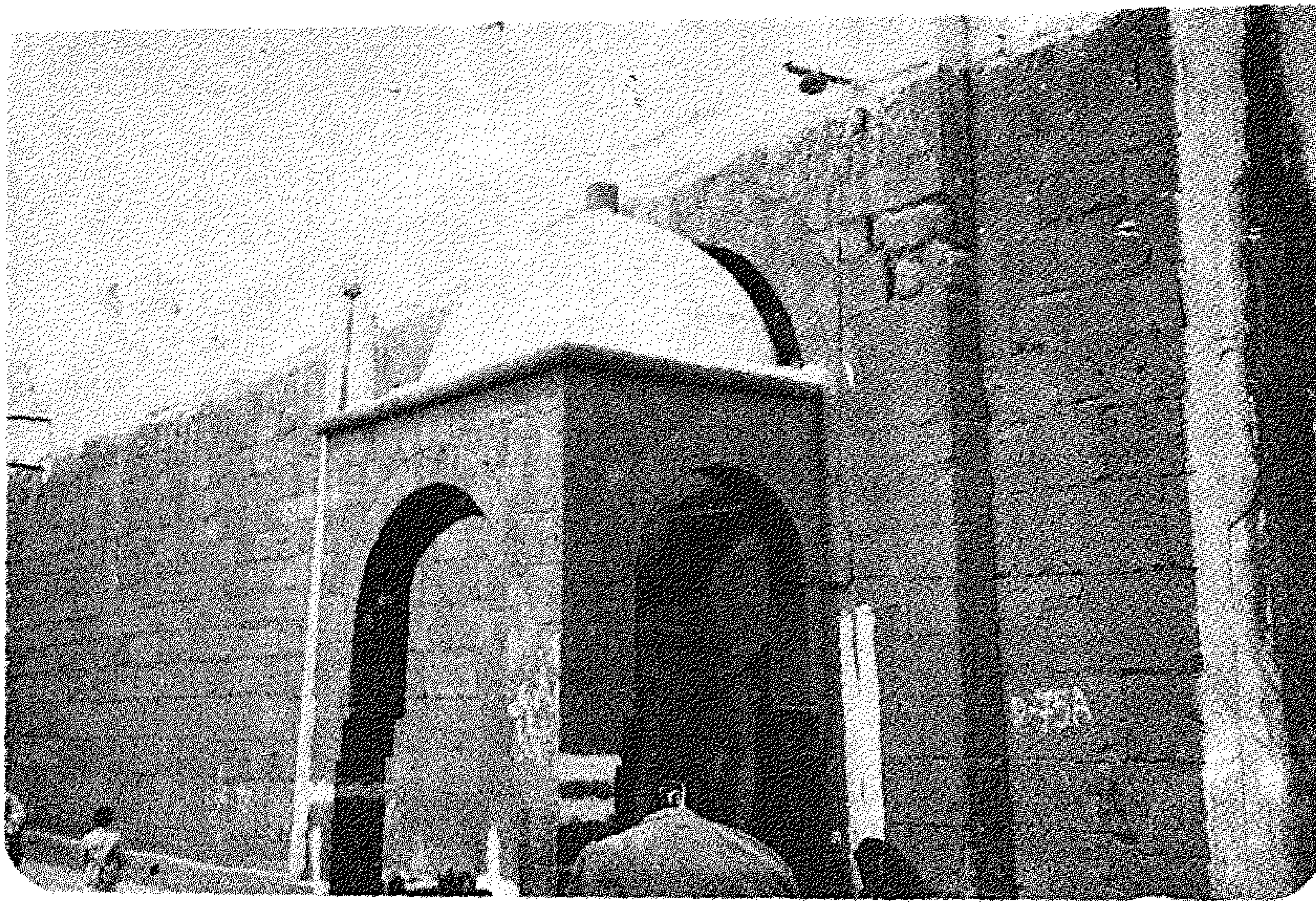
- Serjeant, R. B & Lewock, R: SAN'A an Arabian Islamic City, England, 1983.

- Shafi'i, F : Simple Calyx ornament in Islamic Art, Cairo, 1956.

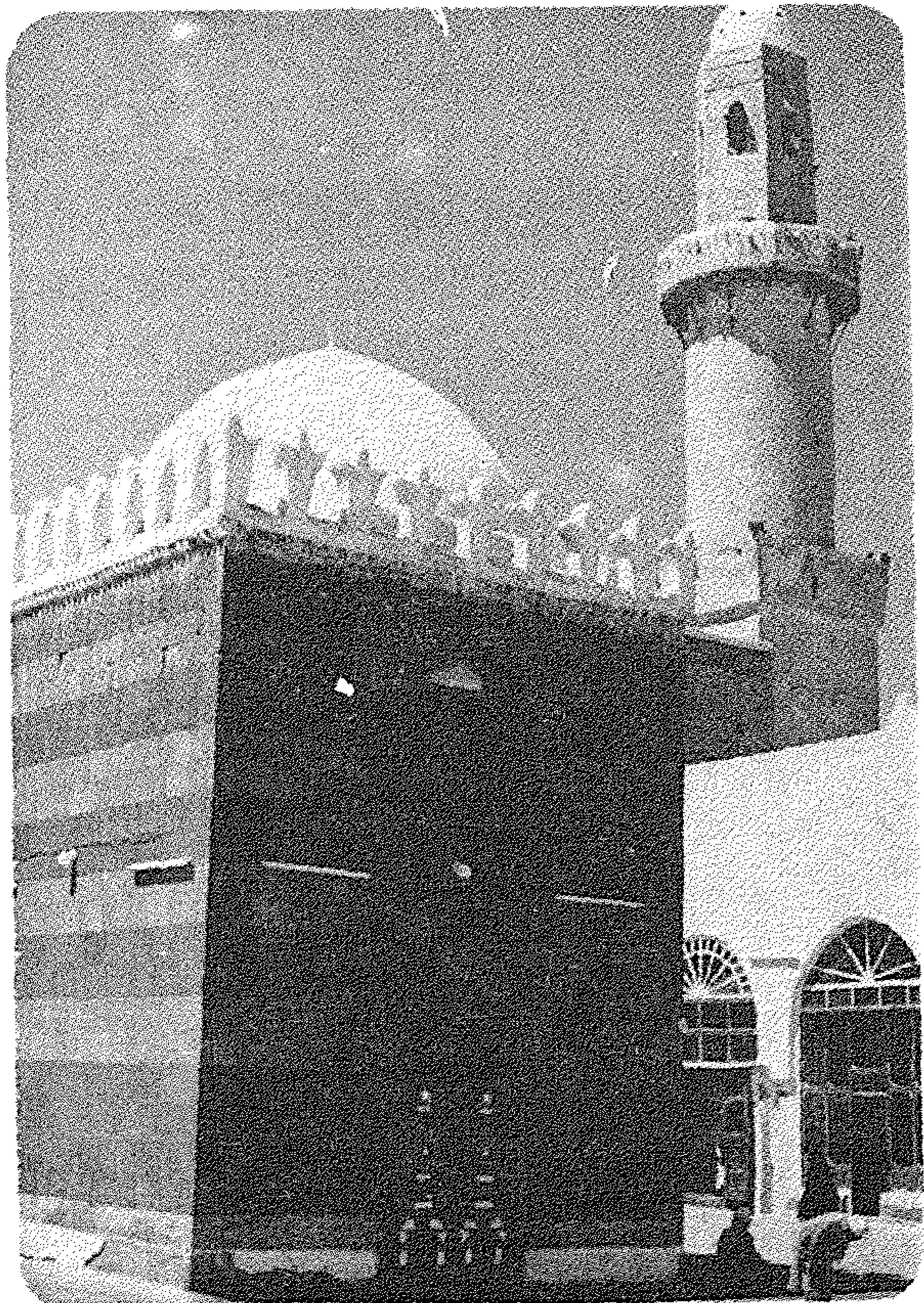
- Suzanne et Max Hirschi: L'Architecture au yemen du Nord, Berger- Levrault, 1983.

- Wiet, G : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, objets en cuivre, Le Caire, 1984.

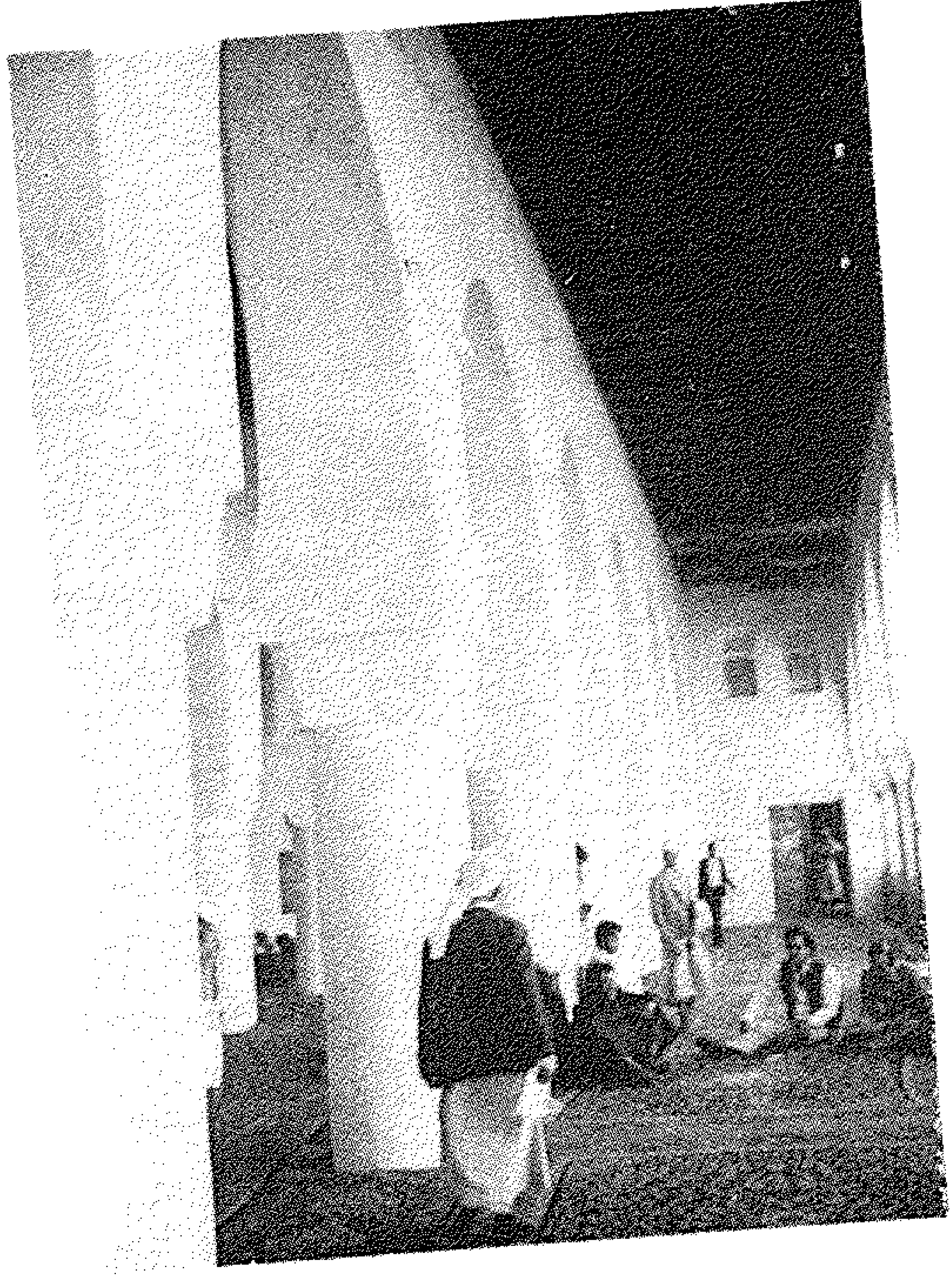
صور اللوحات



لوحة ١ : المدخل الجنوبى بالجامع الكبير بصنعاء .

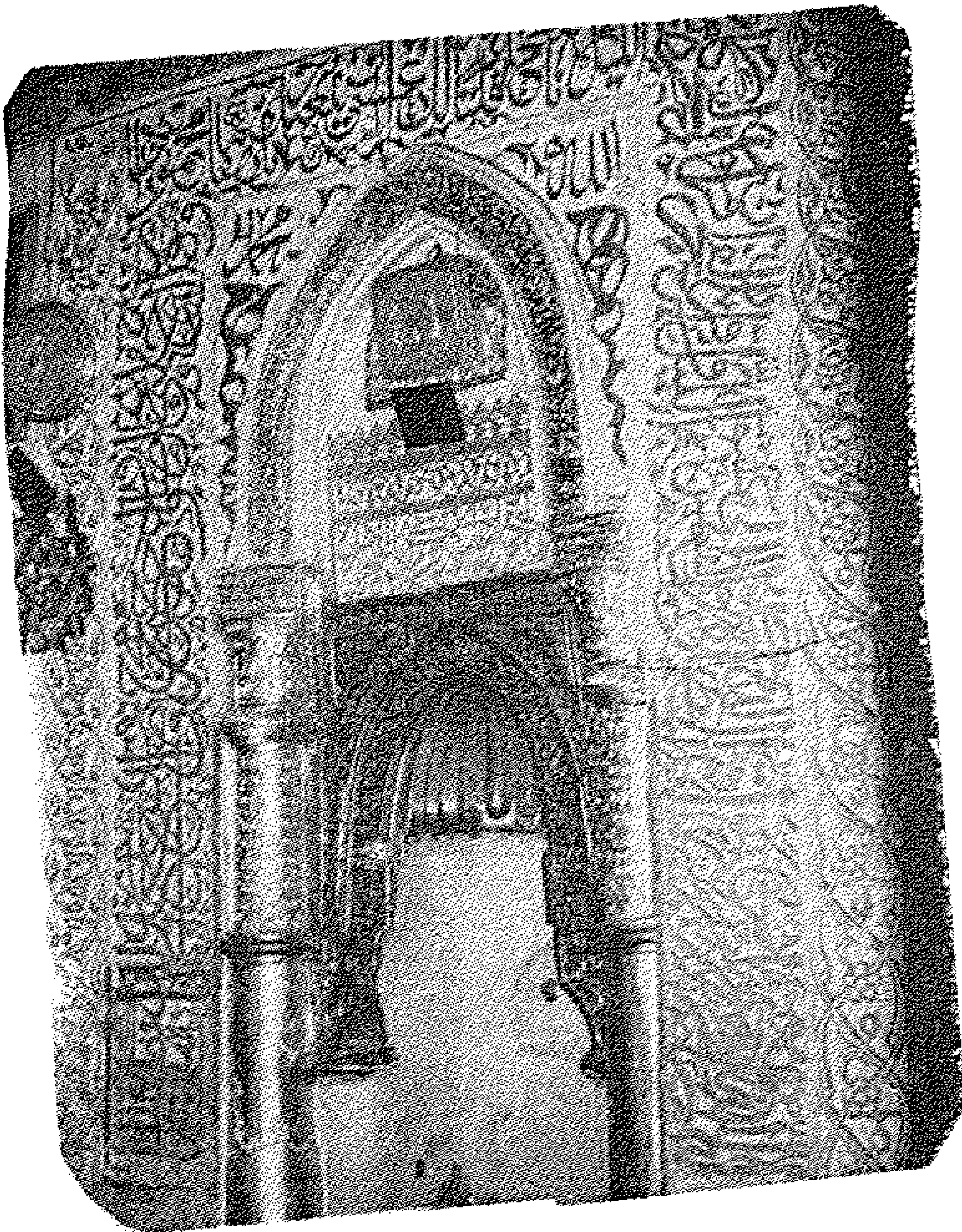


لوحة ٢ :
القبة وسط الصحن والمئذنة الغربية



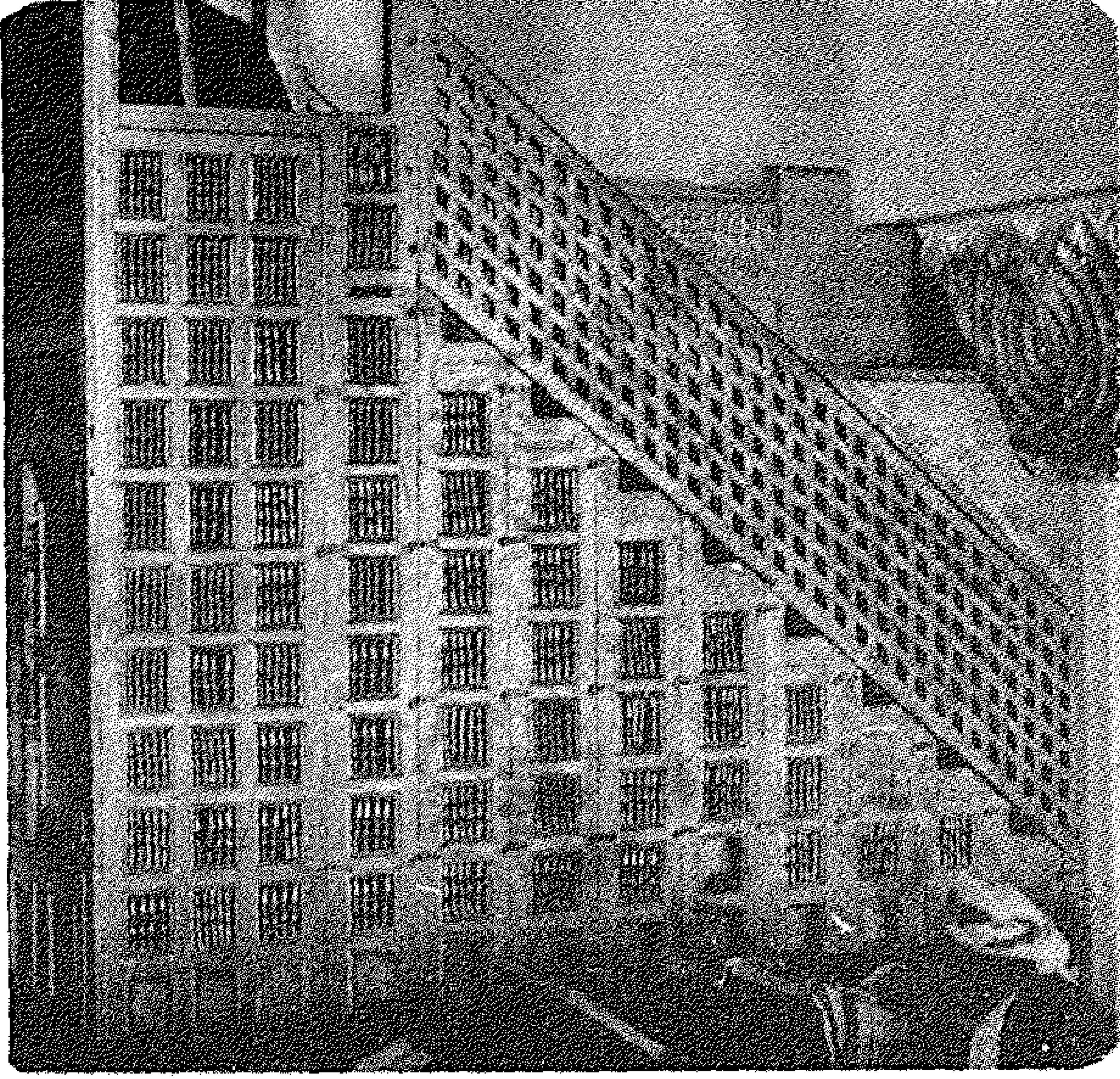
لوحة ٣ :

جانب من بائكات رواق القبله
الجامع الكبير بصنعاء .

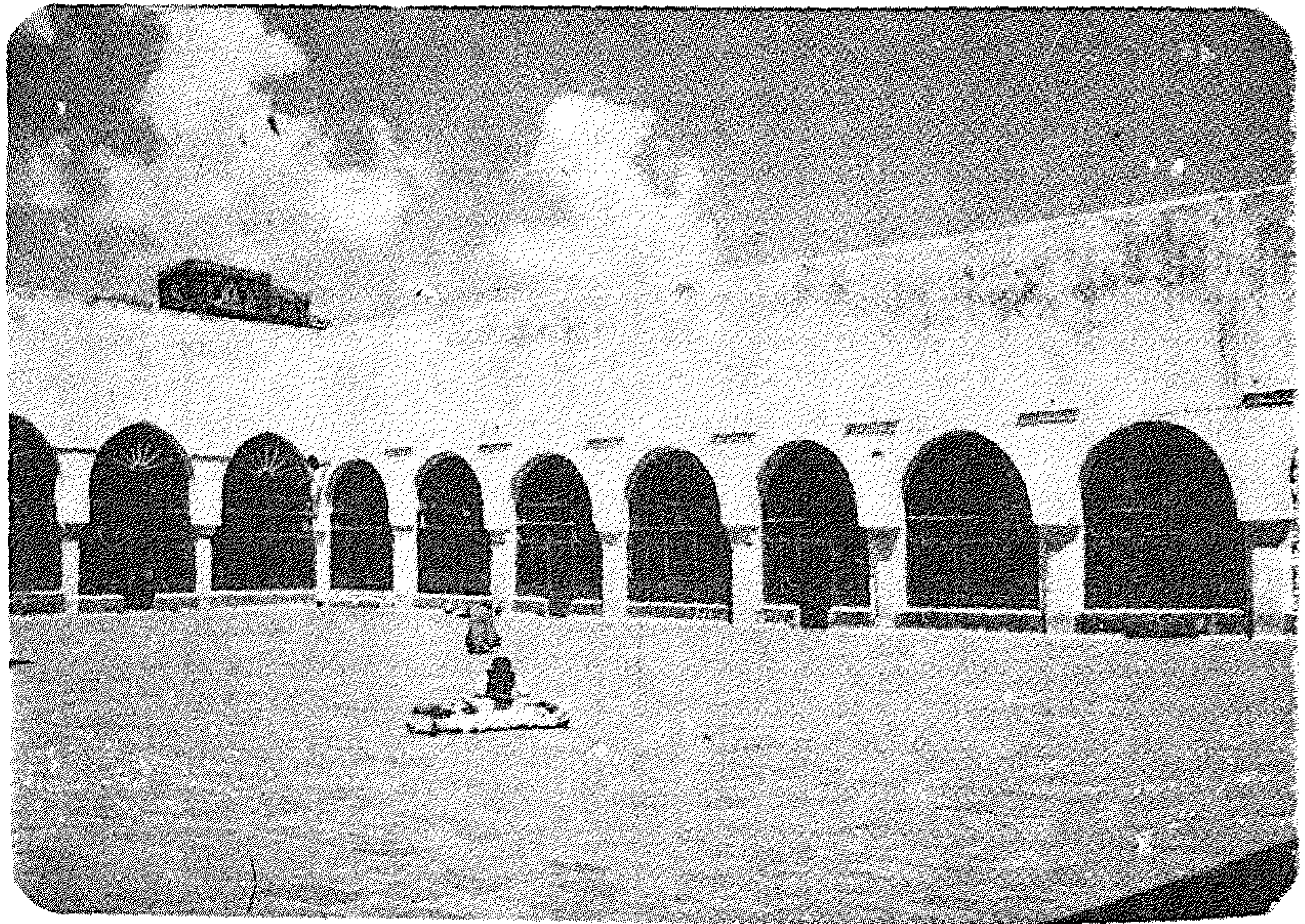


لوحة ٤ :

كتلة المحراب برواق القبلة بالجامع
الكبير بصنعاء .

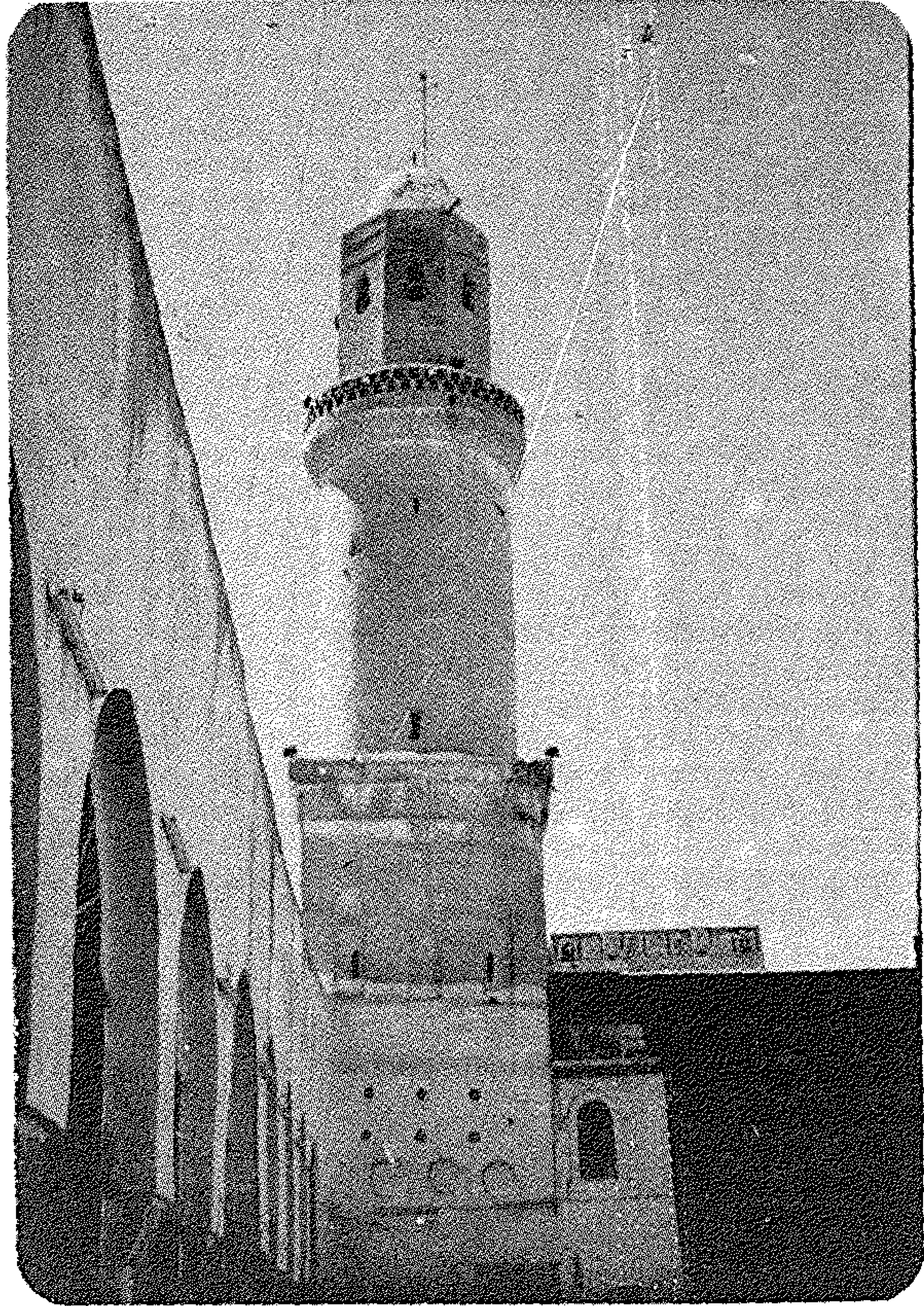


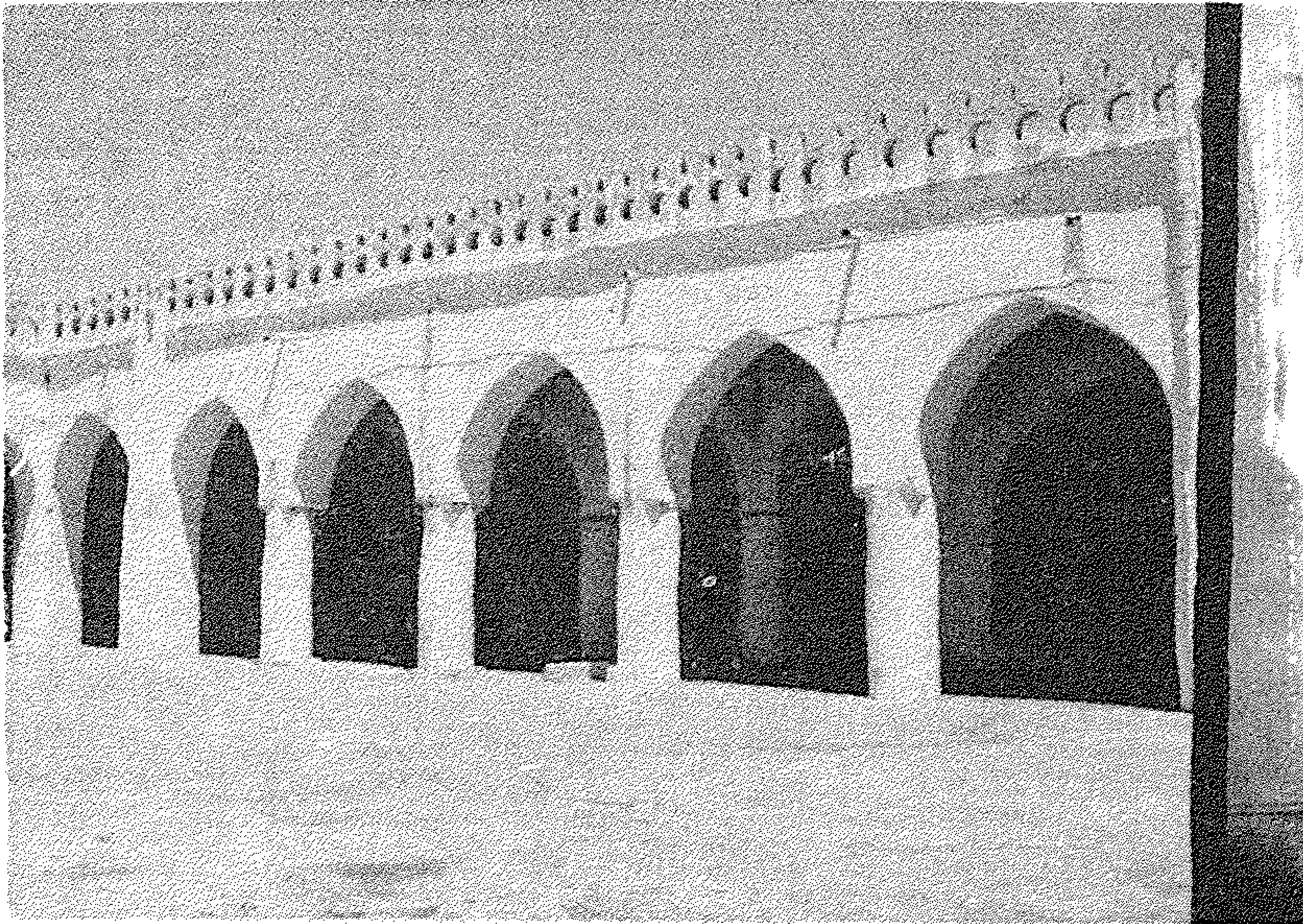
لوحة ٥ :
المنبر بالجامع الكبير بصنعاء .



لوحة ٦ : الأروقة المحجوبة عن الصحن - الجامع الكبير بصنعاء .

لوحة ٧ :
المئذنة الشرقية بالجامع الكبير بصنعاء .

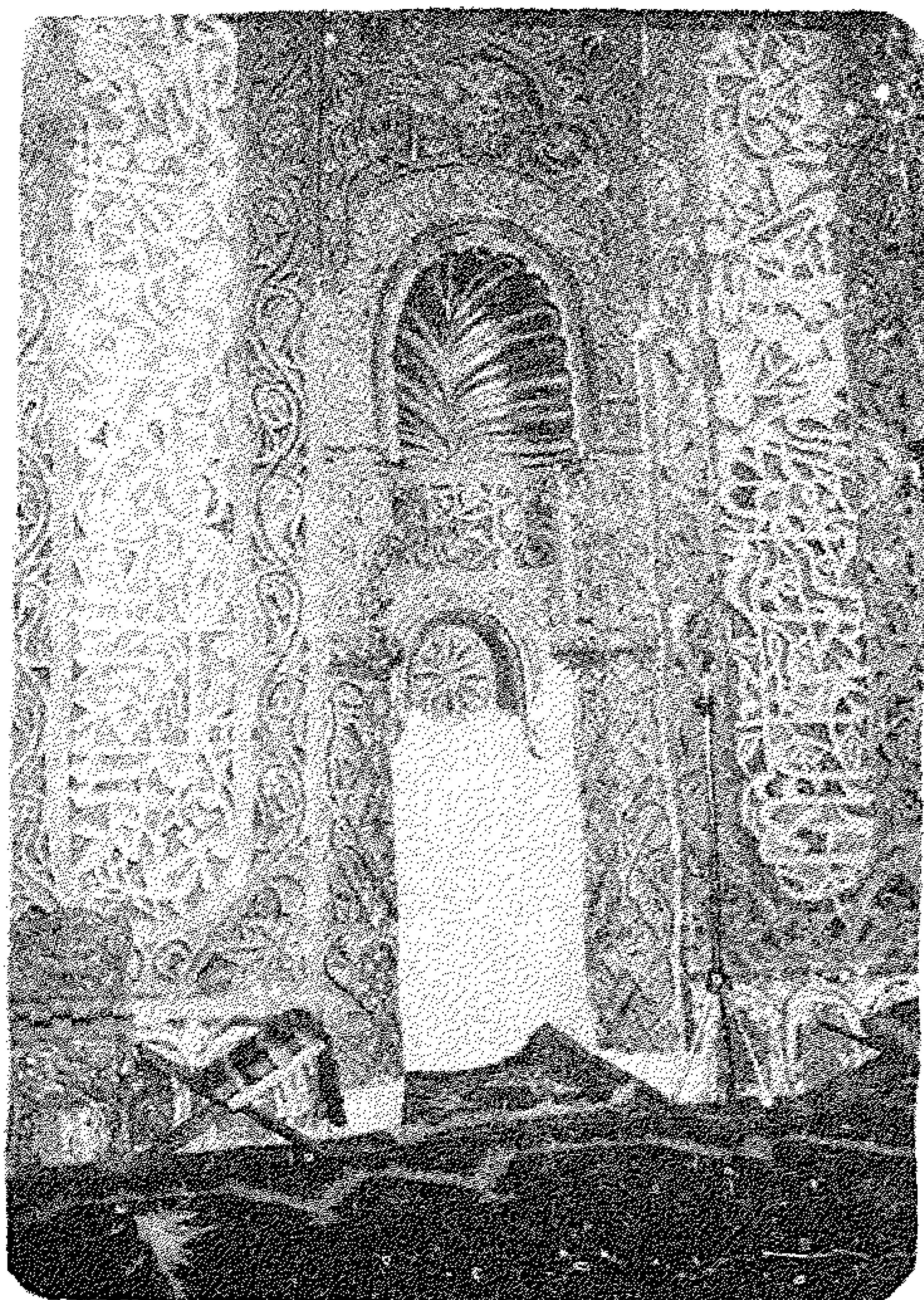




لوحة ٨ : عقود البائكات والشرفات المسننة بجامع الجند - تعز .

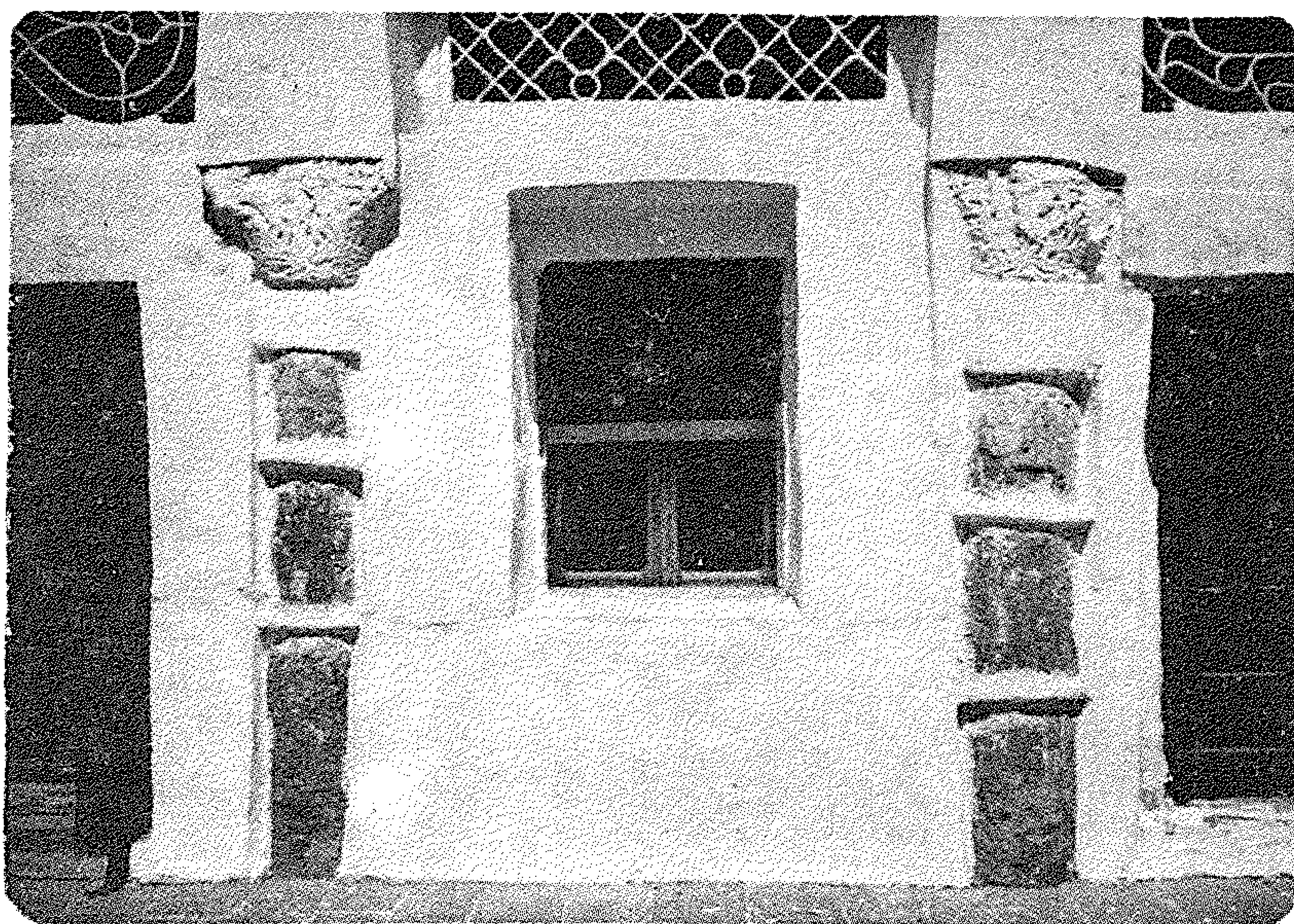


لوحة ٩ : مئذنة جامع الجند

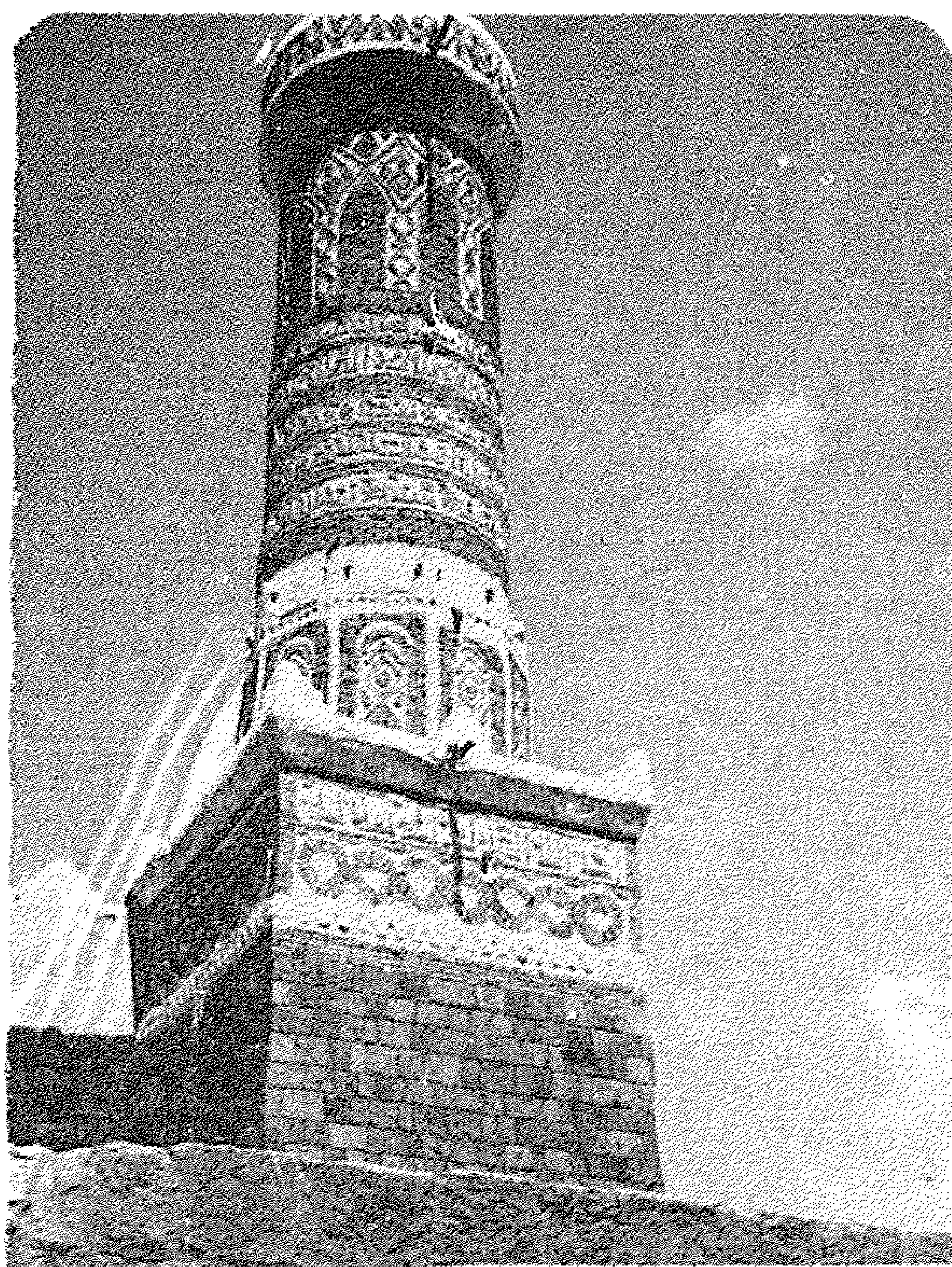


لوحة ١٠ :

المحراب الرئيسى فى الجامع الكبير
بشبام كوكبان .

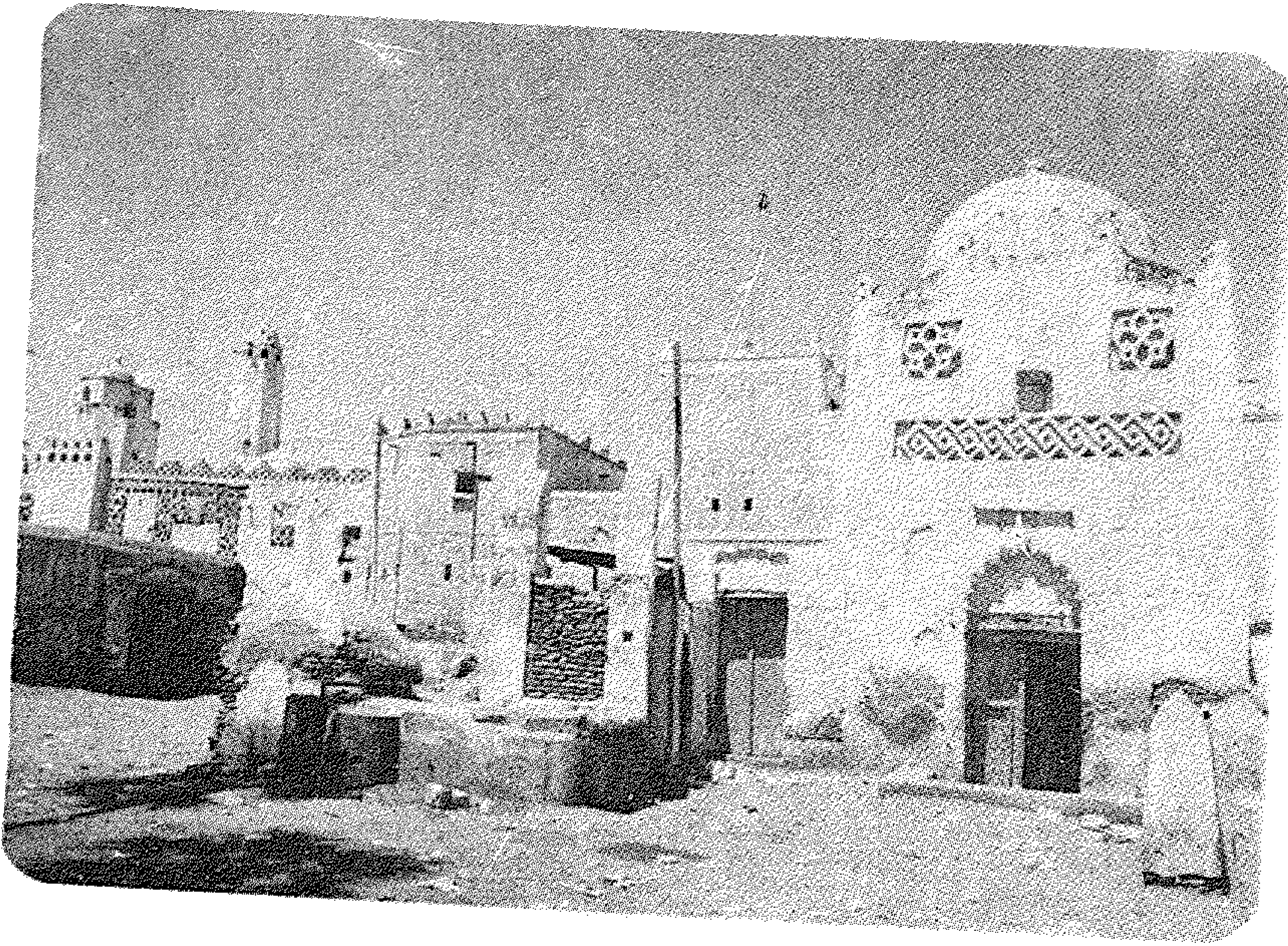


لوحة ١١ : الأعمدة القديمة متداخلة مع الجدران الحديثة فى الجامع السابق .

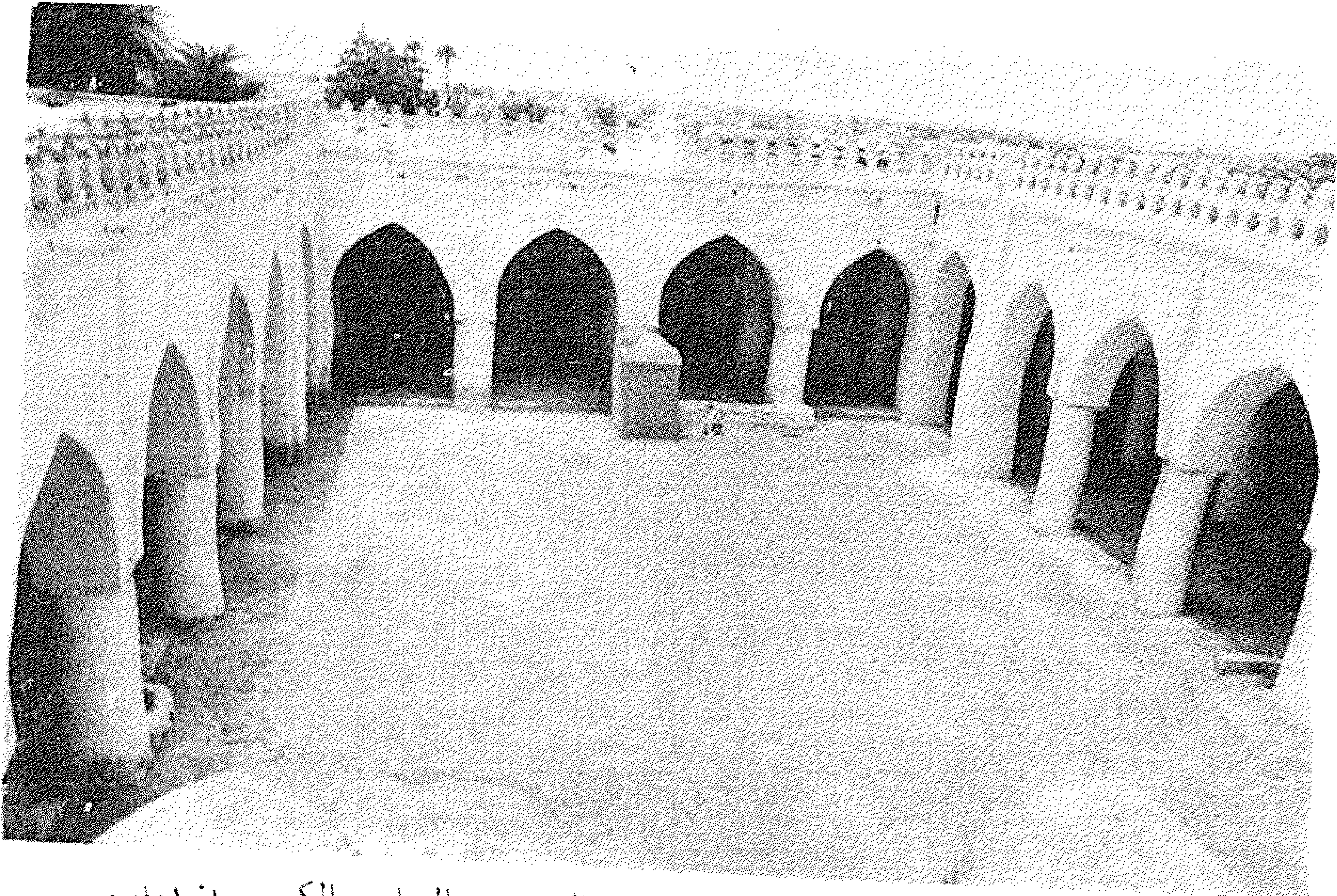


لوحة ١٢ :

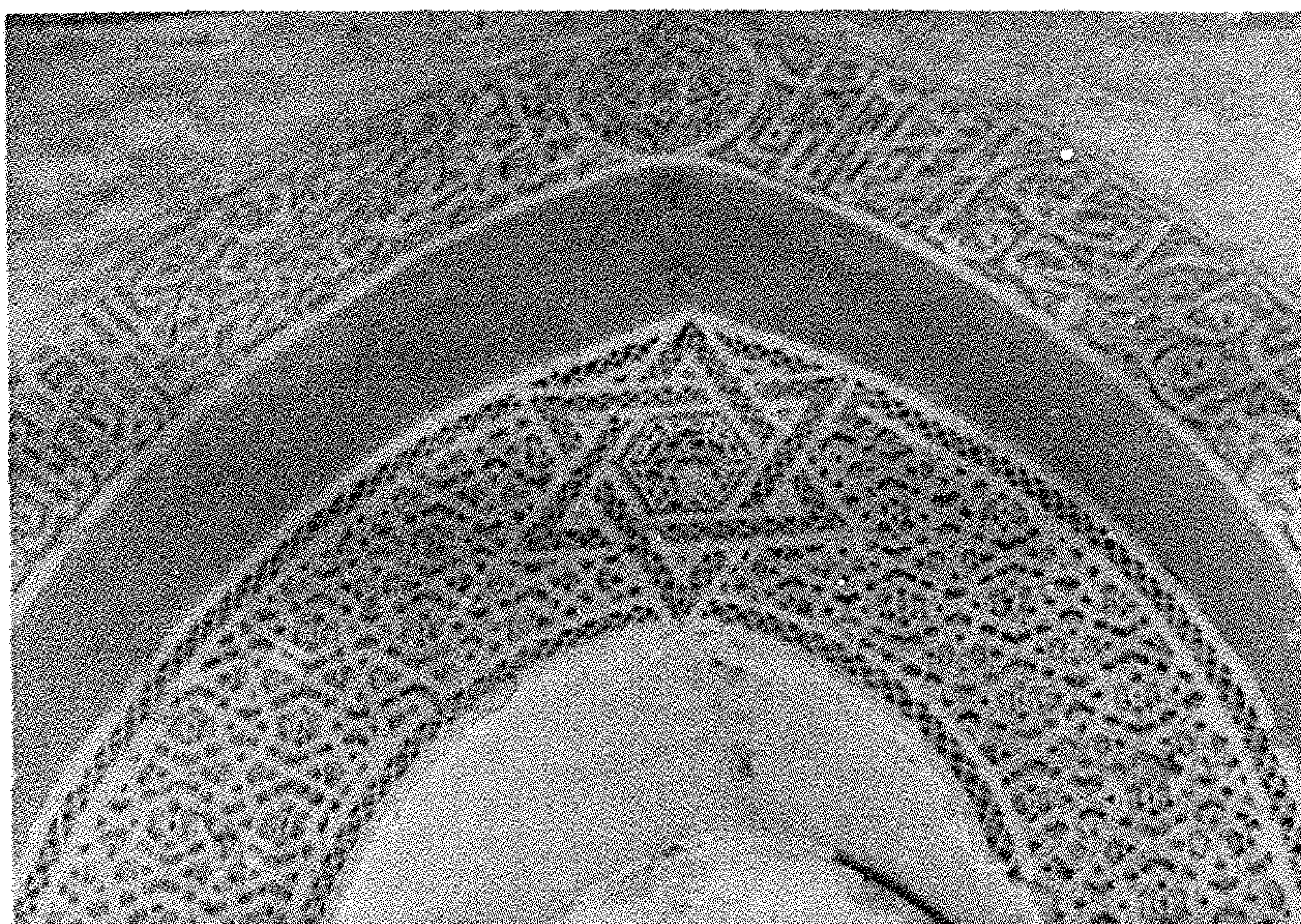
المئذنة فى الجامع الكبير
بشبام كوكبان



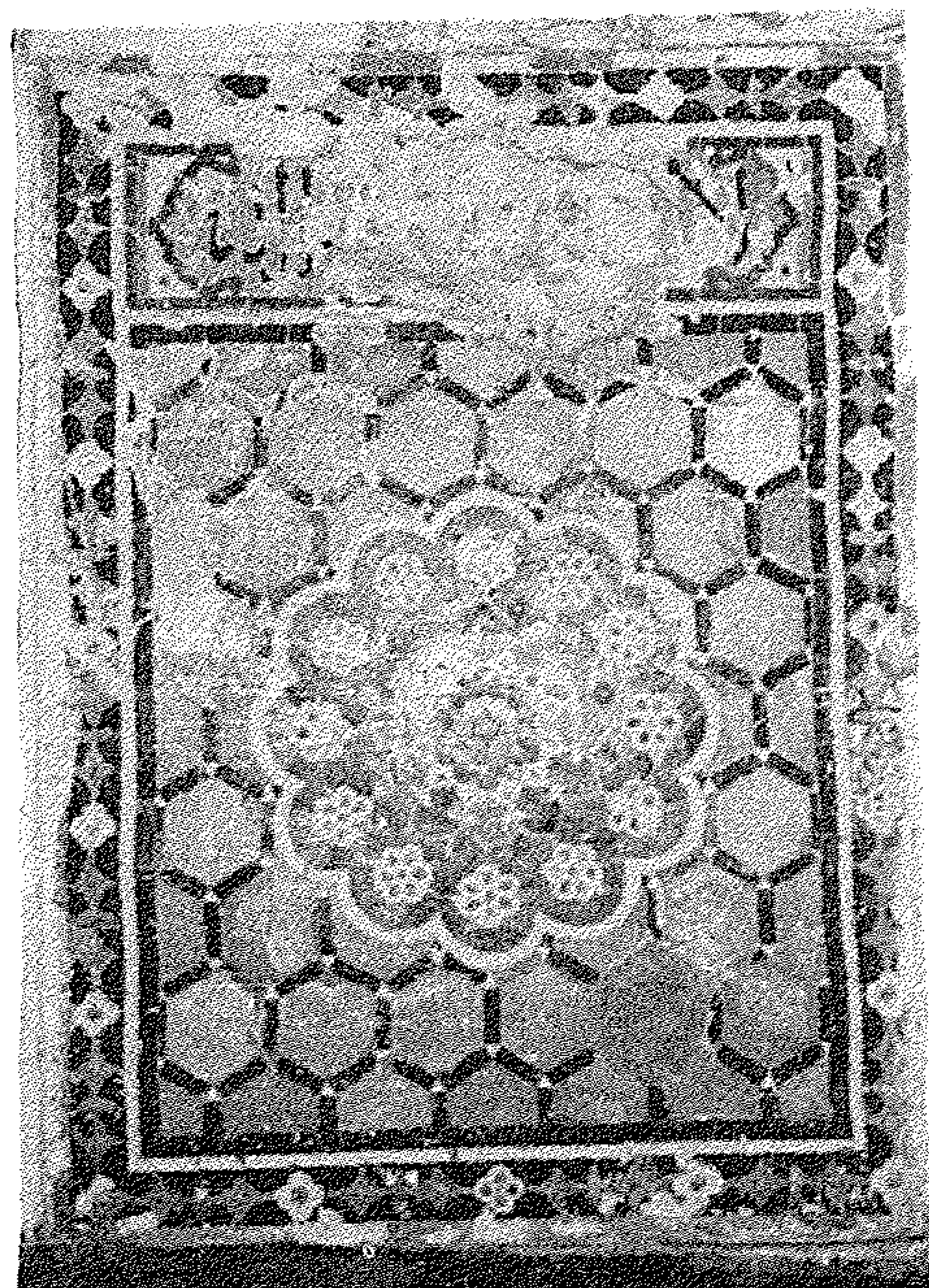
لوحة ١٣ : الجامع الكبير بزبيد .



لوحة ١٤ : البائكات المطلة على الصحن بالجامع الكبير بزبيد .



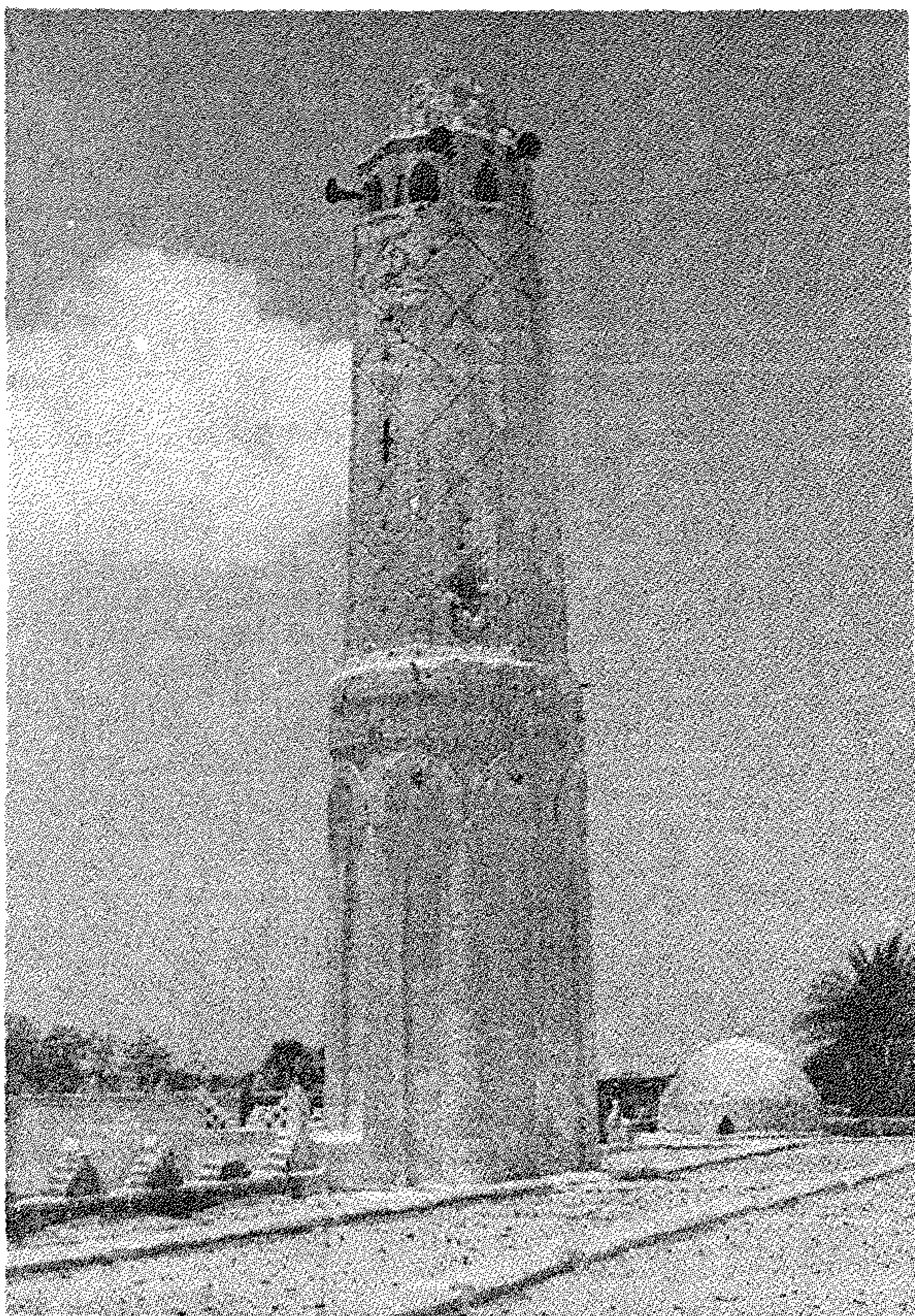
لوحة ١٥ : بعض أشكال زخارف العقود بالجامع الكبير بزبيد .



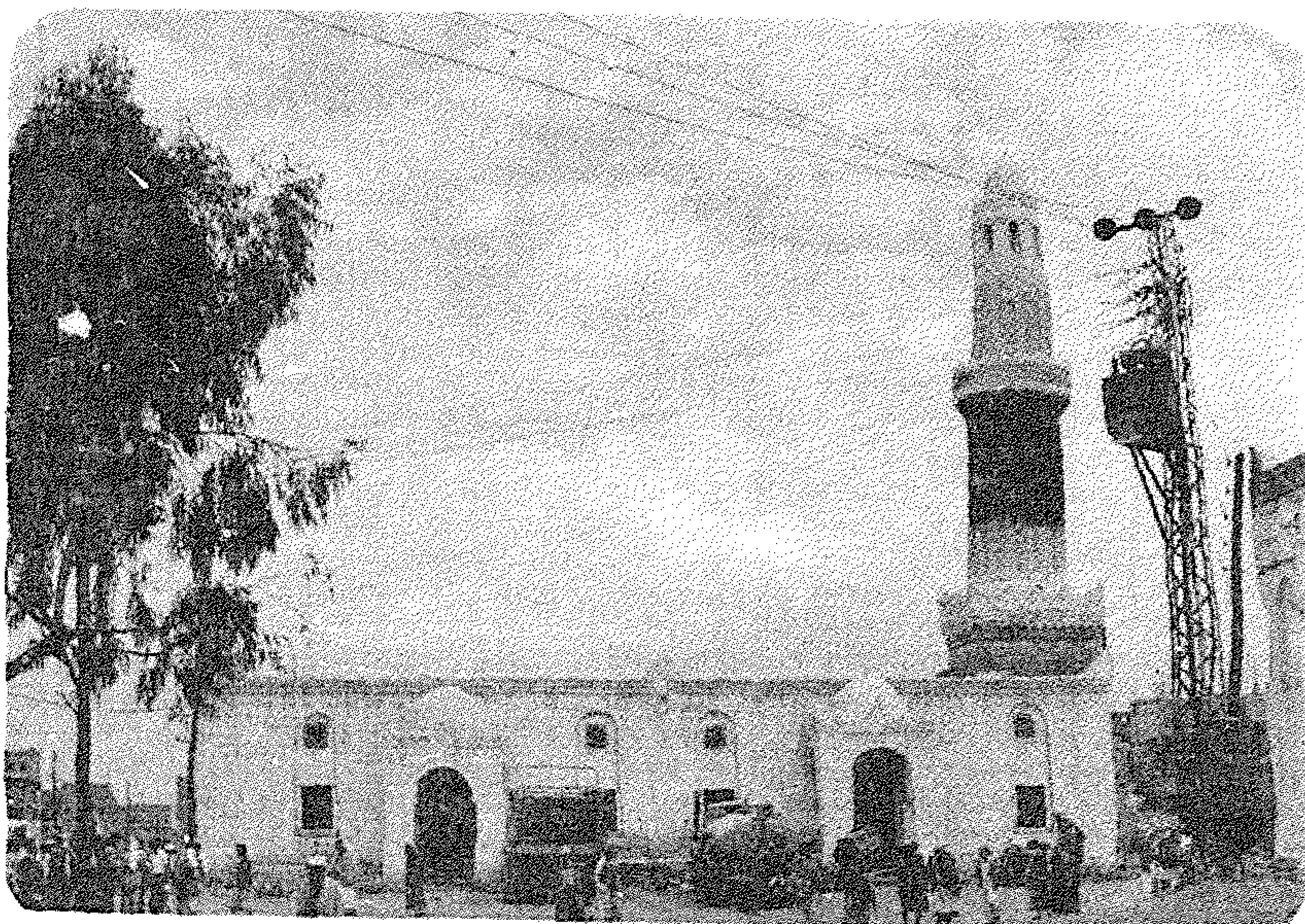
لوحة ١٦ :

بلاطة من القاشانى

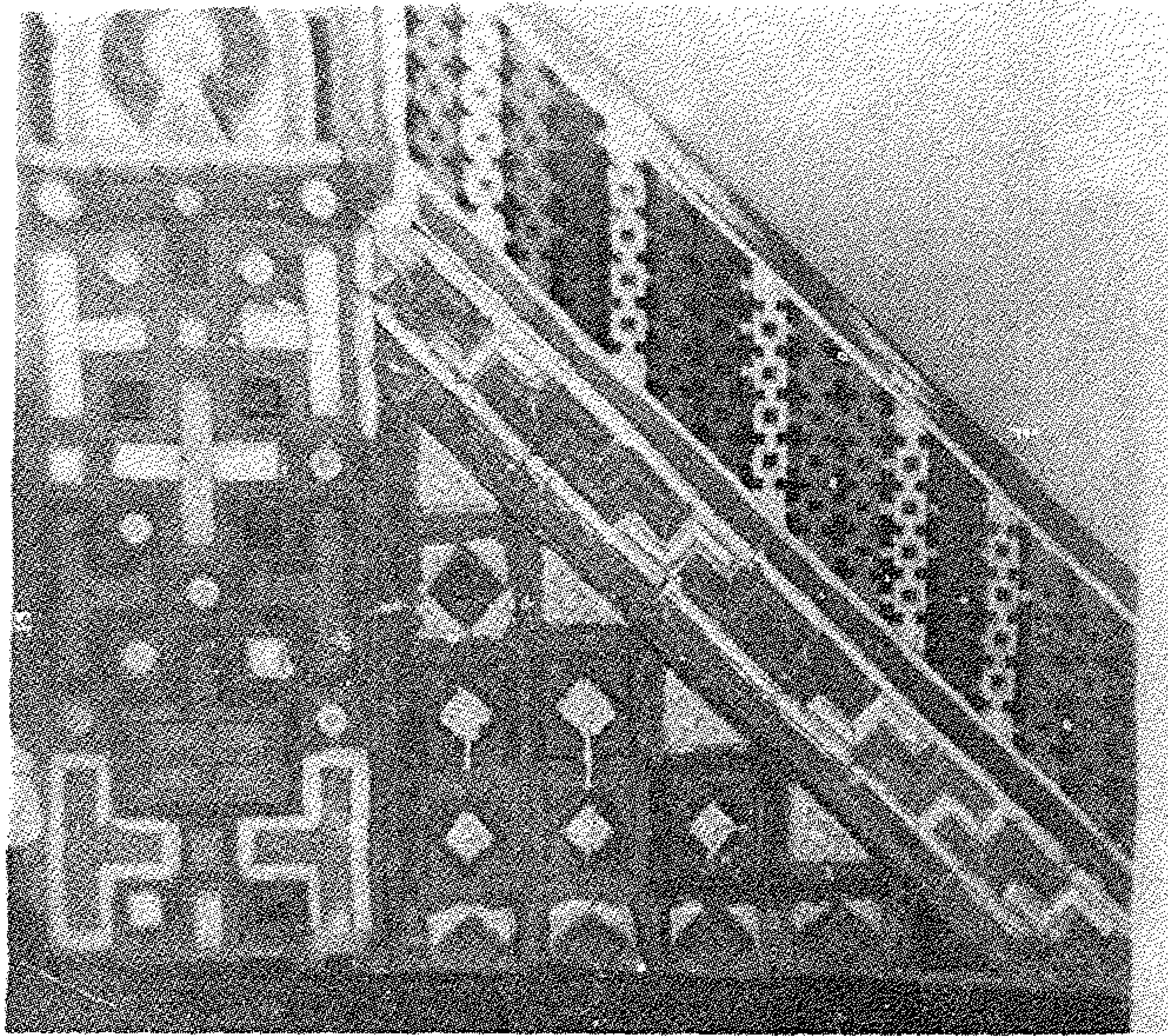
جهة محراب الجامع الكبير بزبيد .



لوحة ١٧ : مئذنة الجامع الكبير بزبيد .



لوحة ١٨ : **الجامع الكبير بذمار**

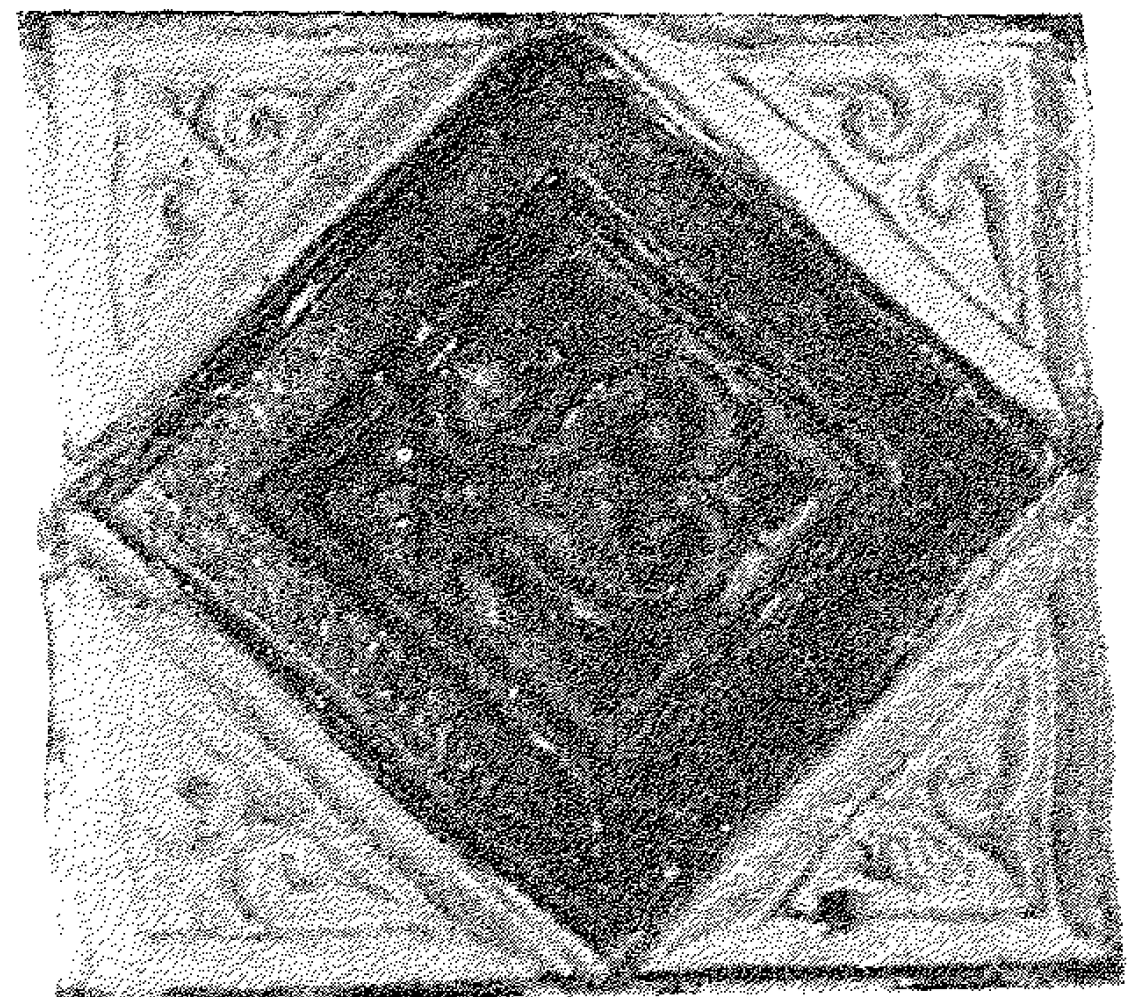


(أ) منبر المسجد

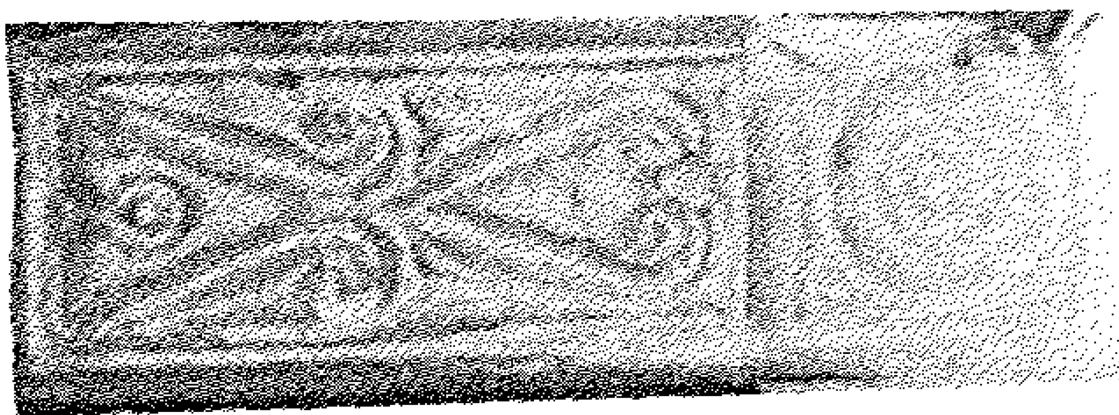


(ب)

(ج)

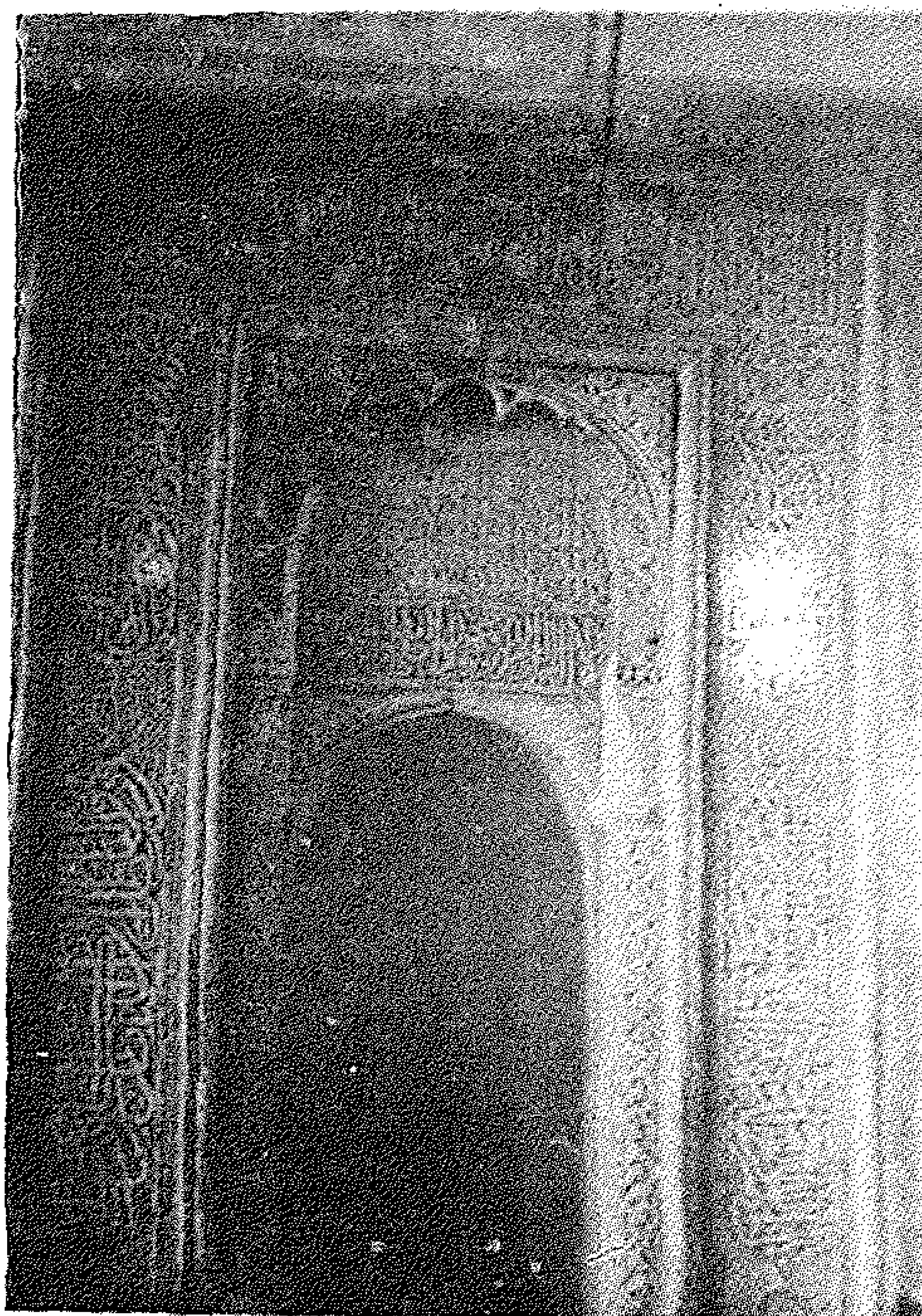


(د)



اللوحة ١٩ : منبر الرواق الشمالى وتفاصيل من حشواته . الجامع الكبير بذمار .

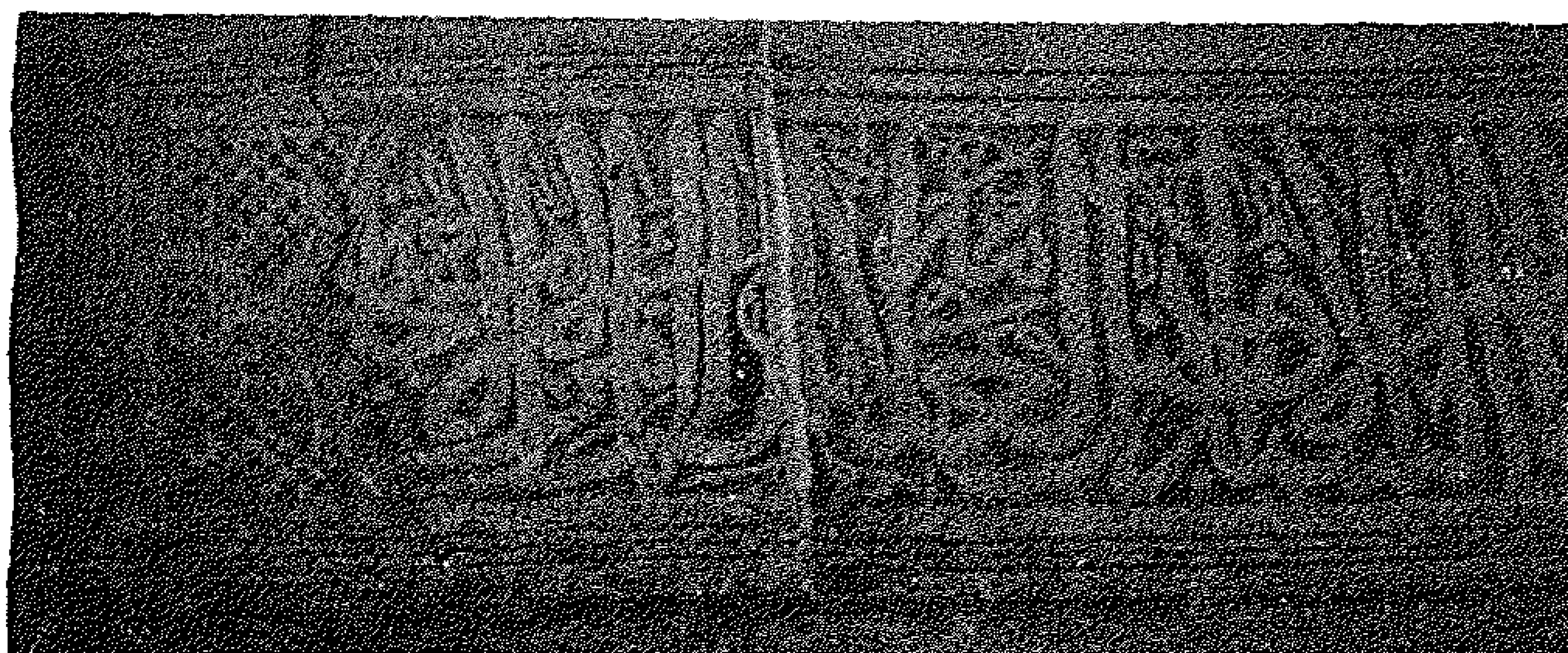
اللوحة ٢٠ :



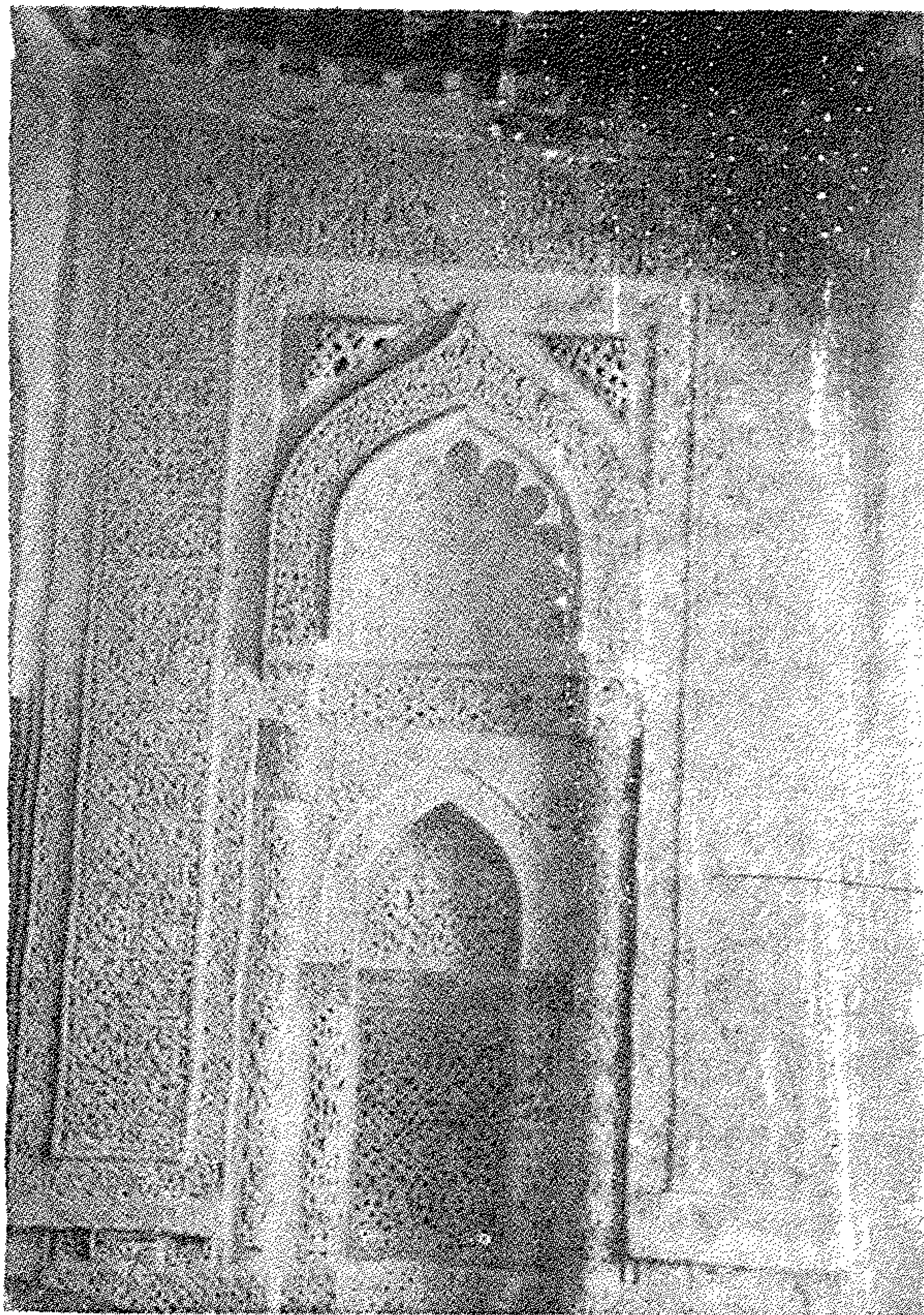
(أ) محراب الرواق الشرقى .



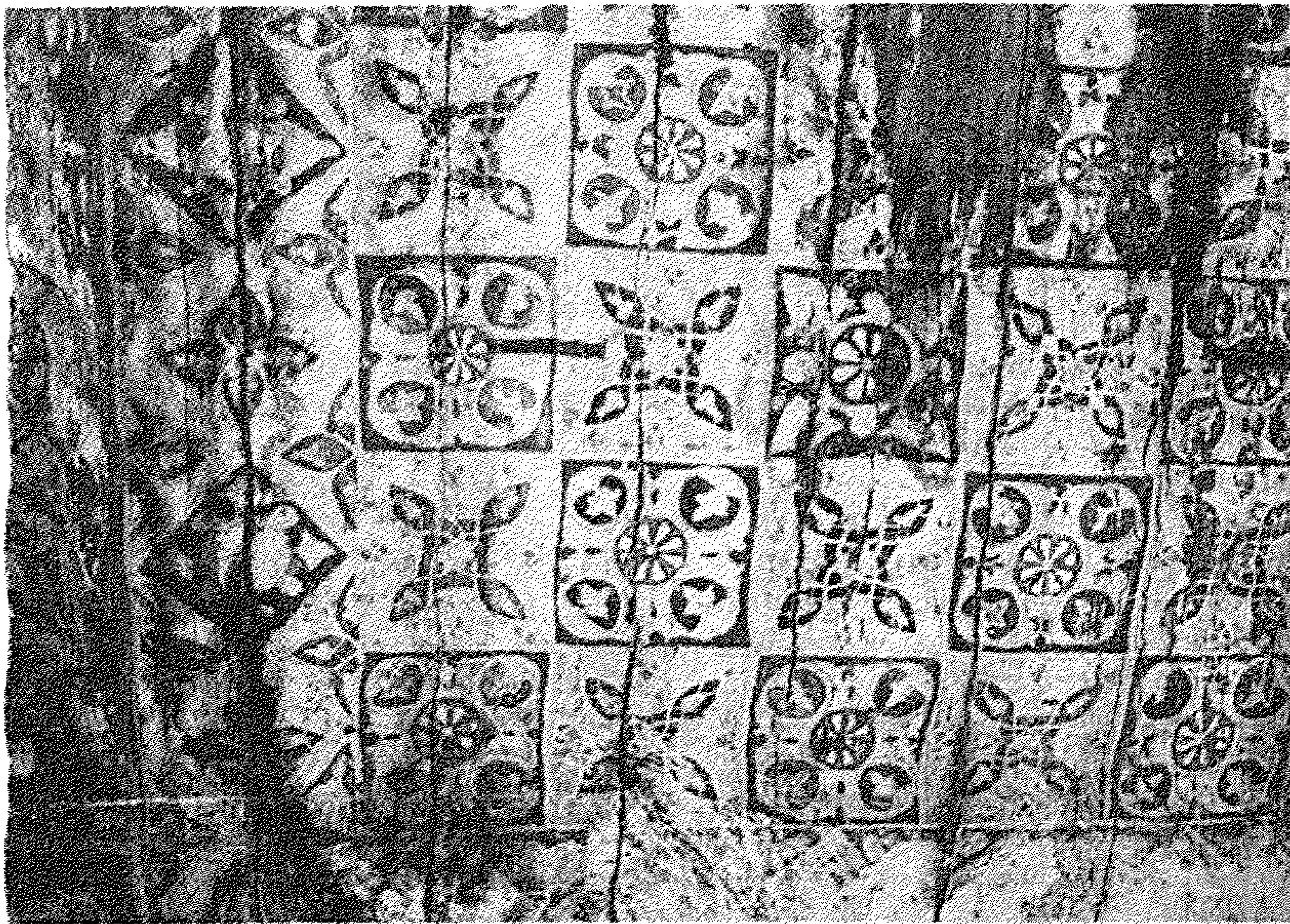




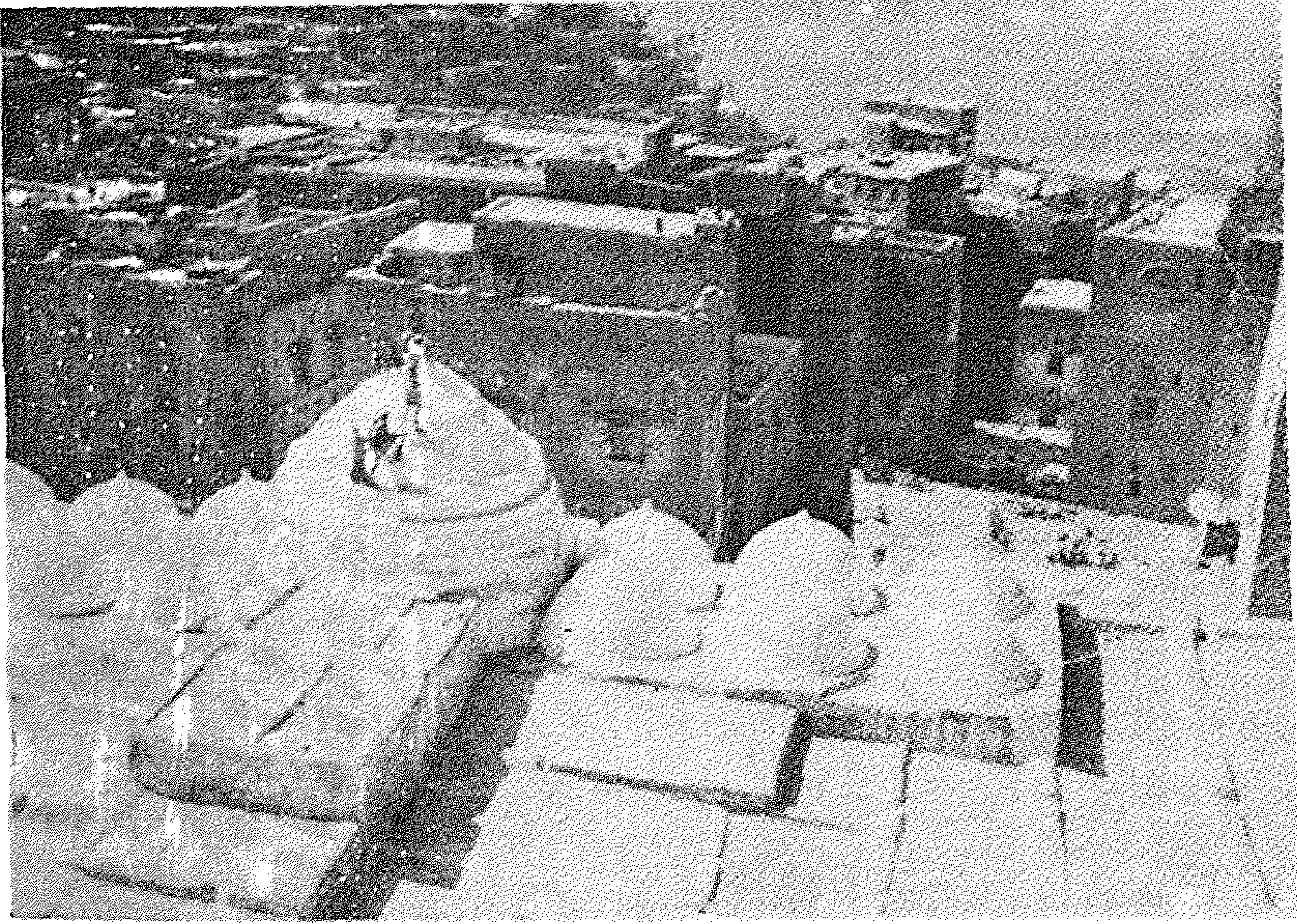
(ب) اشرطة الكتابات الجصية على جانبى المحراب.



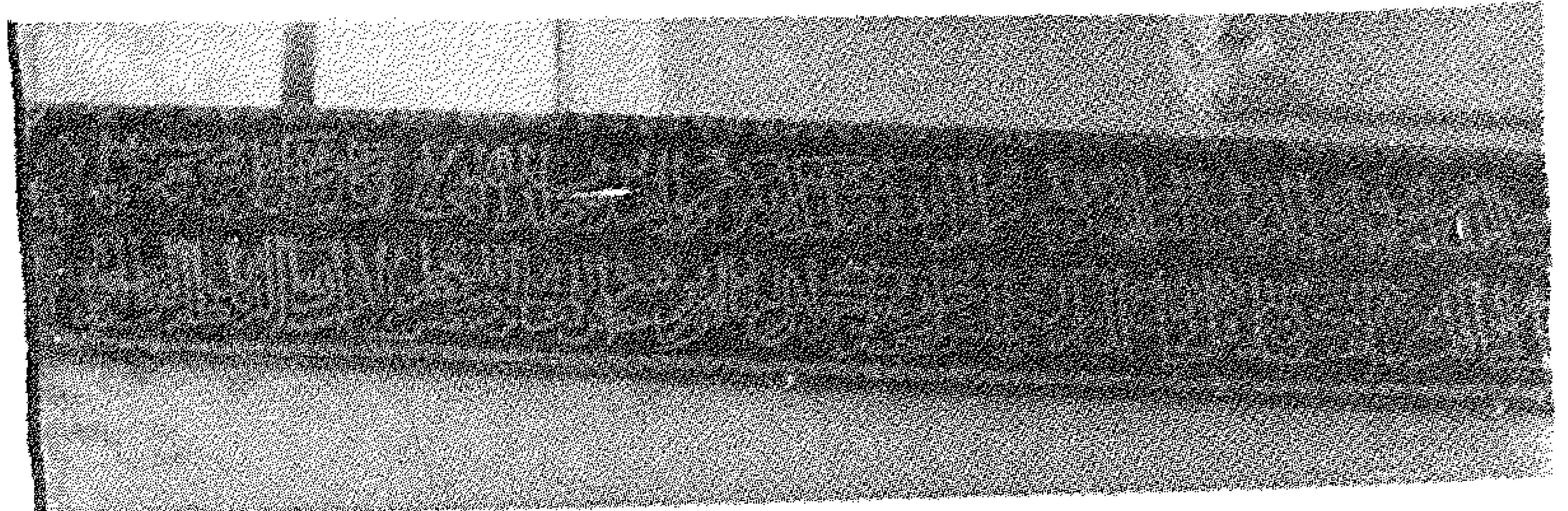
لوحة ٢١ :
محراب الجزء الشرقى بالرواق الغربى
، الجامع الكبير بذمار .

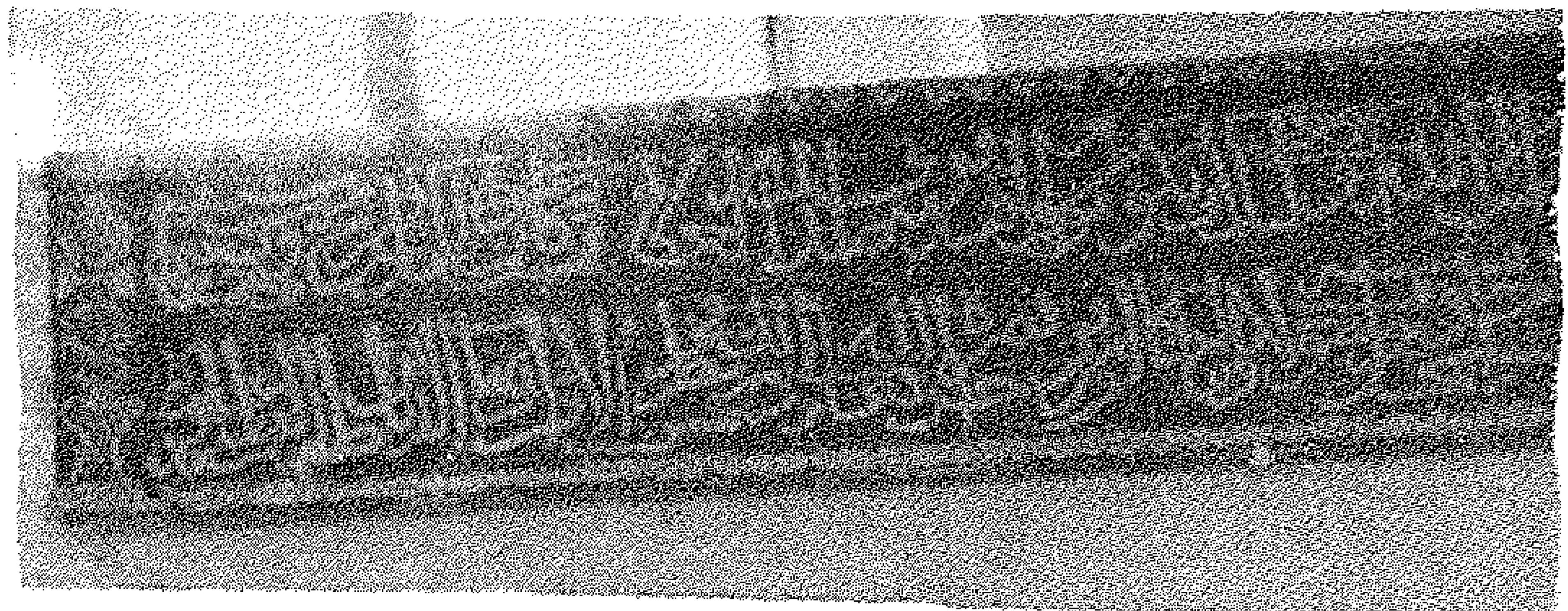


لوحة ٢٢ : زخارف من سقف الرواق الجنوبى للجامع الكبير بذمار .

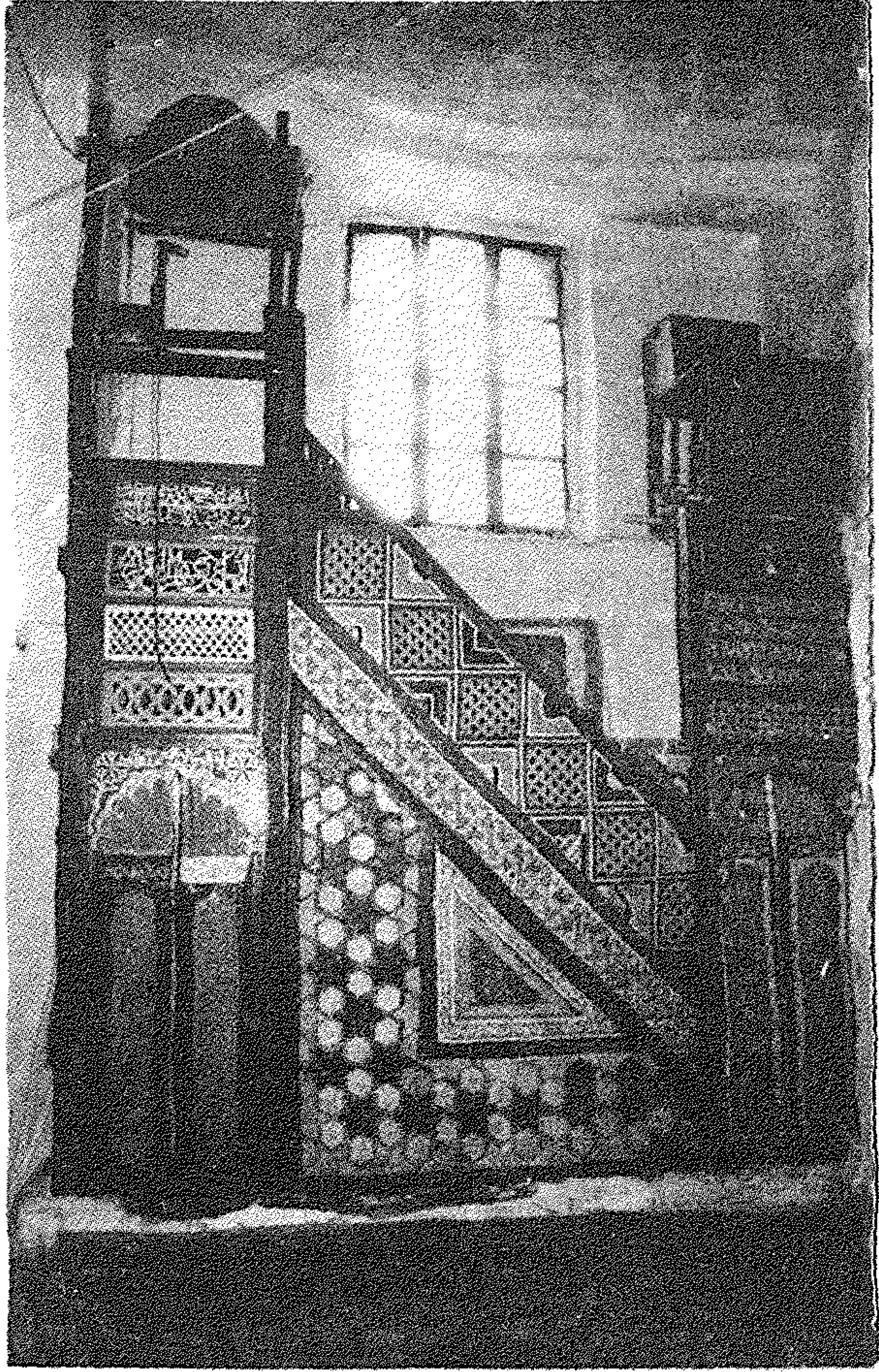


لوحة ٢٣ : القبة الرئيسية والقباب الجانبية فى رواق القبلة - جامع إب .

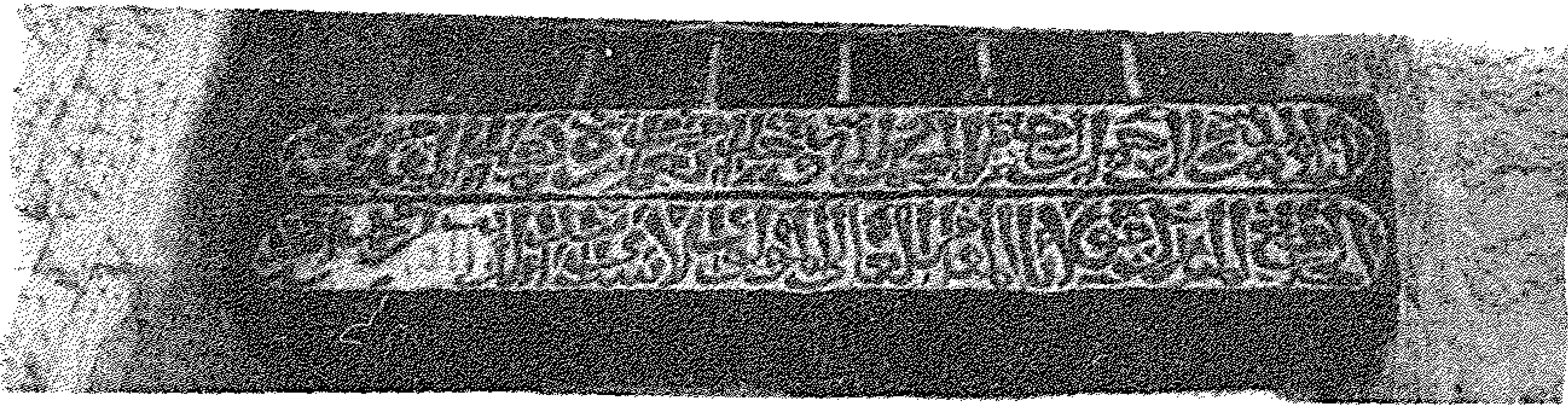




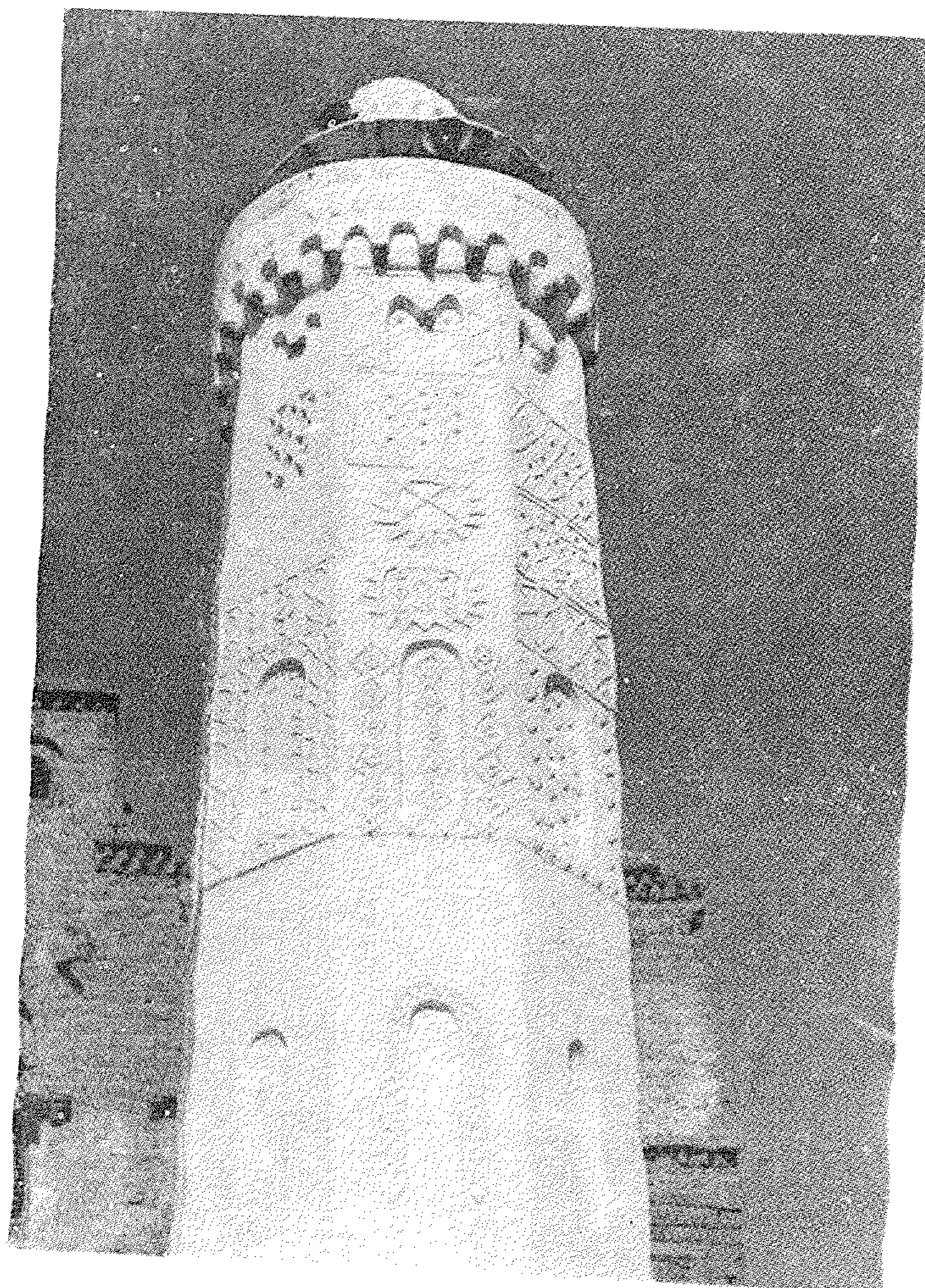
لوحة ٢٤ : حشوة خشبية عليها تاريخ التجديد
(٩٩٦ هجرية) الجامع الكبير بمدينة إب .



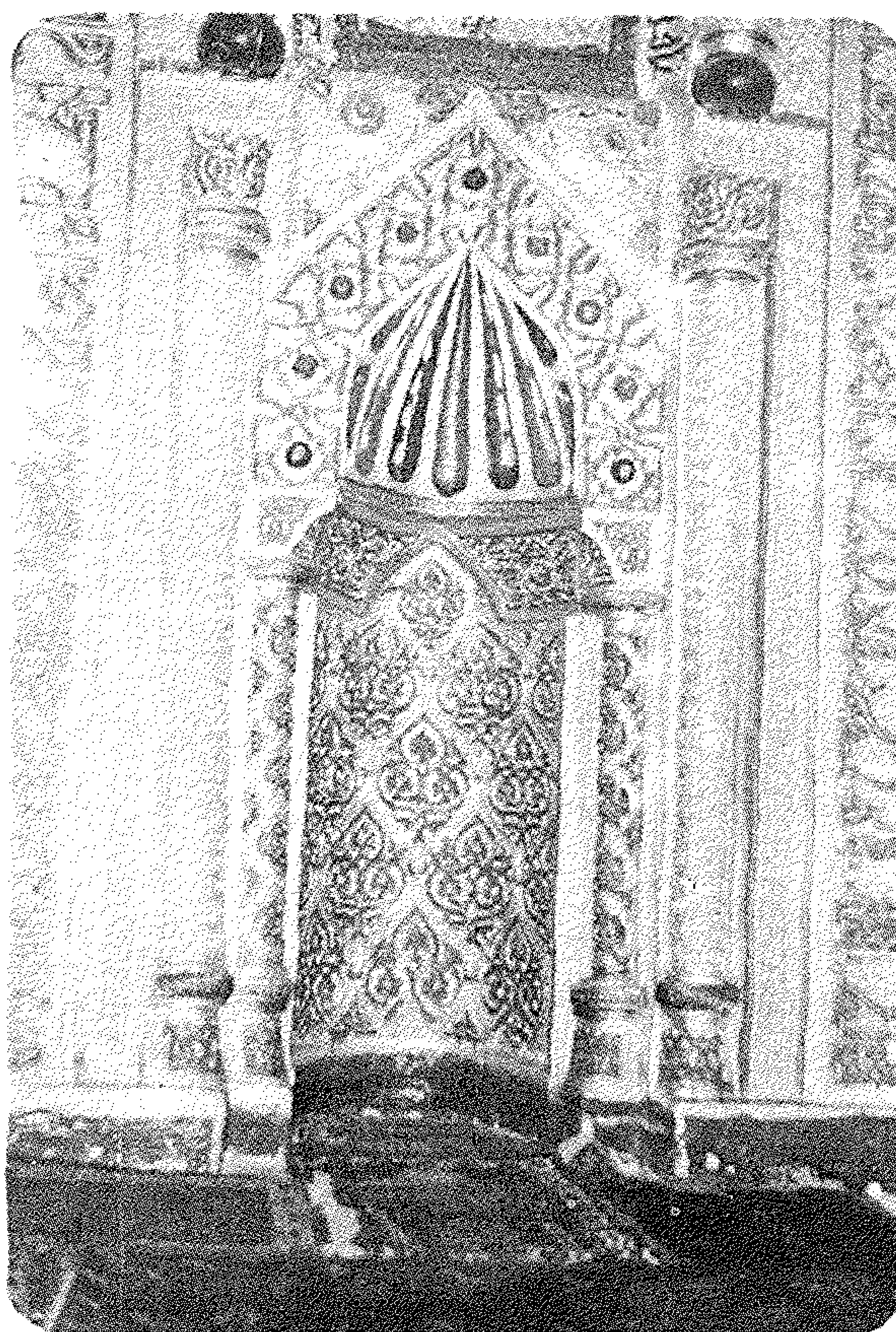
لوحة ٢٥ : منبر الجامع الكبير بمدينة إب .



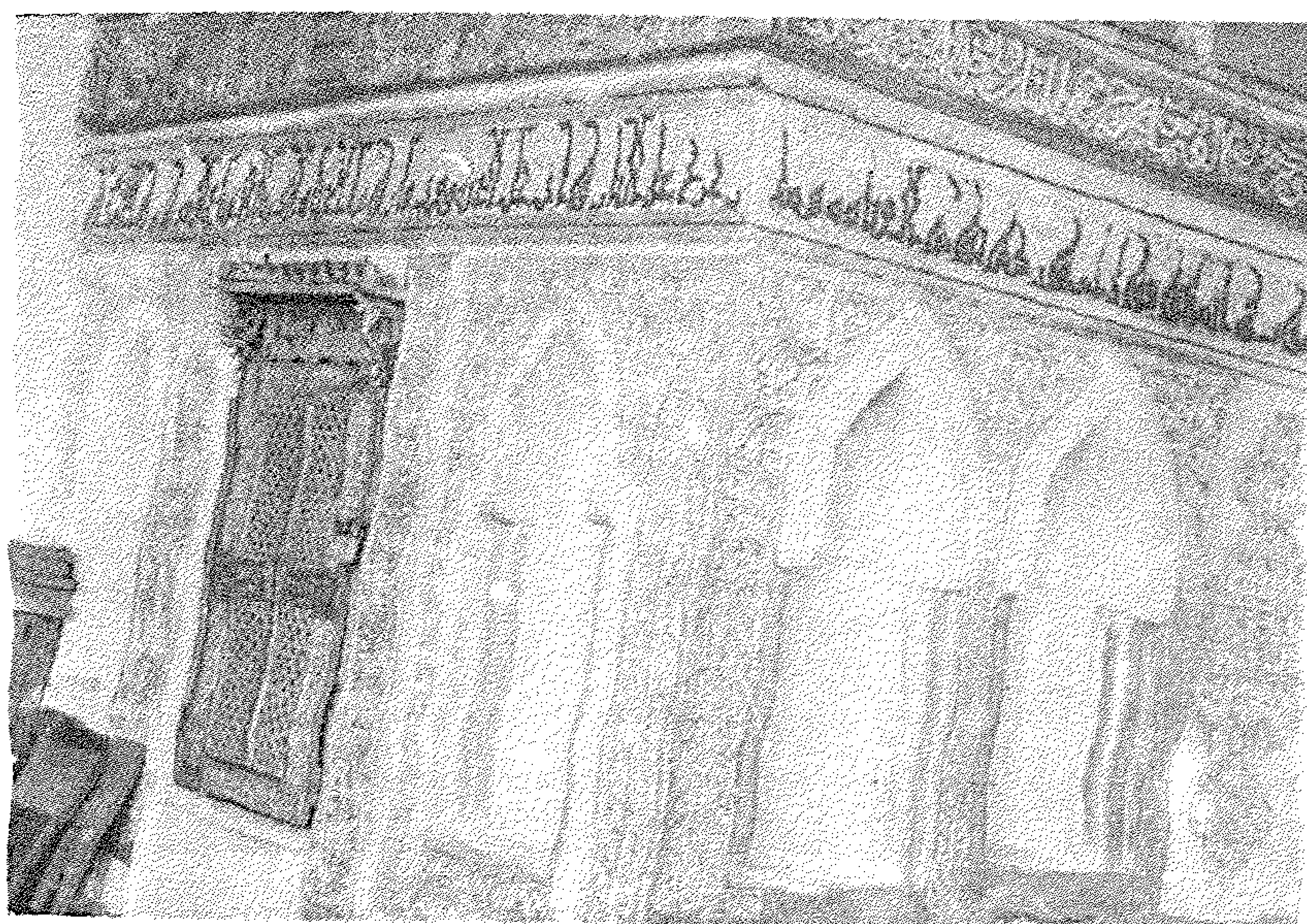
لوحة ٢٦ : نص التجديد فى رواق القبلة بجامع إب .



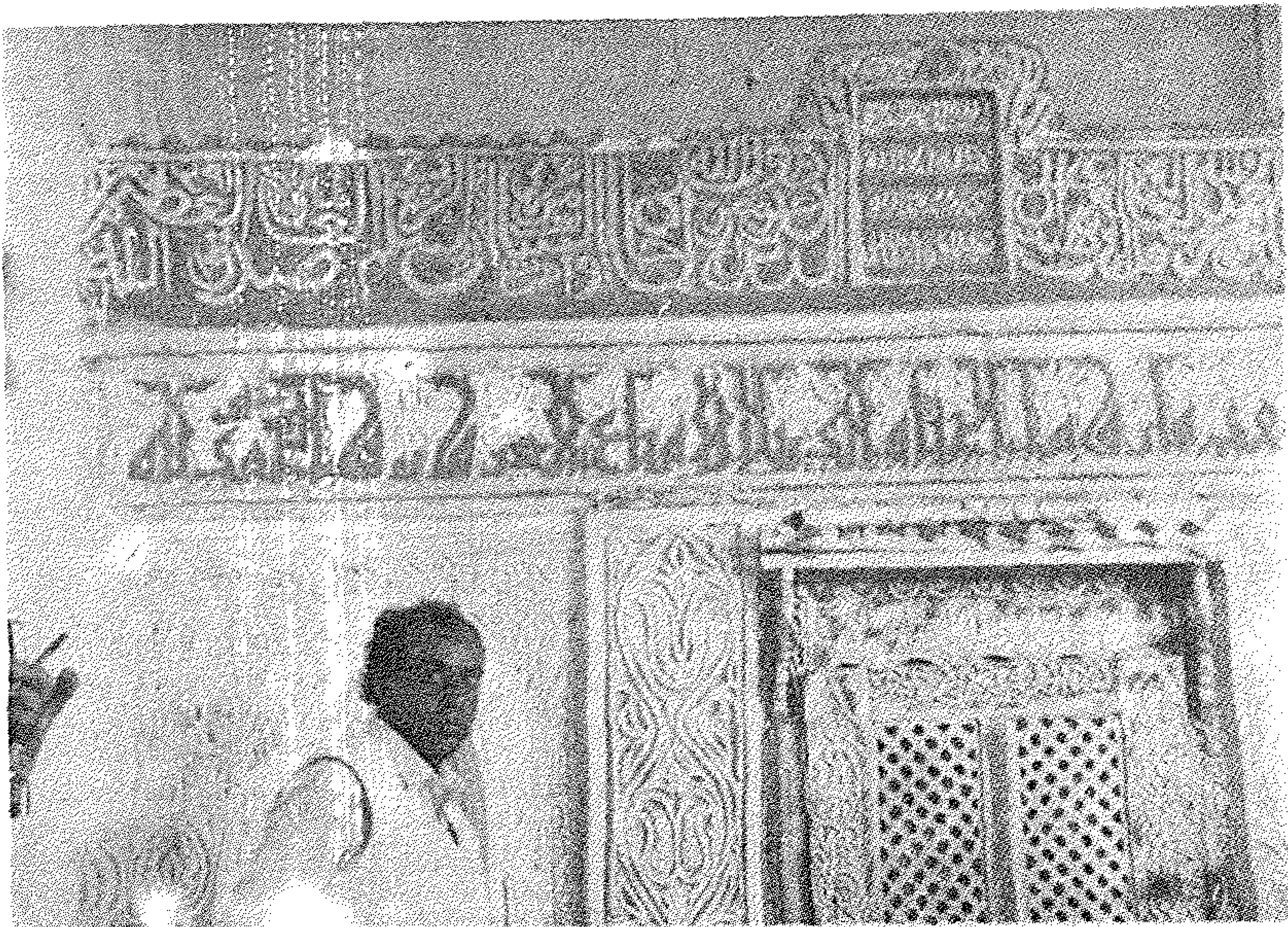
لوحة ٢٧ : مئذنة الجامع الكبير بمدينة إب .



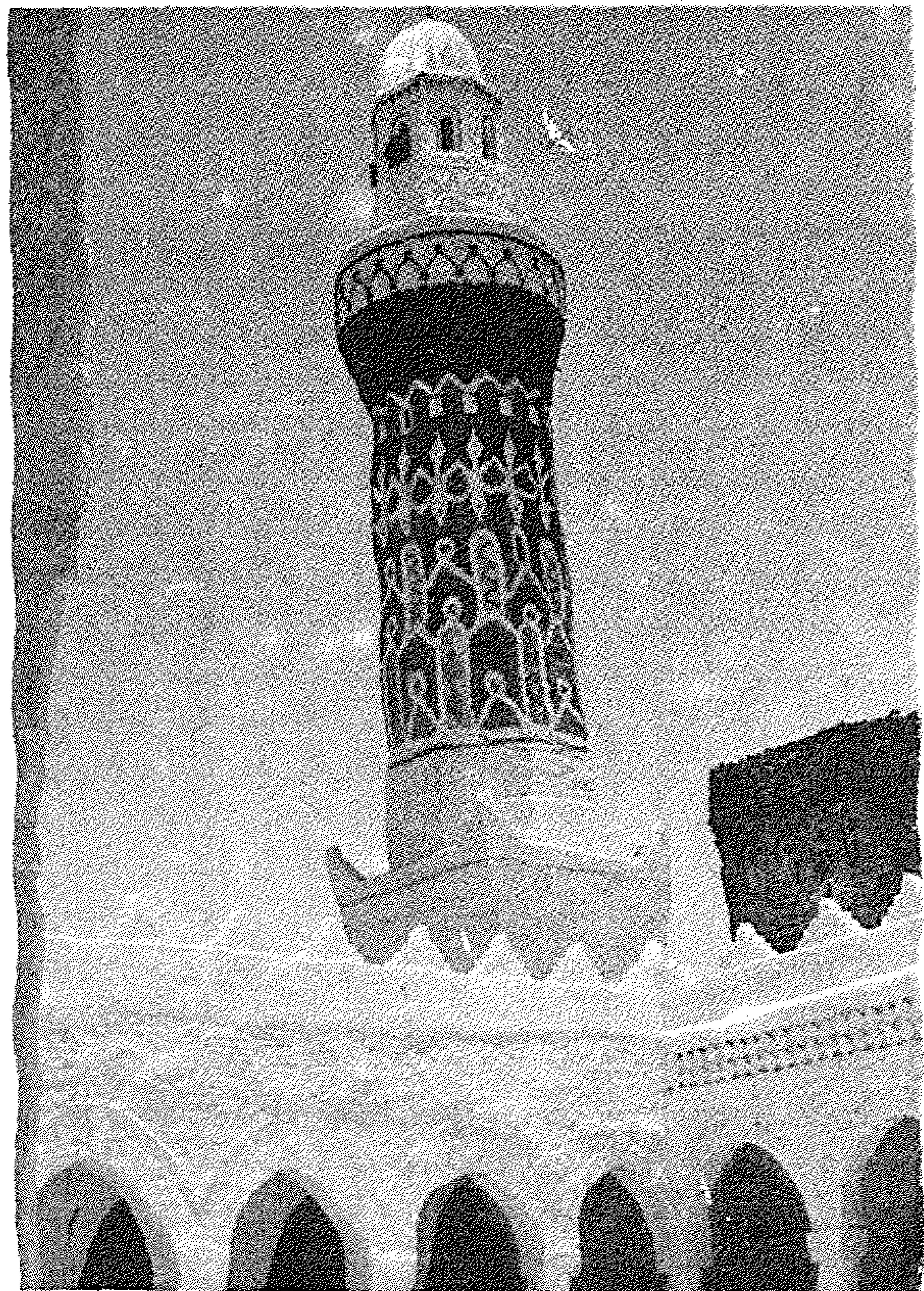
لوحة ٢٨ : محراب جامع جبله .



لوحة ٢٩ : (ضريح السيدة أروى) ؟

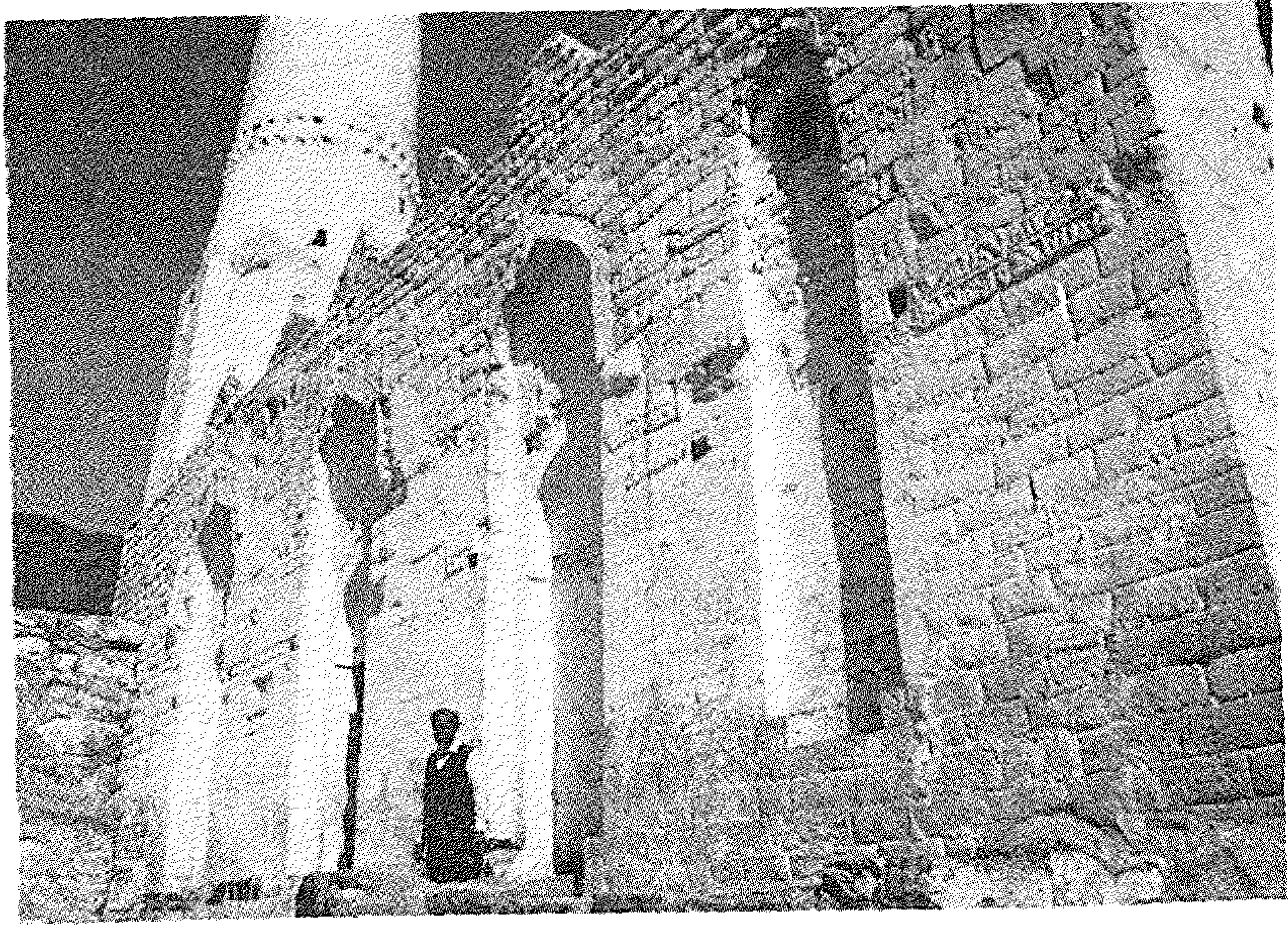


لوحة ٣٠ : جانب من الكتابات الآثارية على ما يسمى بضريح السيدة أروى .

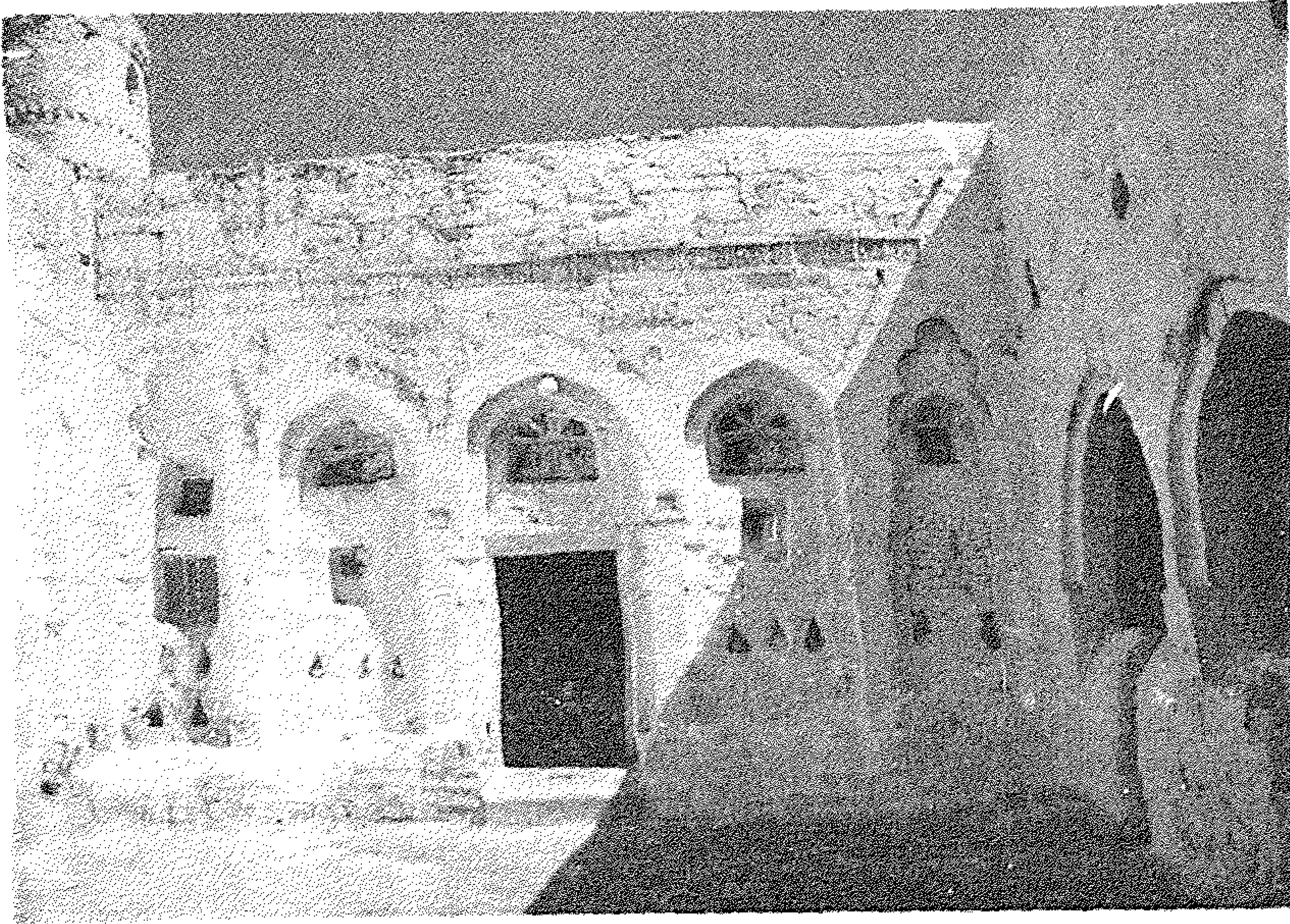


لوحة ٣١ :

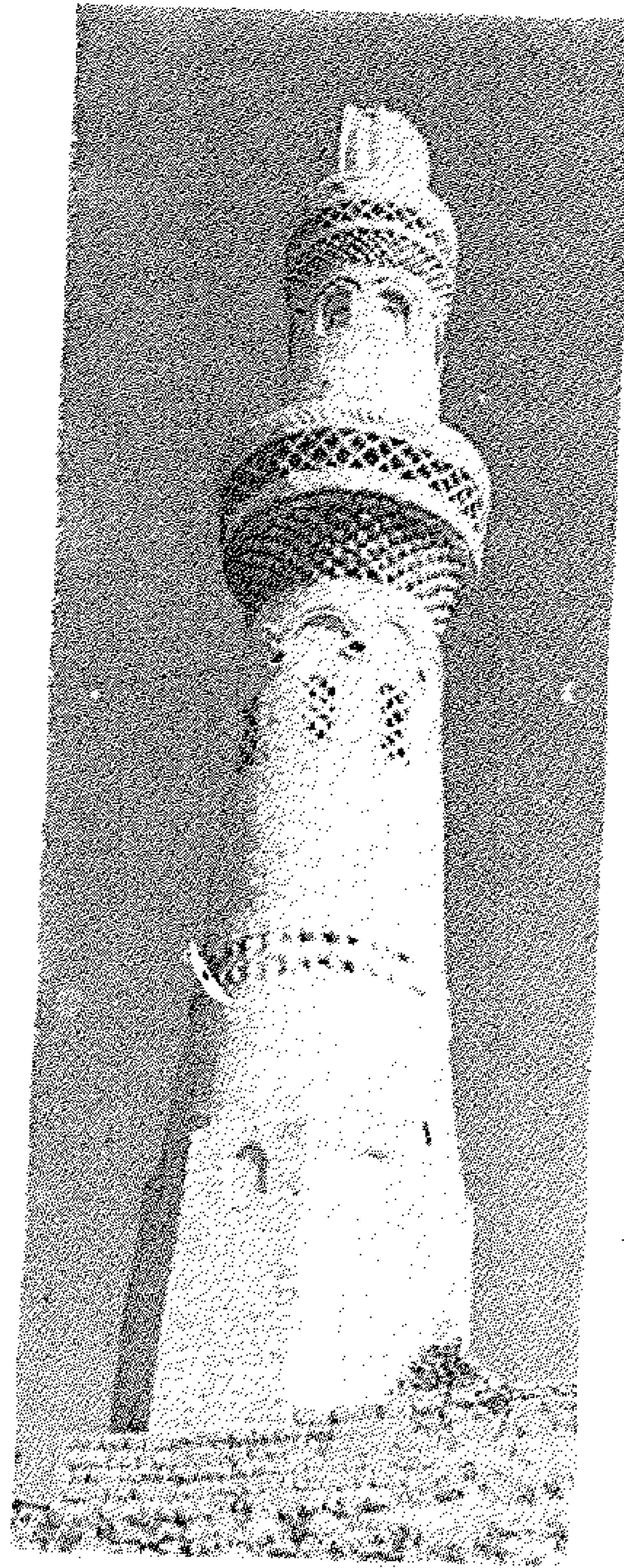
مناره مسجد السيدة بنت أحمد بجبله .



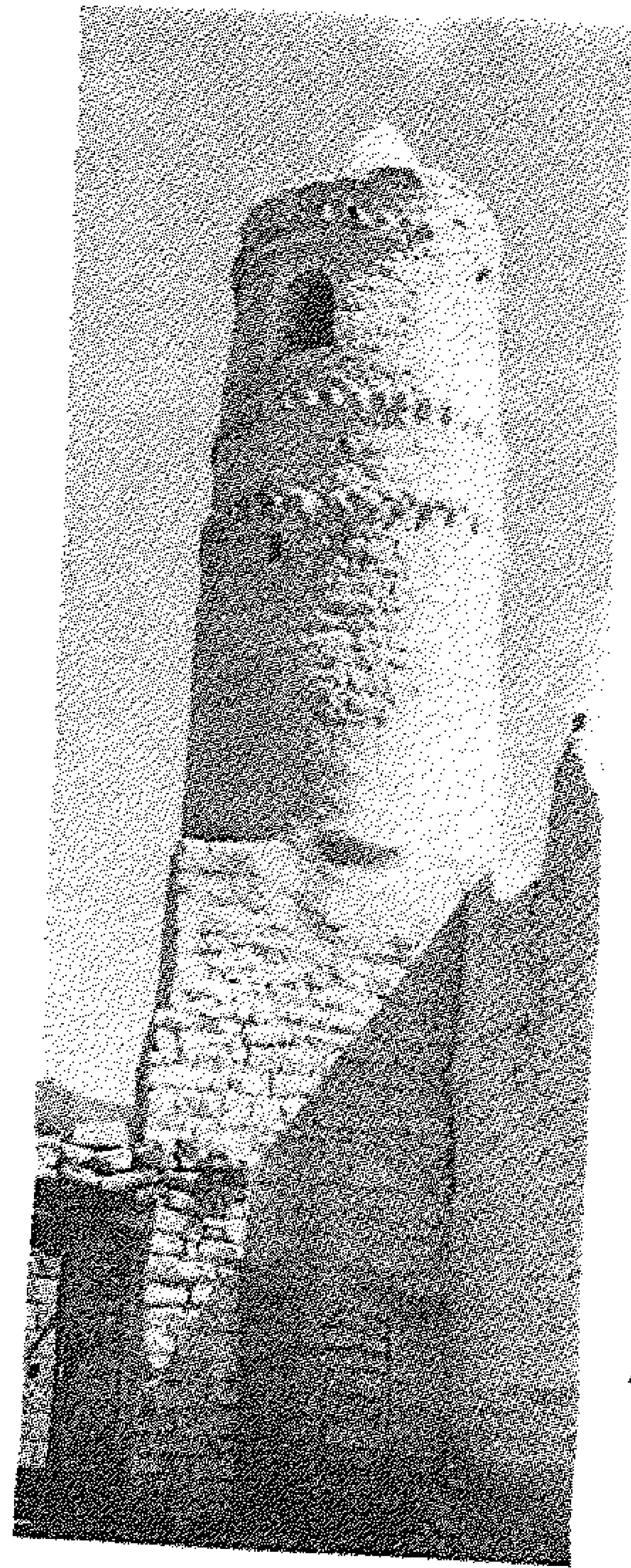
لوحة ٣٢ : الواجهة الجنوبية لمسجد ذى أشرق .



لوحة ٣٣ : واجهة رواق القبلة فى الجامع السابق .

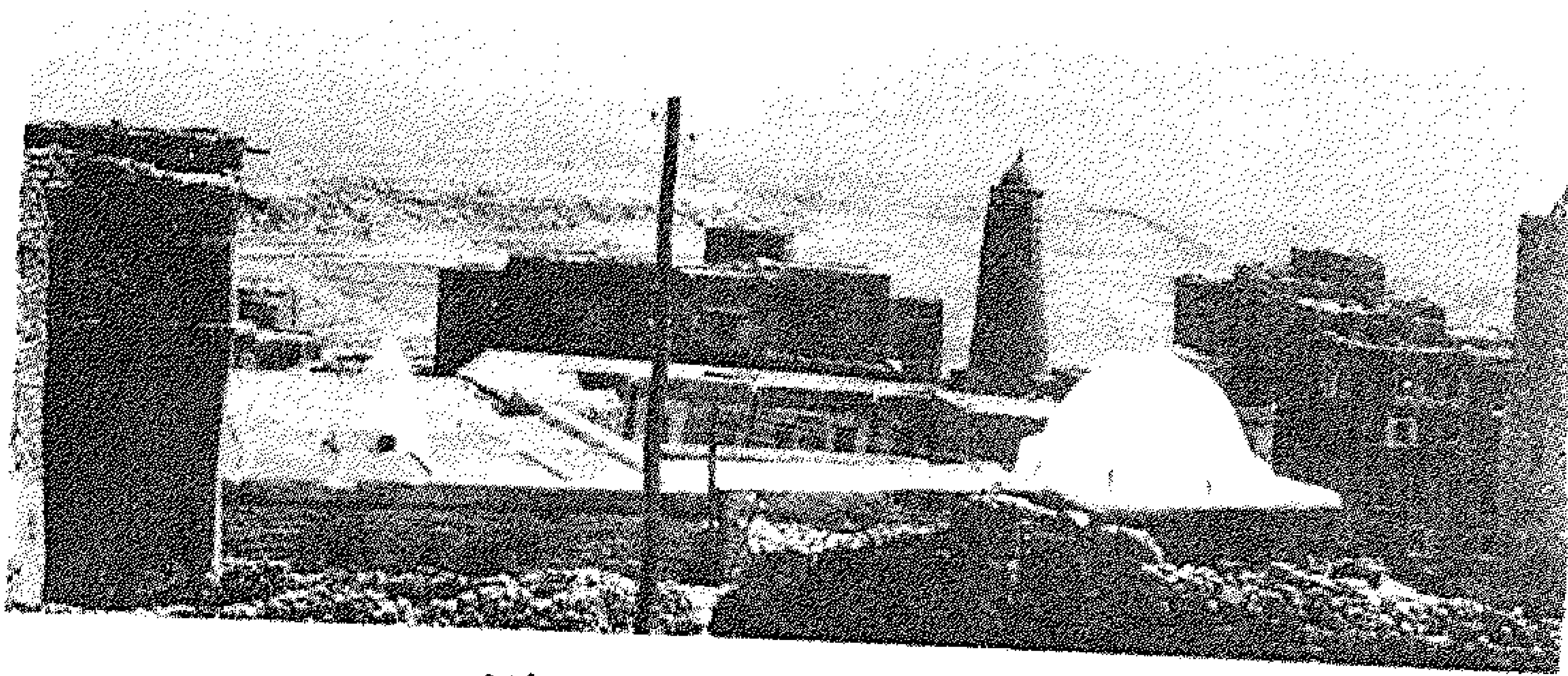


(ب)
المئذنة الشمالية



(أ)
المئذنة الجنوبية

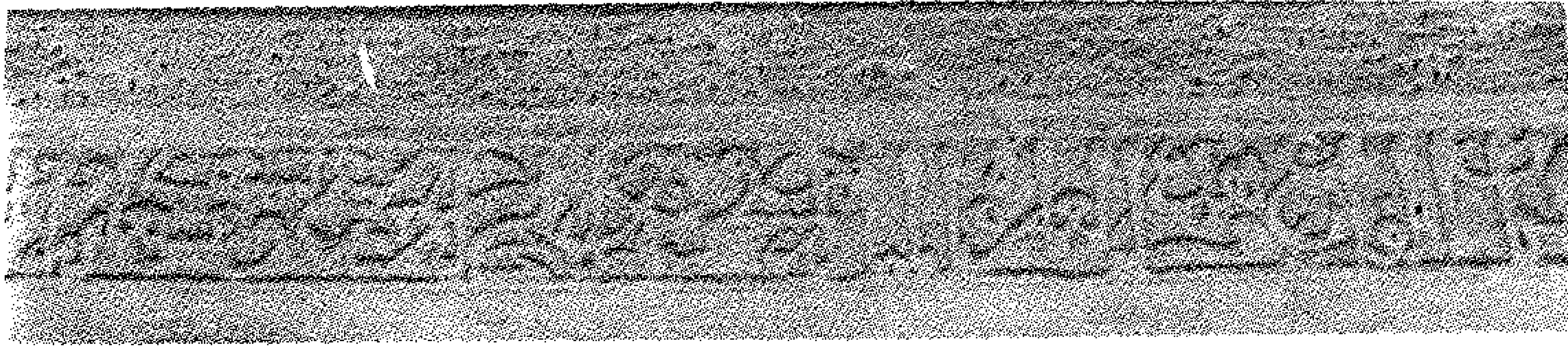
لوحة ٣٤ : مئذنتا مسجد ذى أشرق .

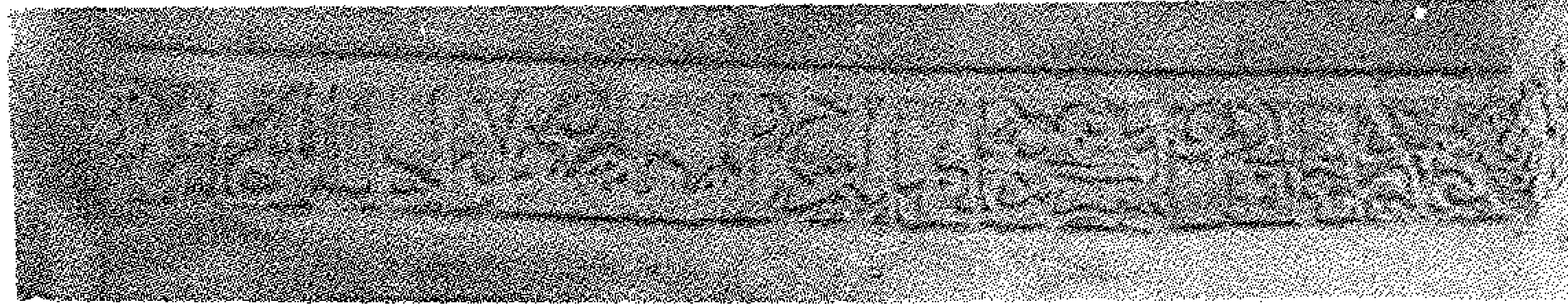


لوحة ٣٥ : الجامع الكبير بثلا .

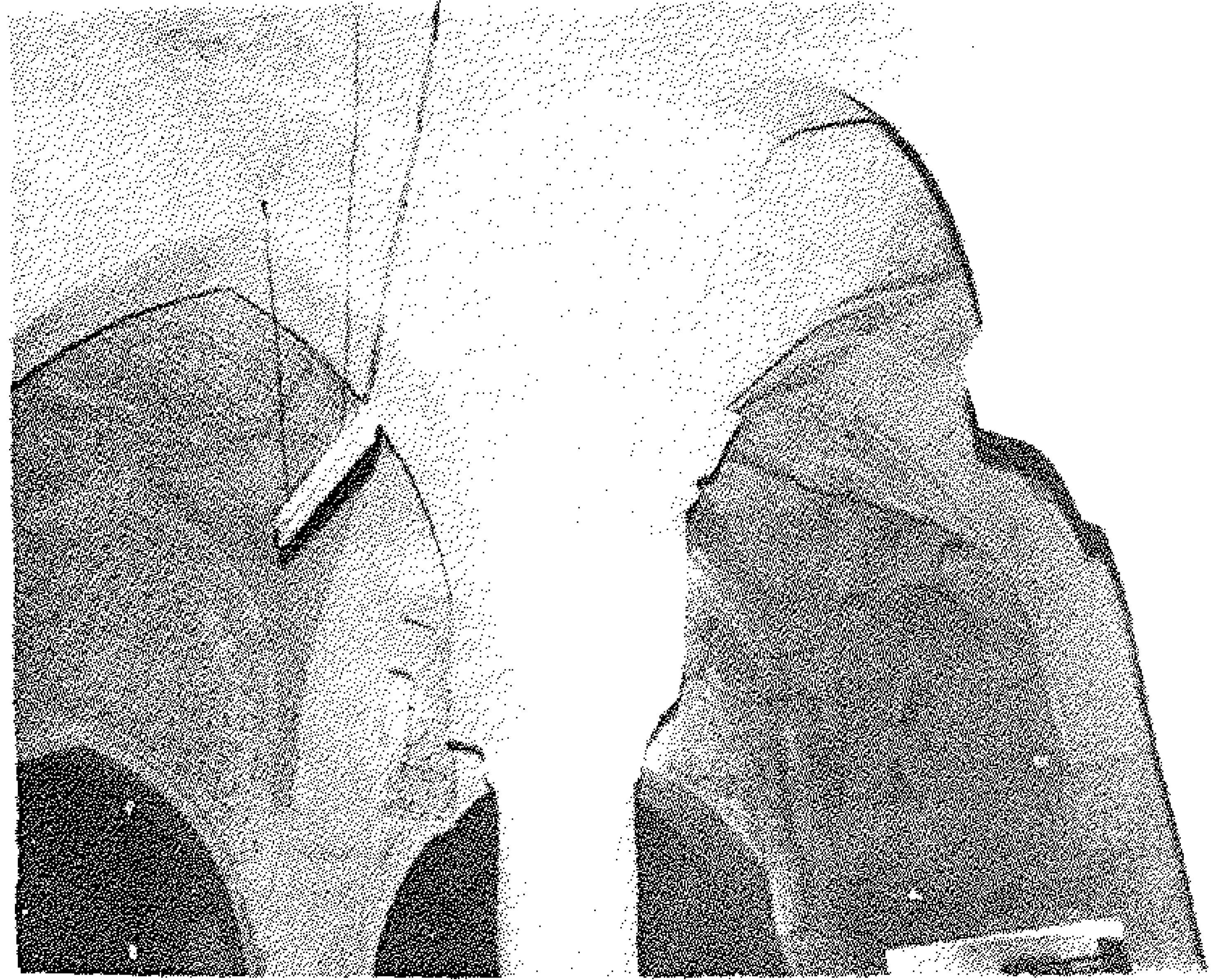
لوحة ٣٦ :
واجهة العقد الجنوبى بالايوان الخارجى للجامع السابق .







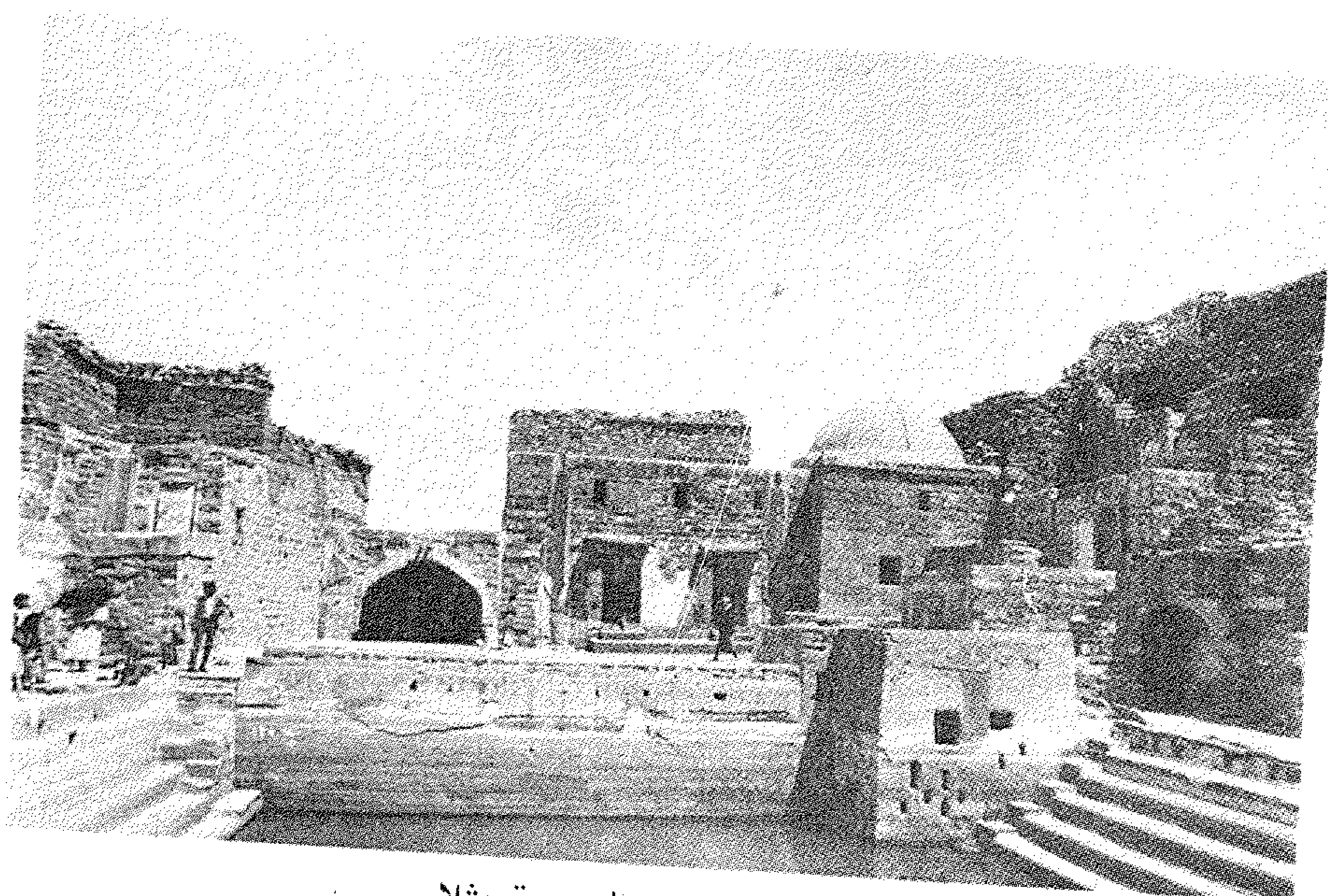
لوحة ٣٧ : أفاريز الكتابة الجصية على الايوان السابق .



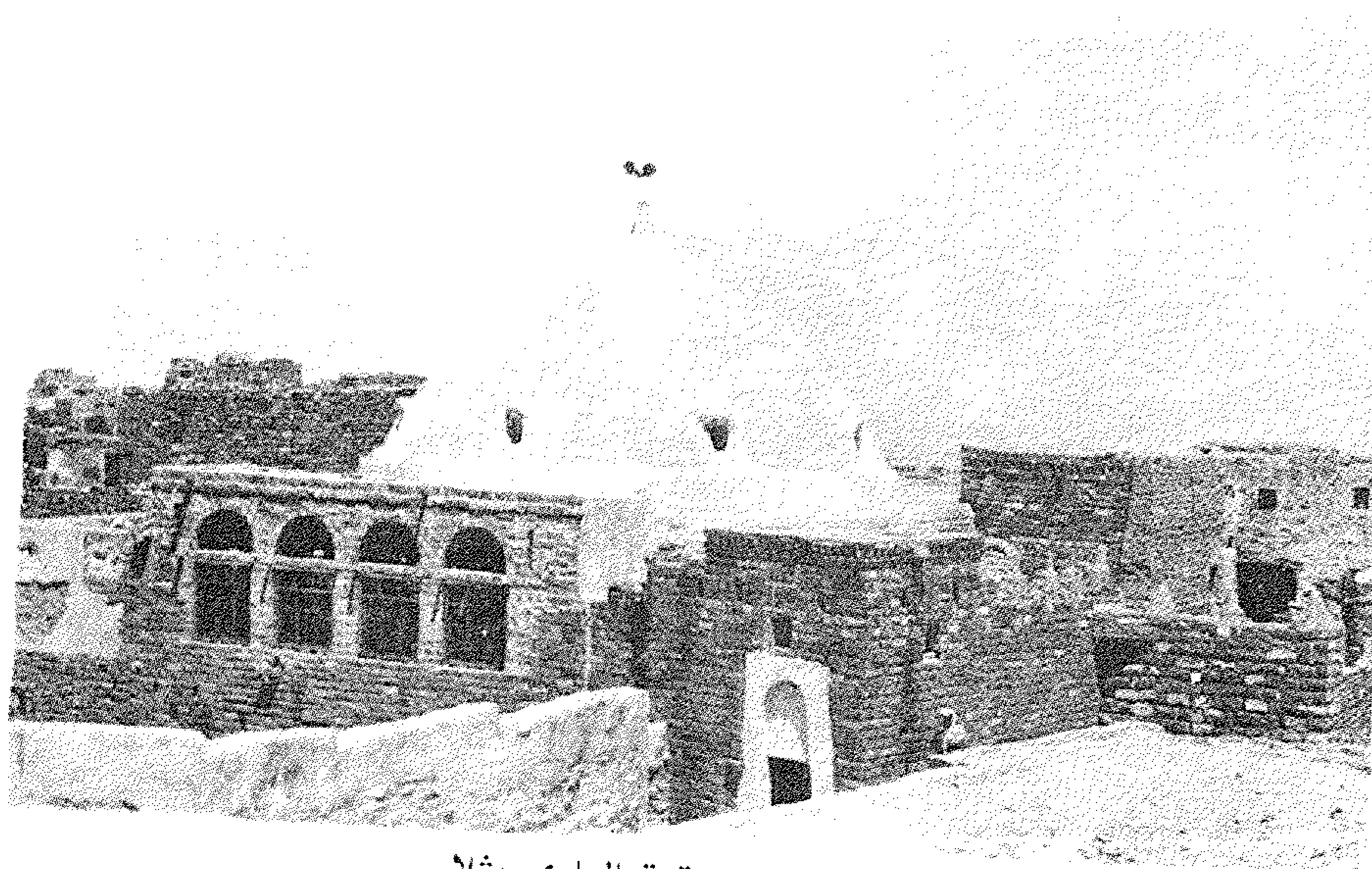
لوحة ٣٨ :
العقود المدببة الحاملة لقباب المسجد الصغير بجامع ثلا .



لوحة ٣٩ :
القبة من الخارج بالجامع الكبير بثلا ..



لوحة٤٠ : جامع المدرسة بثلا .



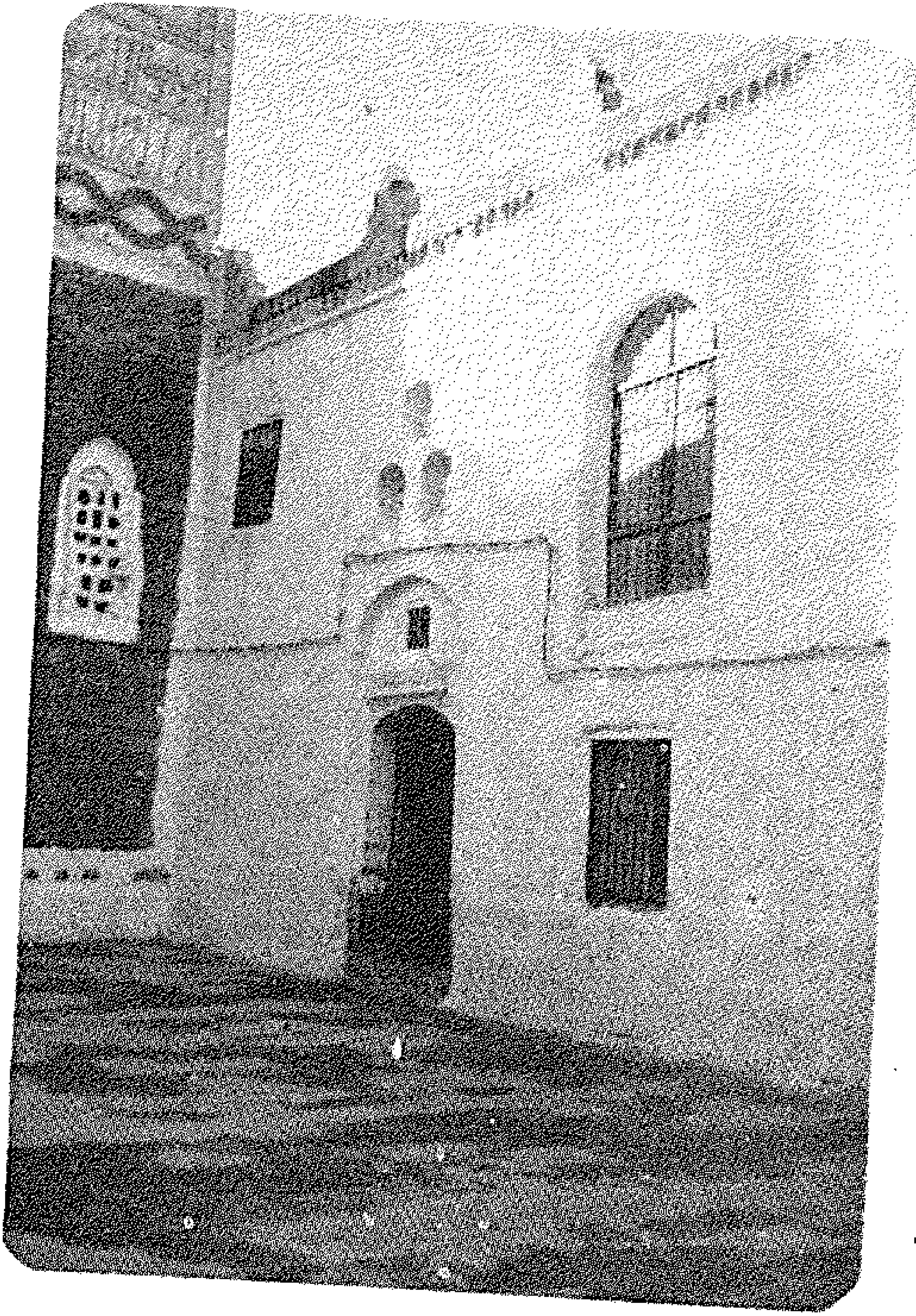
لوحة ٤١ : قبة الهادى بثلا .



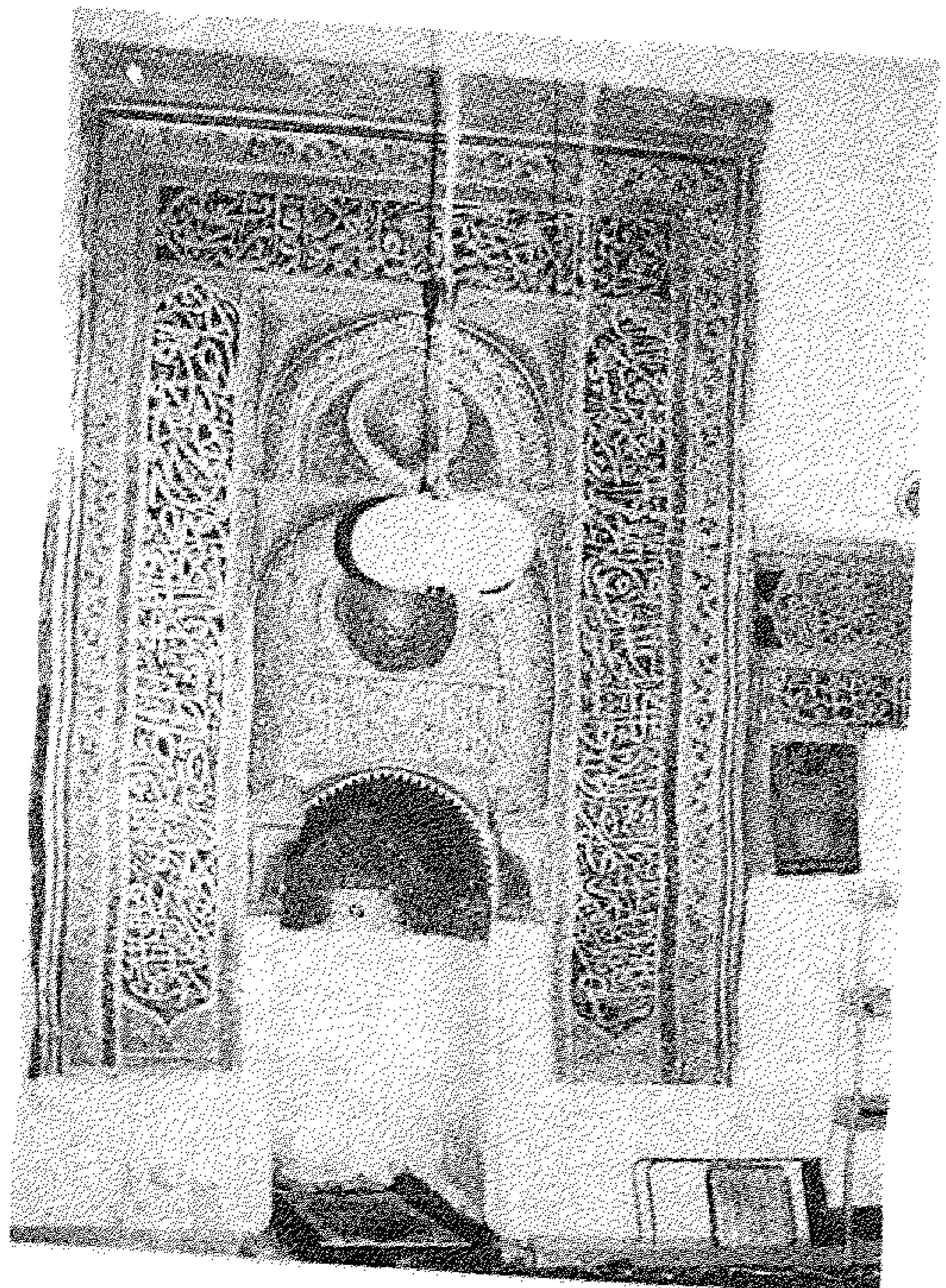
لوحة ٤٢ : زخارف للمحراب وجانب من الكتابات على قبة الهادى بثلا .



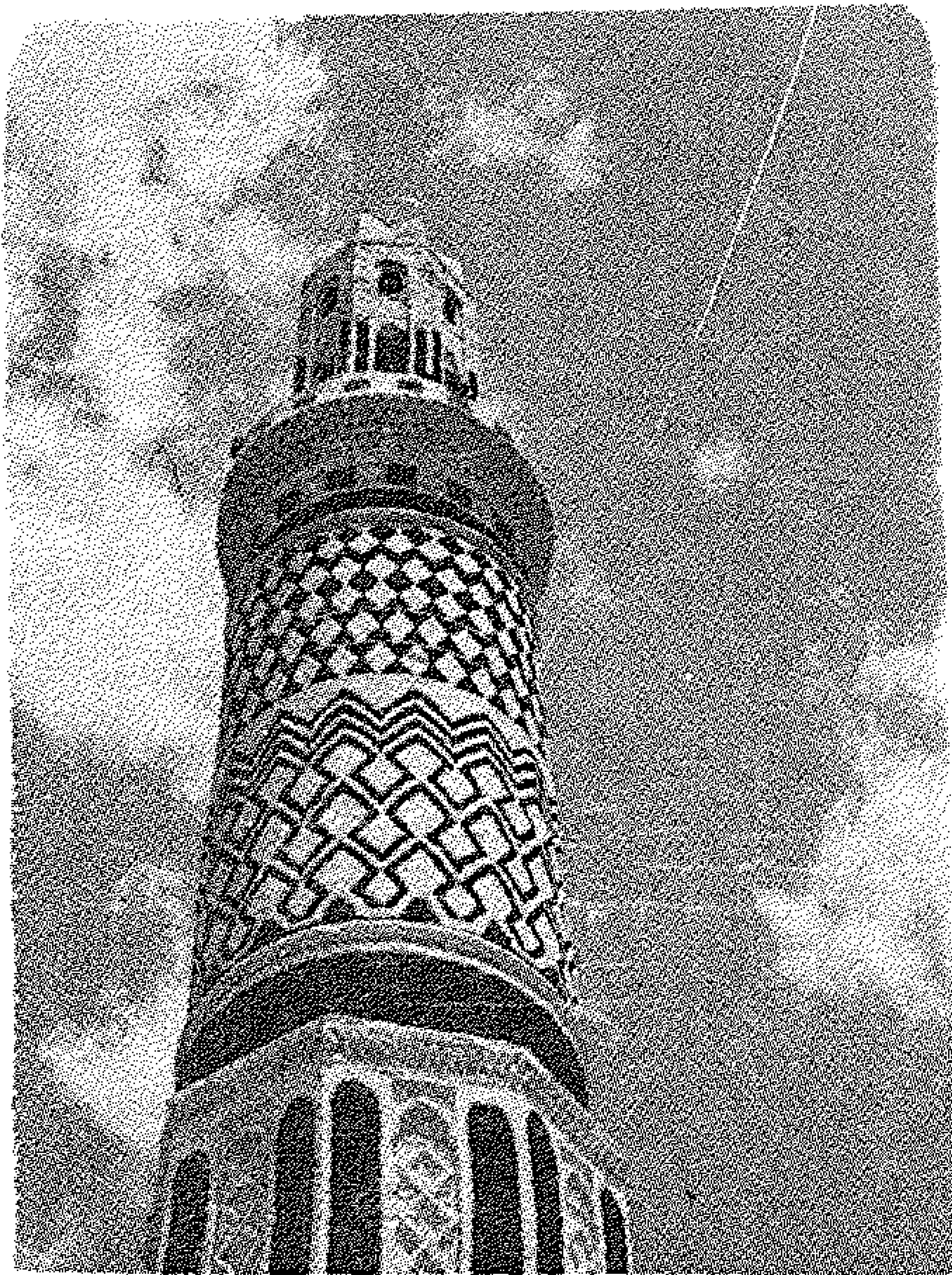
لوحة ٤٣ : محراب قبة الهادى بثلا .

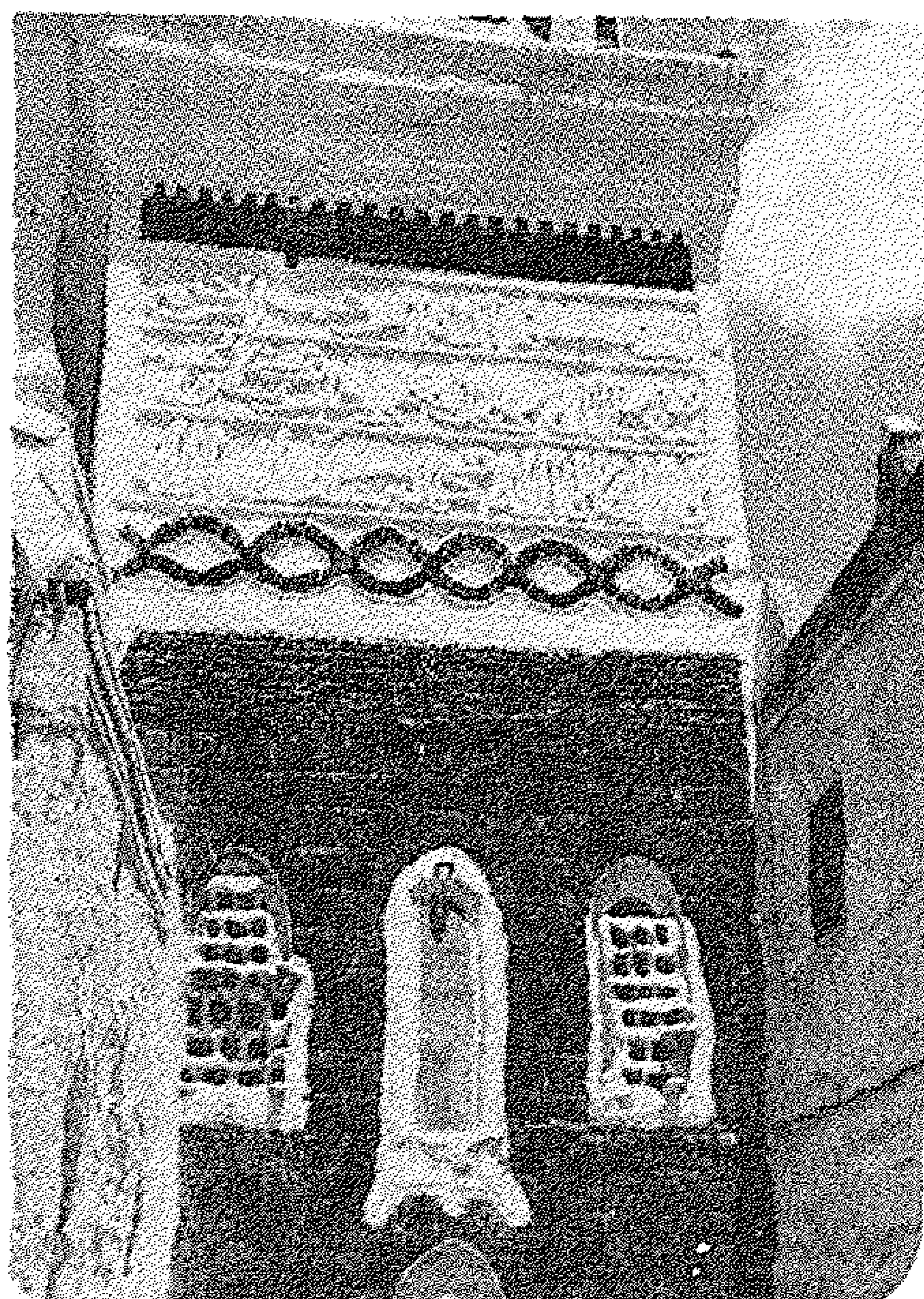


لوحة ٤٤ : واجهة مسجد صلاح الدين بصنعاء .

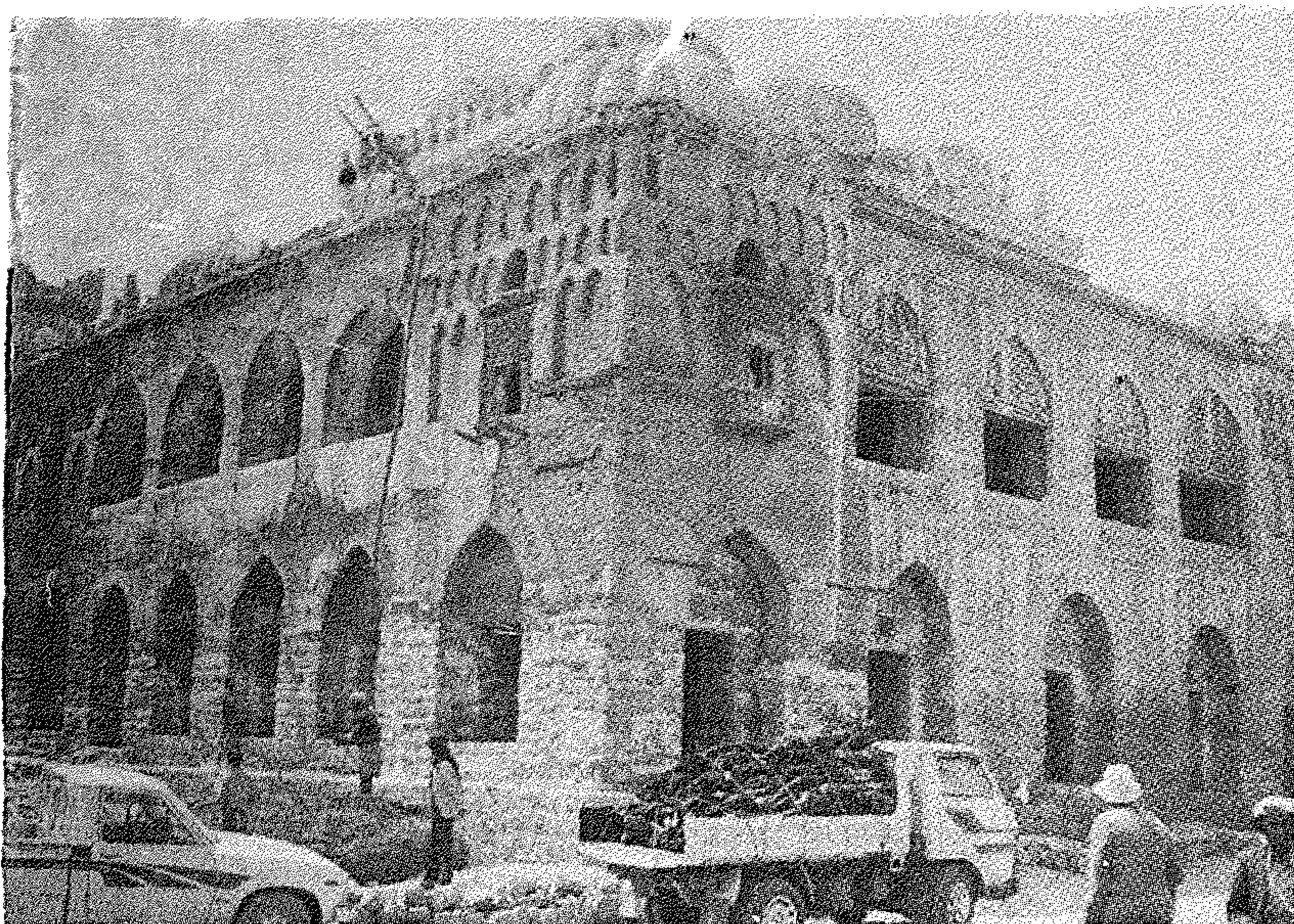


لوحة ٤٥ : محراب مسجد صلاح الدين بصنعاء .

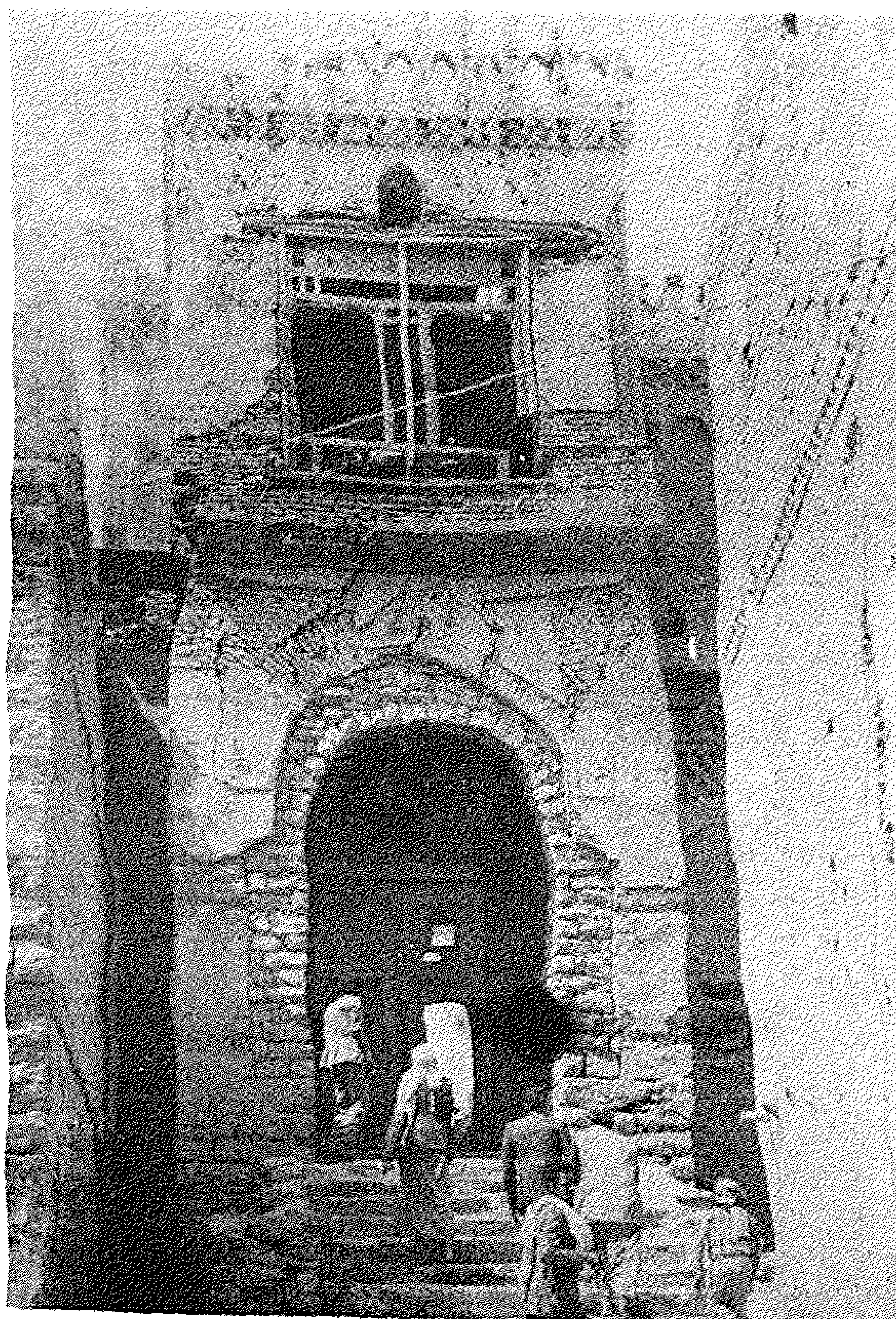




لوحة ٤٦ : مئذنة جامع صلاح الدين بصنعاء .

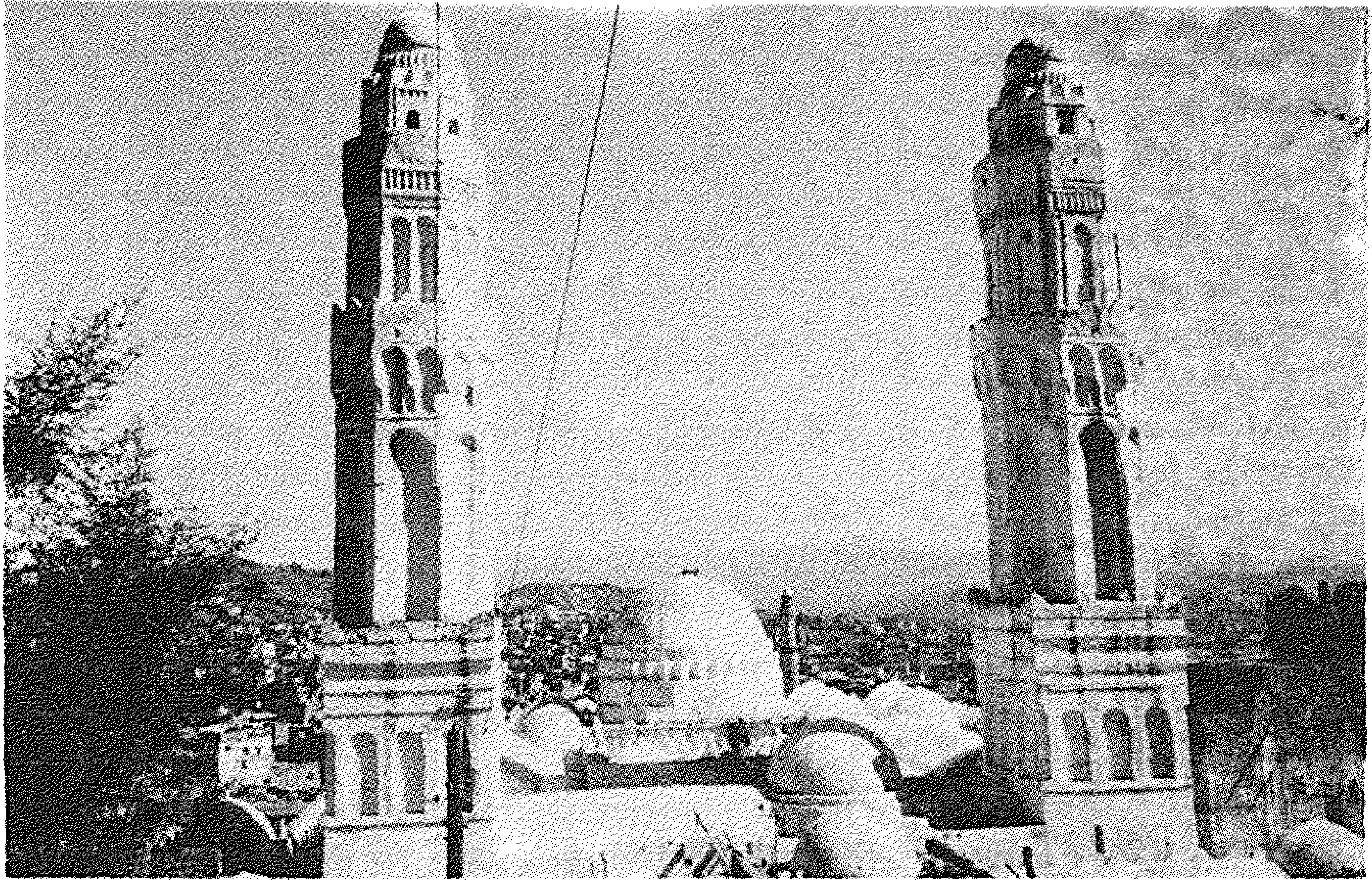


لوحة ٤٧ : مدرسة السلطان عامر بن عبد الوهاب برداع .

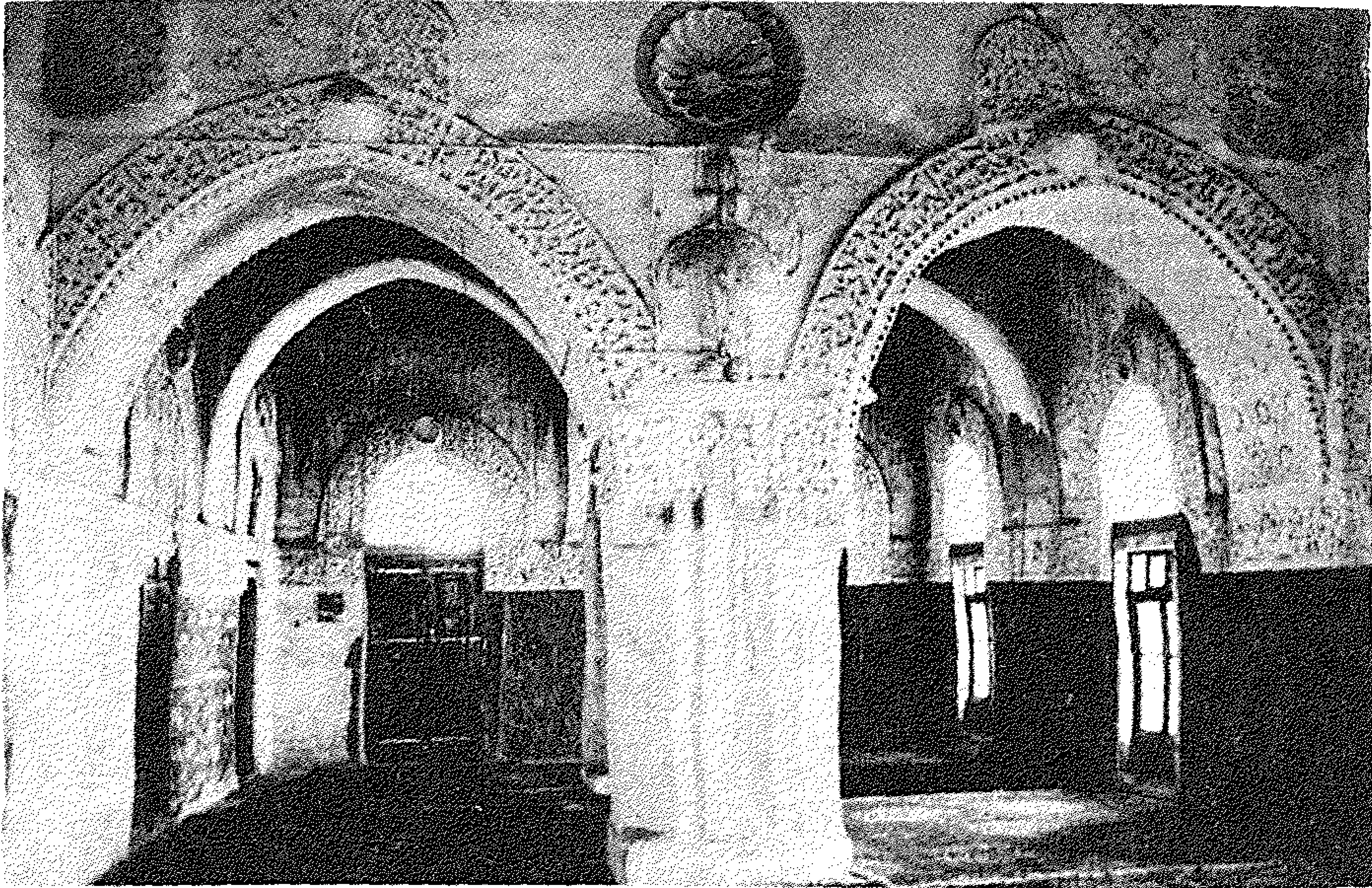


لوحة ٤٨ :

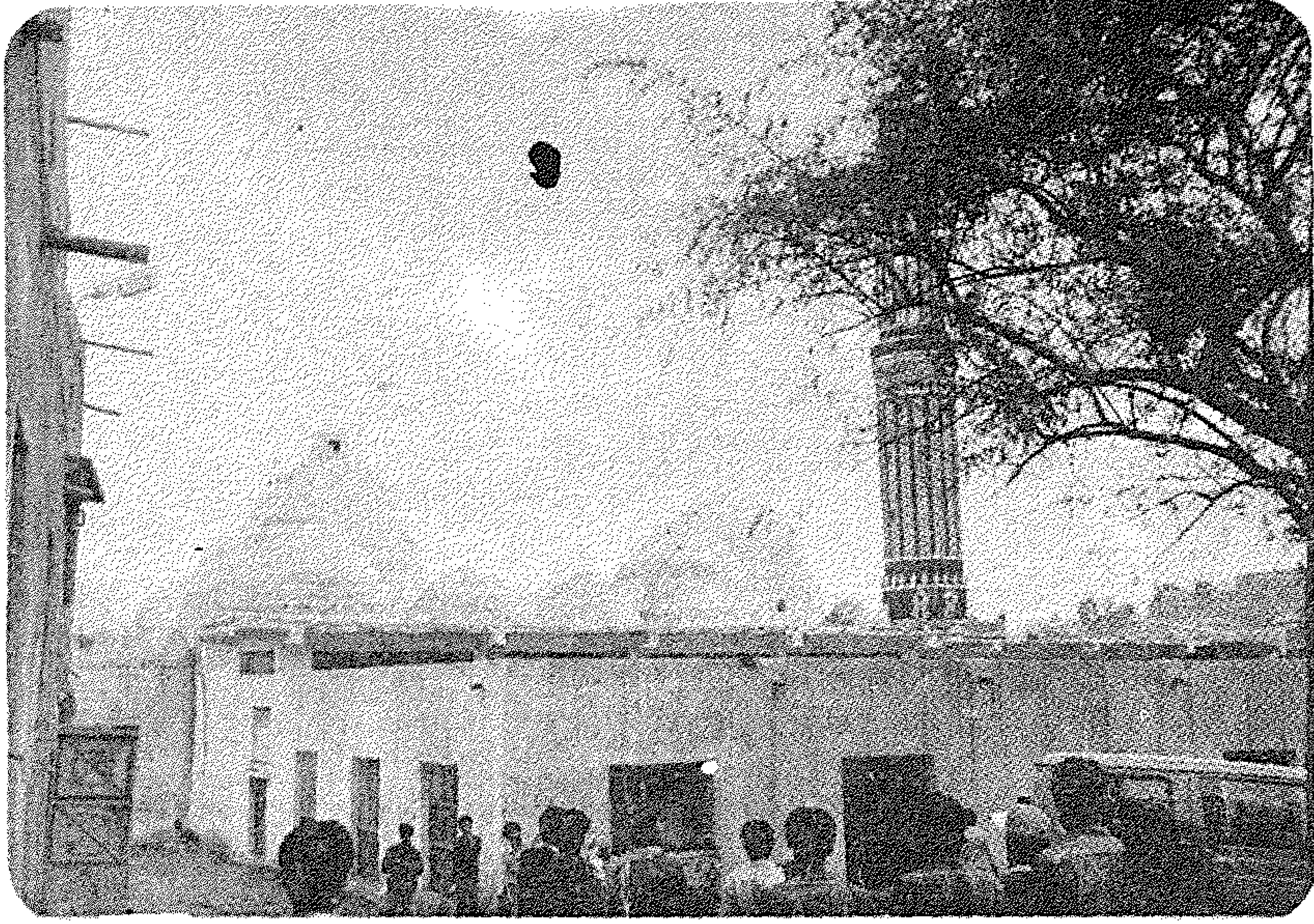
المدخل المؤدى للمدرسة العامرية .



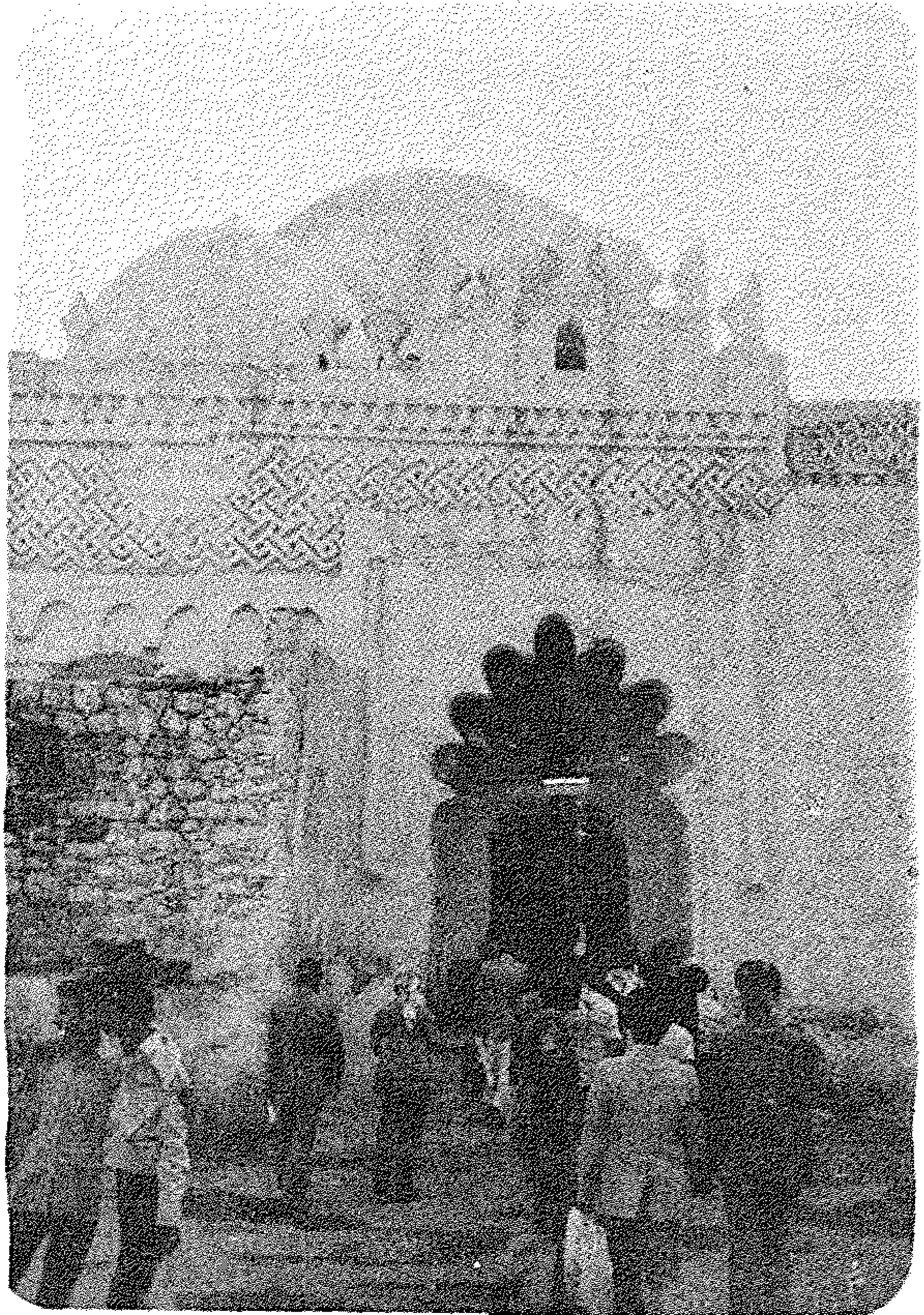
لوحة ٤٩ : المدرسة الأشرفية بتعز .



لوحة ٥٠ بيت الصلاة بالمدرسة الأشرفية .



لوحة ٥١ : المدرسة المظفرية بتعز .

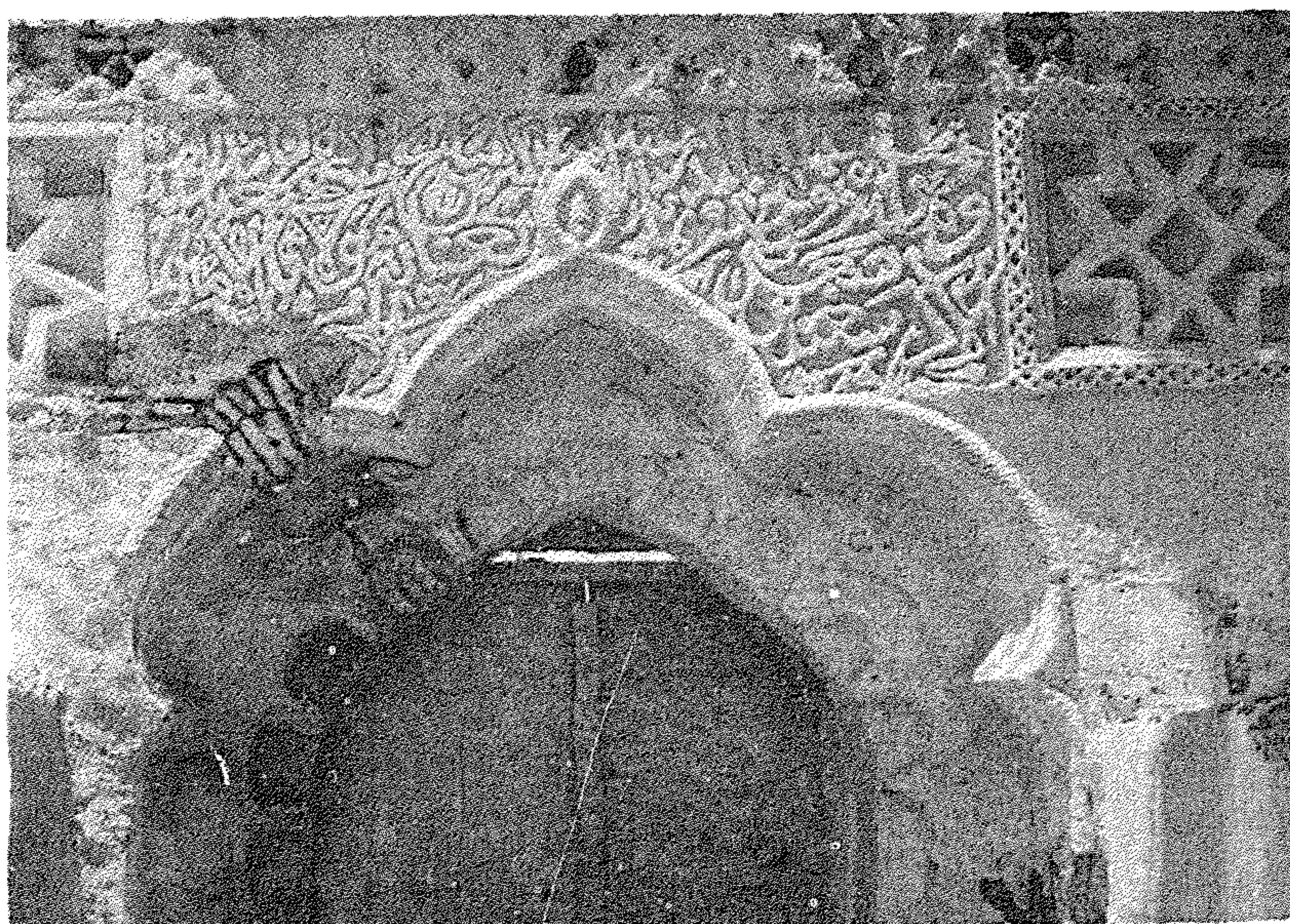


لوحة ٥٢ :

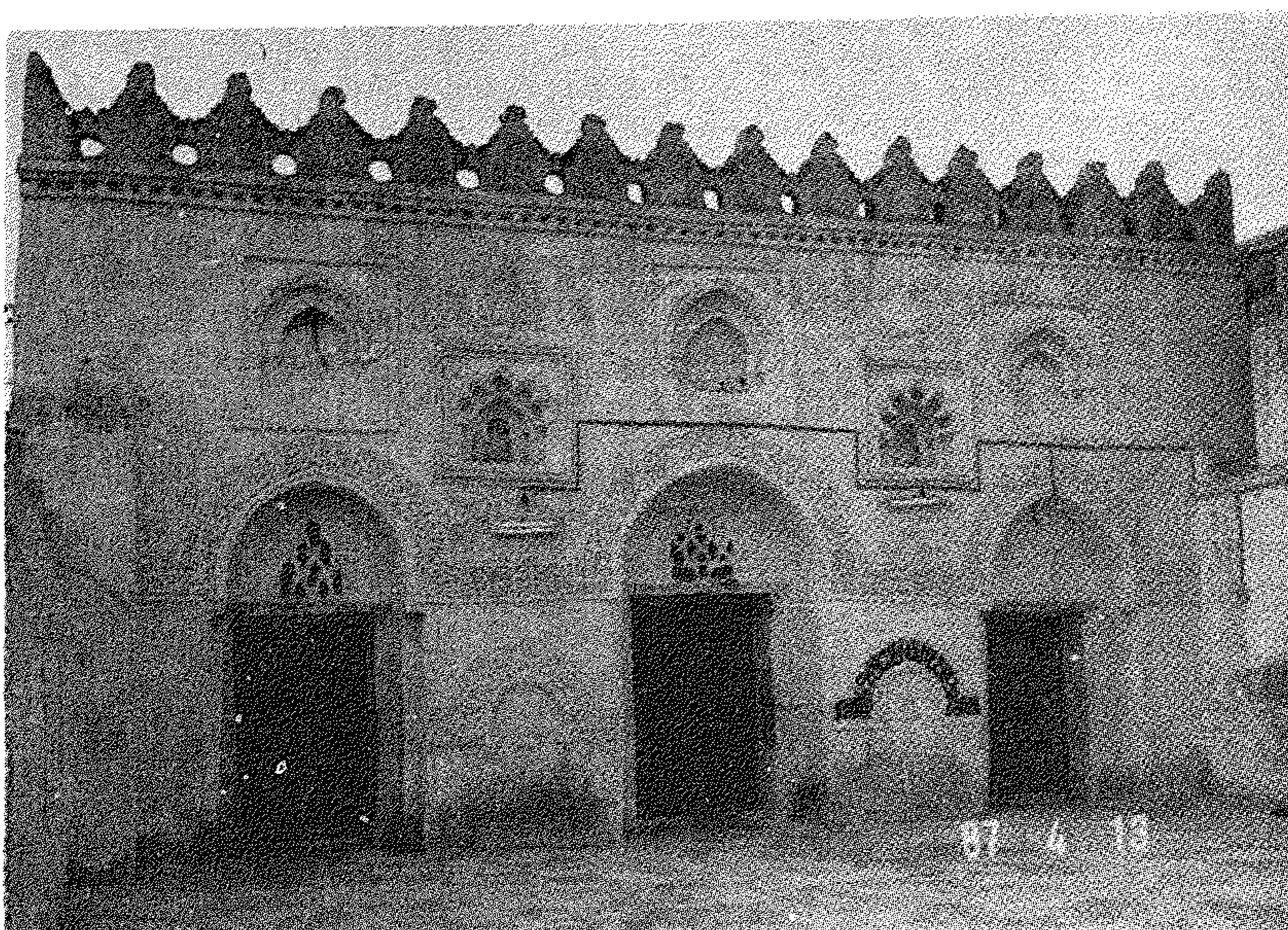
المدخل الغربى للمدرسة المظفرية .



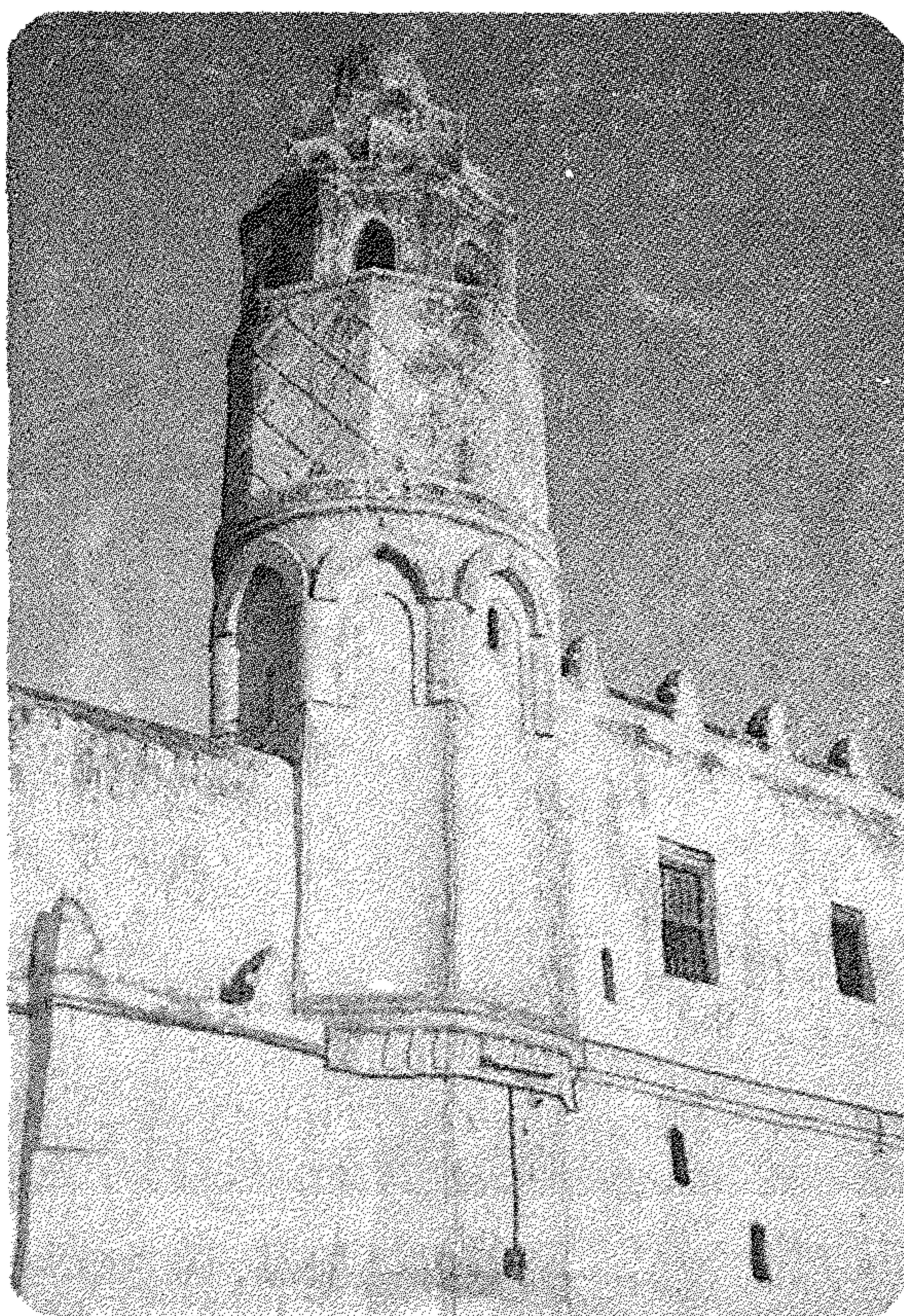
لوحة ٥٣ :
زخارف مائية ملونة على احد بواطن قباب المدرسة المعتبية بتعز .



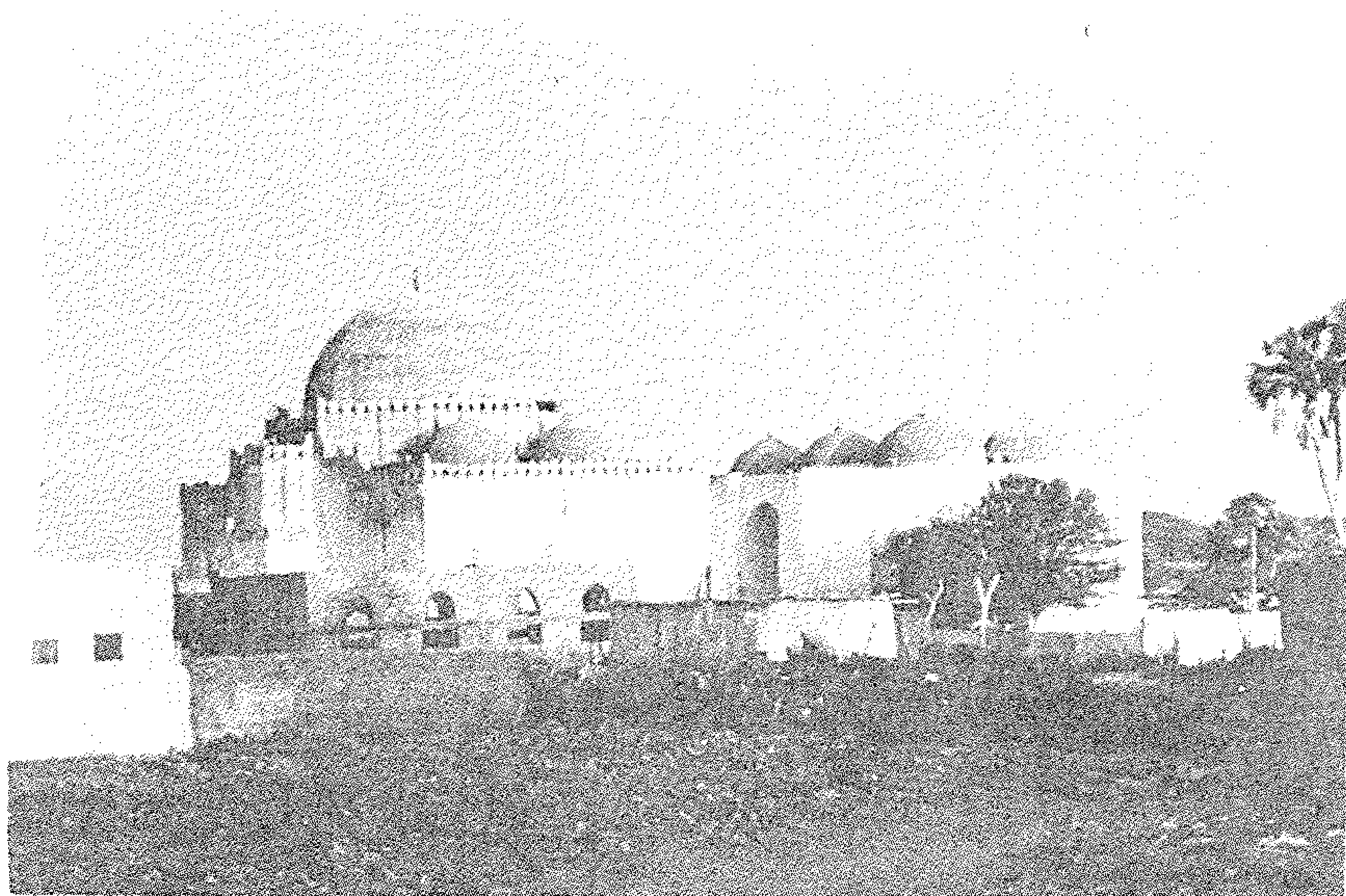
لوحة ٥٤ : مدخل المدرسة الجبرتية بزبيد .



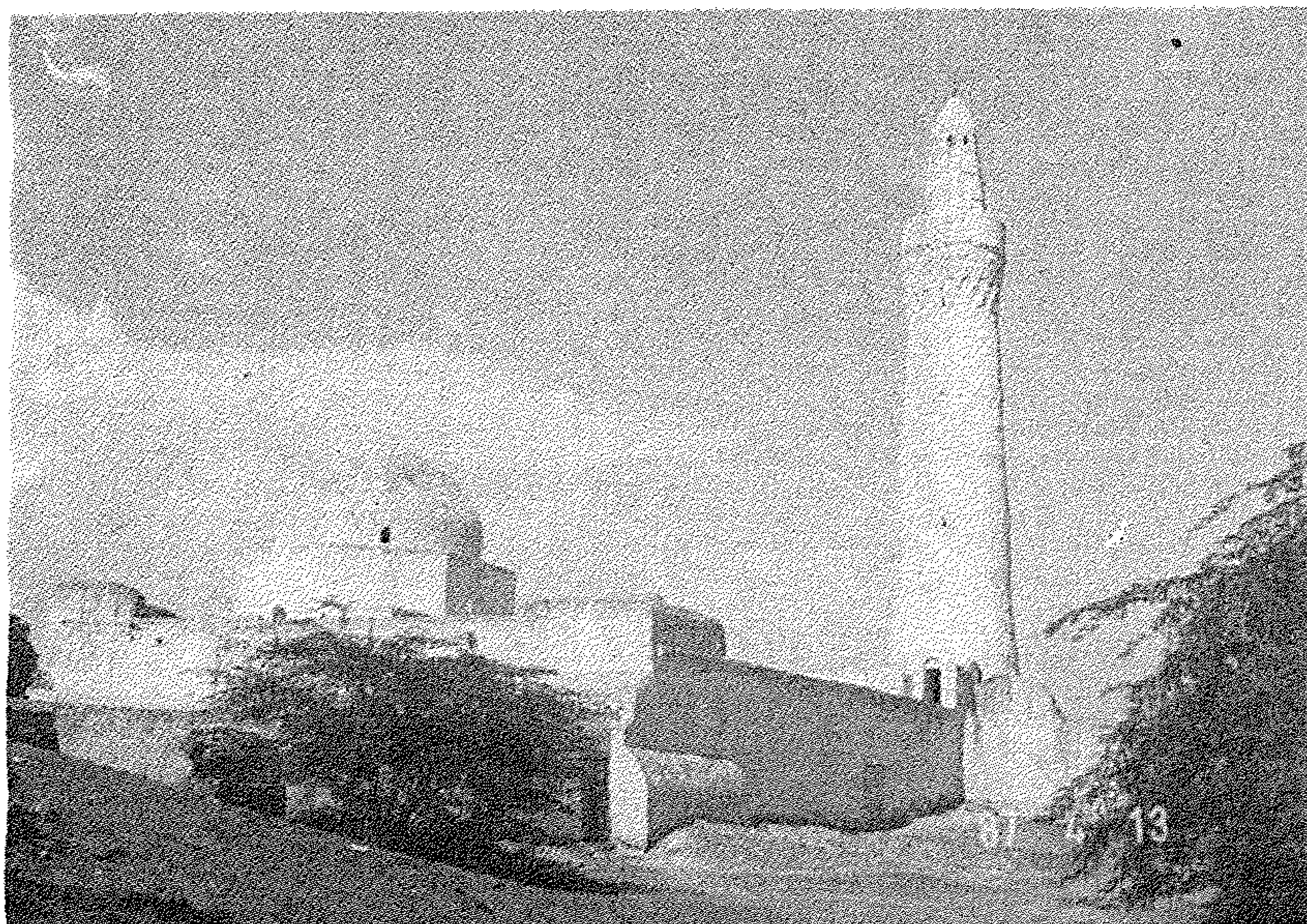
لوحة ٥٥ : واجهة بيت الصلاة فى المدرسة الفرحانية بزبيد .



لوحة ٥٦ : مئذنة المدرسة الفرحانية .



لوحة ٥٧ : المدرسة الكمالية بزبيد .



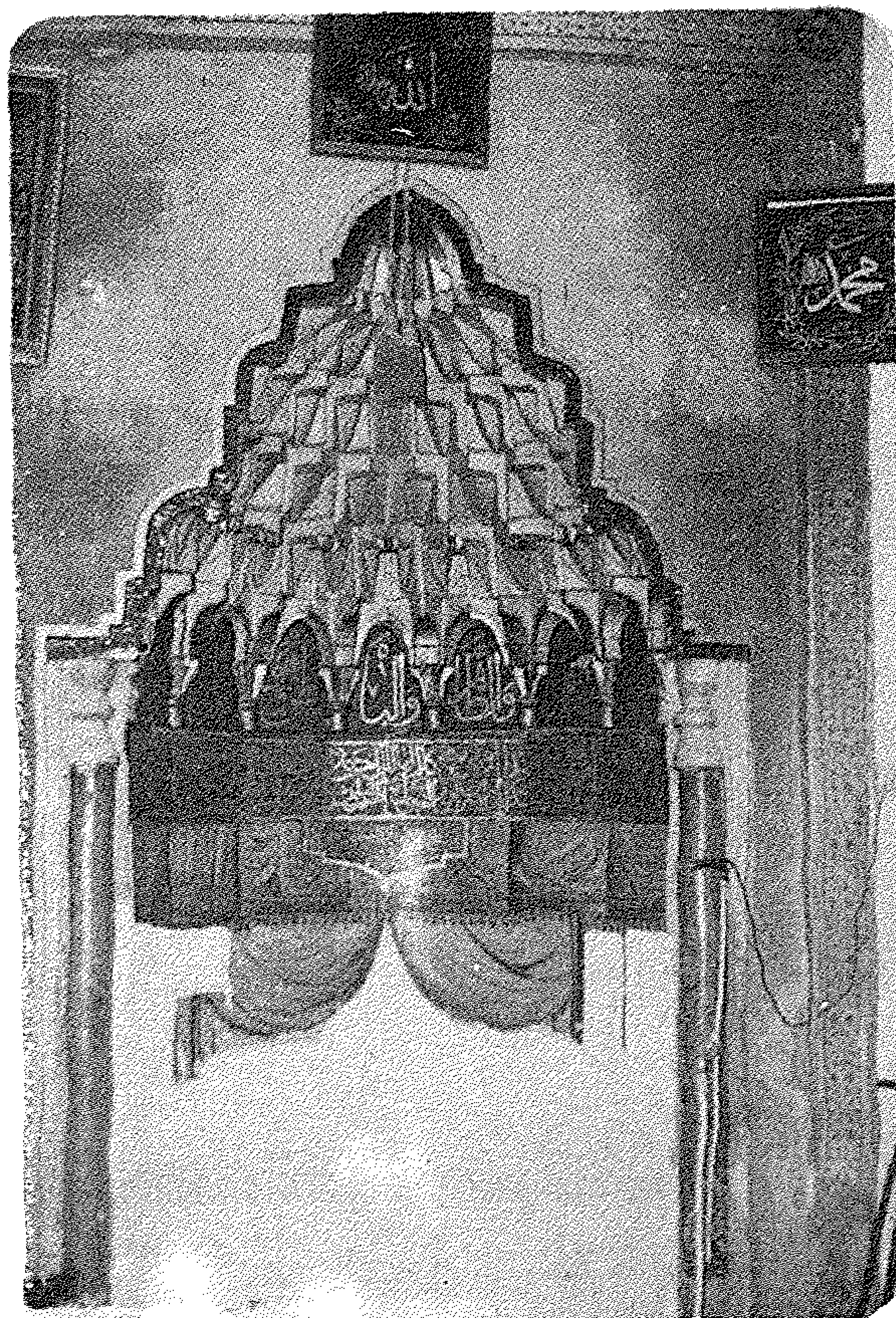
لوحة ٥٨ : المدرسة السكندرية بزبيد .



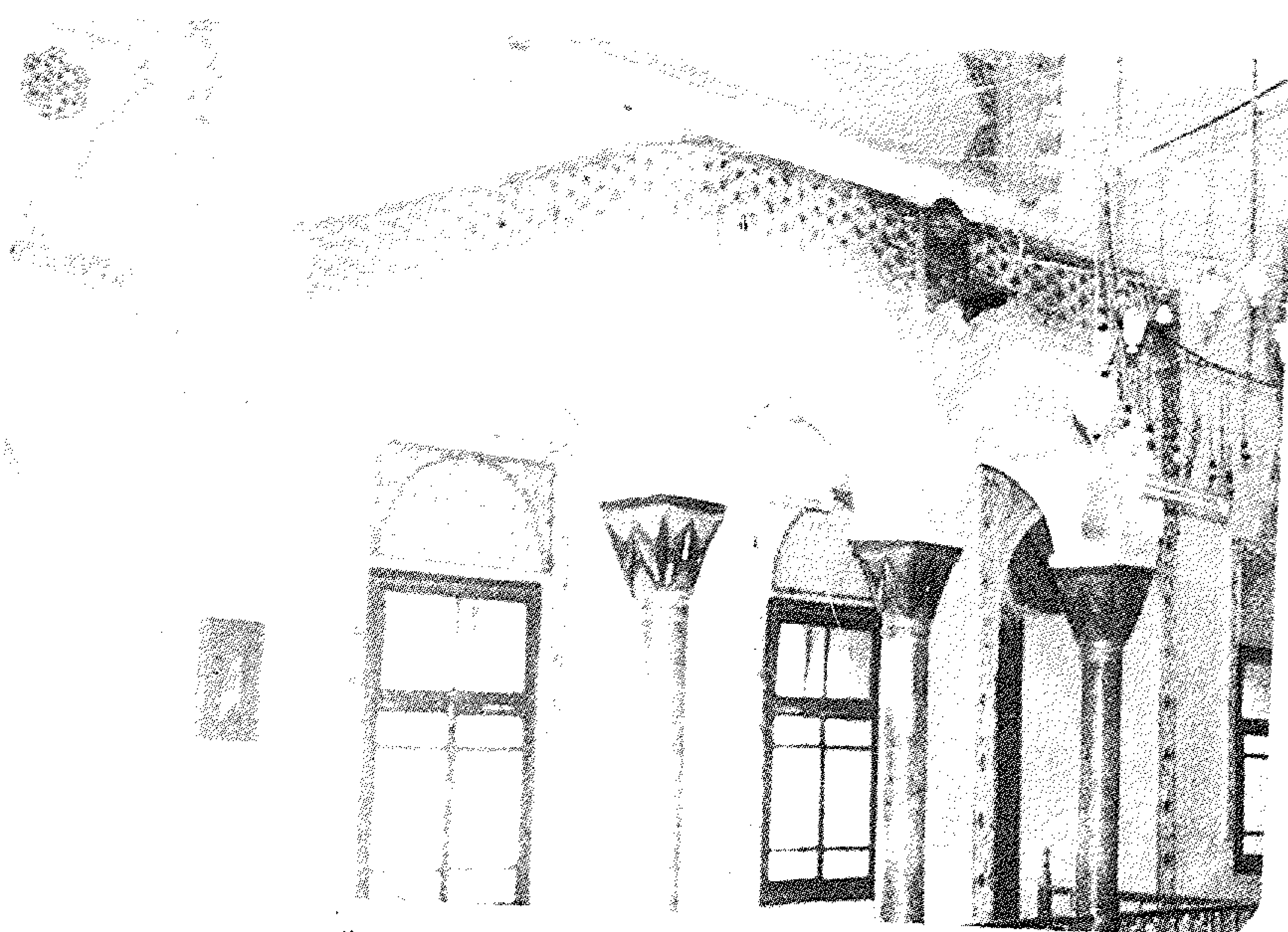
لوحة ٥٩ : المدرسة البكيرية بصنعاء .



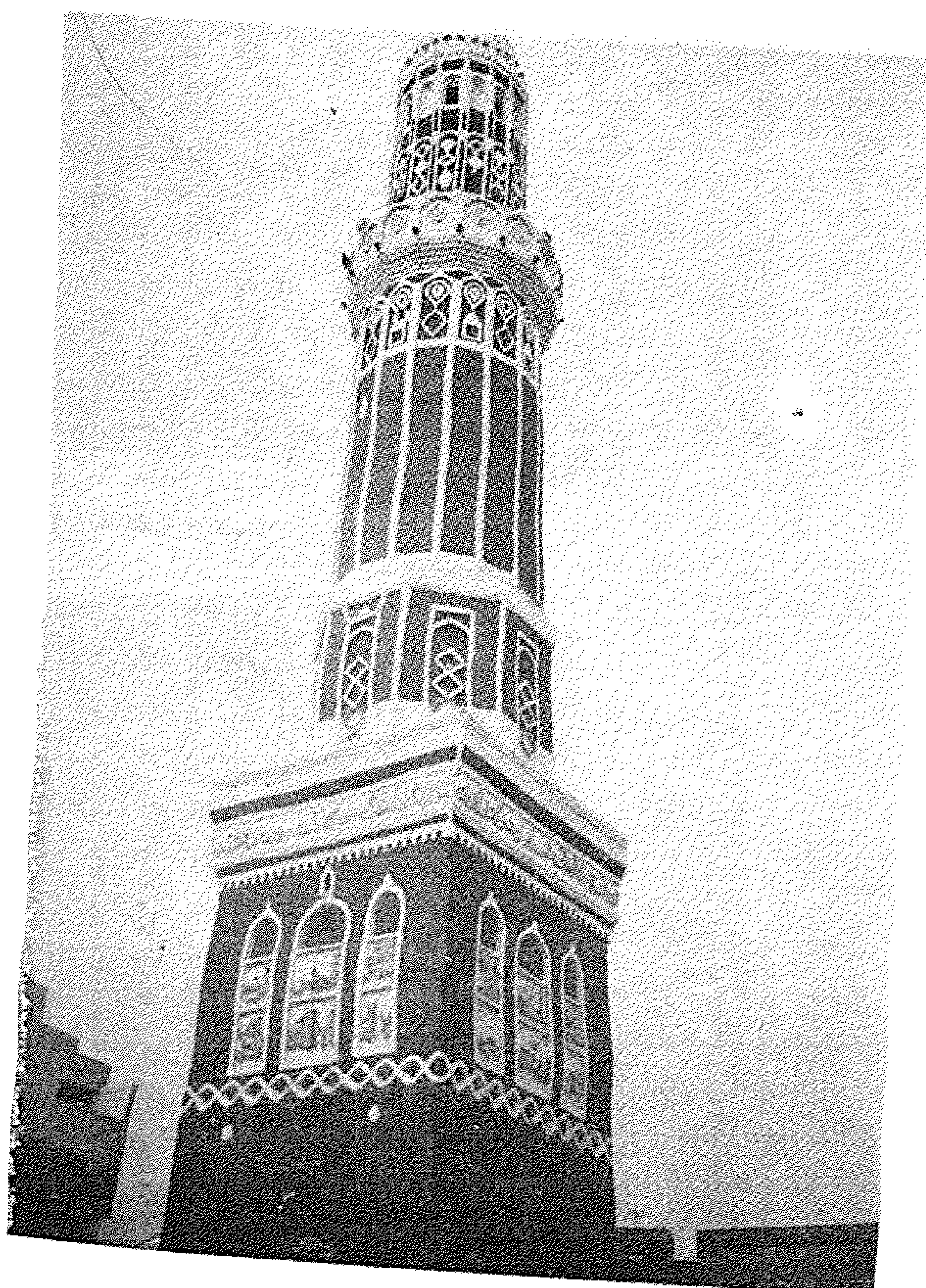
لوحة ٦٠ : بيت الصلاة بالمدرسة البكيرية بصنعاء



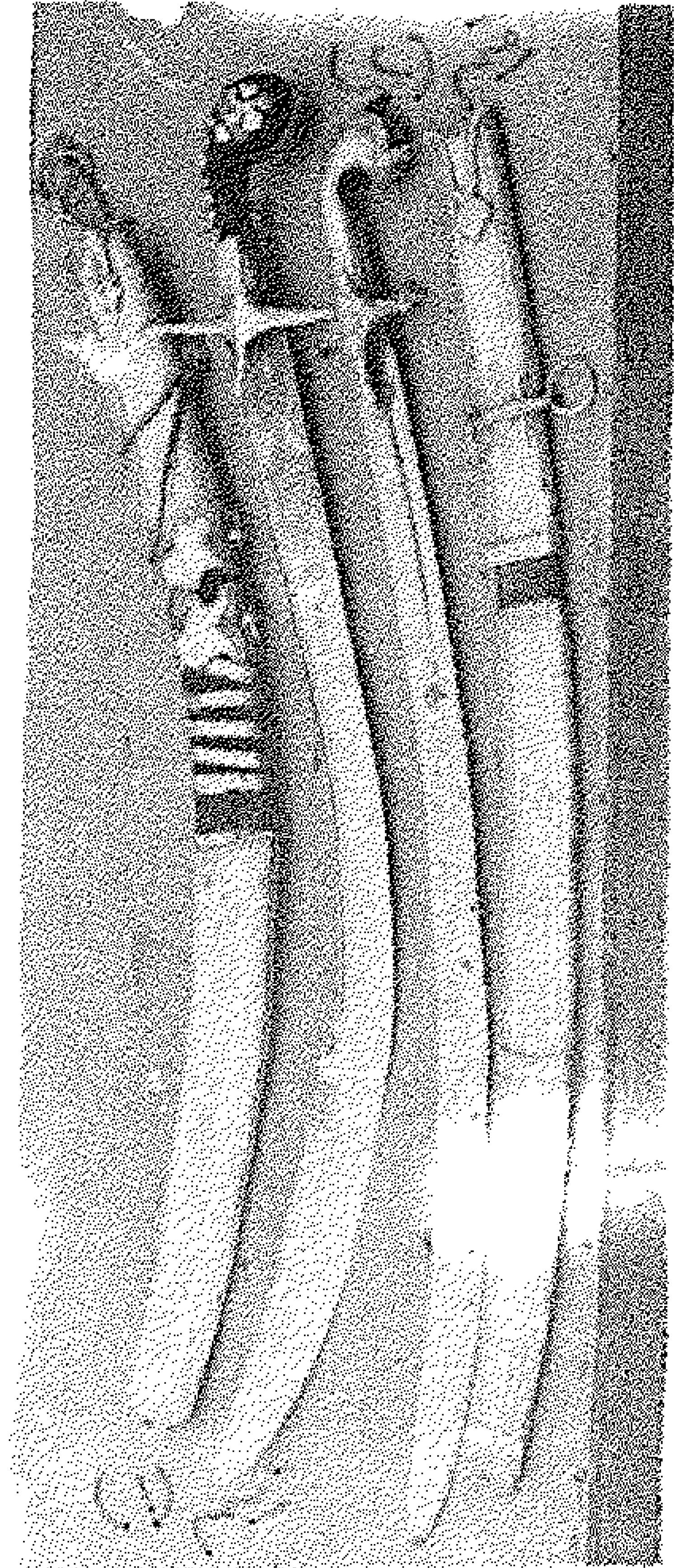
لوحة ٦١ : محراب المدرسة البكيرية .



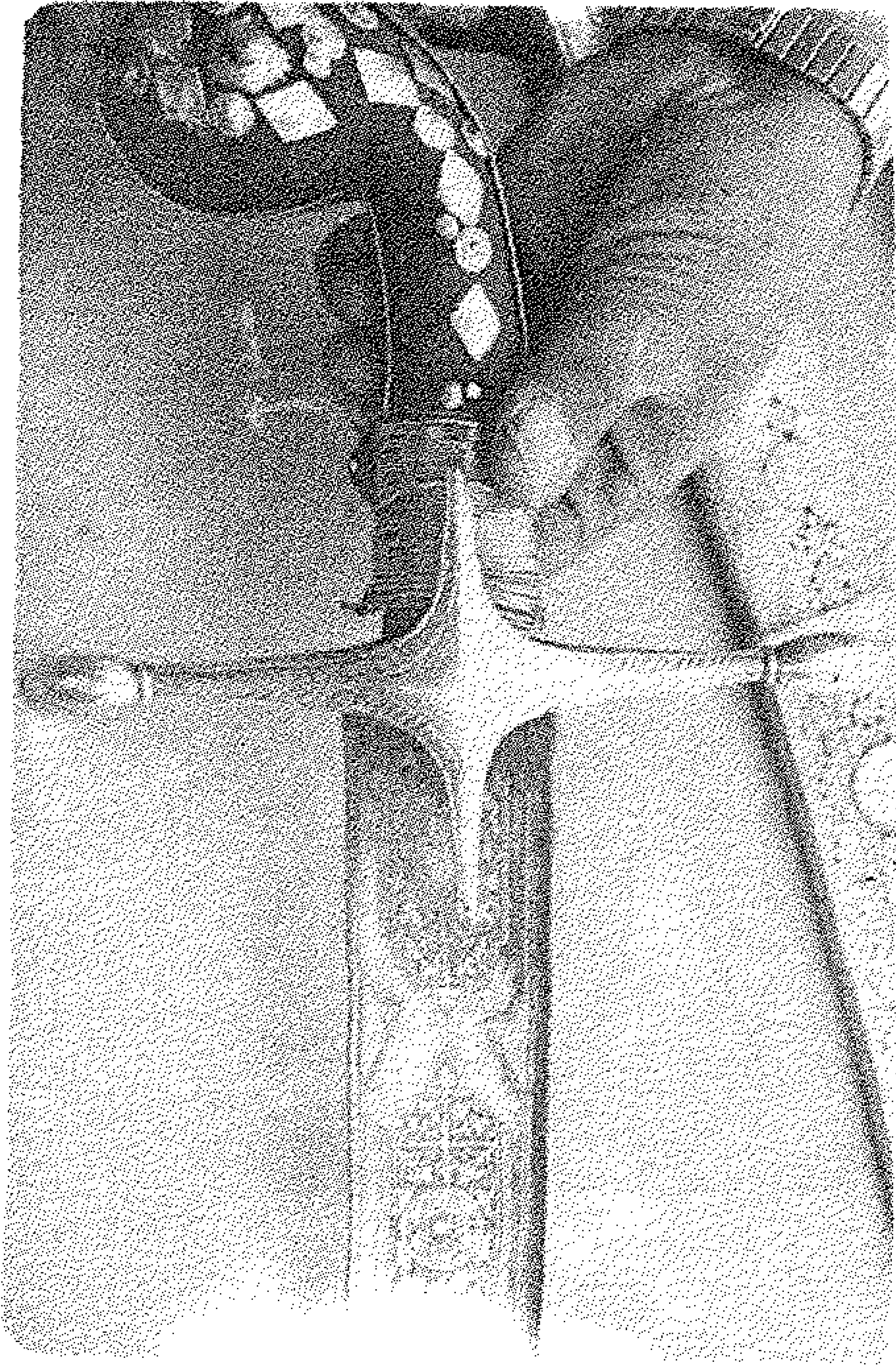
لوحة ٦٢ : دكة المبلغ بقبة البكيرية .



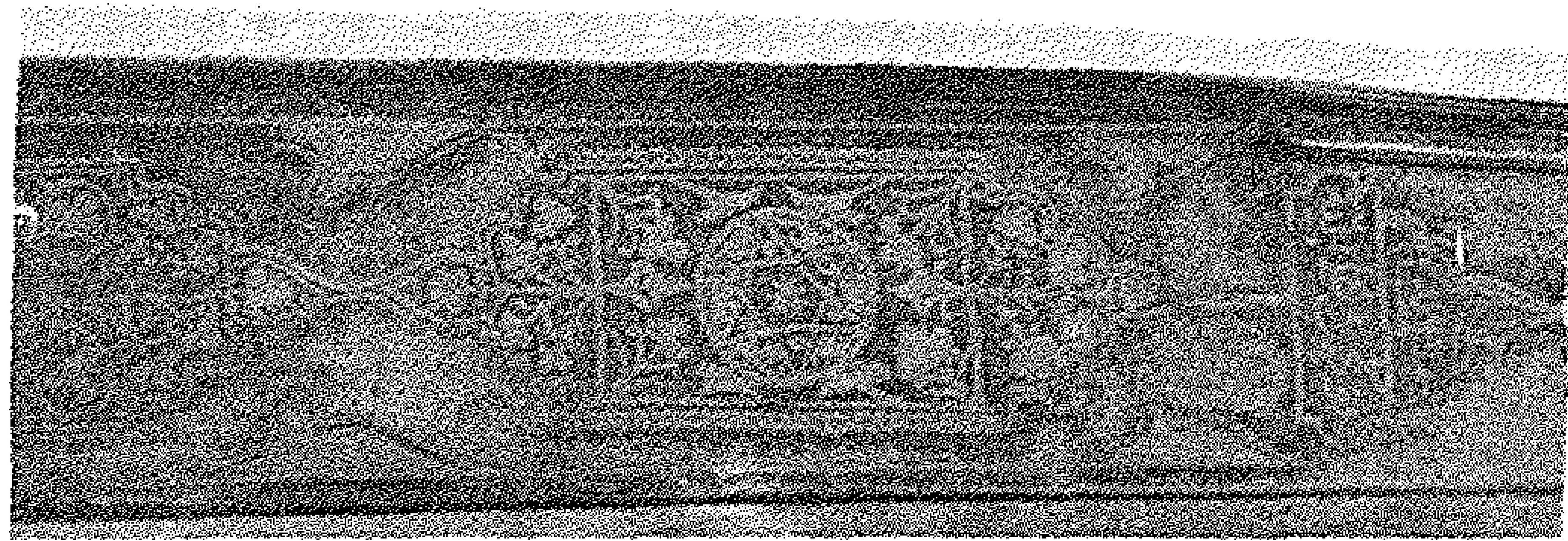
لوحة ٦٣ : مئذنة المدرسة البكيرية .



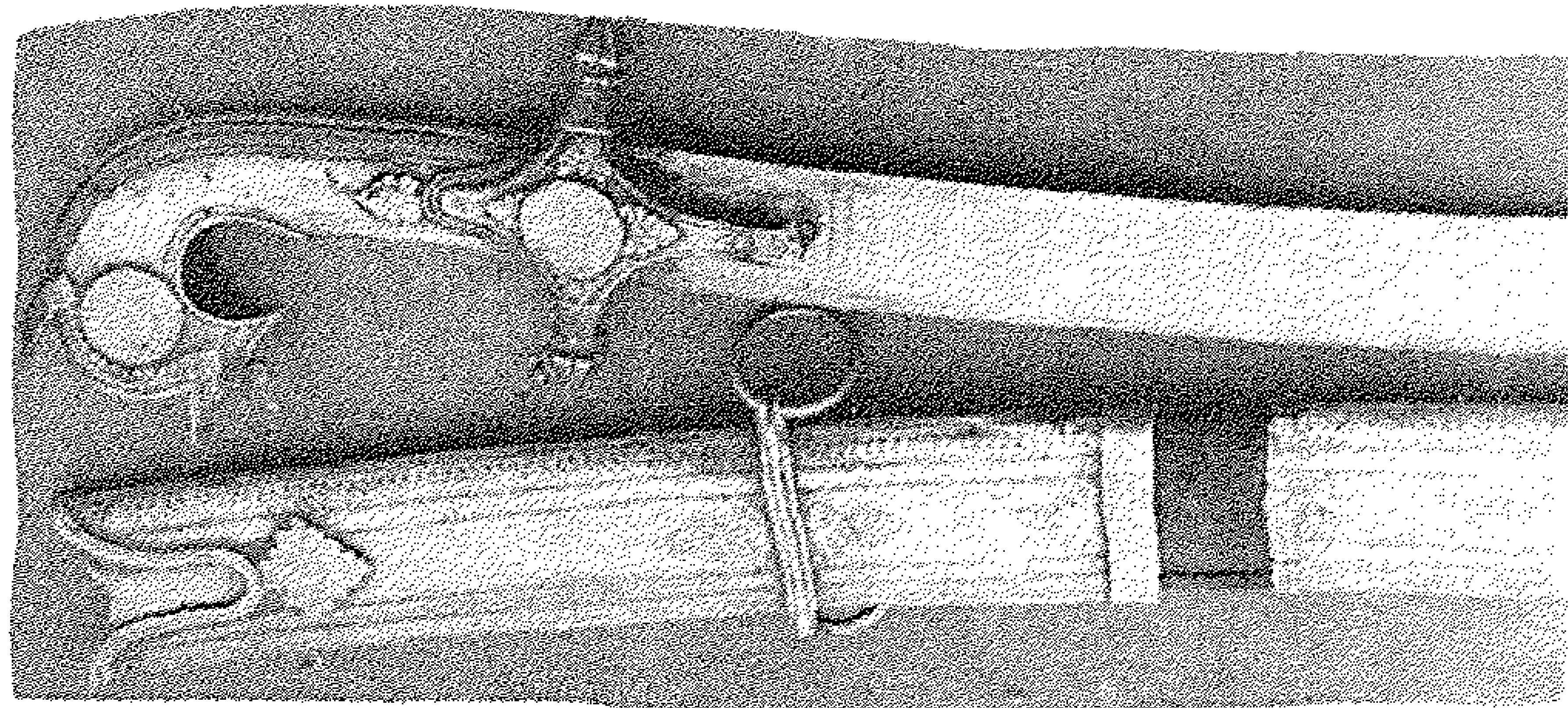
(آ) السيفان



(ب) السيف رقم ١

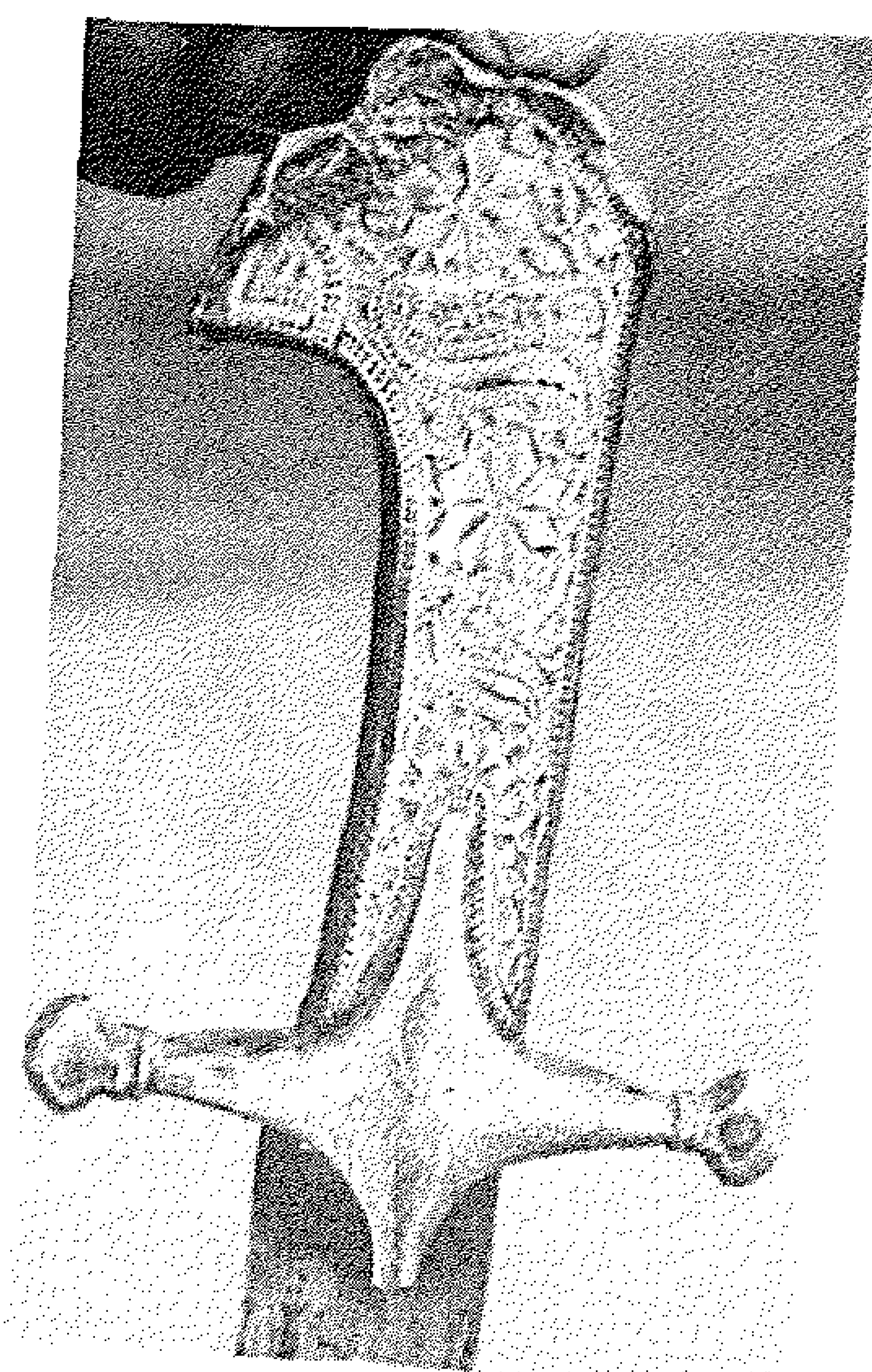


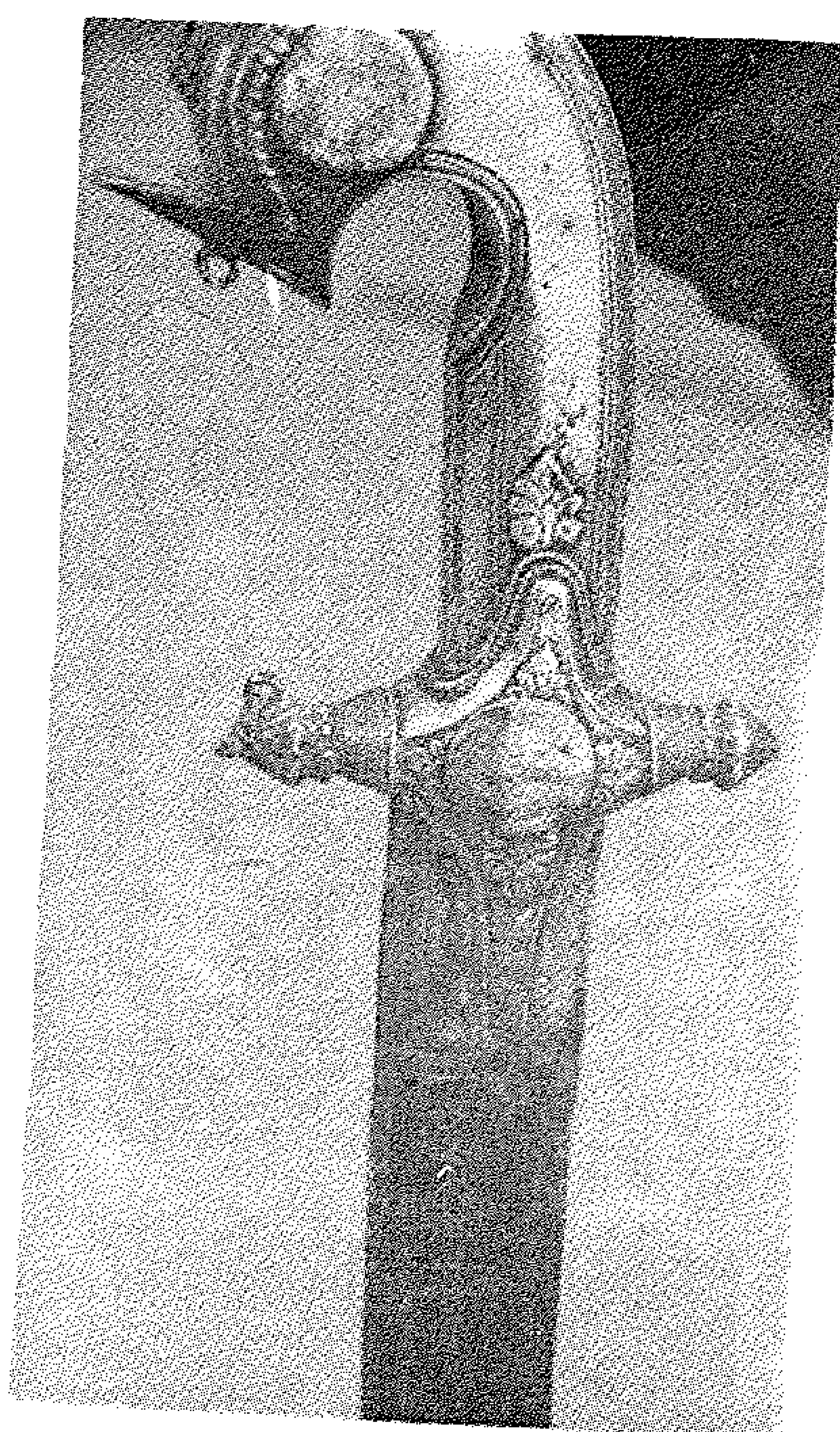
(ج) السيف رقم ١

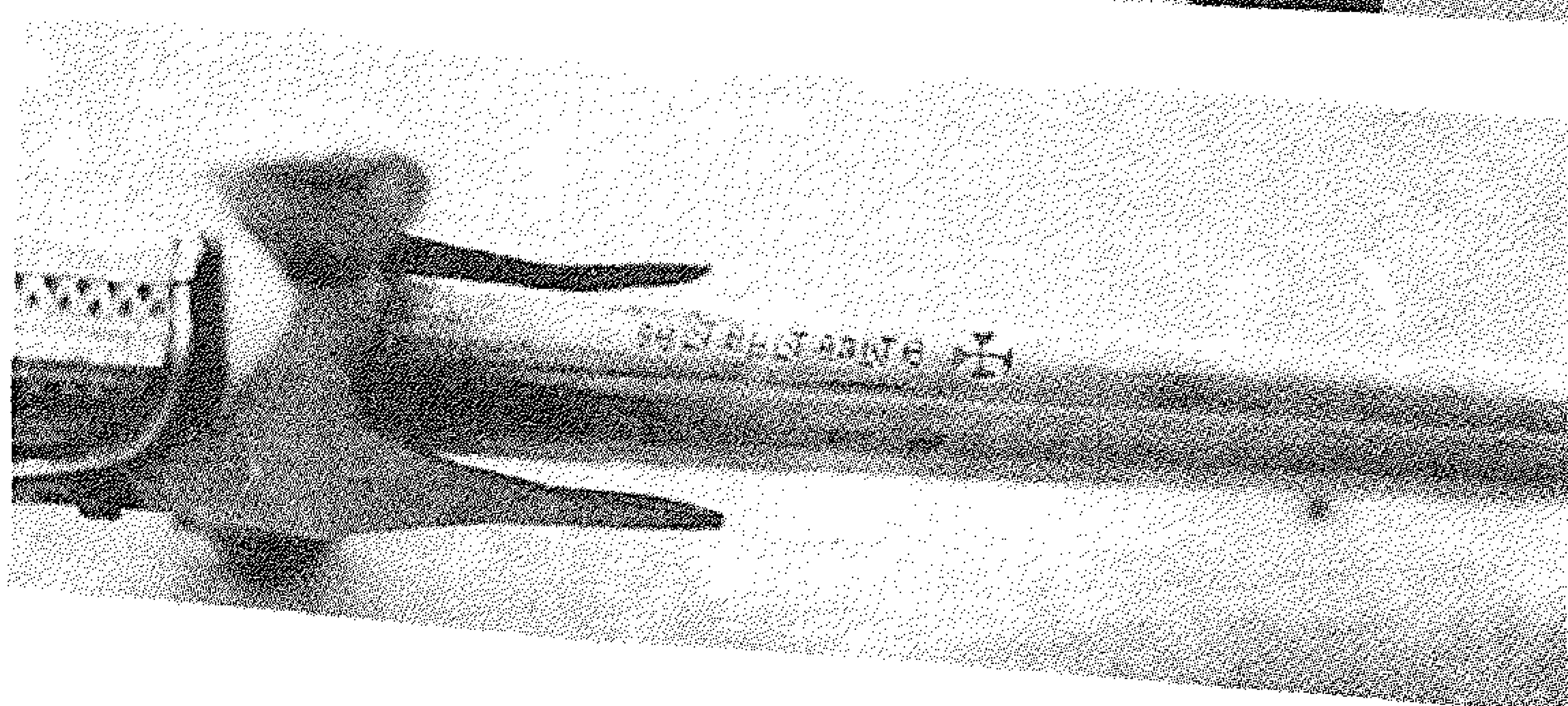


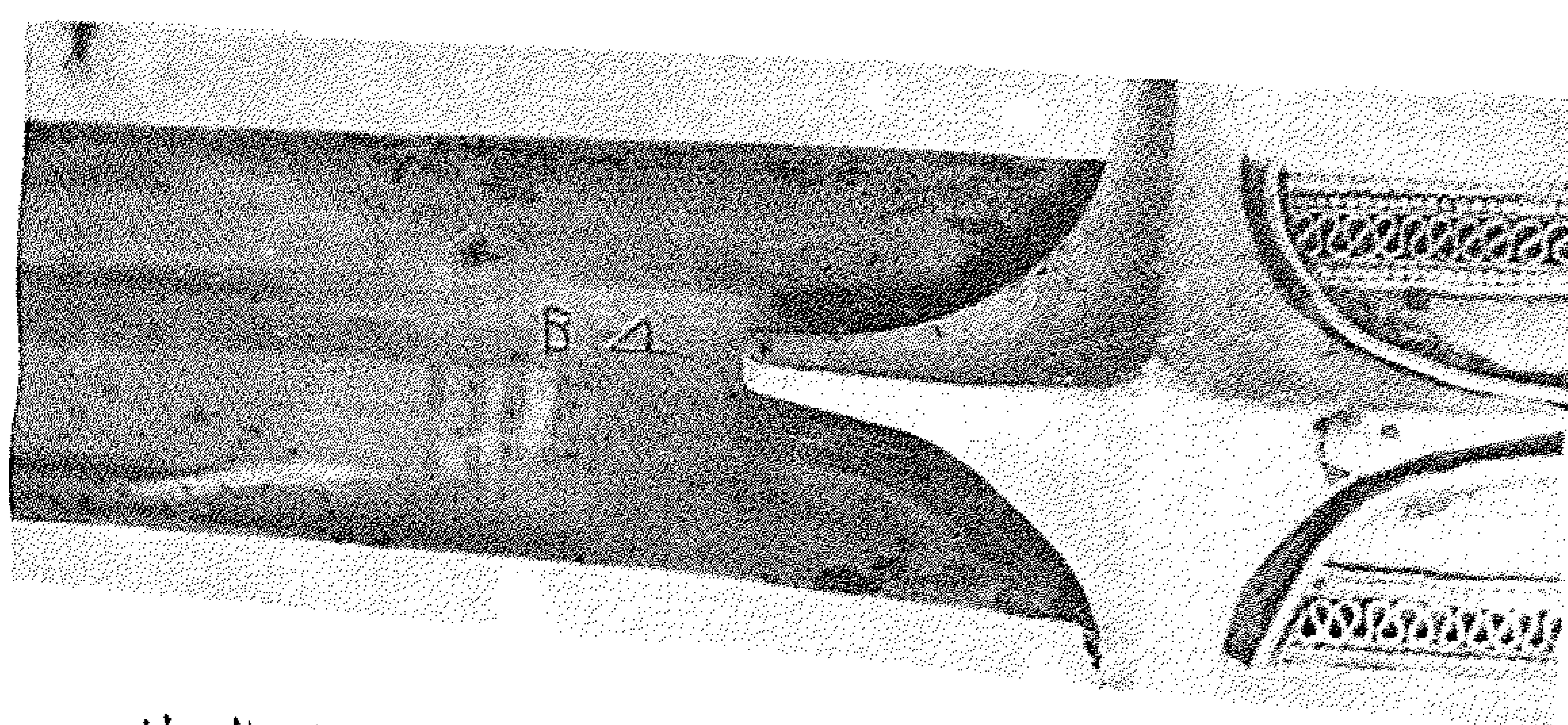
(د) السيف رقم ٢ .

لوحة ٦٤ : سيفان بالمتحف الوطنى بصنعاء .

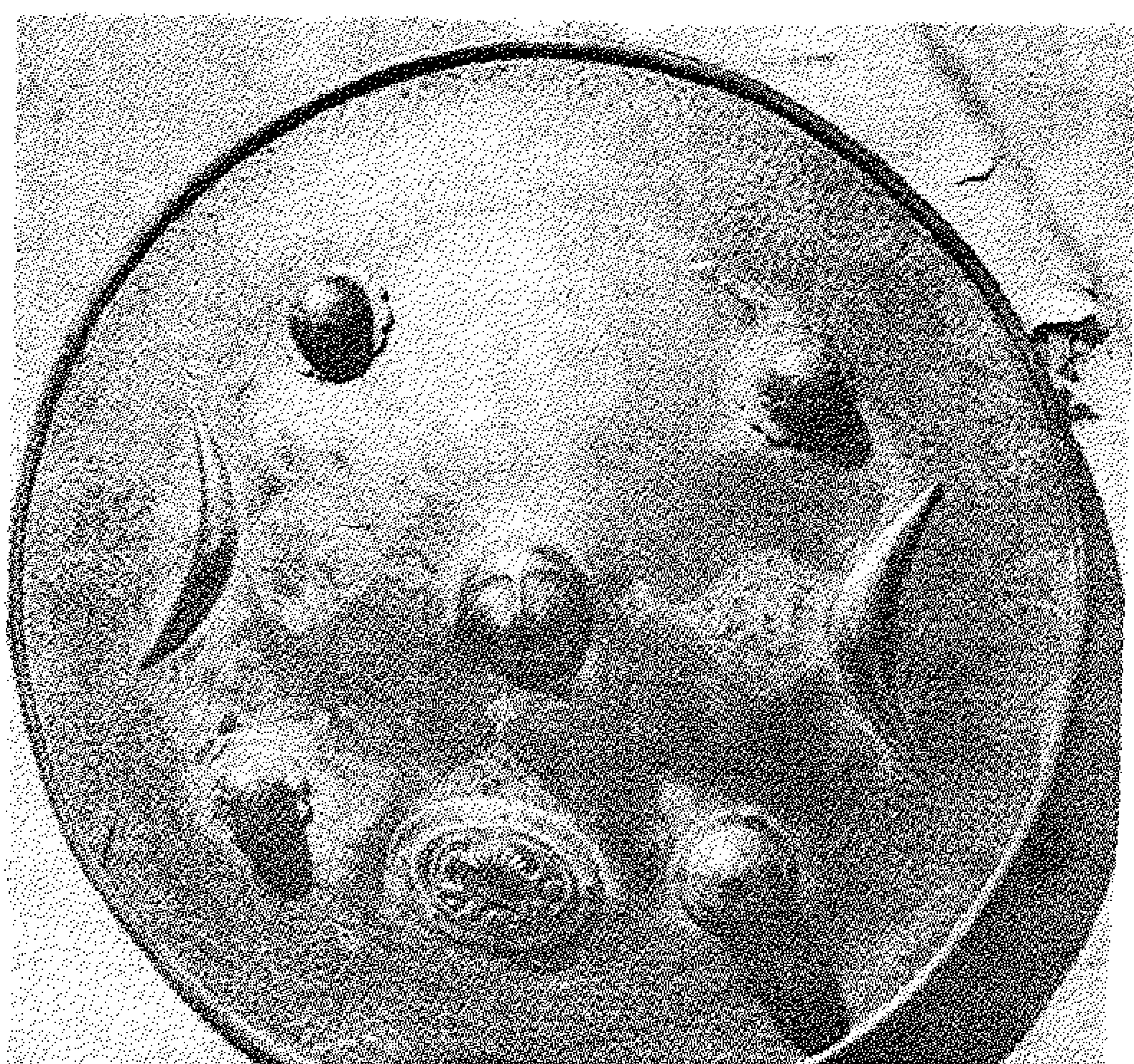




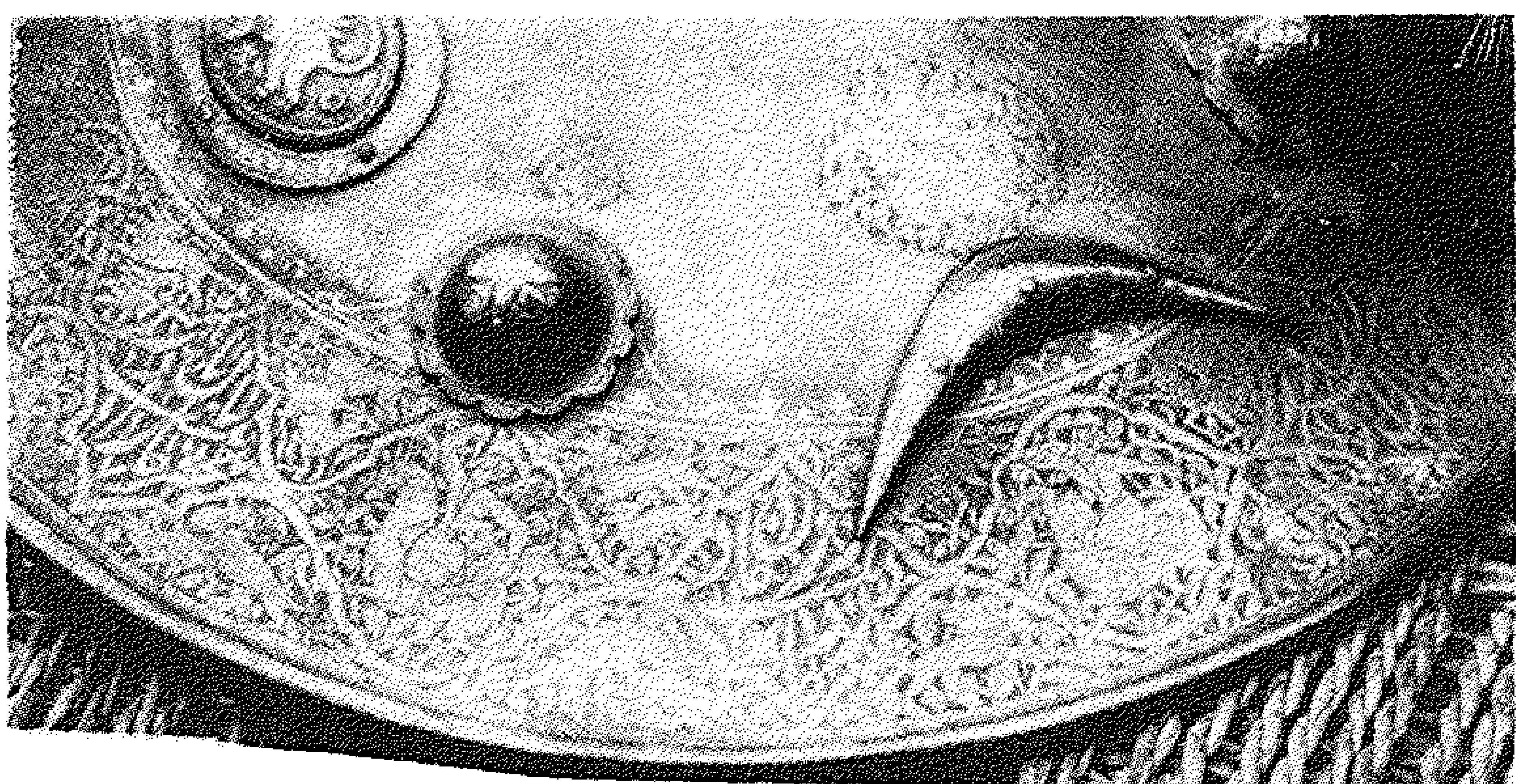




لوحة ٦٥ - مجموعة من مقابض ونصال السيوف بالمتحف الوطنى بصنعاء .



ا



ب



جـ

لوحة ٦٦ : درع من الحديد بالمتحف الوطني بصنعاء وتفاصيل من زخرفته .



لوحة ٦٧ :
شمعدان من النحاس المكفت بالفضة ، المتحف الوطني بصنعاء .

لوحة ٦٨ : بدن الشمعدان السابق .

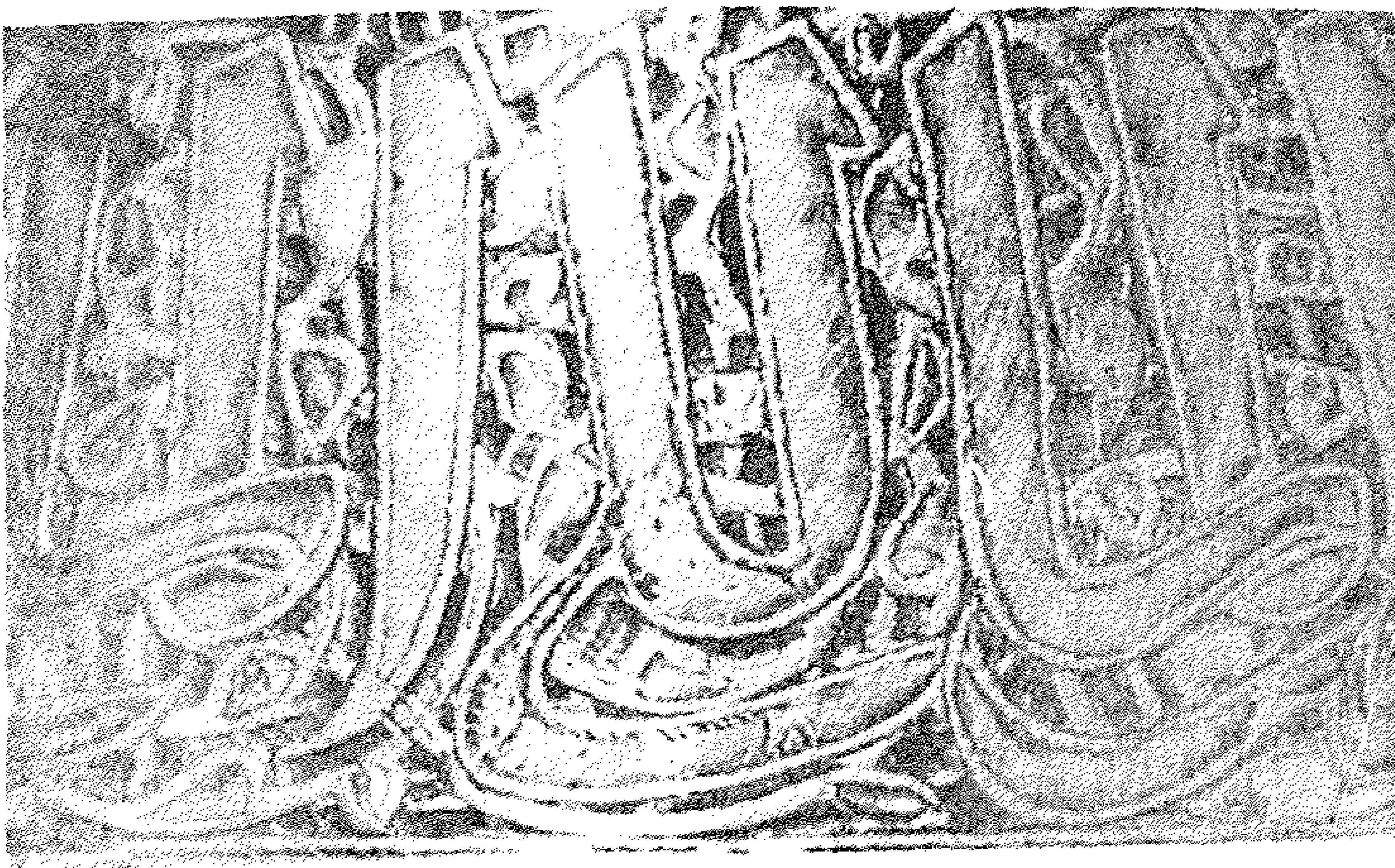




أ



ب



ج

لوحة ٦٩ : تفاصيل من الكتابة النسخيه على بدن الشمعدان السابق .



أ



ب



جـ

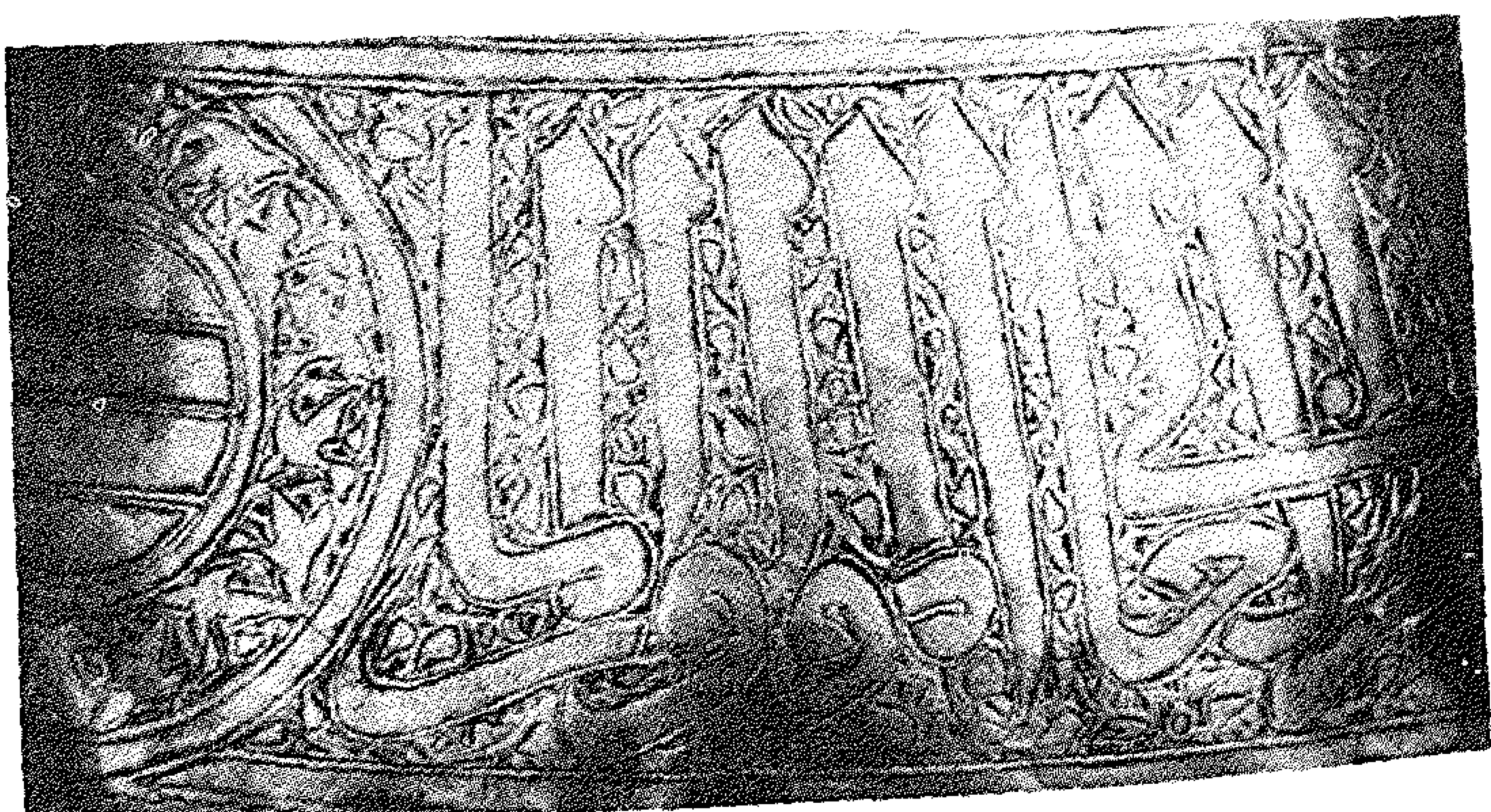
لوحة ٧٠ :

دست من النحاس محفوظ بالمتحف الوطنى بصنعاء القرن ٨ هـ /١٤م .

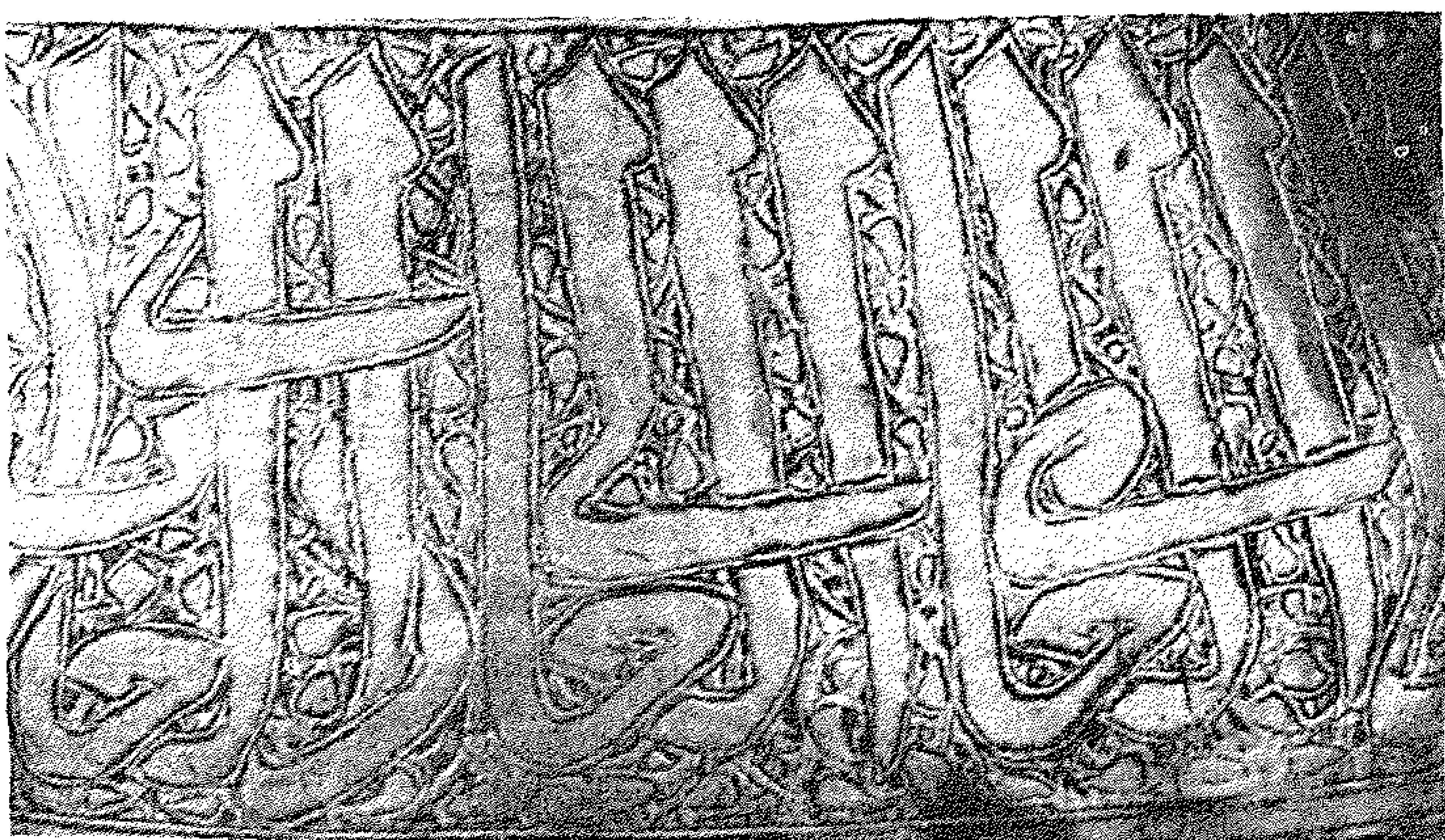
أ



ب



جـ

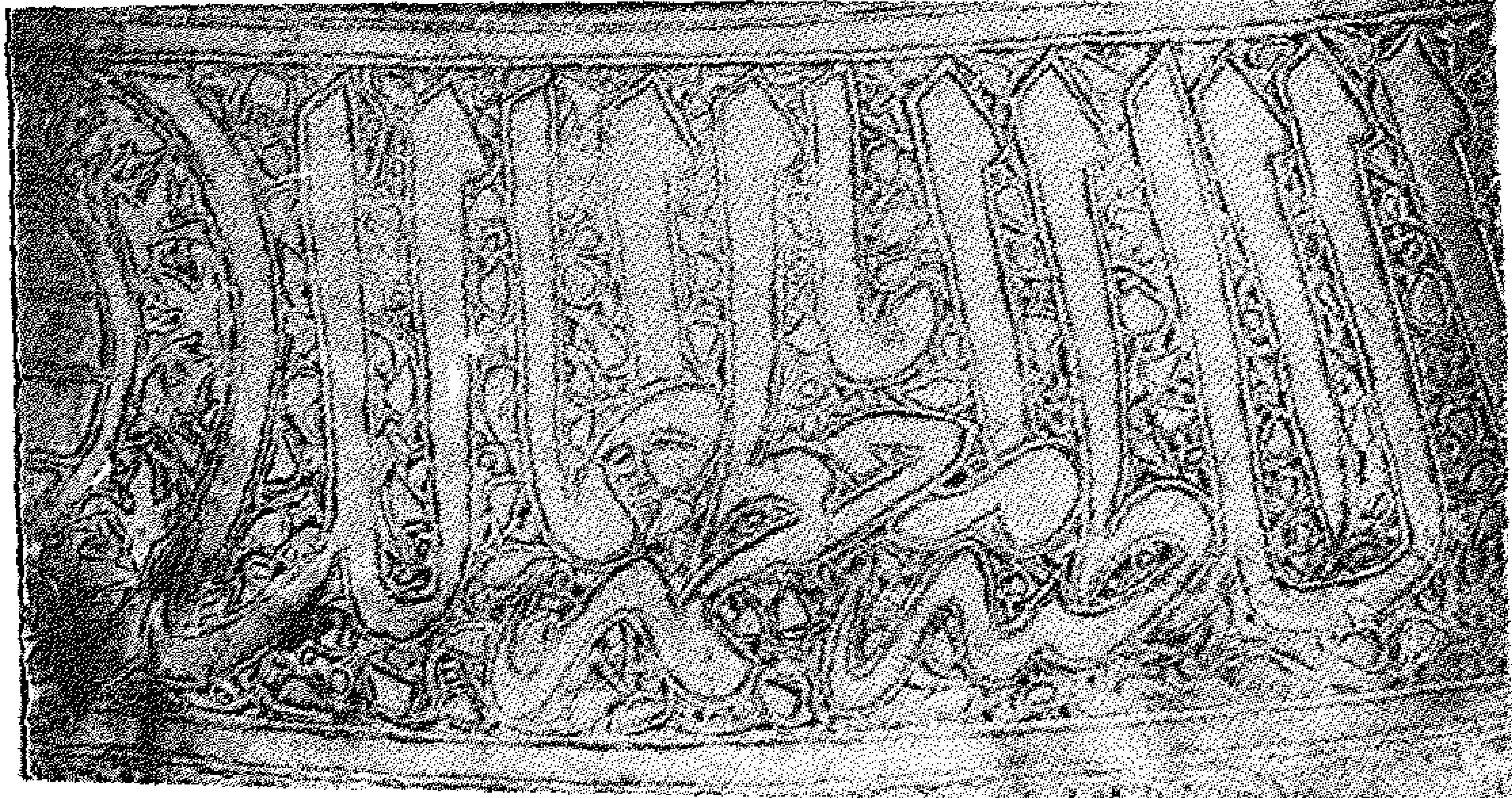


لوحة ٧١ : دست من النحاس محفوظ بالمتحف الوطنى بصنعاء

أ



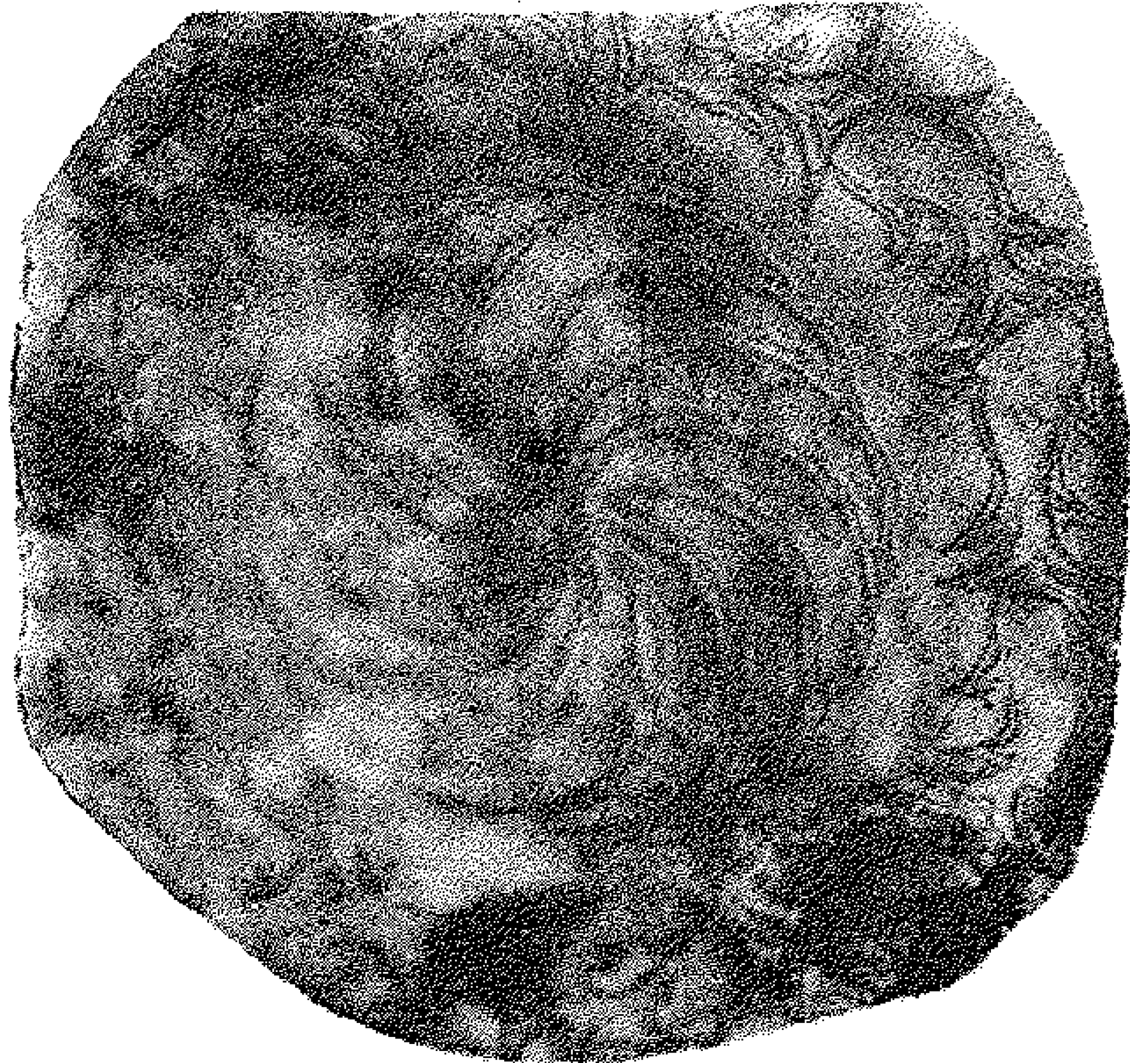
ب



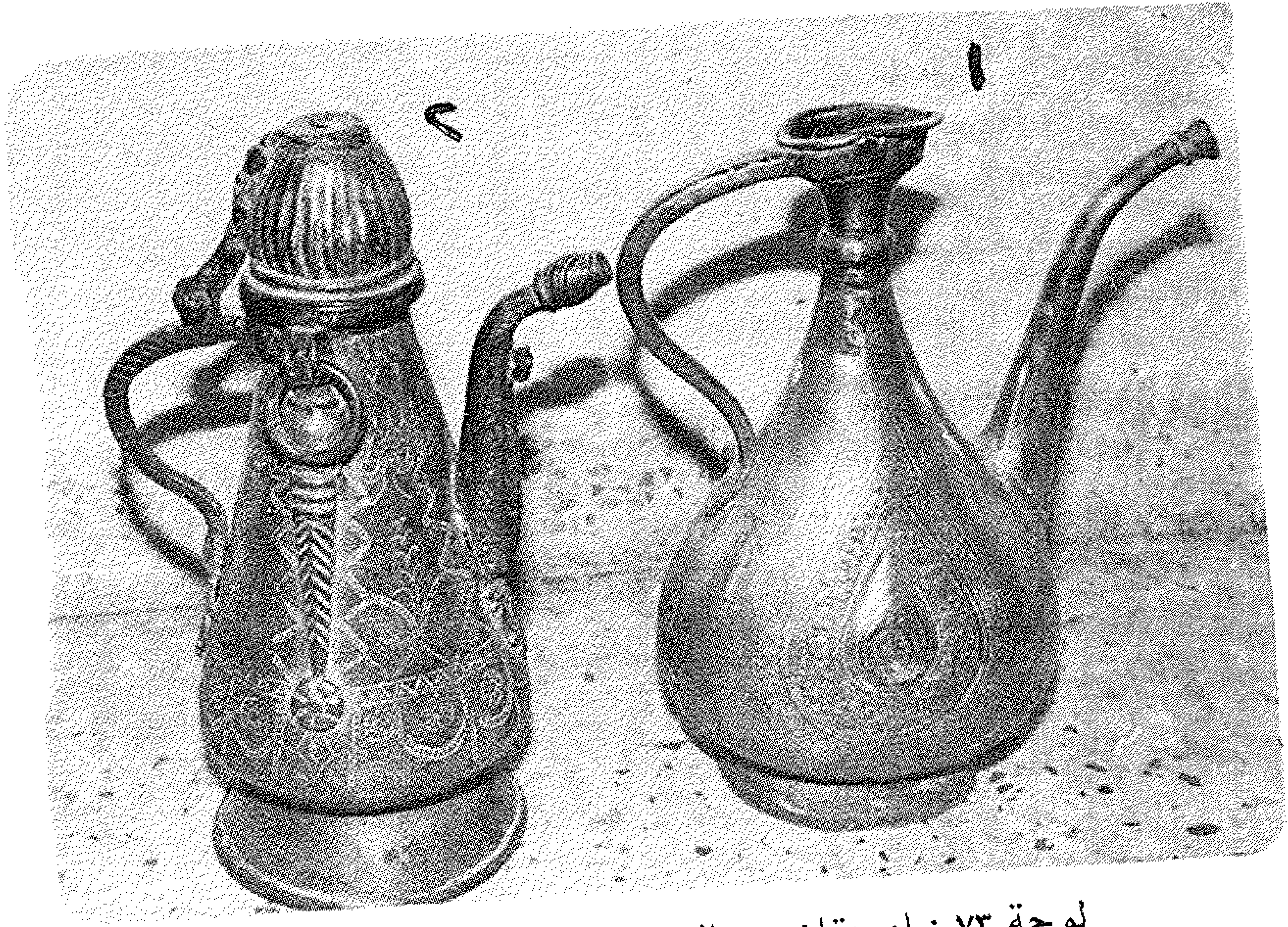
جـ



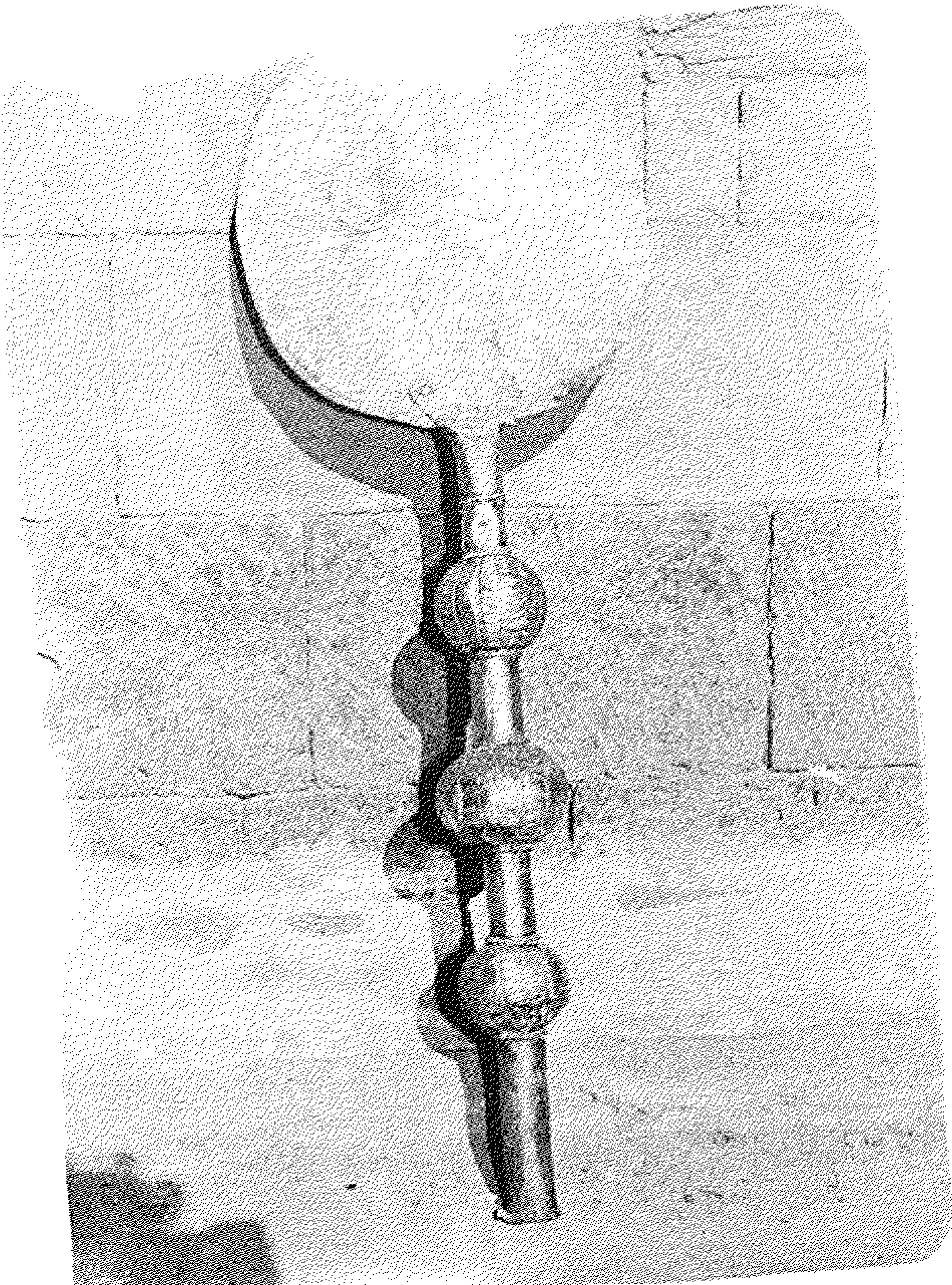
د



لوحة ٧٢ : تفاصيل من كتابات وزخارف الدست السابق .

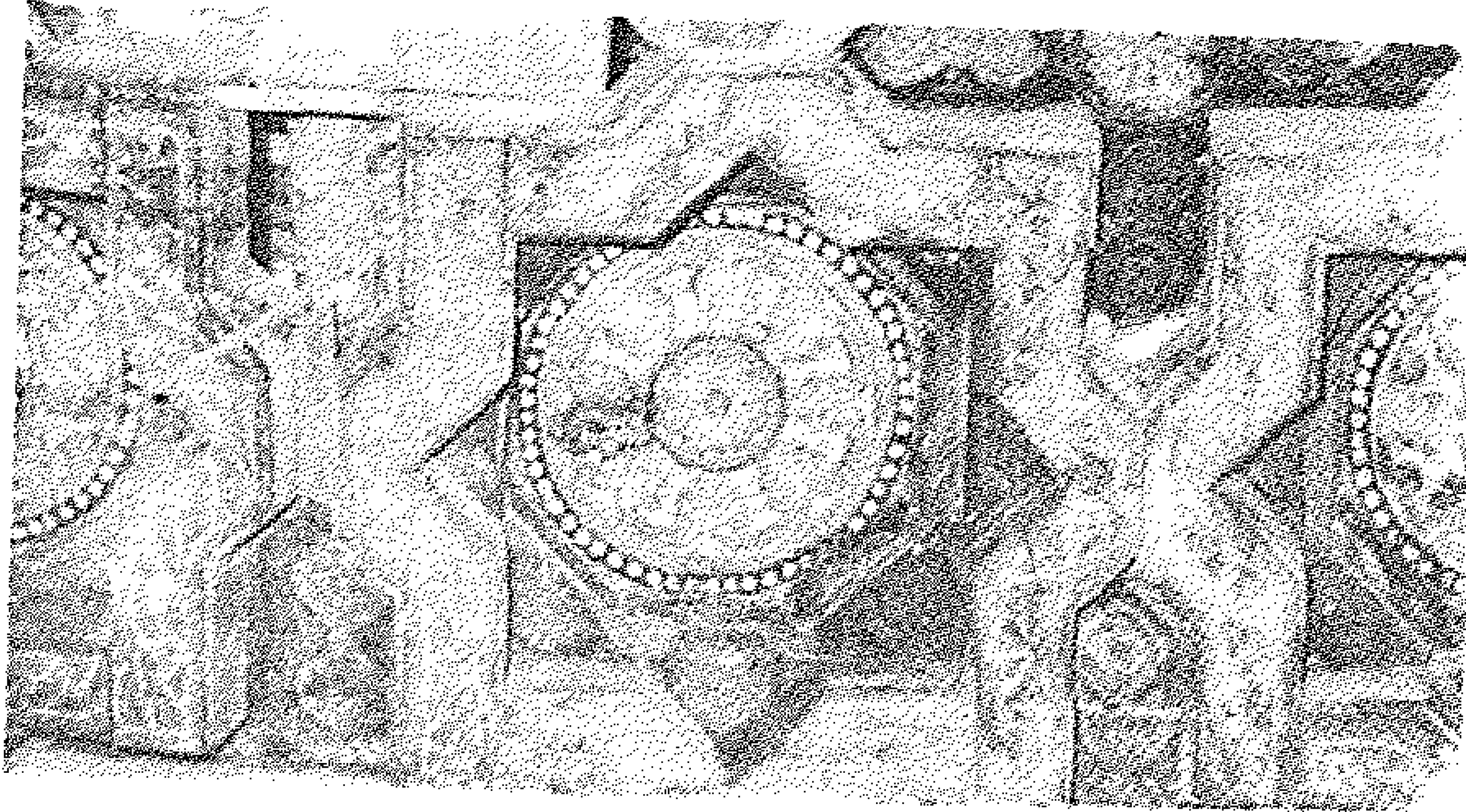


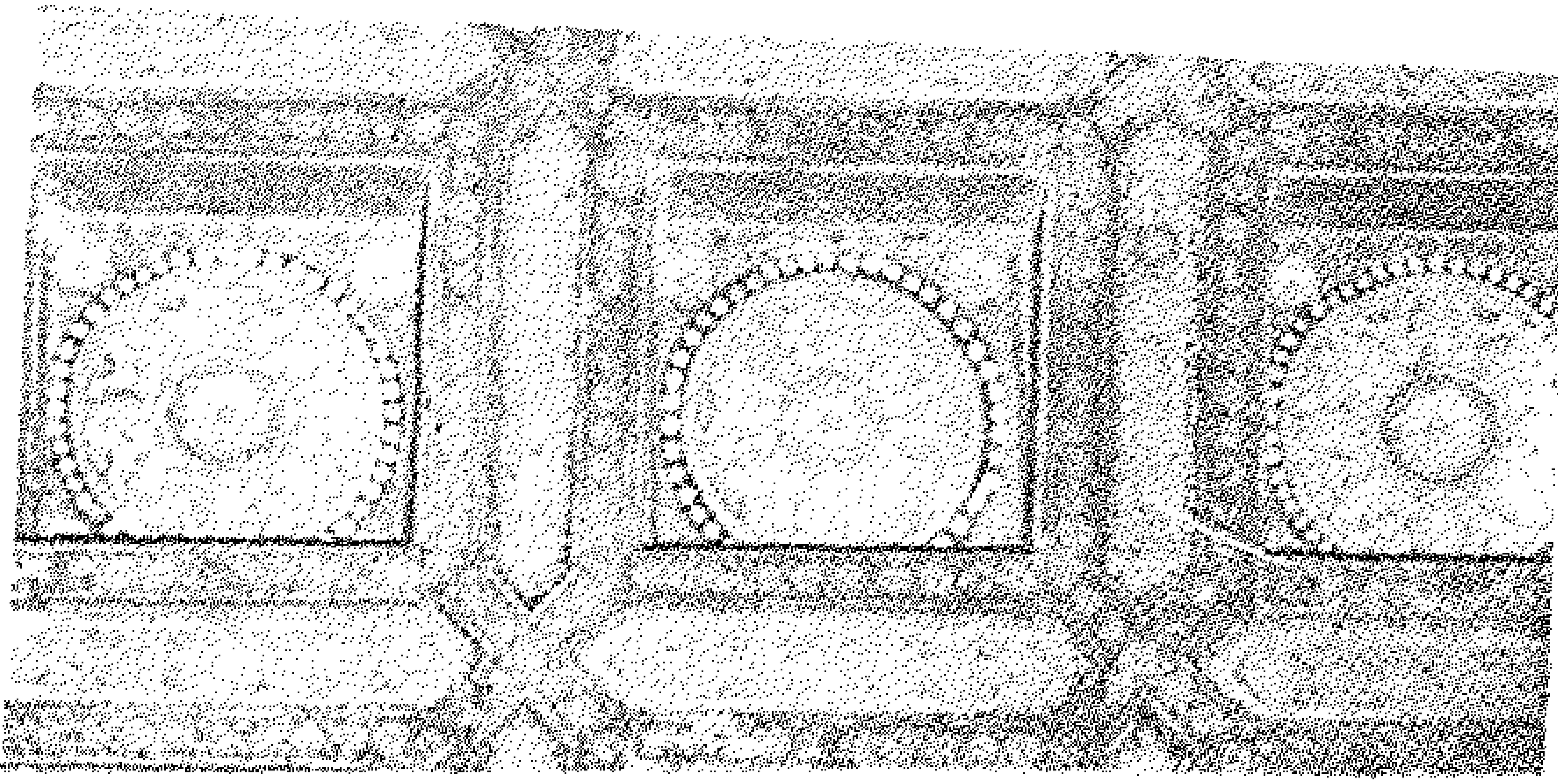
لوحة ٧٣ : ابريقان من النحاس بالمتحف الوطنى بصنعاء .



لوحة ٧٤ :

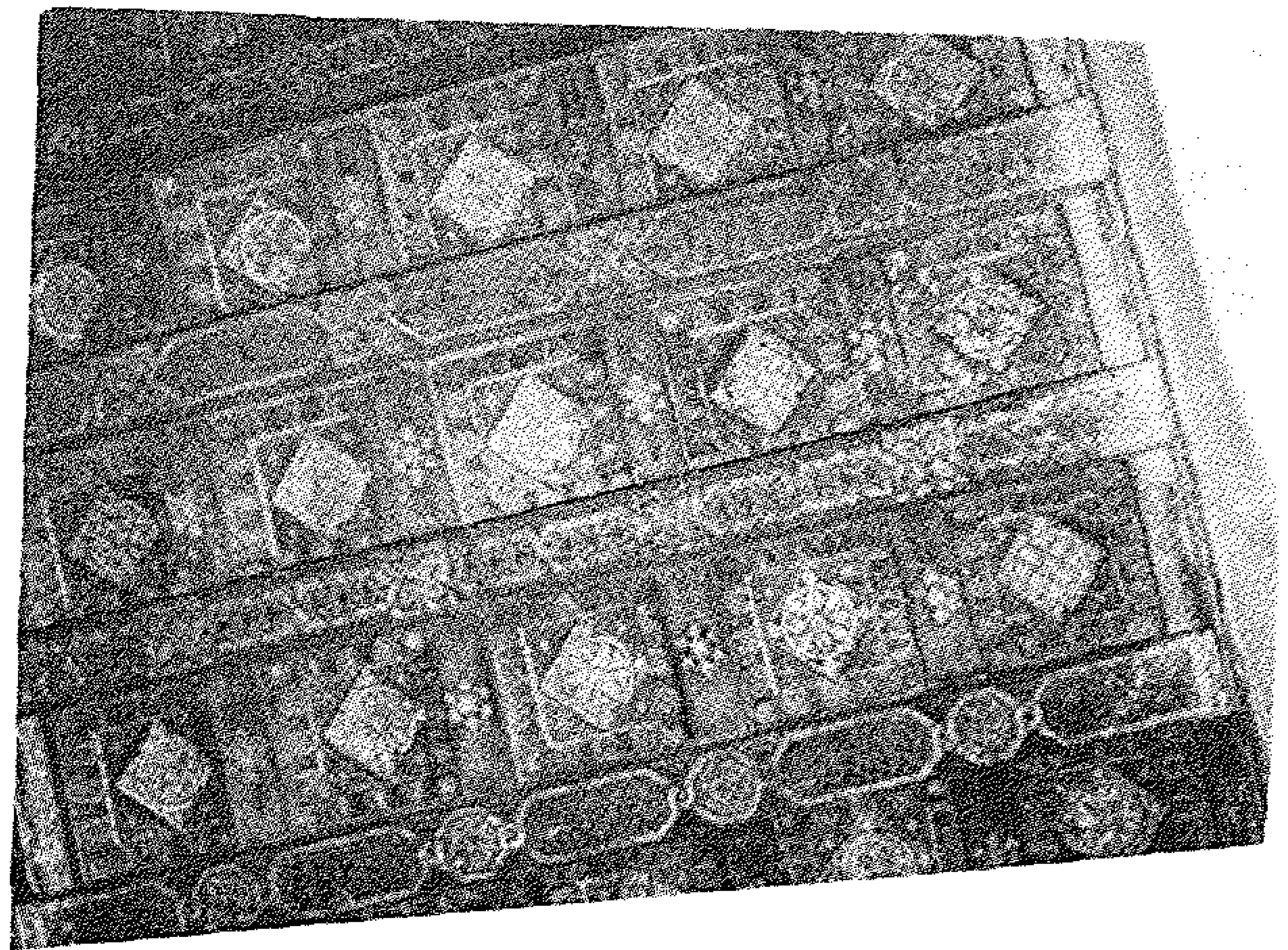
شاهد قبر معدنى مؤرخ بعام ١١٧٩ هـ .





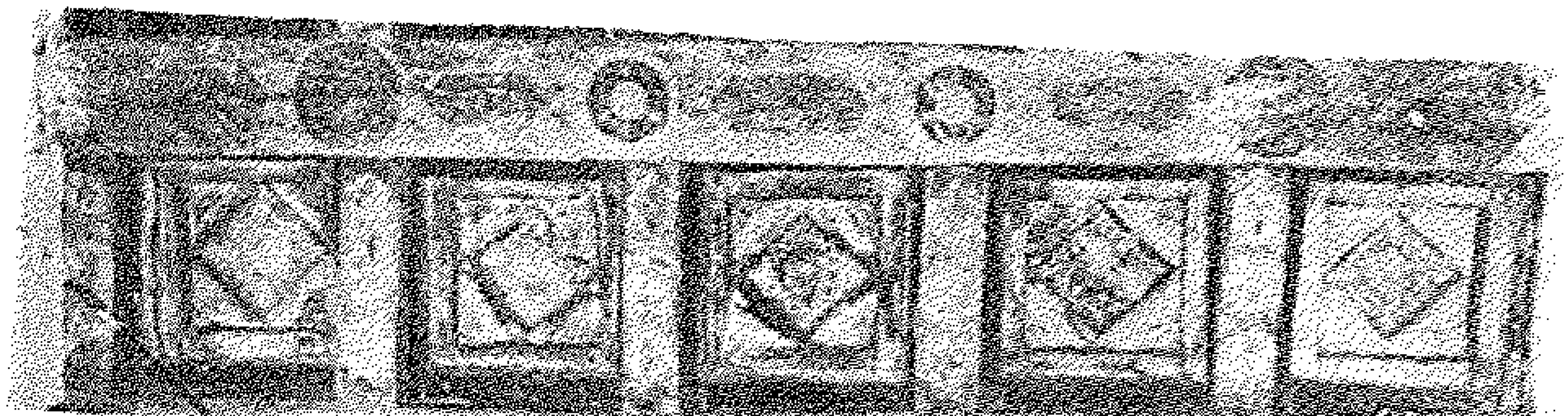
لوحة ٧٥ :

بعض المصندقات الخشبية فى الجامع الكبير بشبام .



لوحة ٧٦ :

بعض المصندقات الخشبية
فى سقف الجامع الكبير بصنعاء .

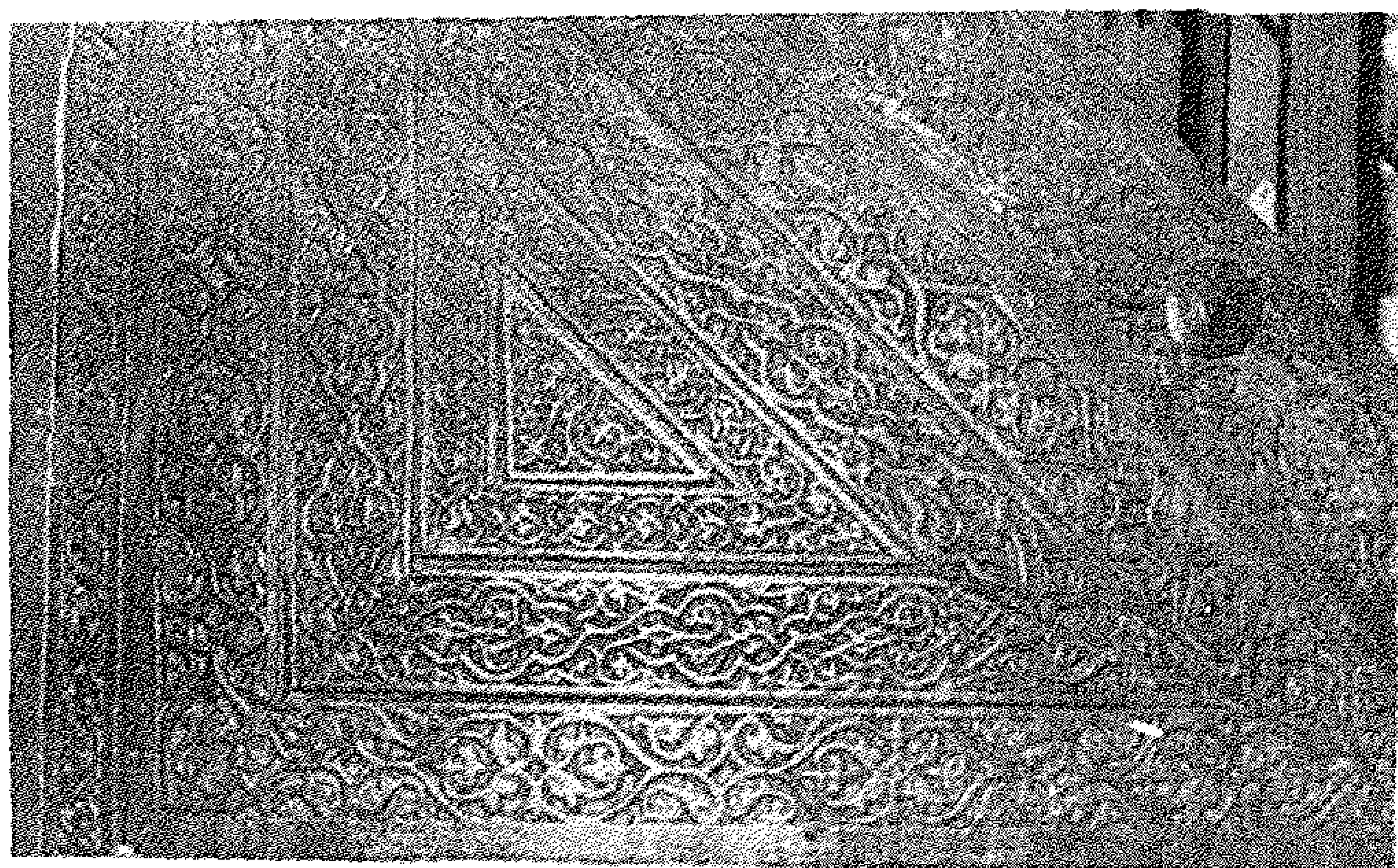


لوحة ٧٧ :

منبر جامع الجند بتعز وتفاصيل من حشواته المزخرفة والمجمعة .



أ

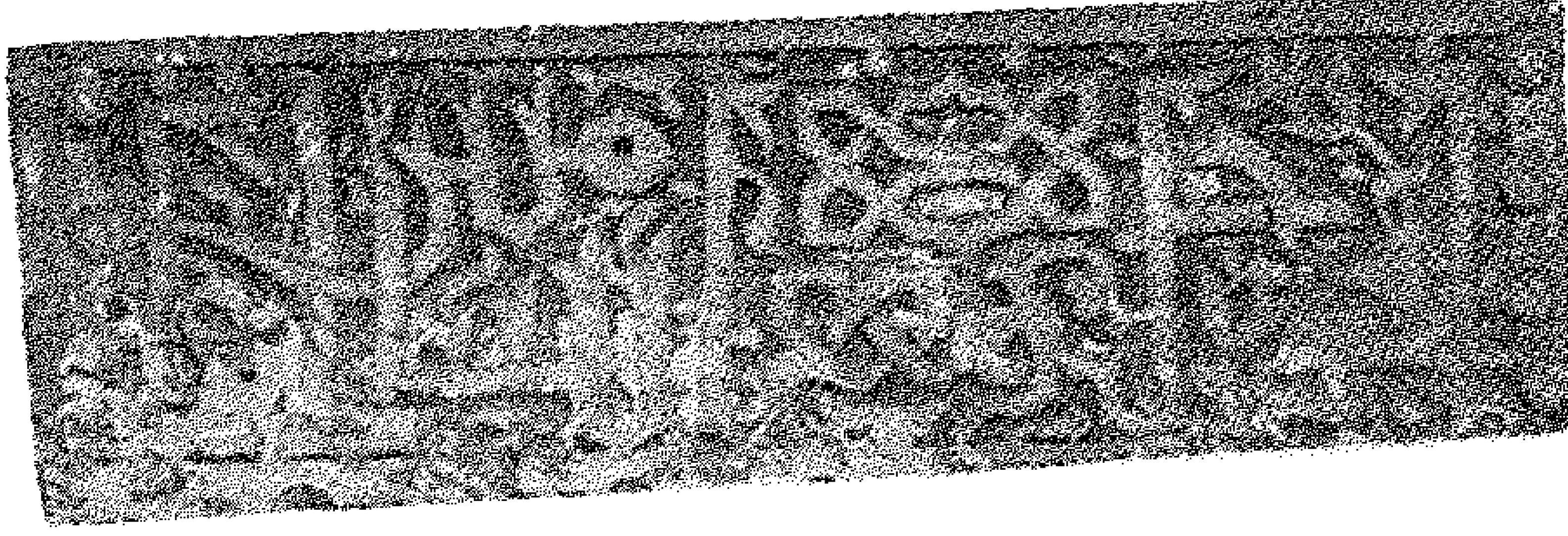


ب



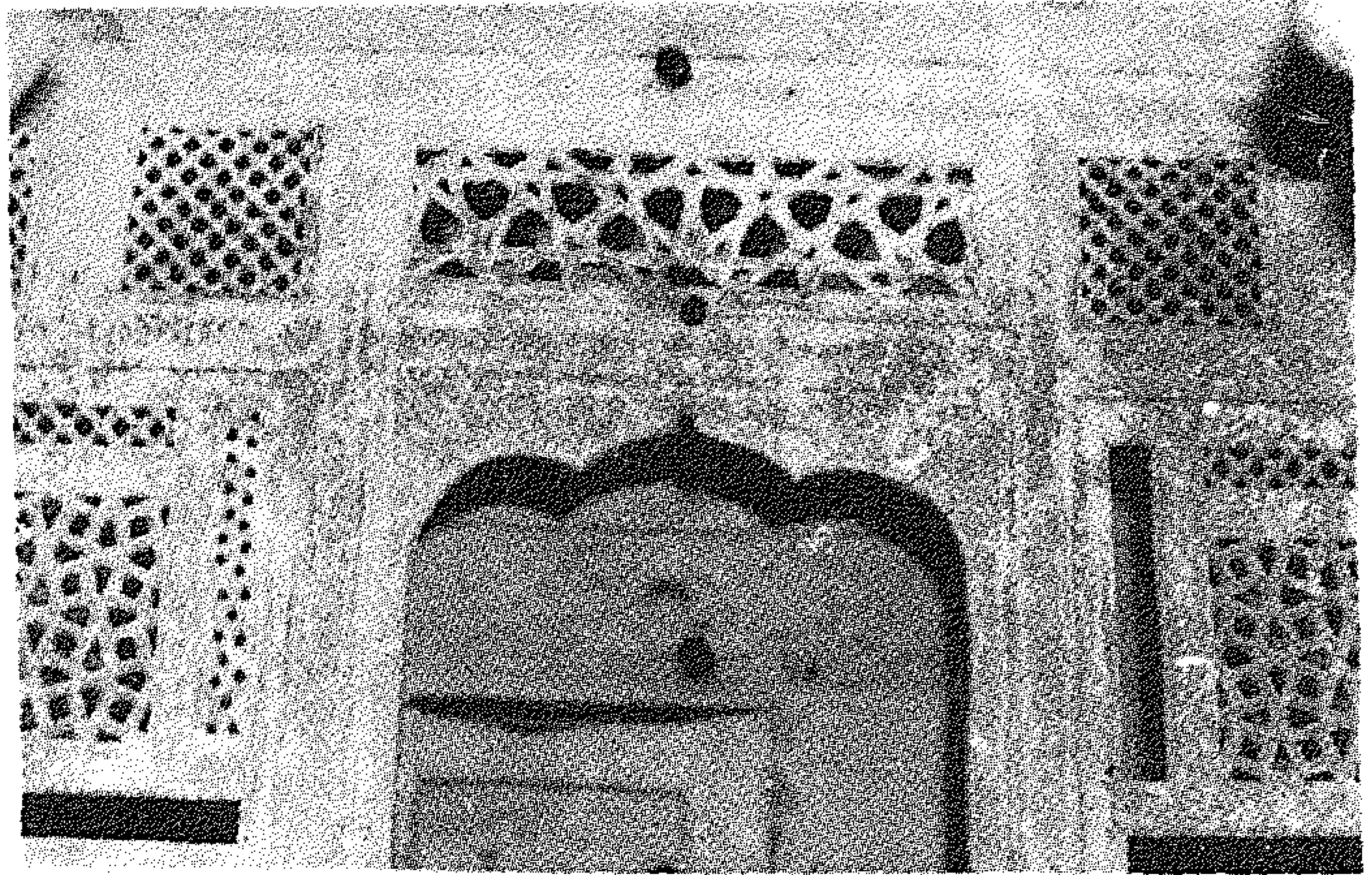
جـ





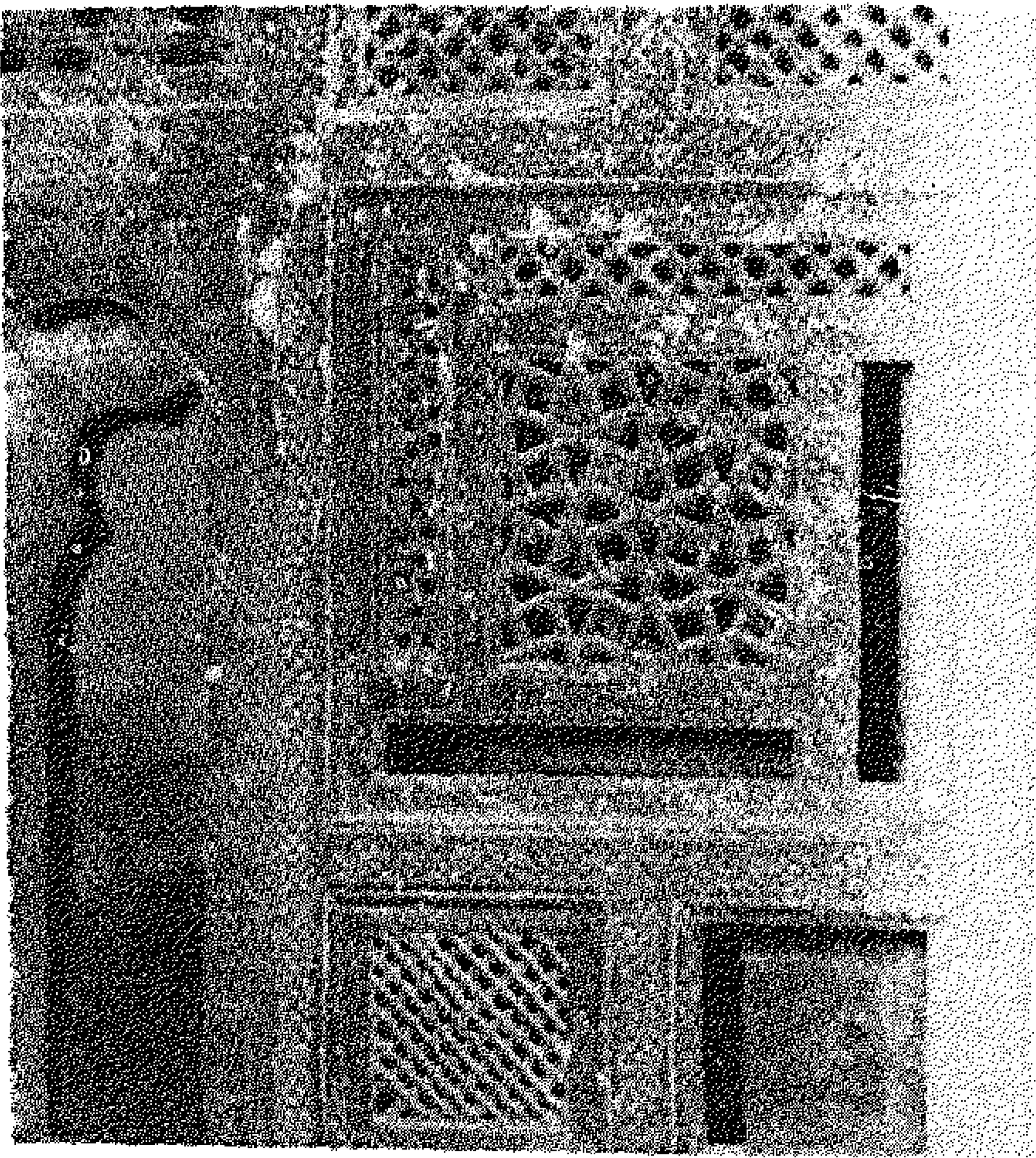
لوحة ٧٨ :

الكتابة الكوفية أعلى مدخل بيت الصلاة بالمدرسة الاشرفيه - بتعز .

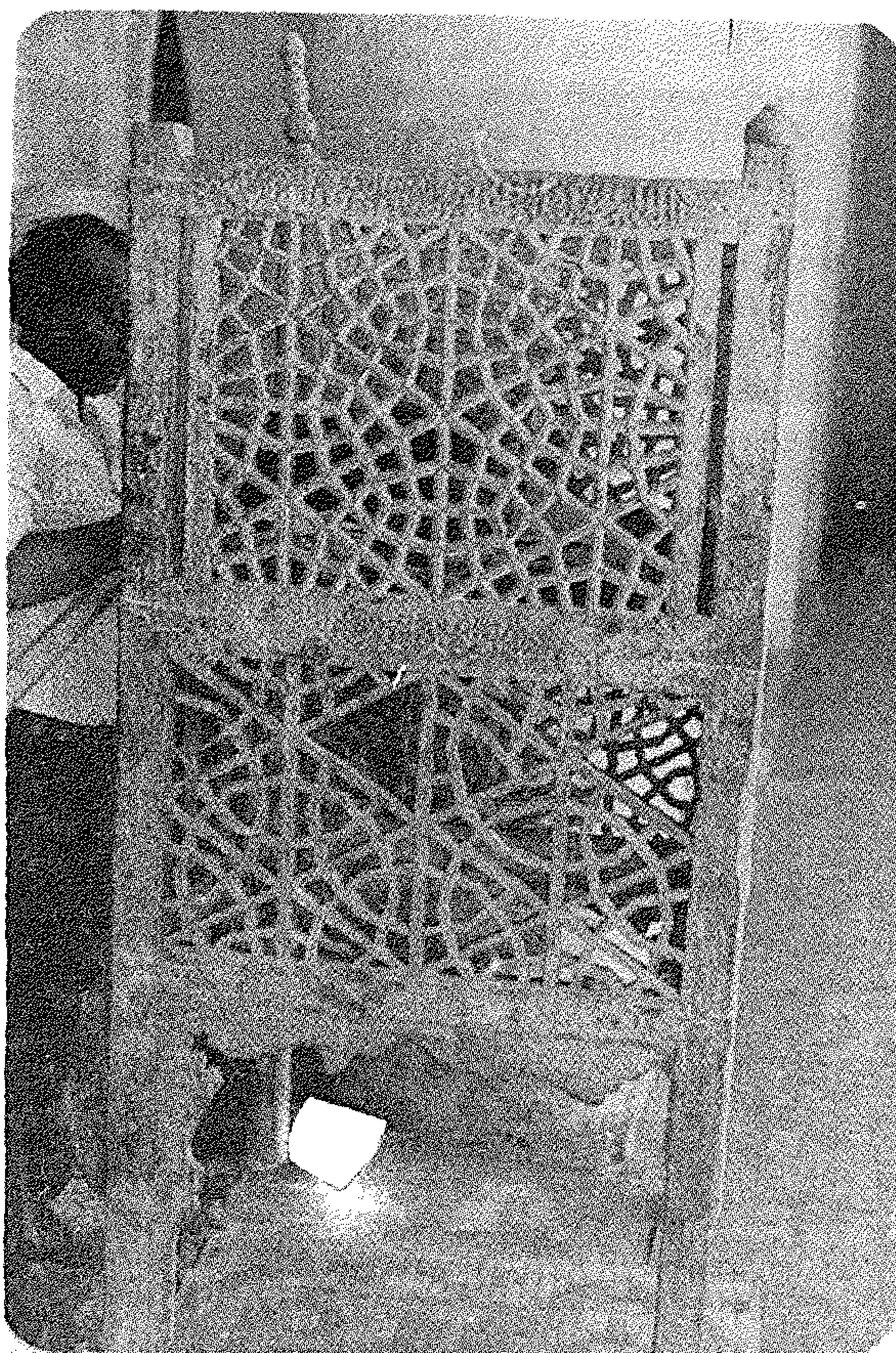


لوحة ٧٩ :

السياج الخشبى بالمدرسة الاشرفيه .

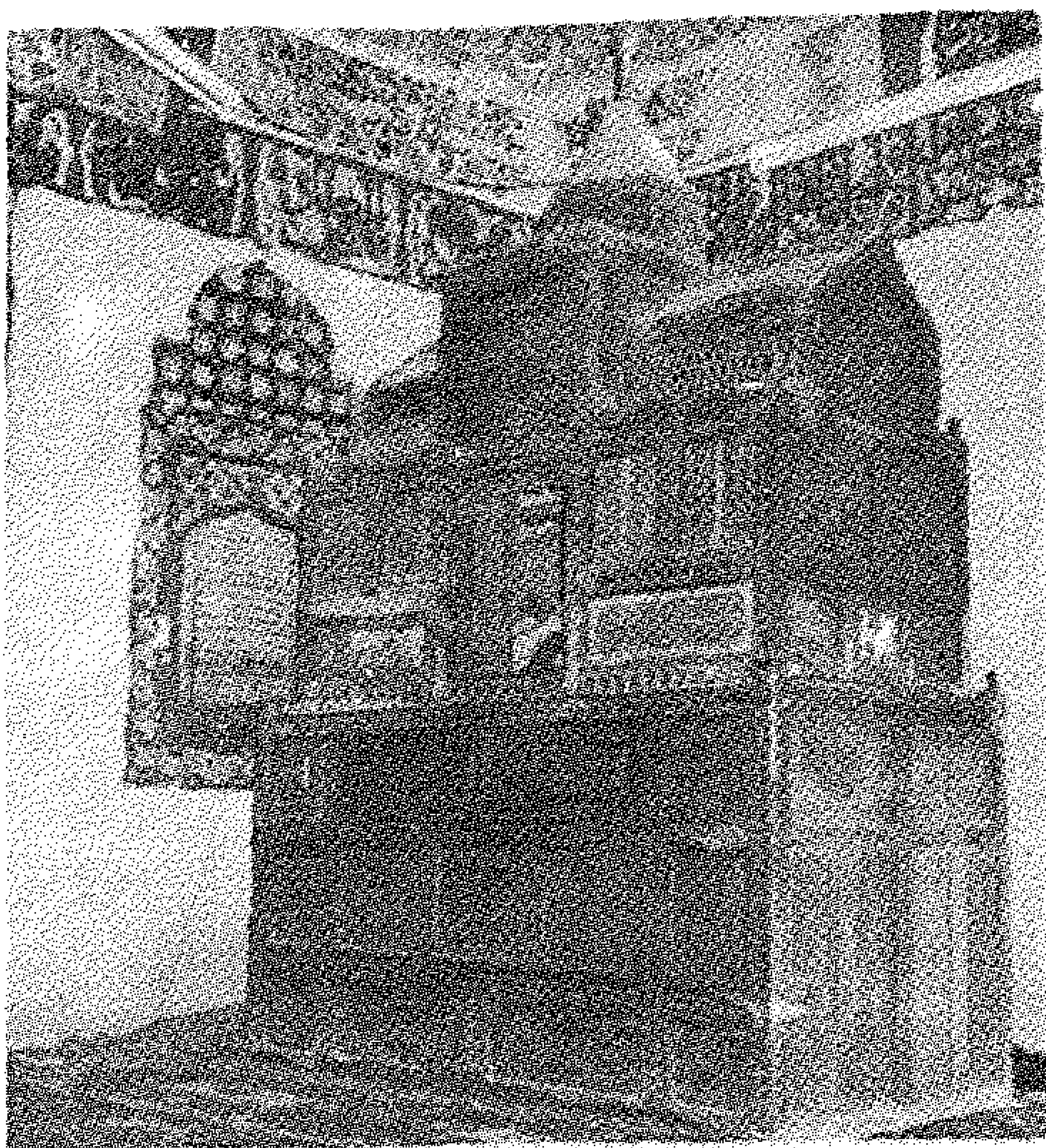


لوحة ٨٠ : جانب من المدخل السابق .

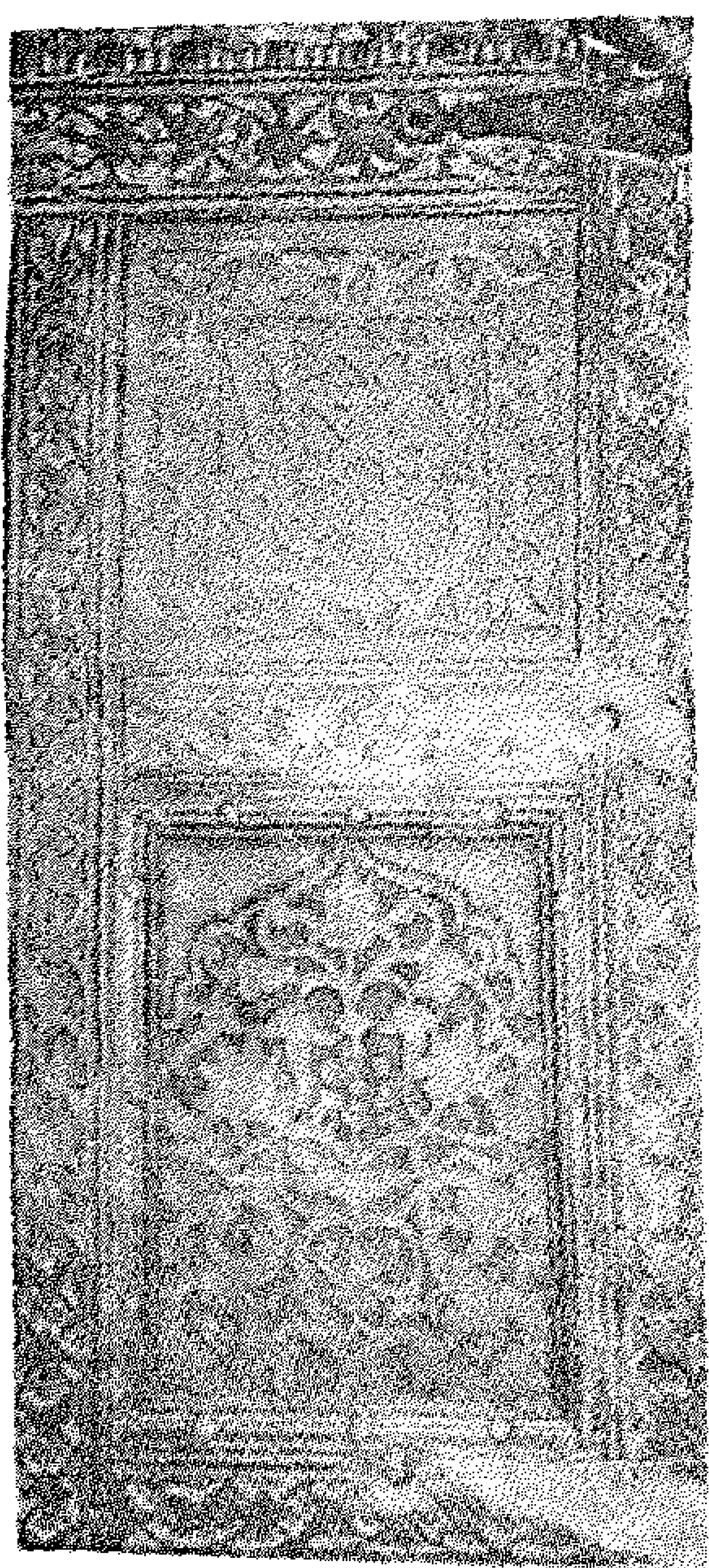




لوحة ٨١ : منبر الحديث بجامع الأشاعر بزبيد .



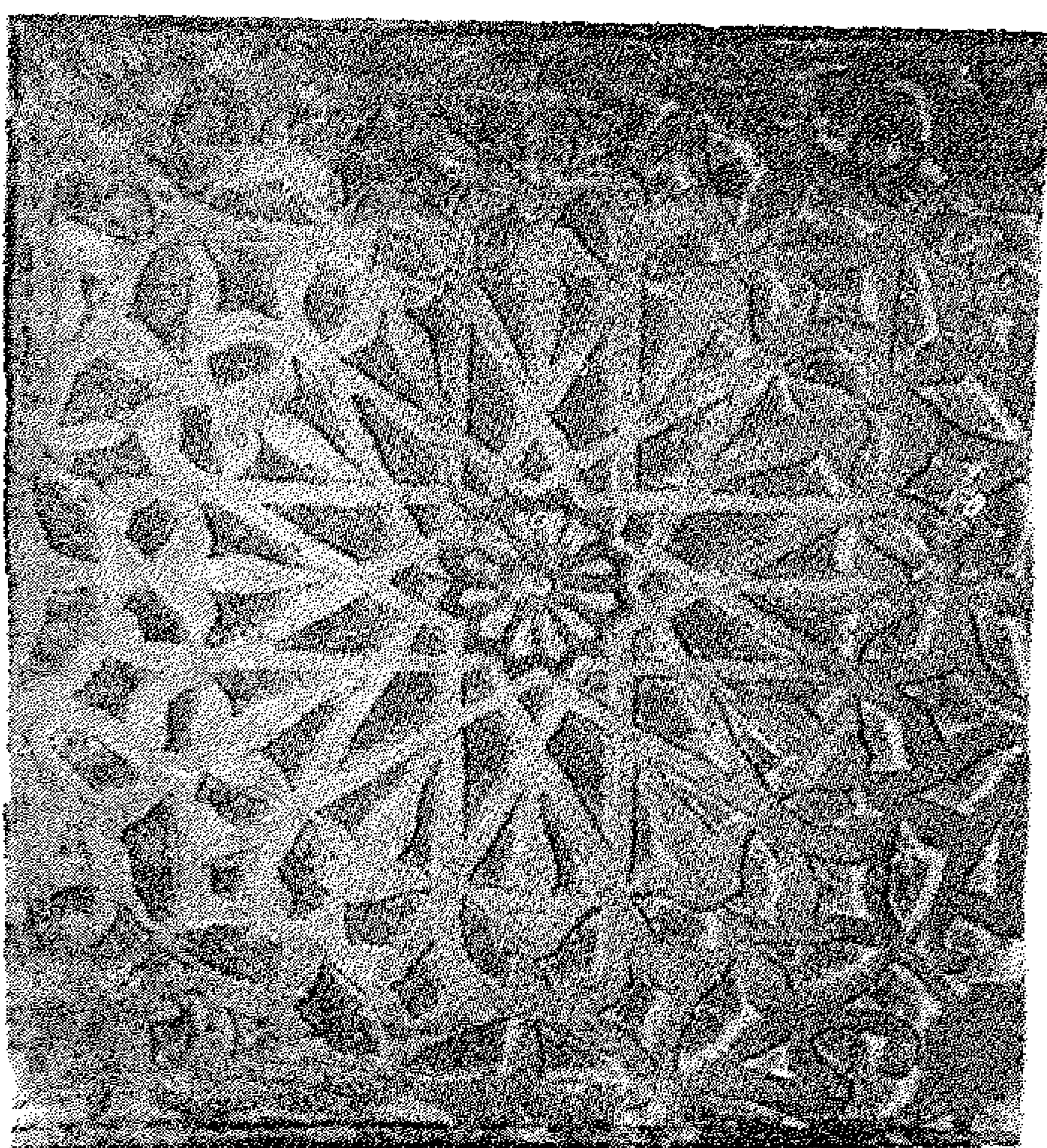
أ



جـ



ب



هـ



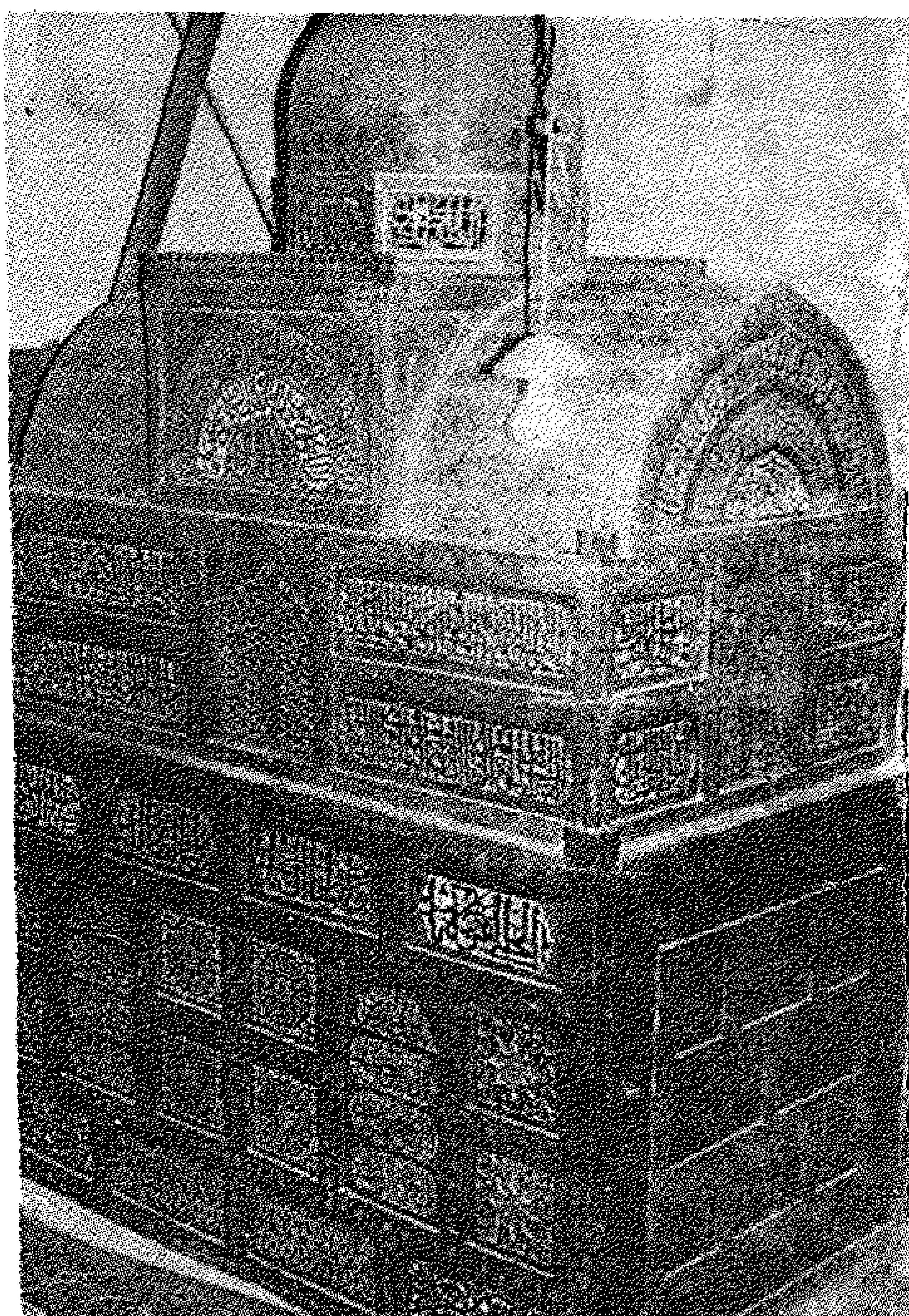
د

لوحة٨٢ : تابوت جامع الأبهر بصنعاء وتفاصيل من حشواته .

لوحة ٨٣ :

تابوت المهدى عباس بتبته بصنعاء

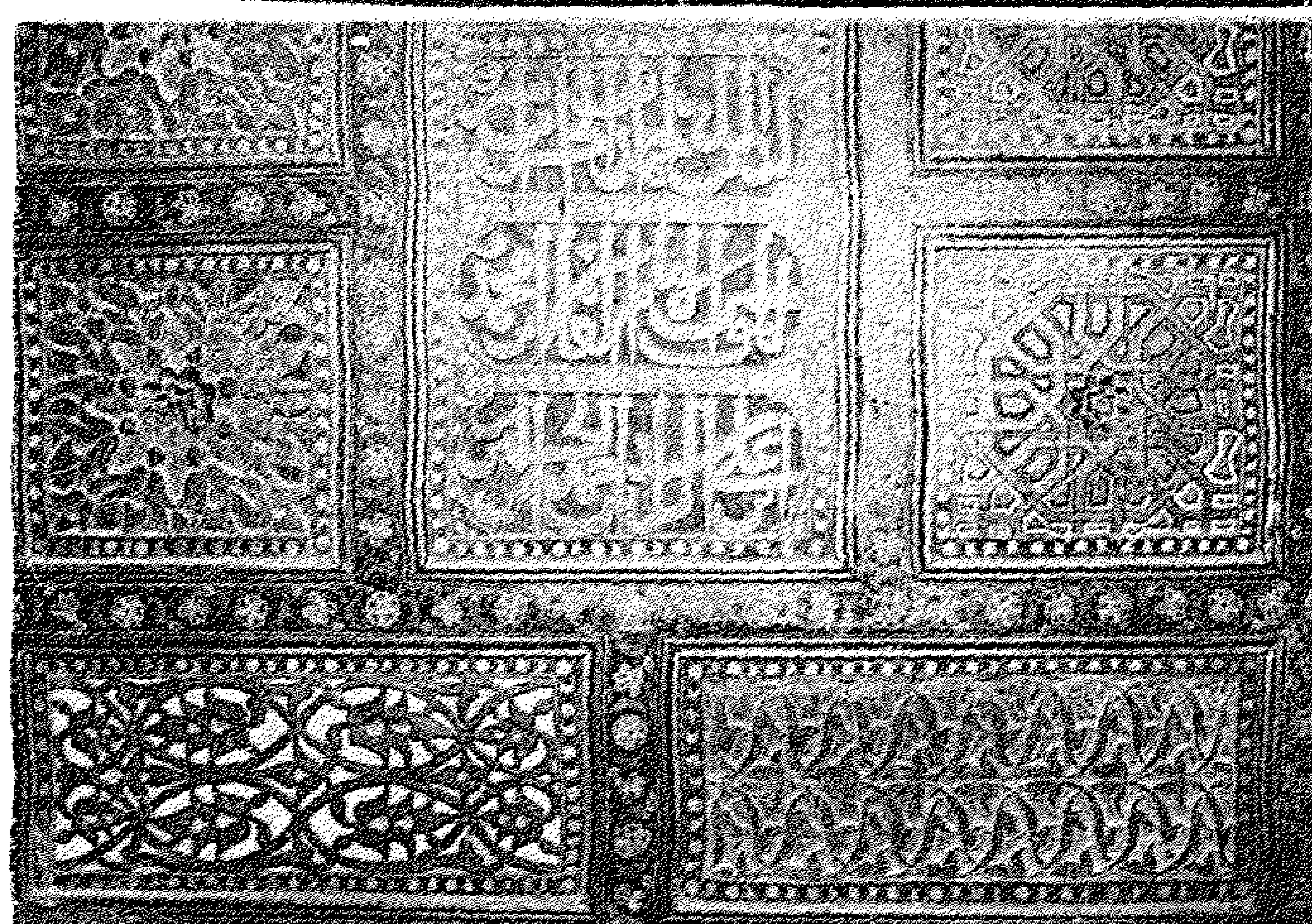
أ



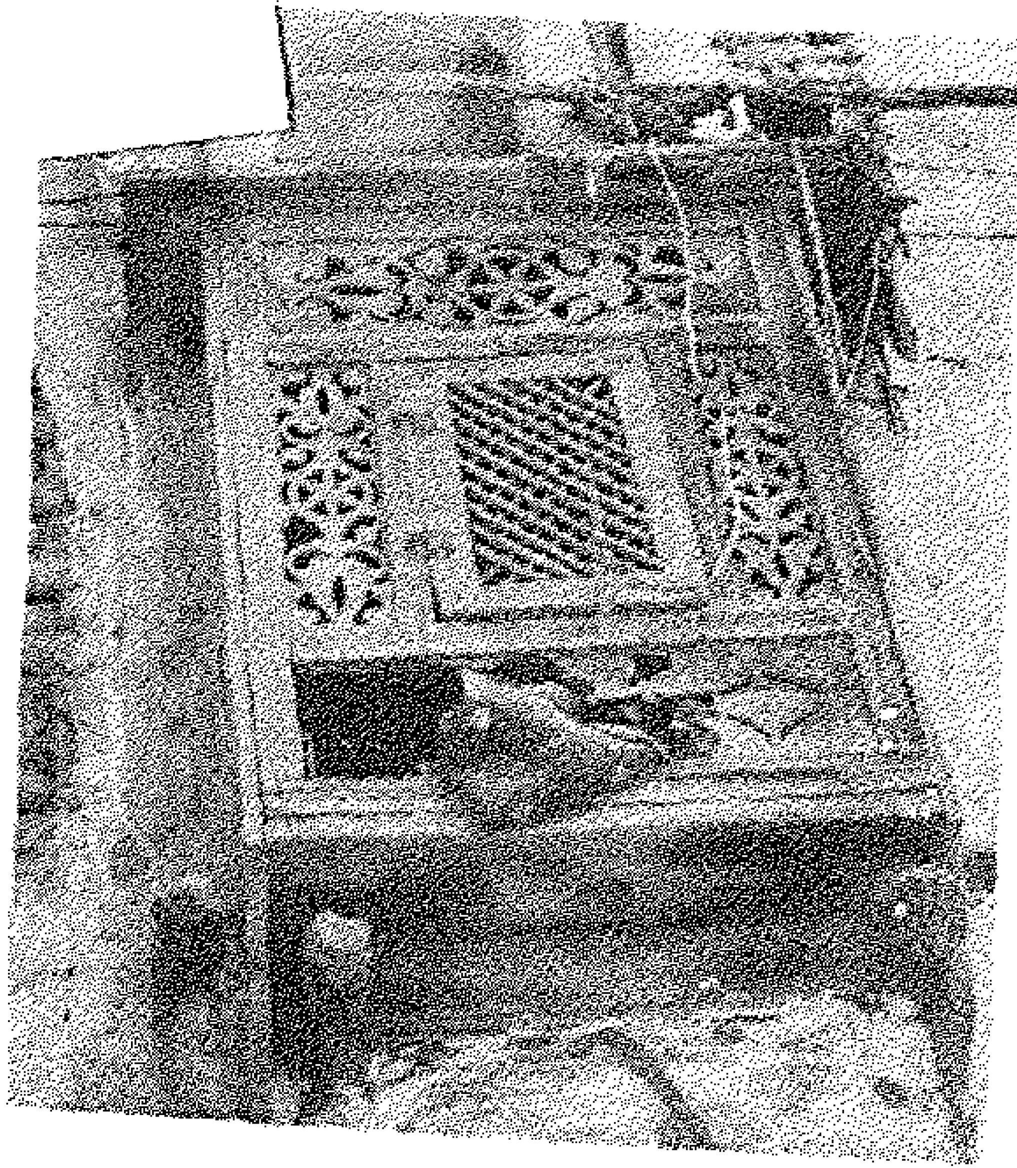
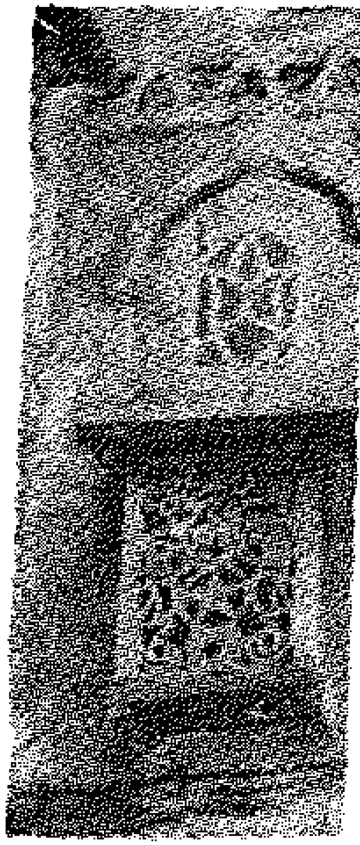
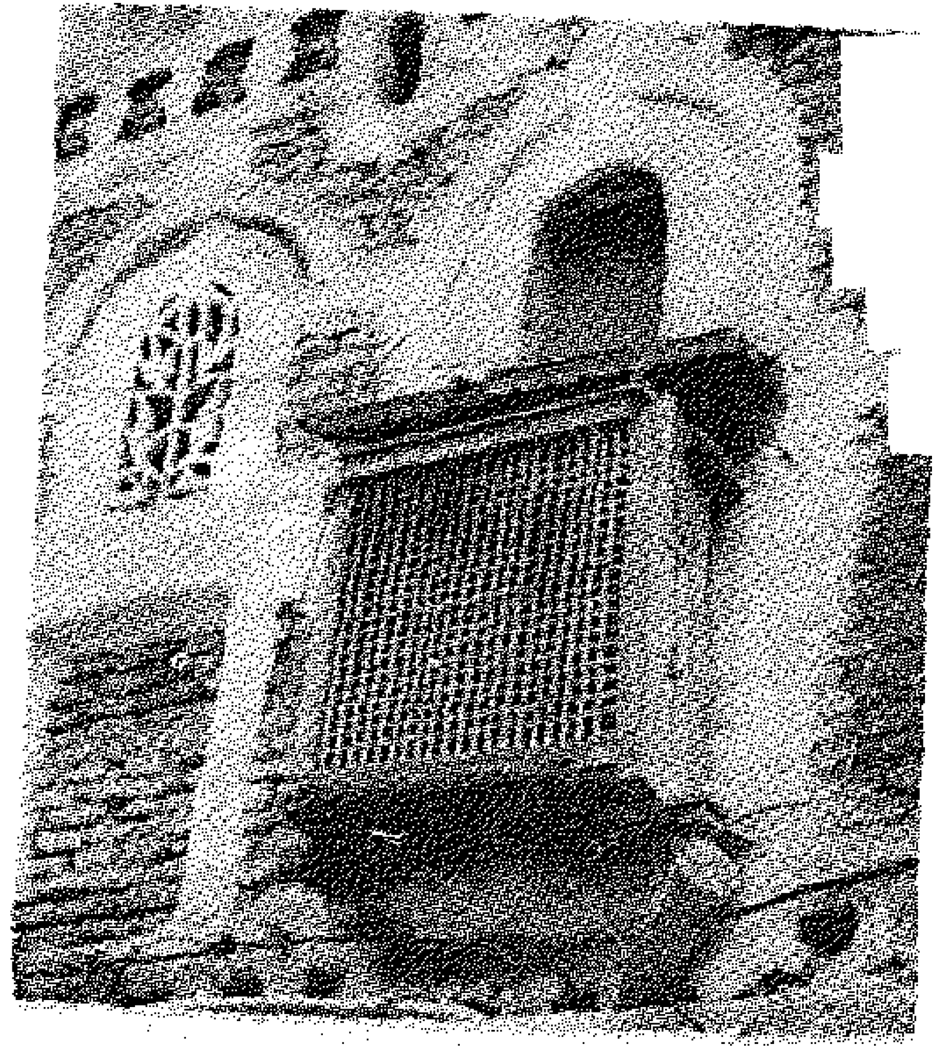
ب

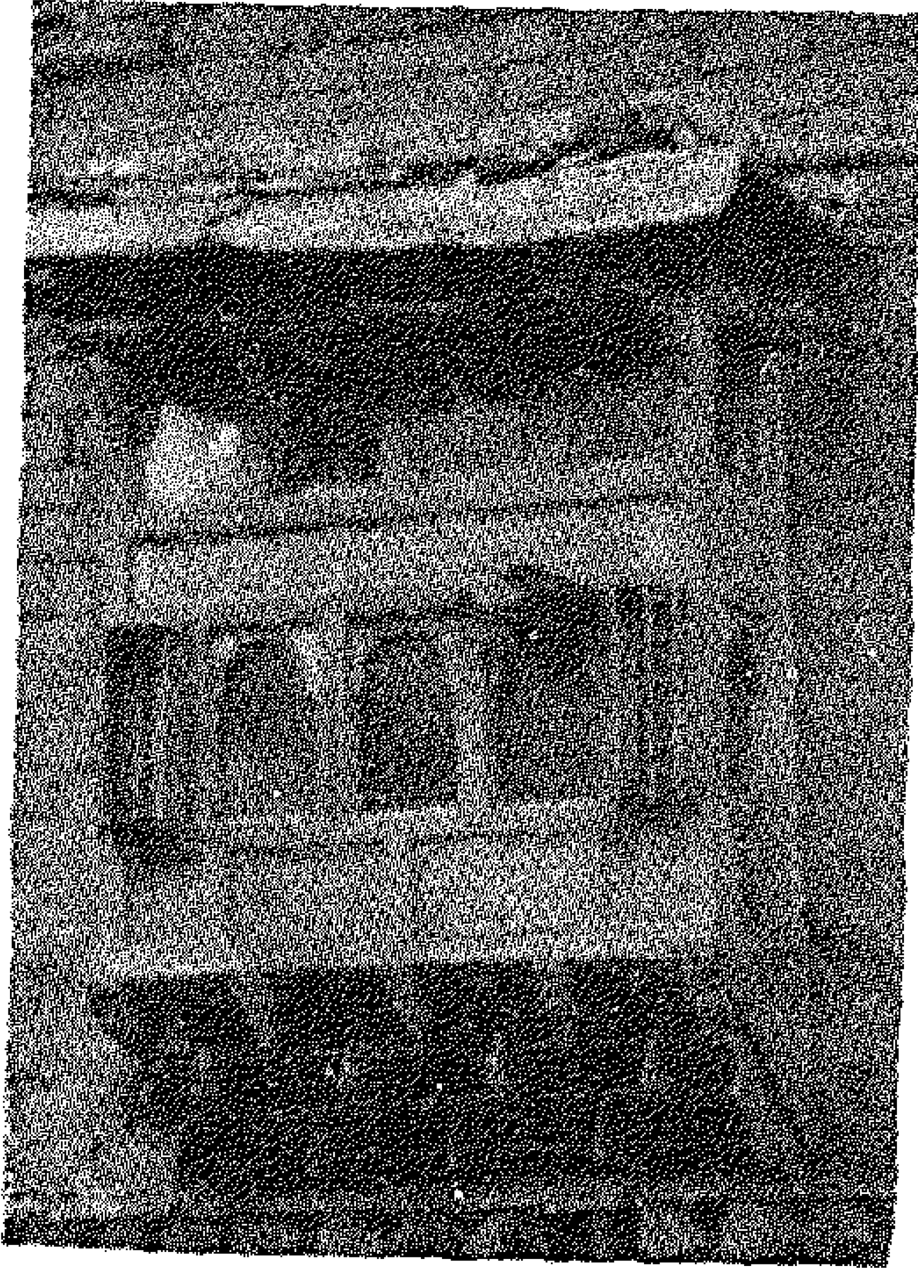
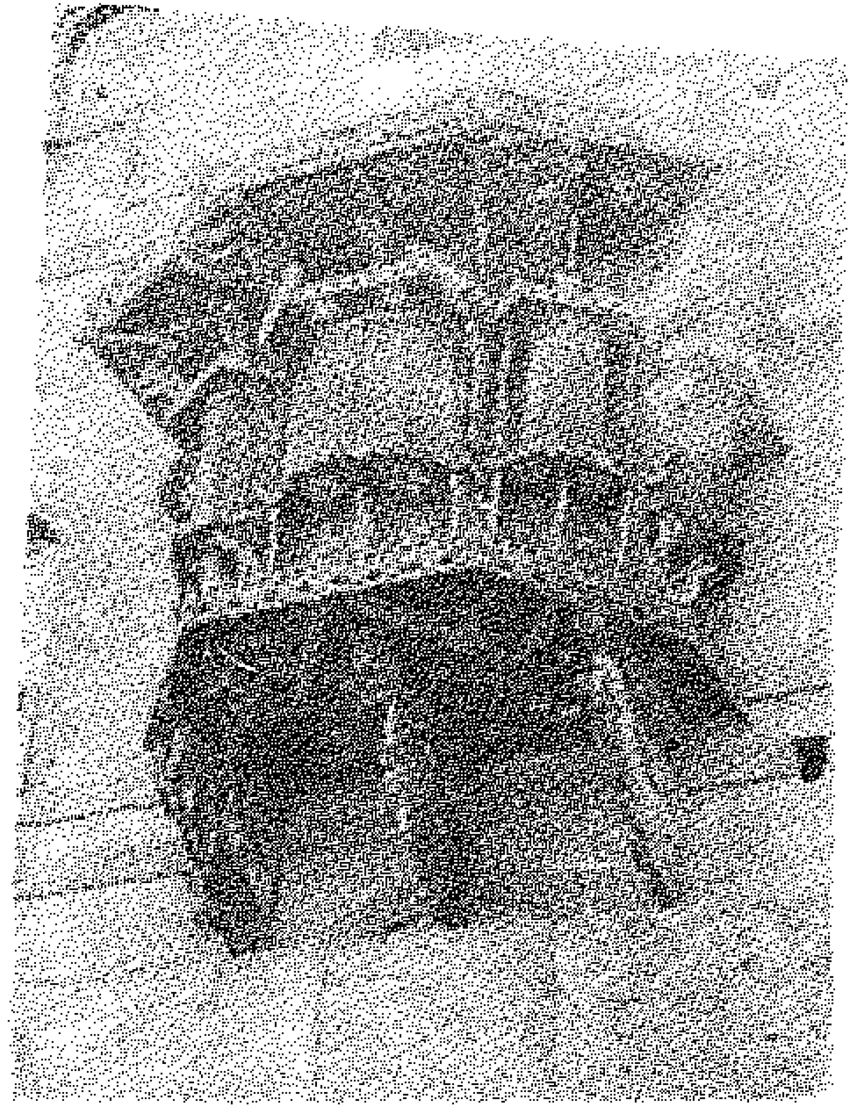
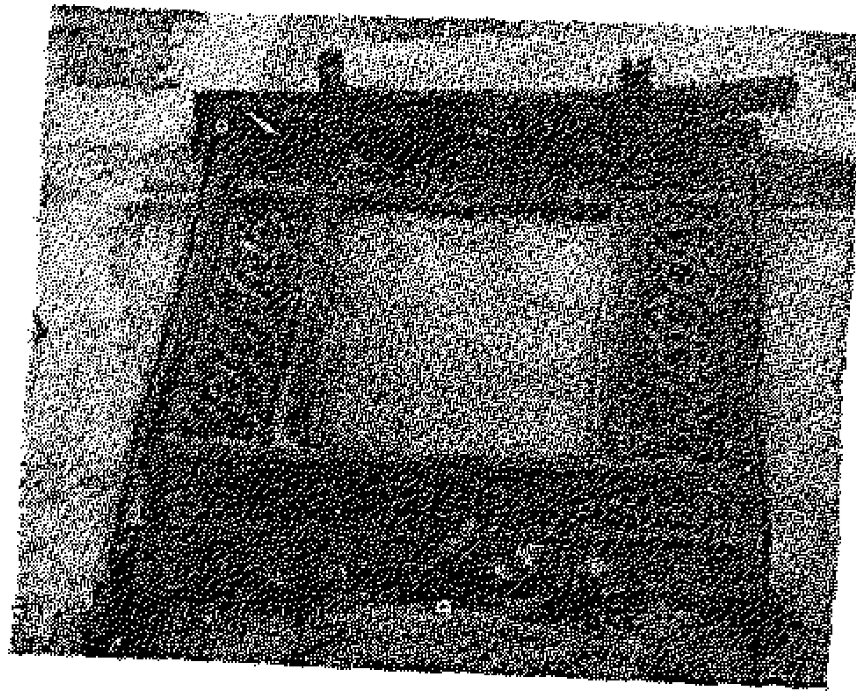


جـ



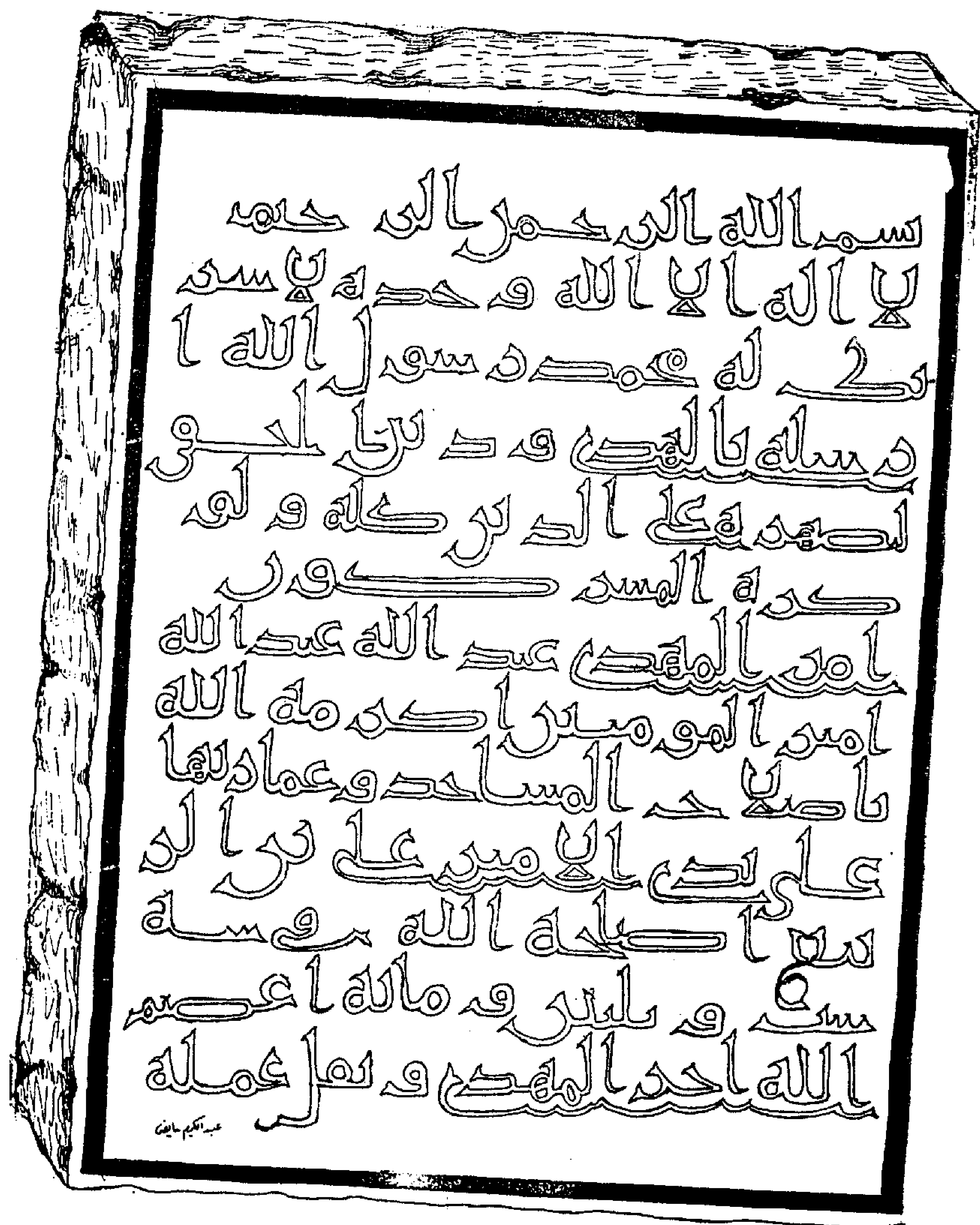
(تصوير محمد عبد الوهاب النعمان)

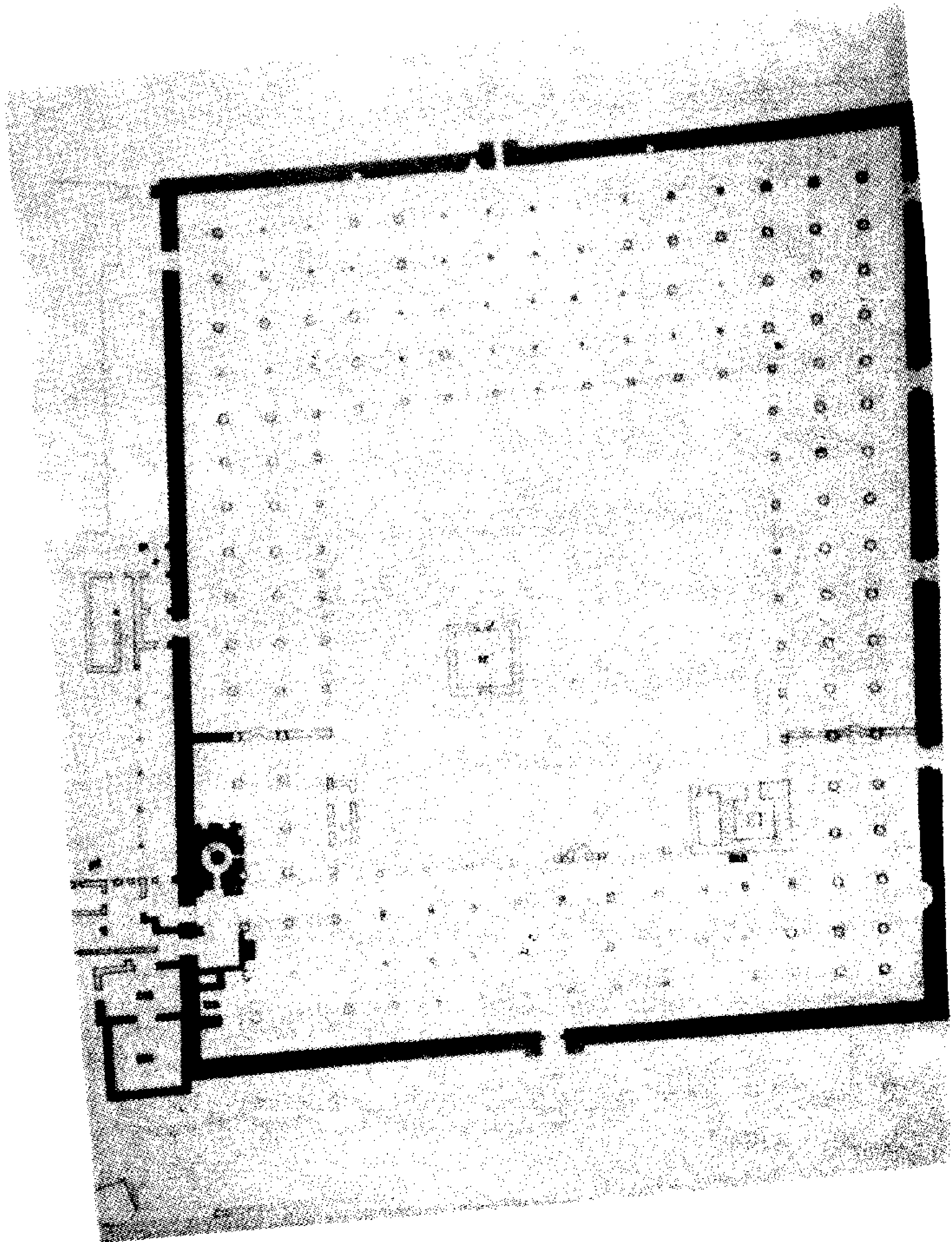




لوحة ٨٤ : نماذج من المشربيات اليمنيه من بعض منازل وقصور صنعاء .

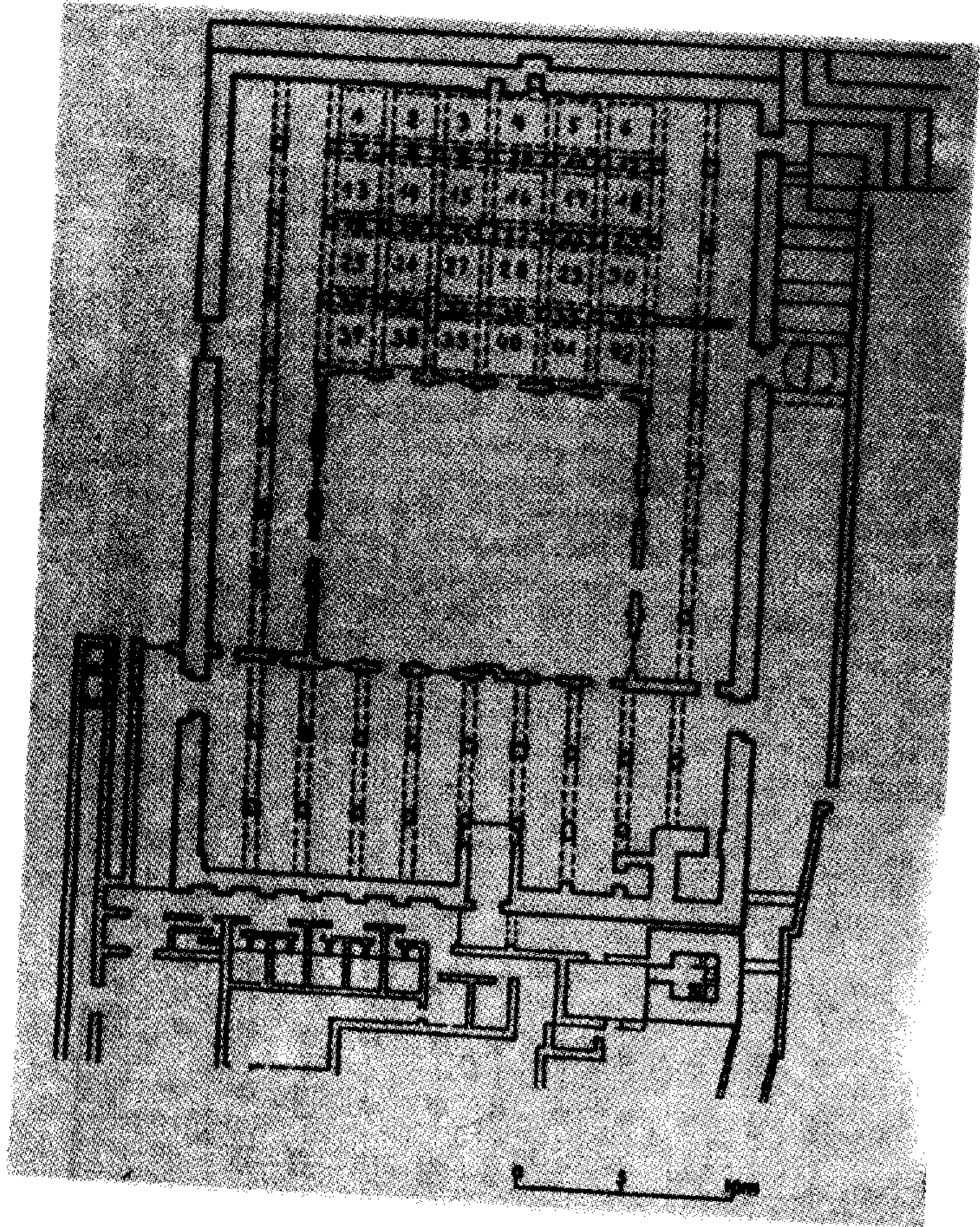
صور الأشكال



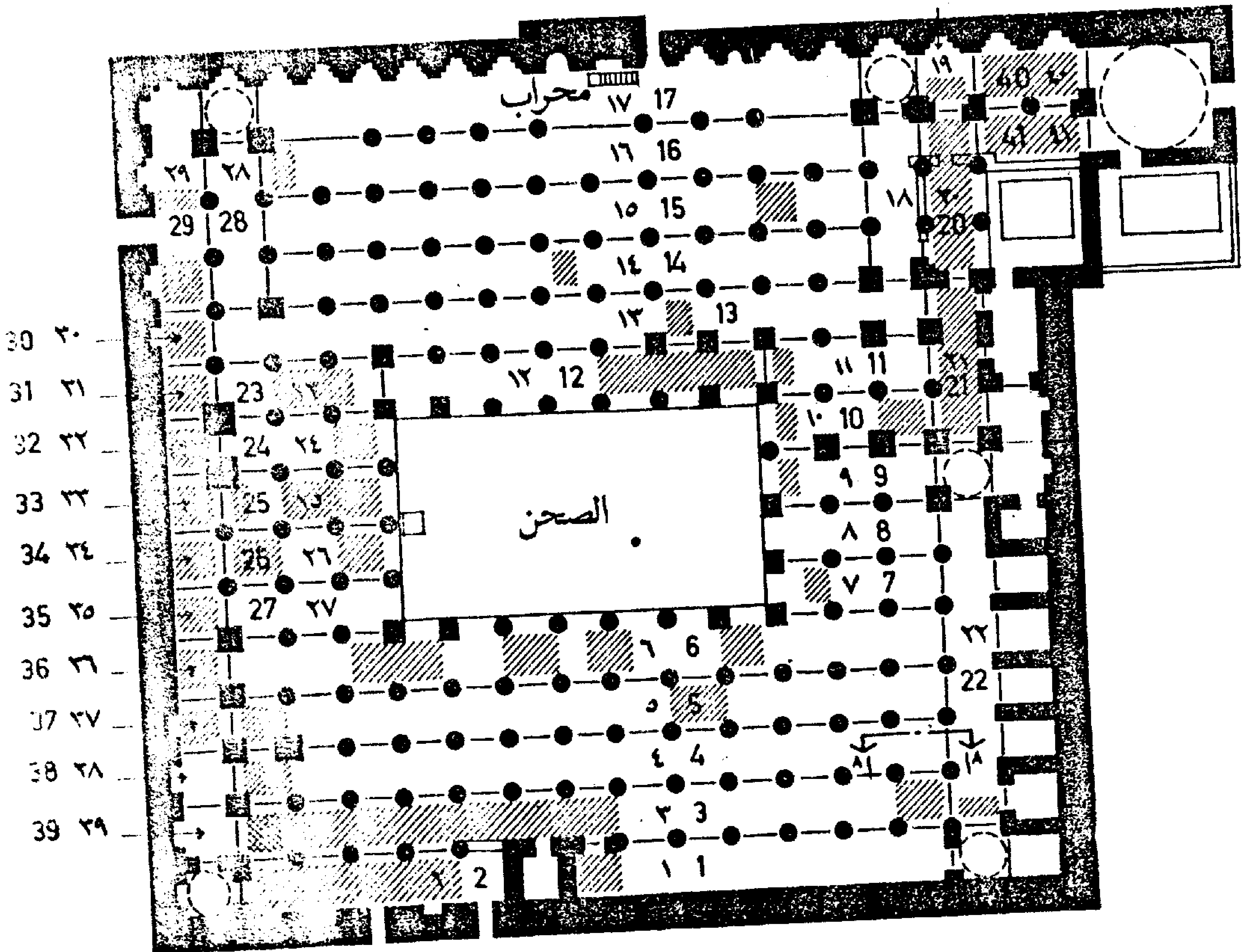
شكل ١ : النص الكوفى التأسيسى بالجامع الكبير بصنعاء .



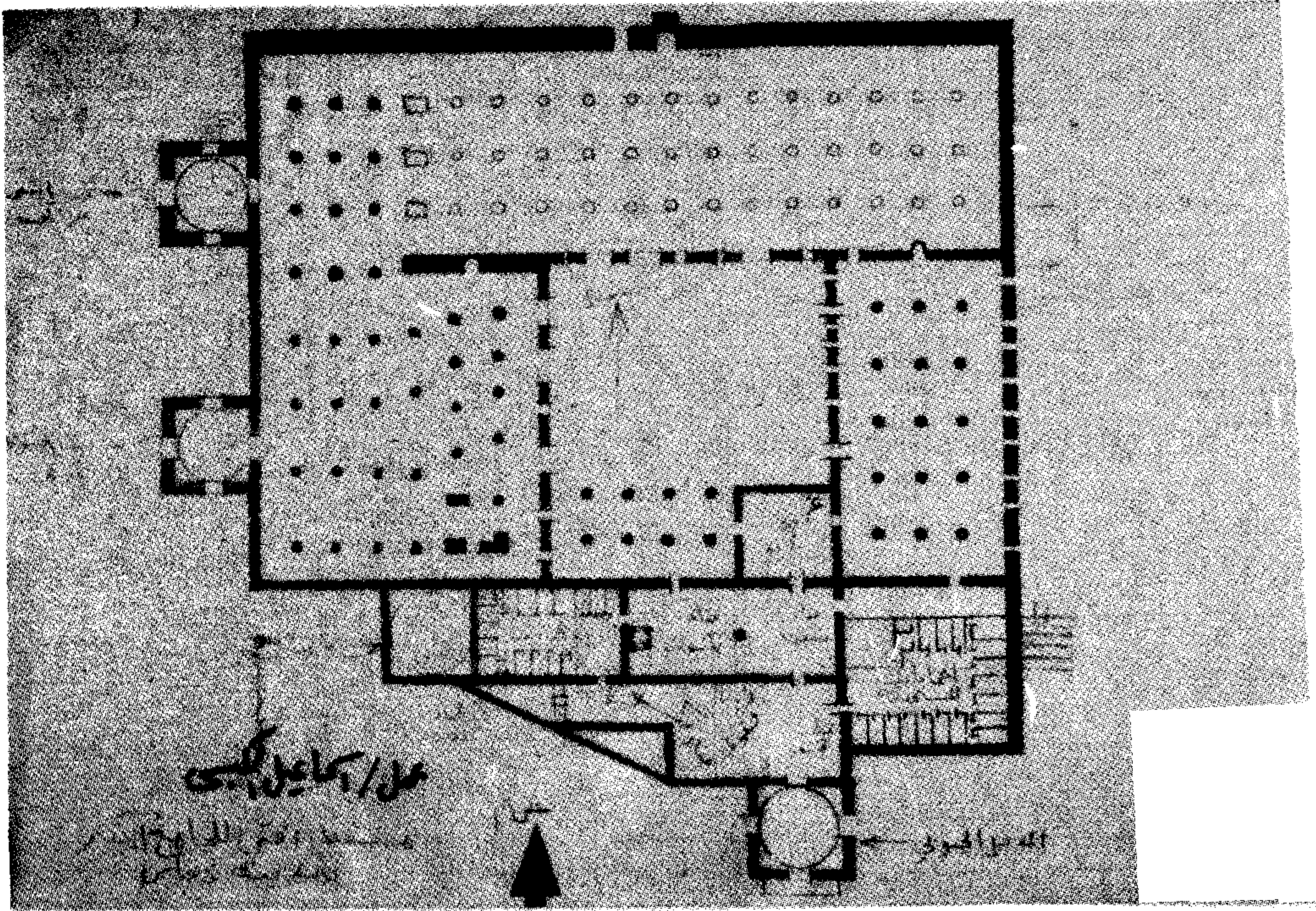
شكل ٢ : المسقط الأفقى للجامع الكبير بصنعاء – Serjeant .



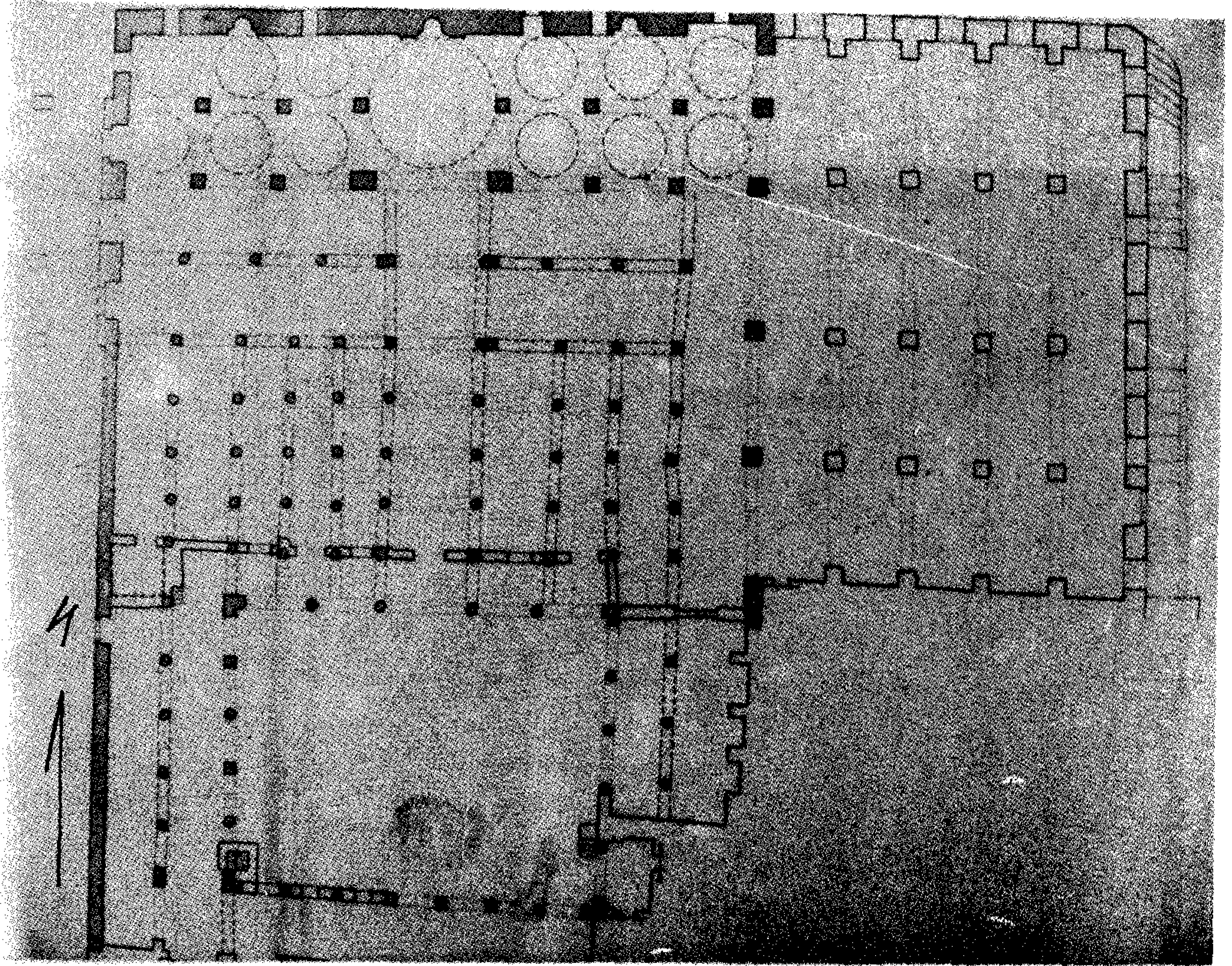
شكل ٣ : المسقط الأفقى للجامع الكبير بشبام كوكبان Barbara Finister



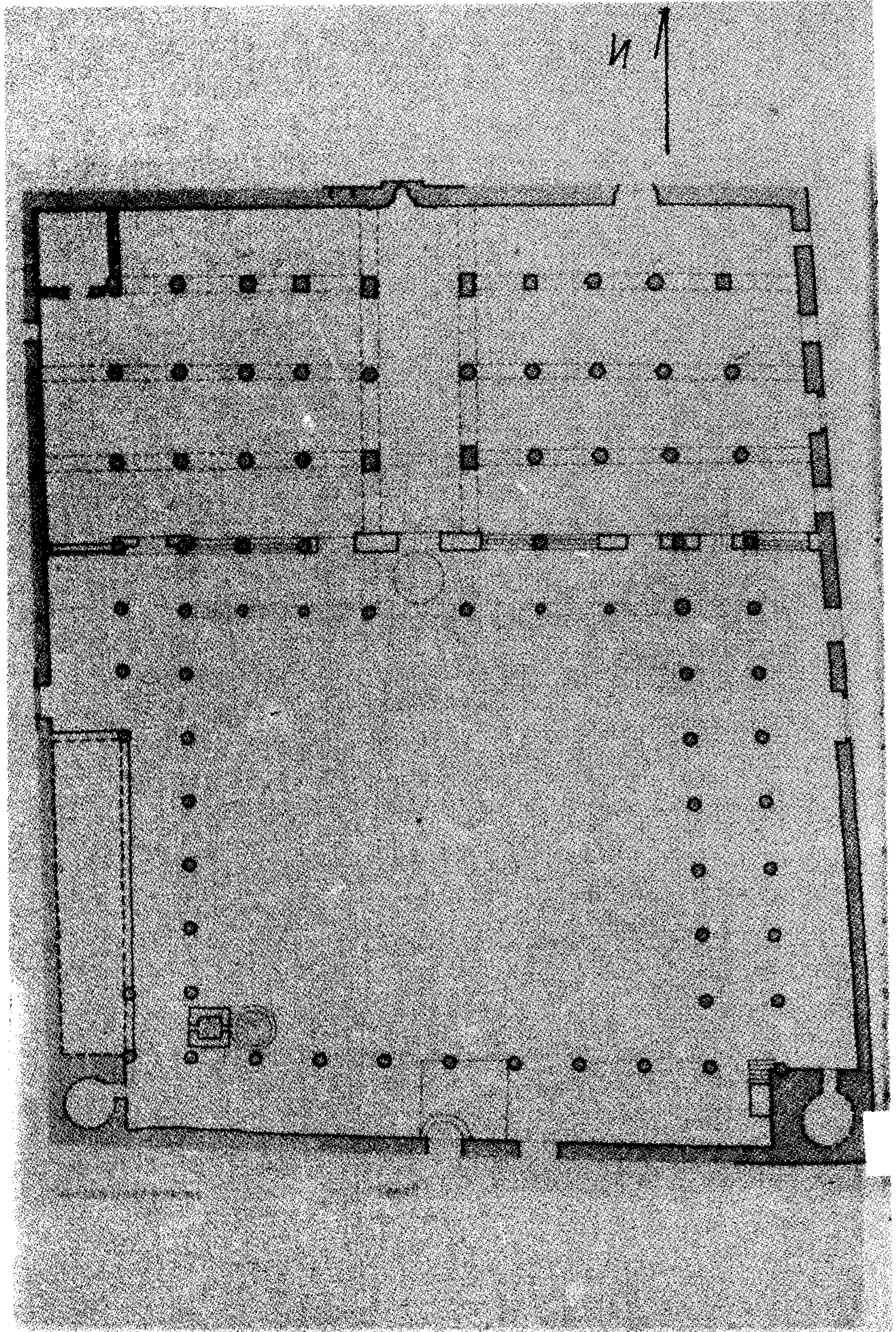
شكل ٤ : المسقط الأفقى للجامع الكبير بزبيد « هيئة الآثار اليمنيه » .



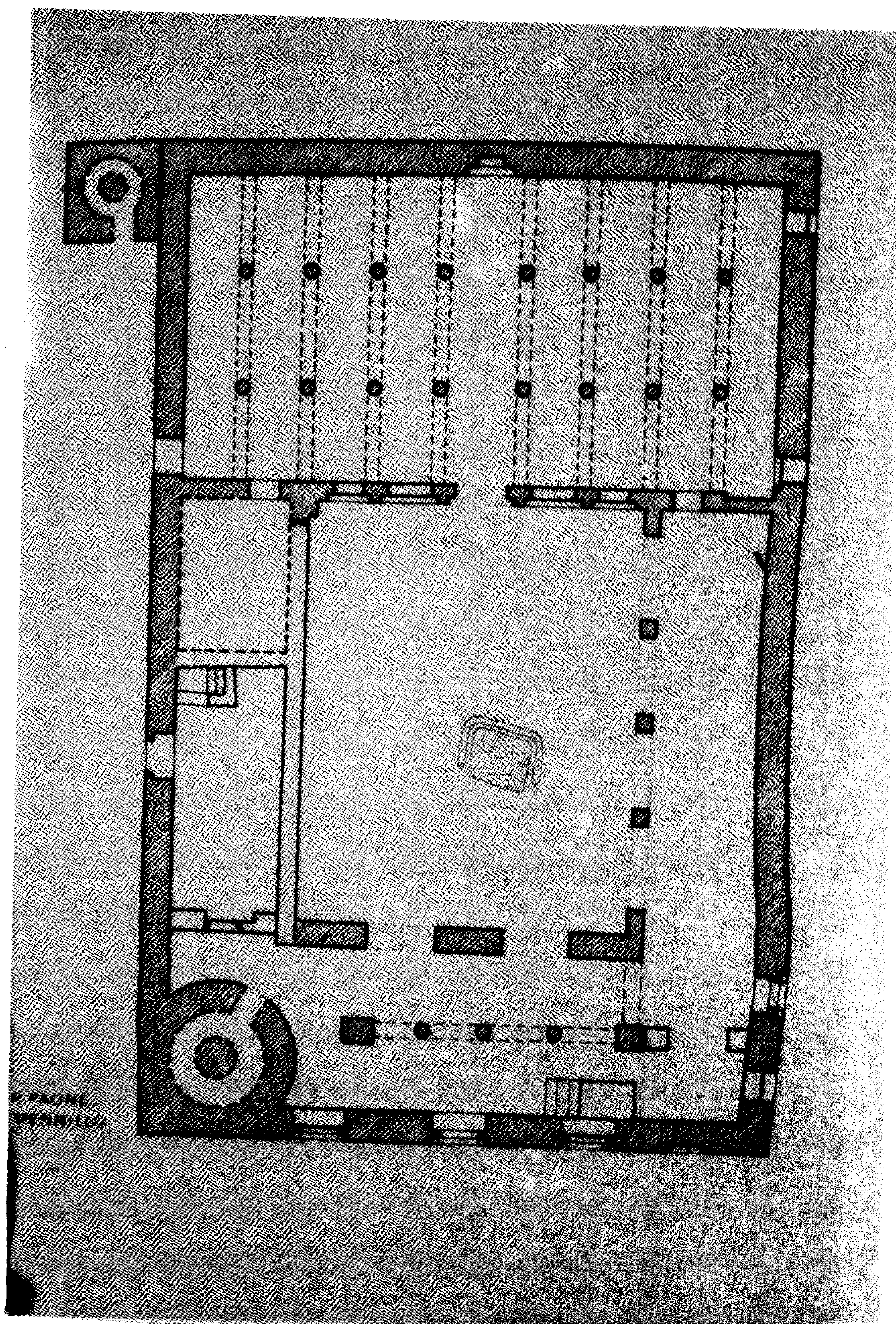
شكل ٥ : المسقط الأفقي للجامع الكبير بذمار (كروكي مبدئي)



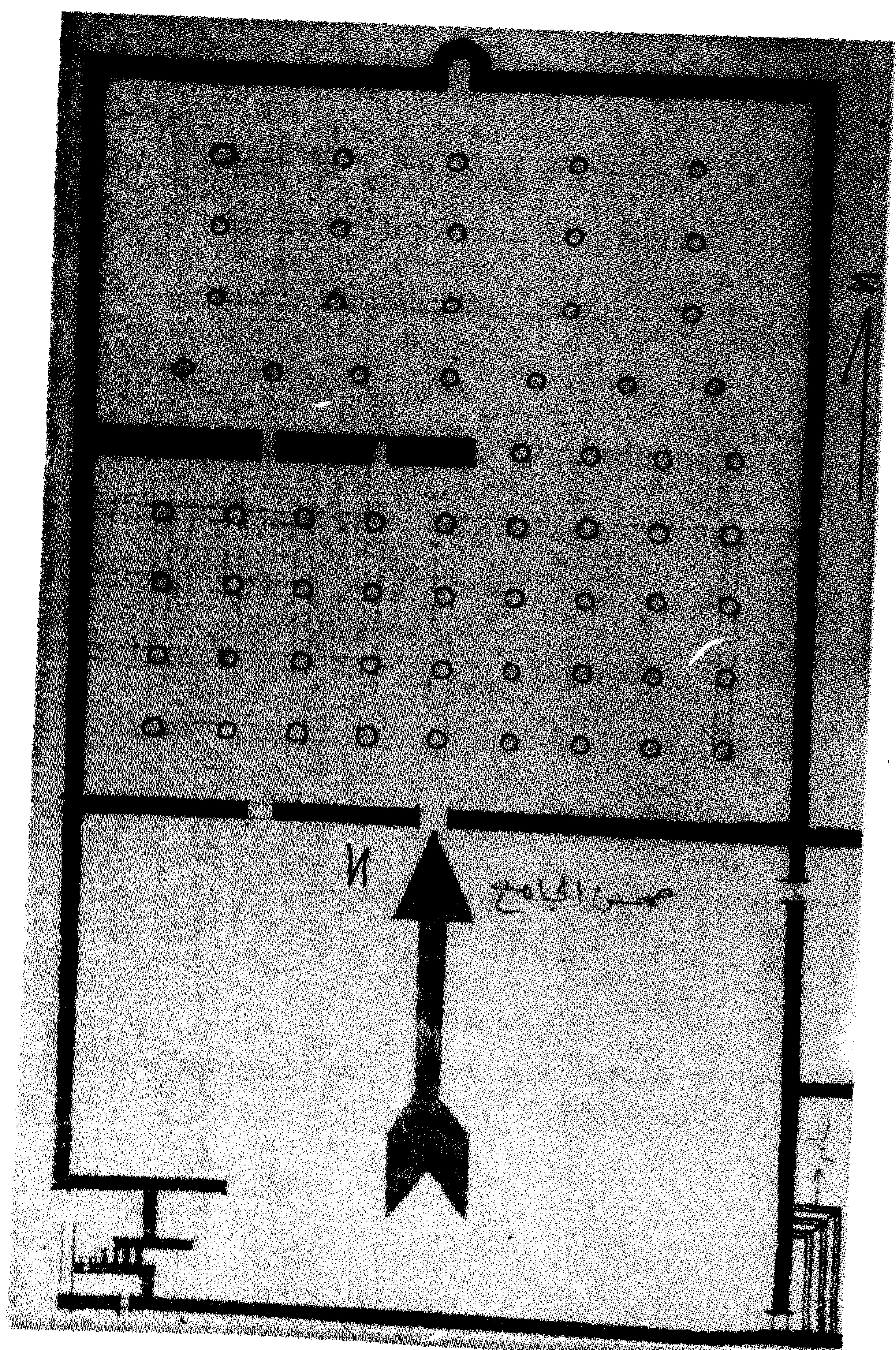
شكل ٦ : المسقط الأفقى للجامع الكبير فى مدينة إب Barbara Finister .



شكل ٧ : المسقط الأفقى لمسجد السيدة بنت أحمد الصليحى Barbara Finister

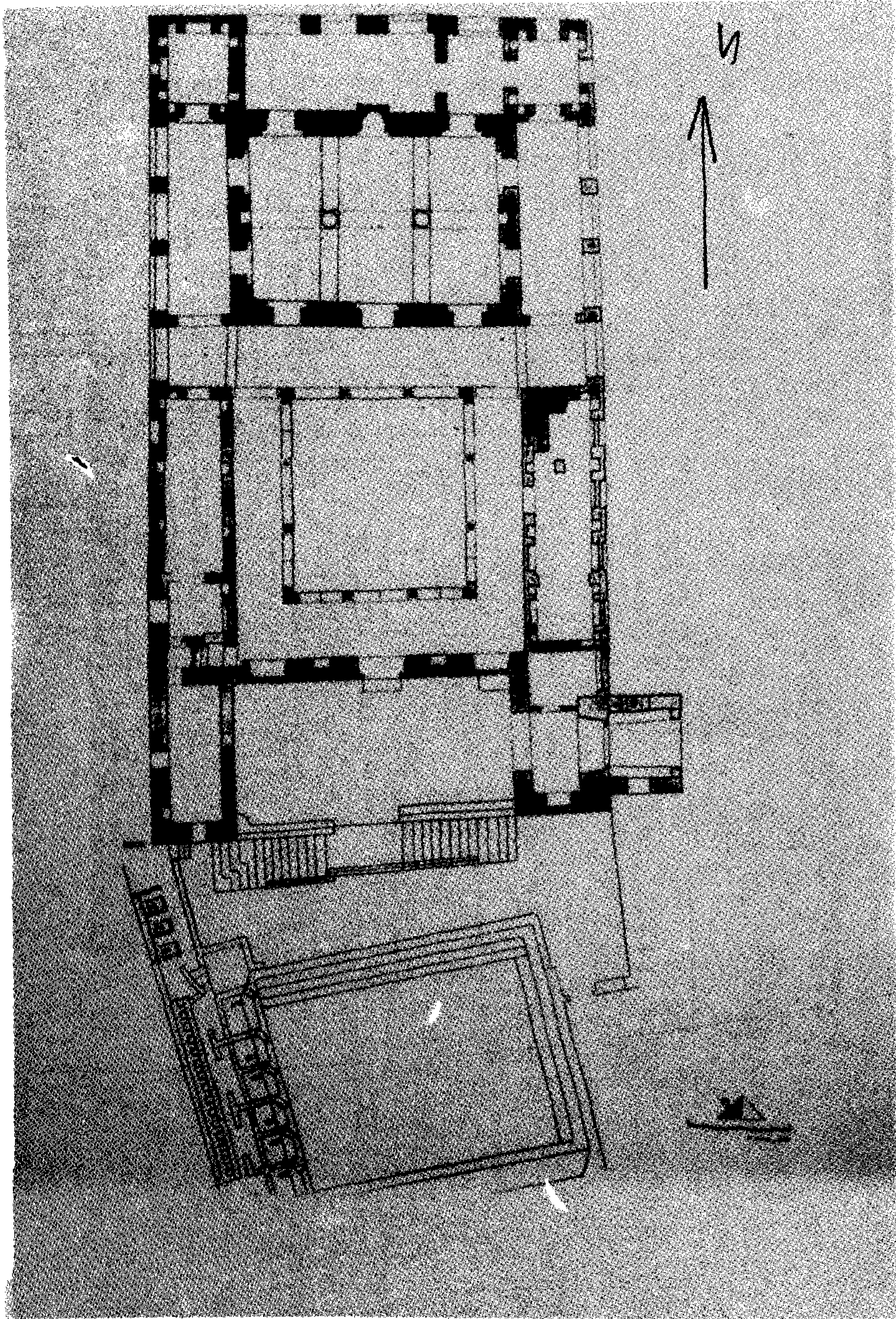


شكل ٨ : تخطيط مسجدى ذى أشرق Barbara Finister

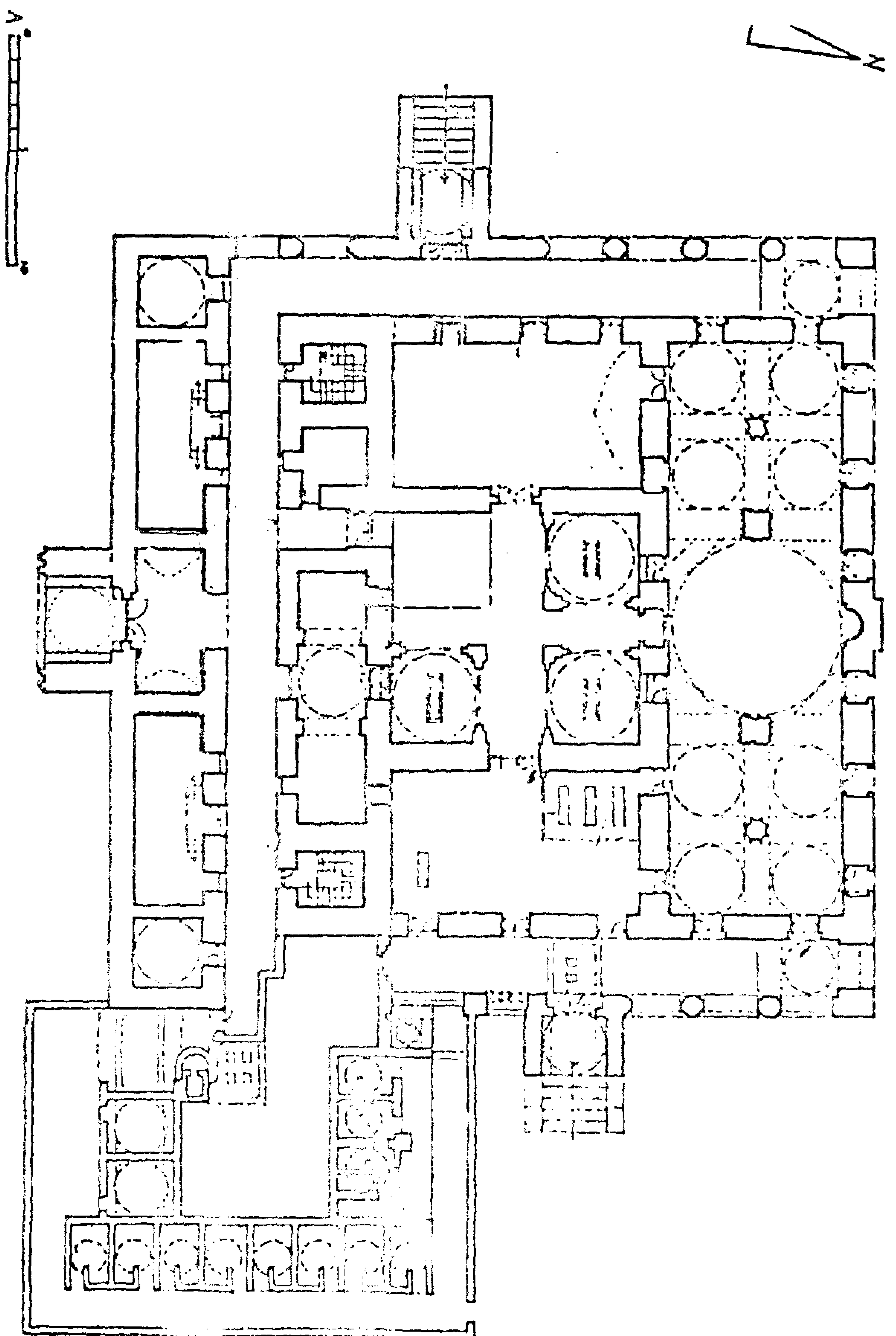


شكل ٩ : مسقط أفقى مبدئى للجامع الكبير بثلا .

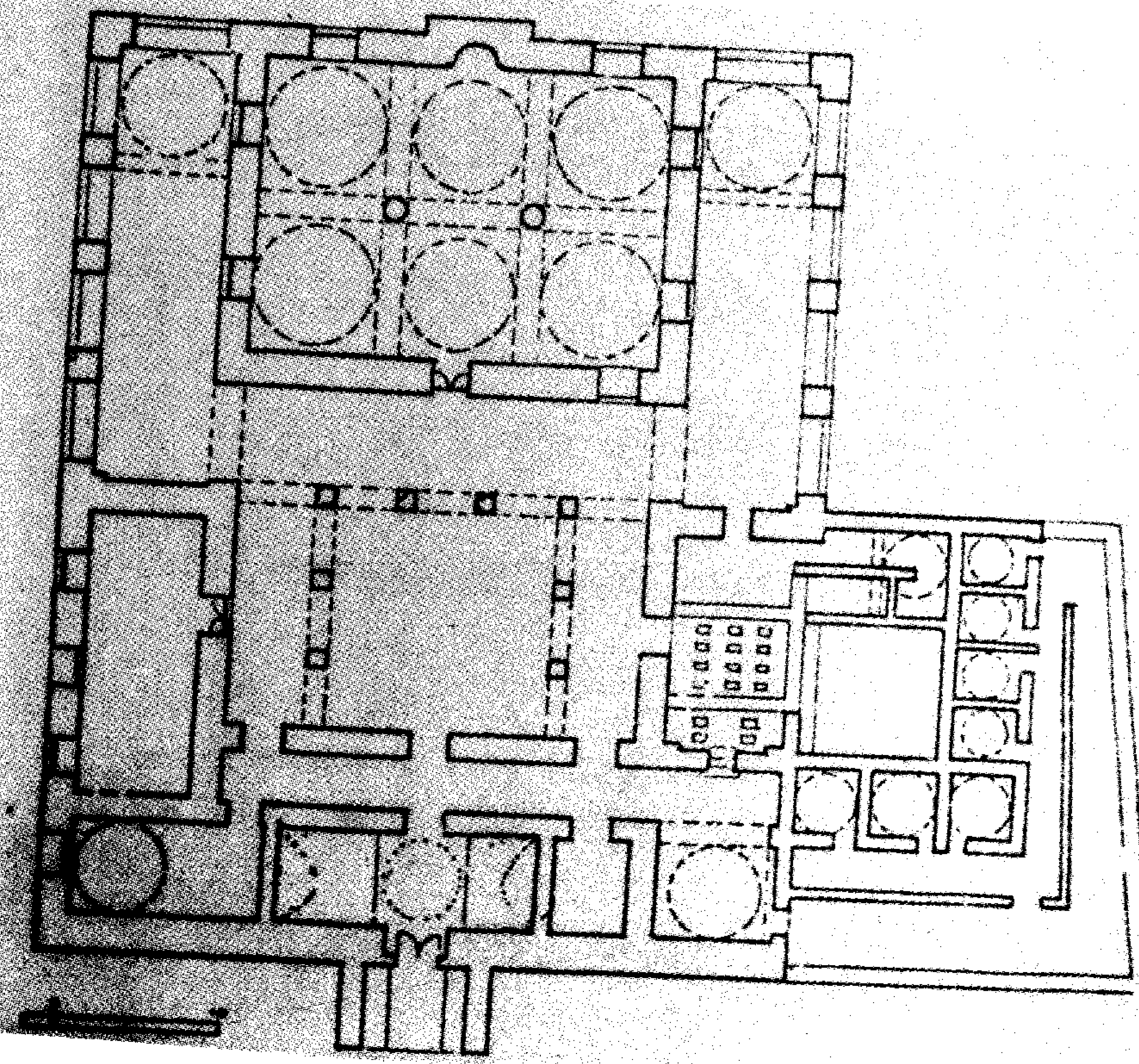
شكل ١٠ : مسقط أفقى مبدئى لمسجد صلاح الدين بصنعاء .



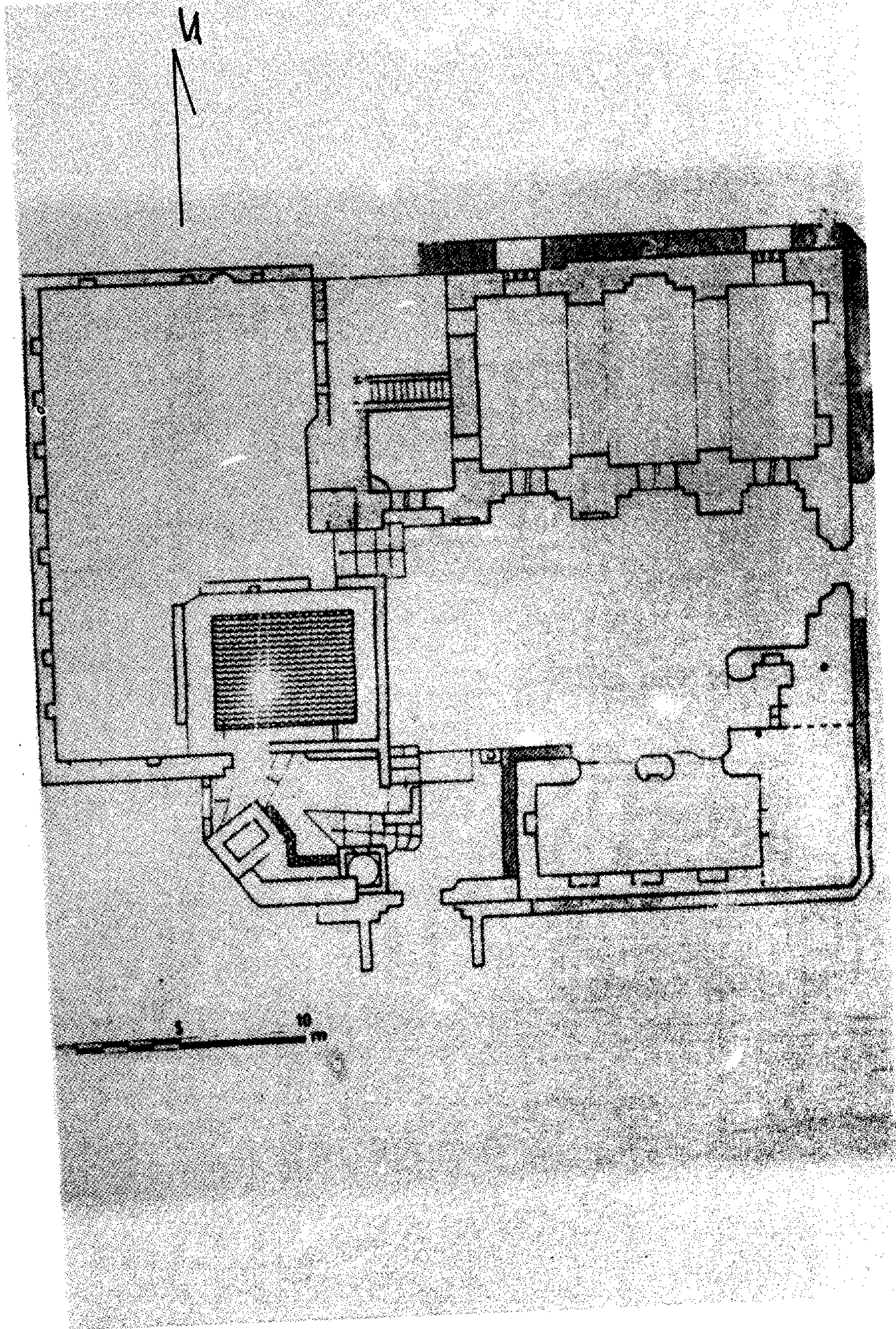
شكل ١١ : مسقط أفقى للمدرسة العامرية برداع « هيئة الاثار اليمنية »



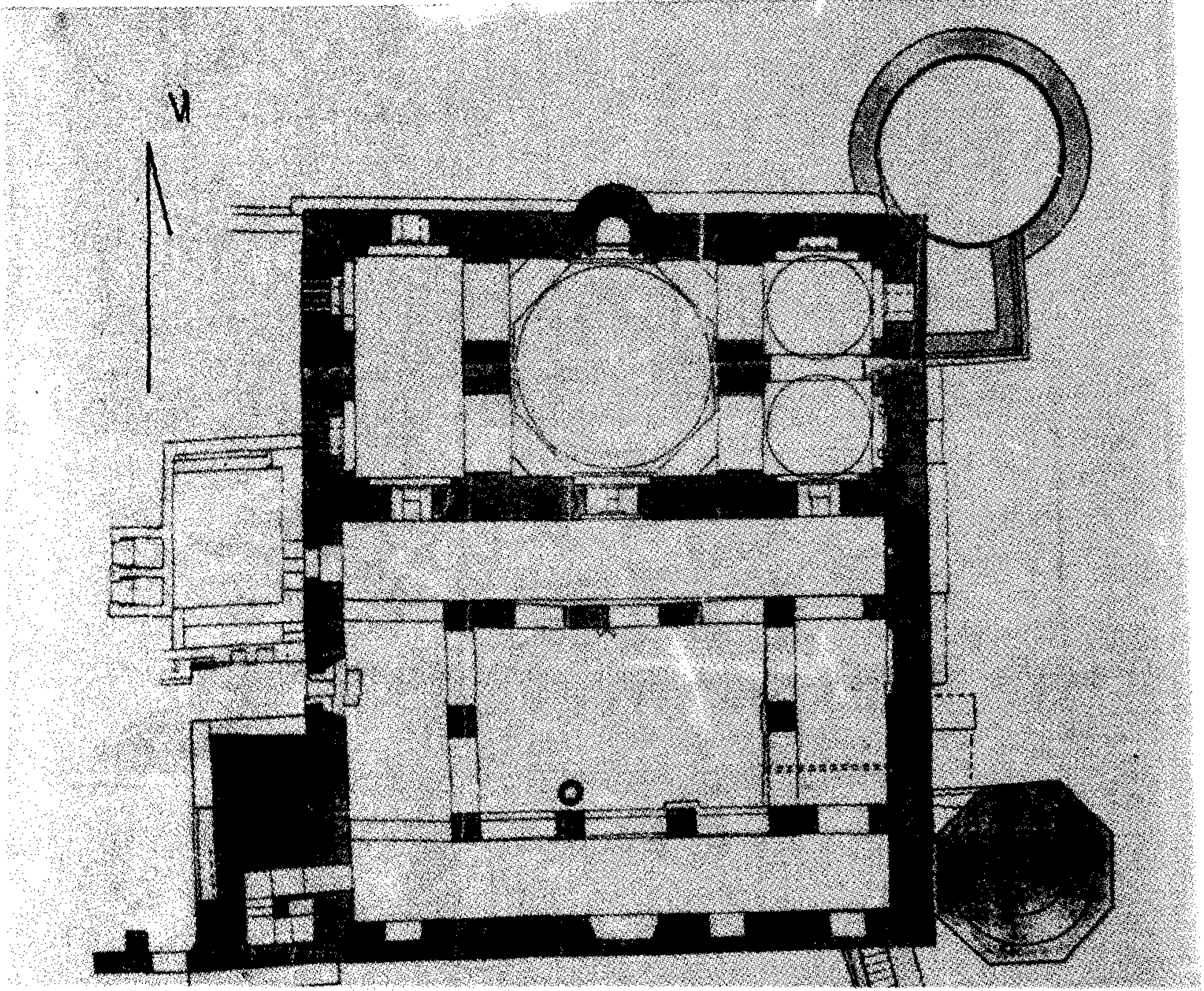
شكل ١٢ : مسقط أفقي للمدرسة الأشرفية بتعز « هيئة الآثار اليمنية » .



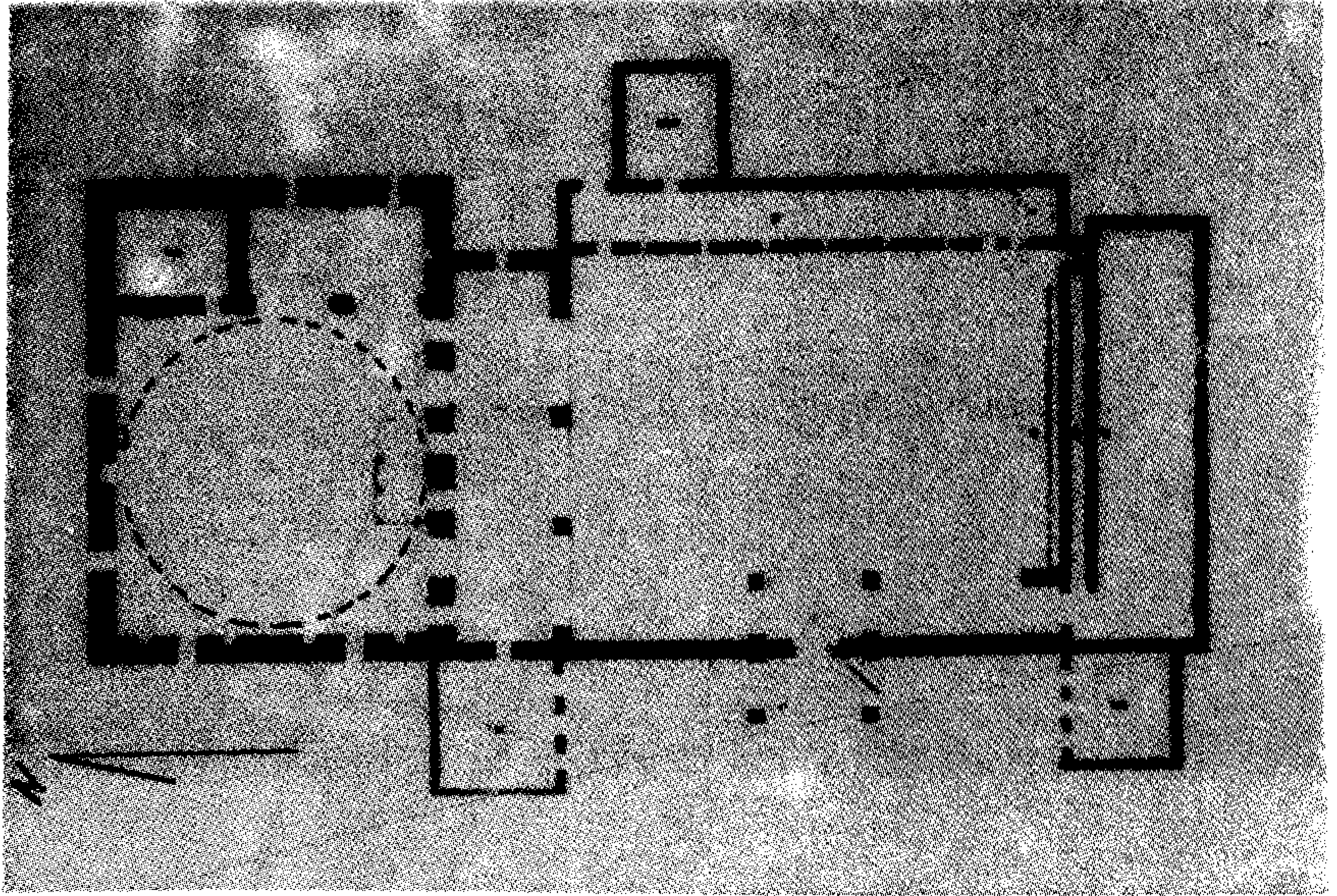
شكل ١٣ : مسقط أفقي للمدرسة المعتبية بتعز « هيئة الاثار اليمنية »

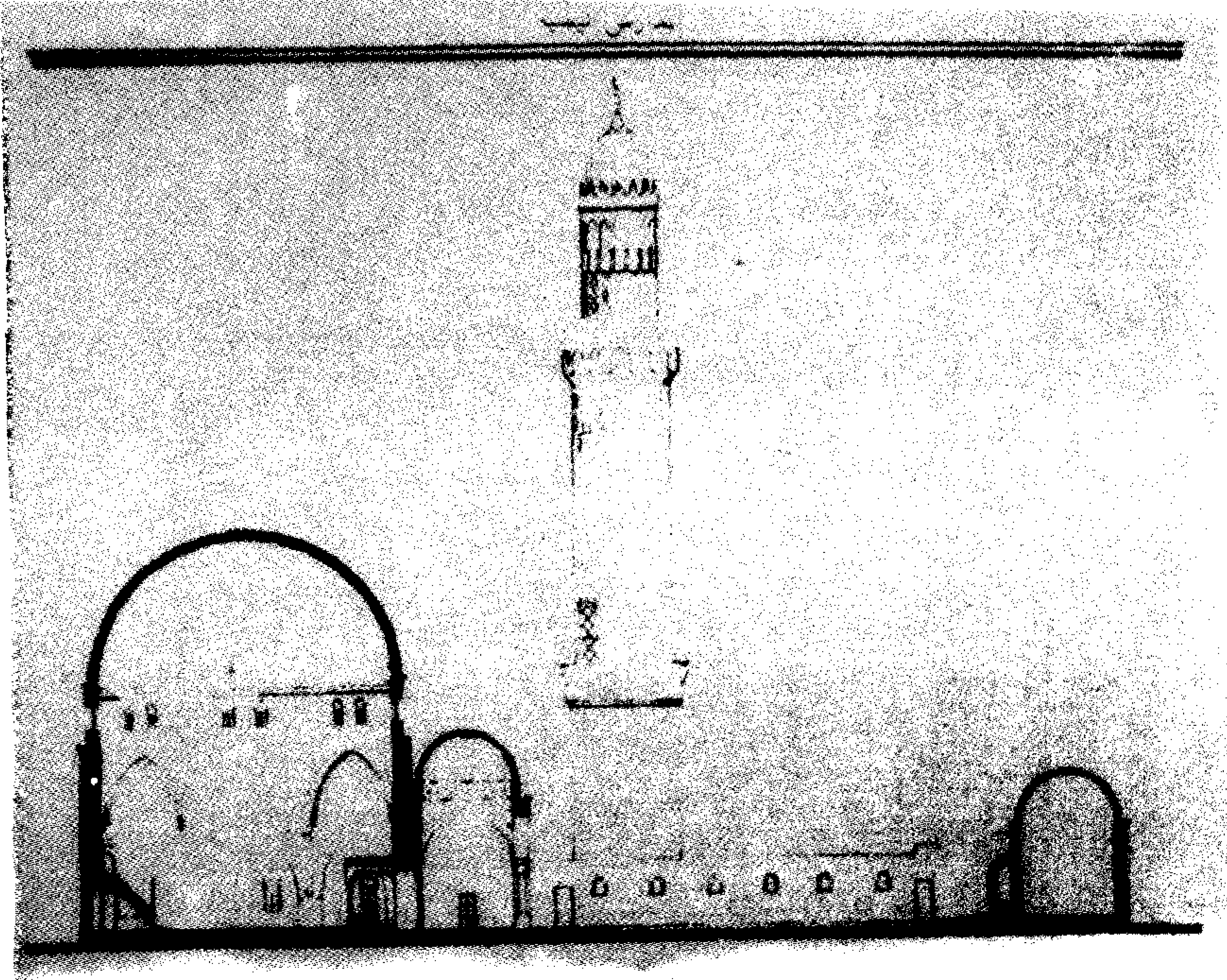


شكل ١٤ مسقط أفقى للمدرسة الجبرتية بزبيد - هيئة الآثار اليمنيه .

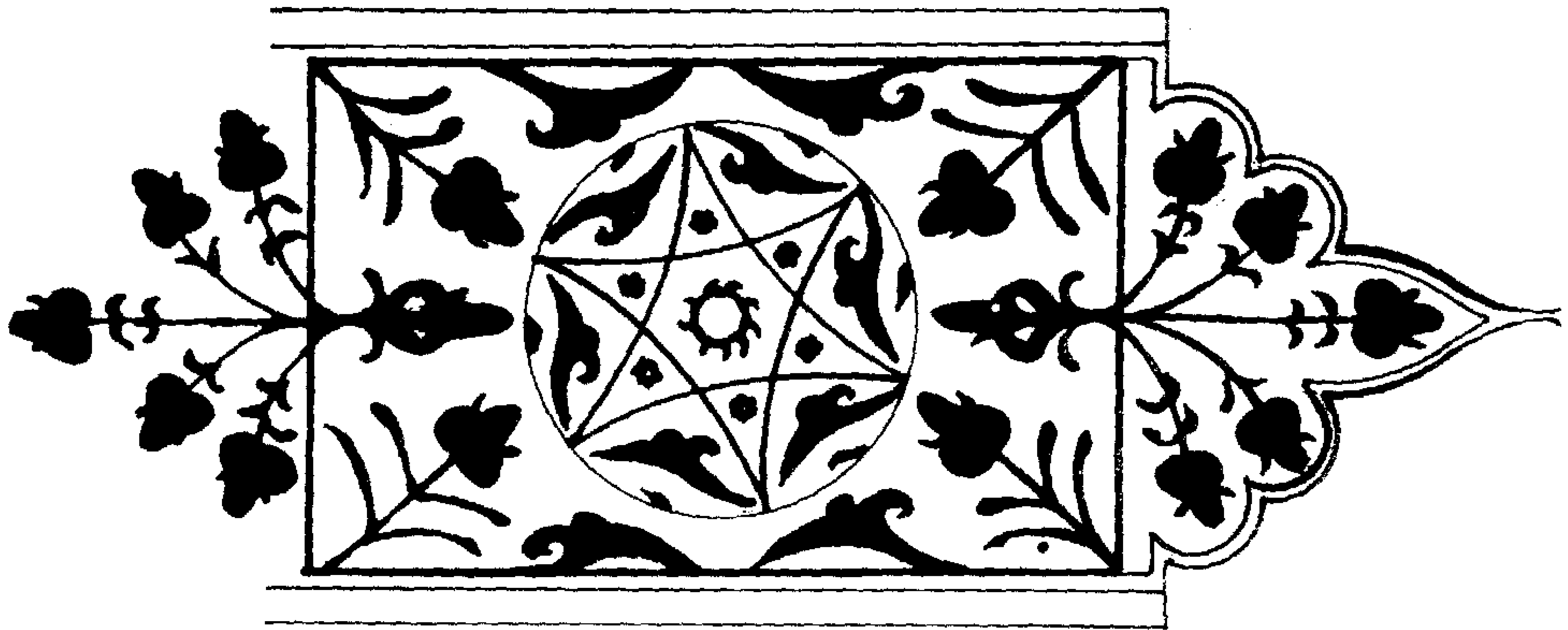


شكل ١٥ مسقط أفقى للمدرسة السكندرية بزبيد - هيئة الآثار اليمنية .

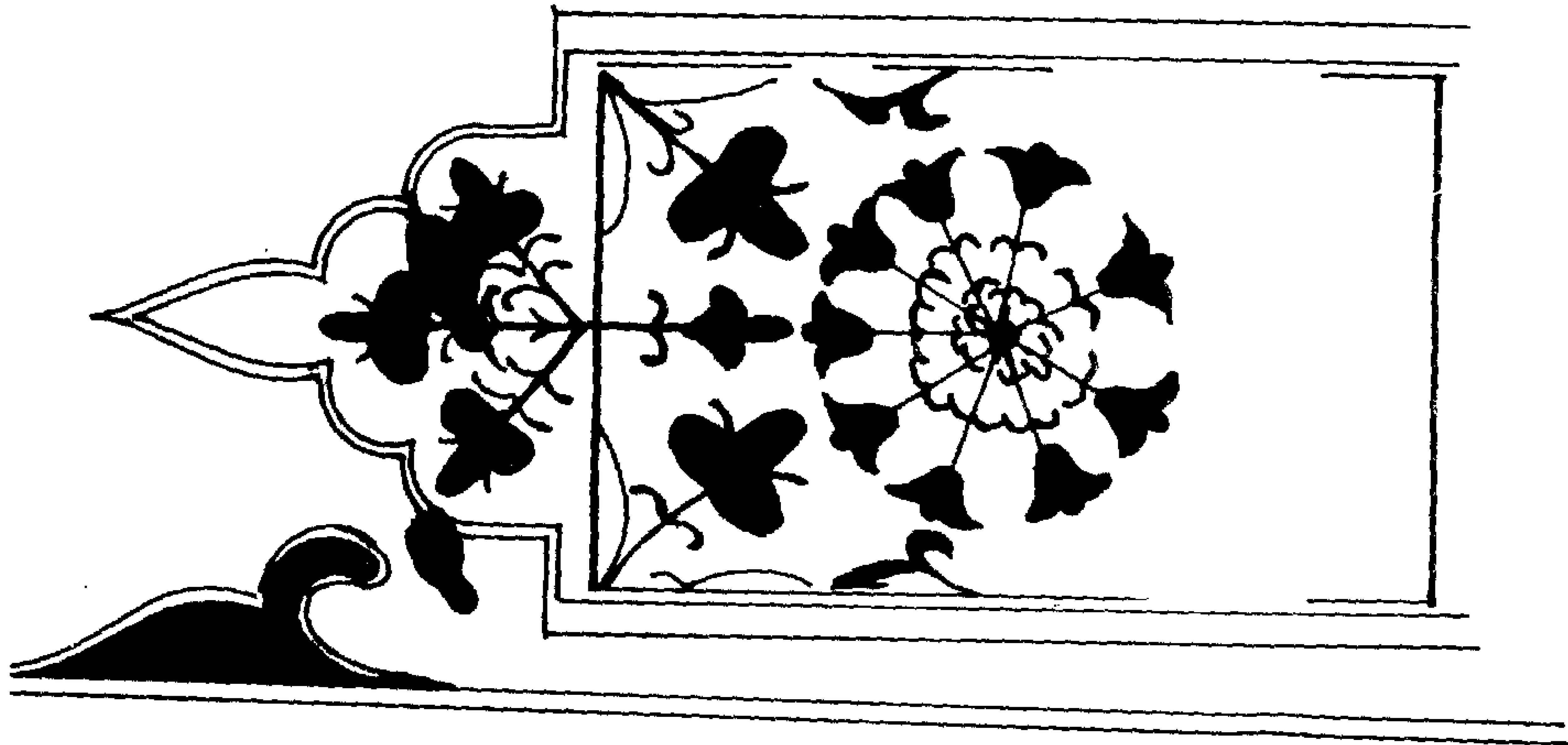




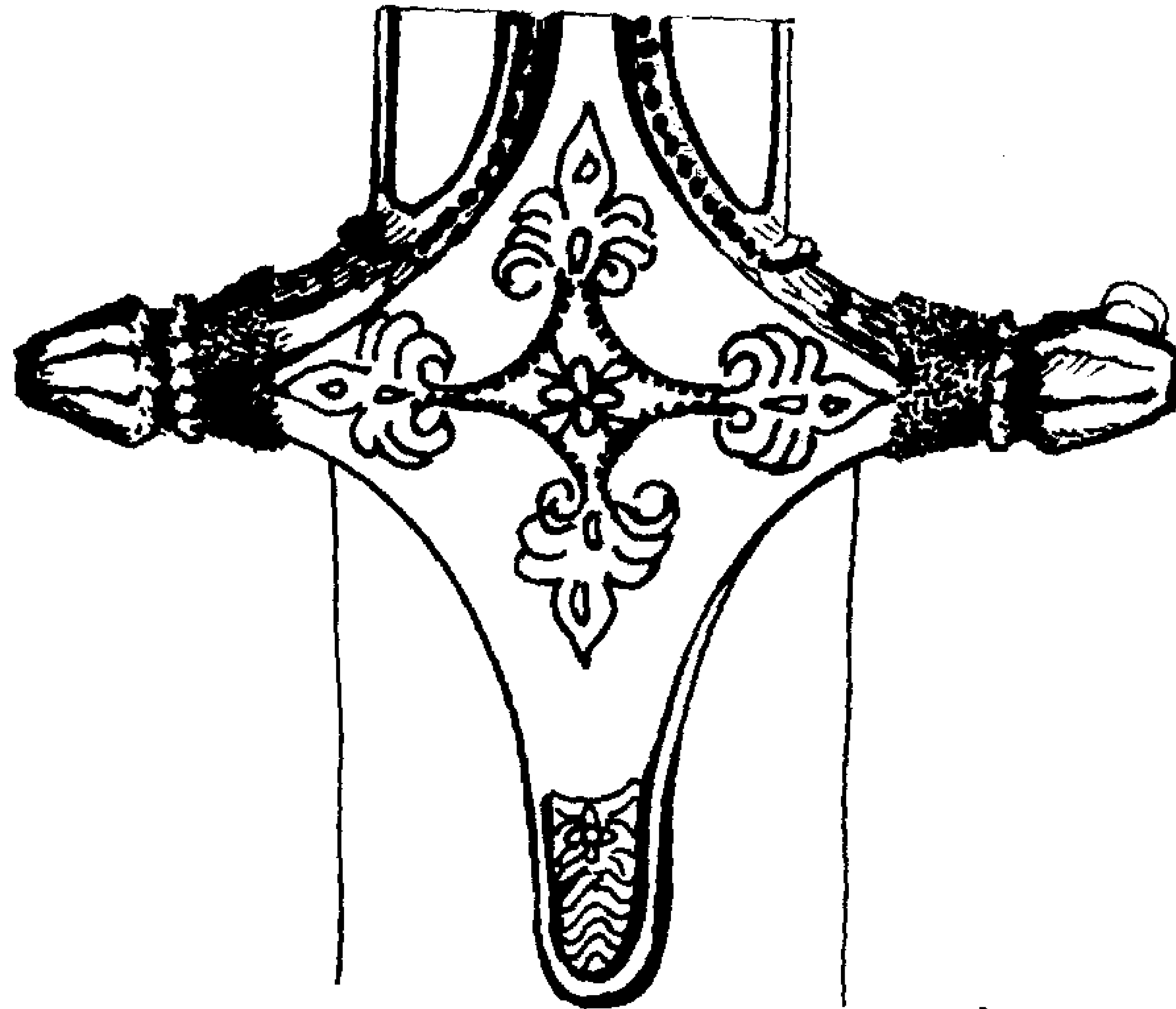
شكل ١٦ : المسقط الأفقى للمدرسة البكيرية - Serjeant .



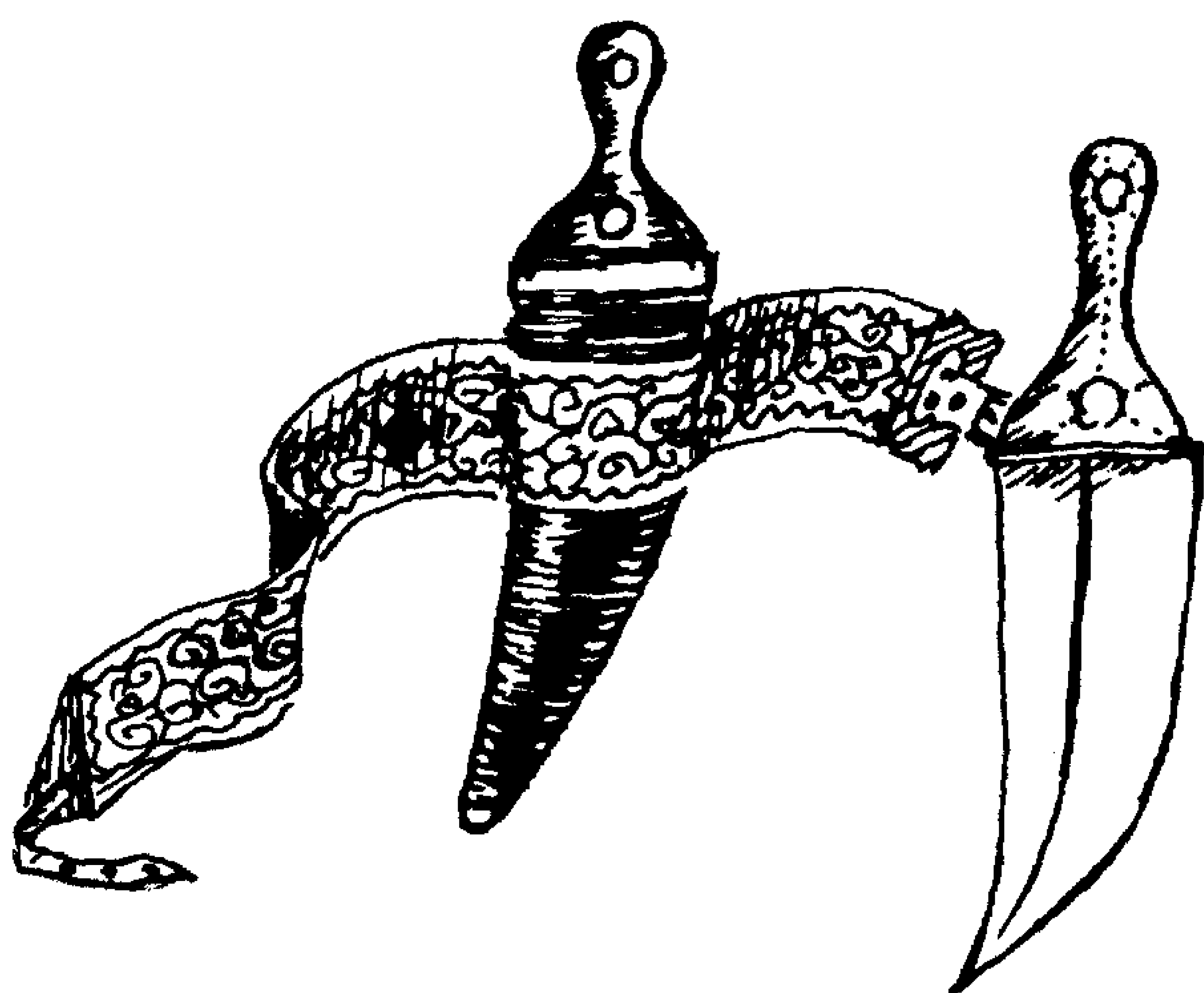
شكل ١٧/أ زخارف نباتية وهندسية مفرغة على نصل السيف رقم ١ .

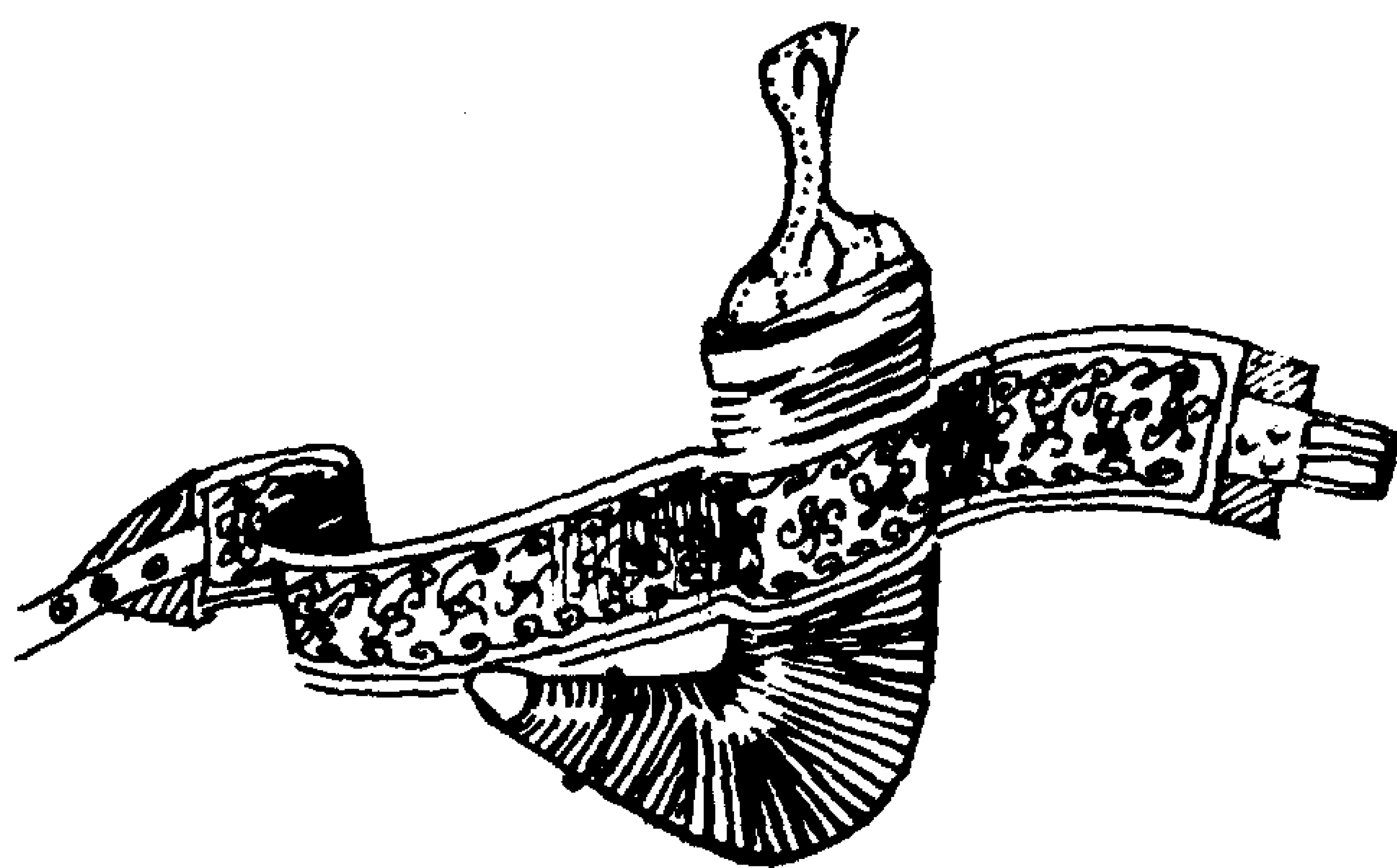


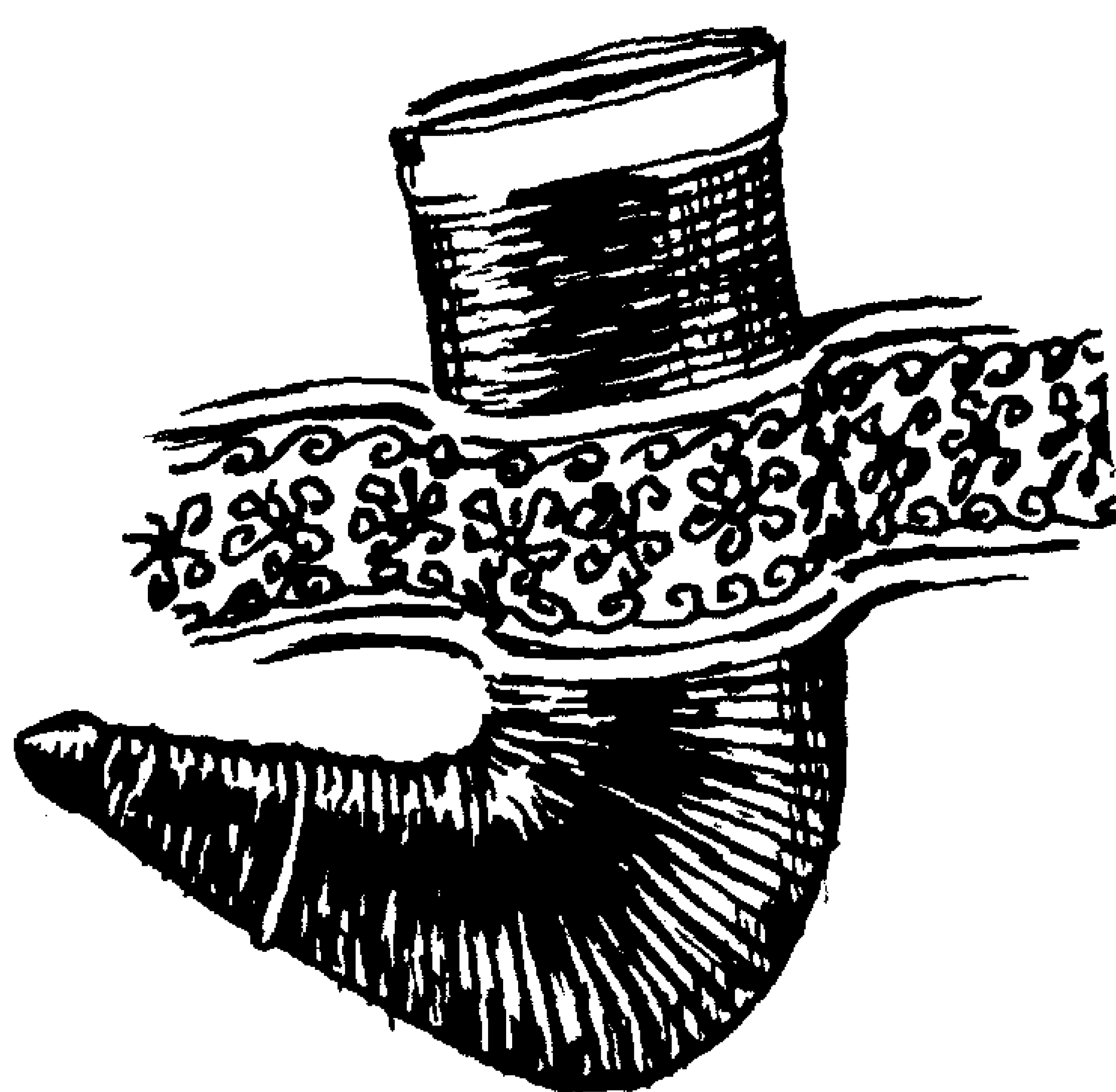
شكل ١٧/ب زخارف نباتية مفرغة على نصل السيف السابق .



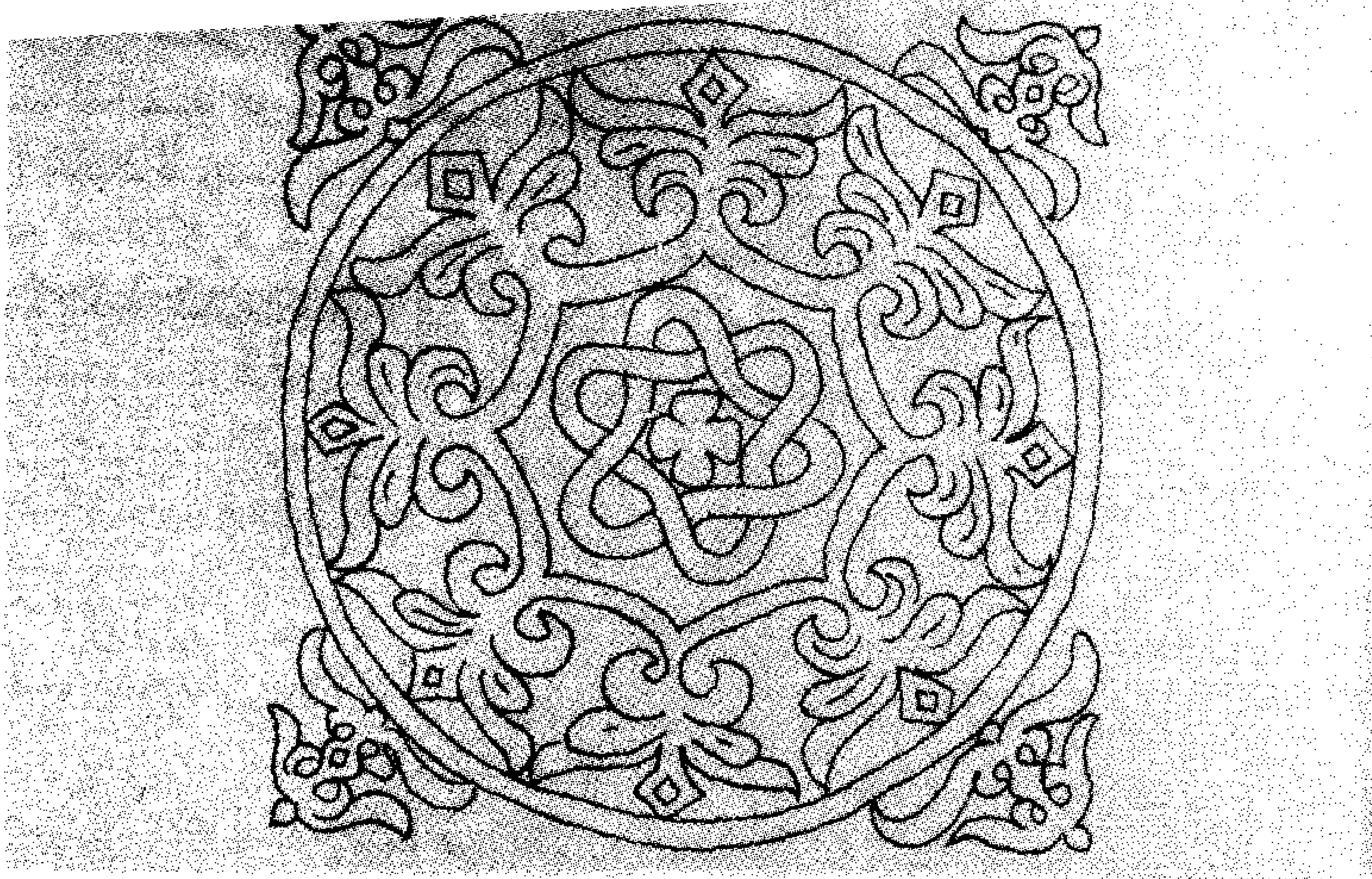
شكل ١٧/ج زخرفة واقية السيف رقم ٢ .

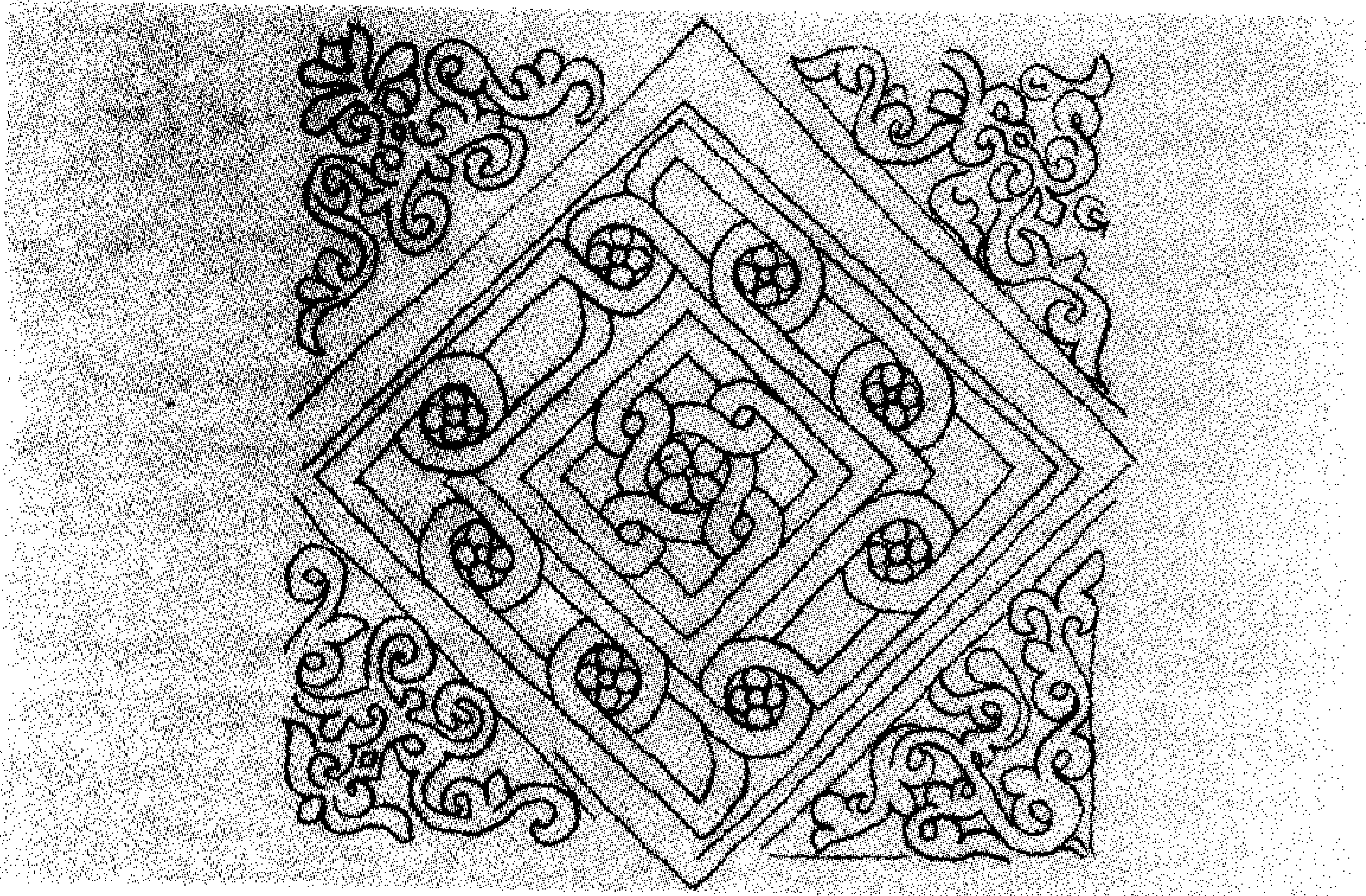


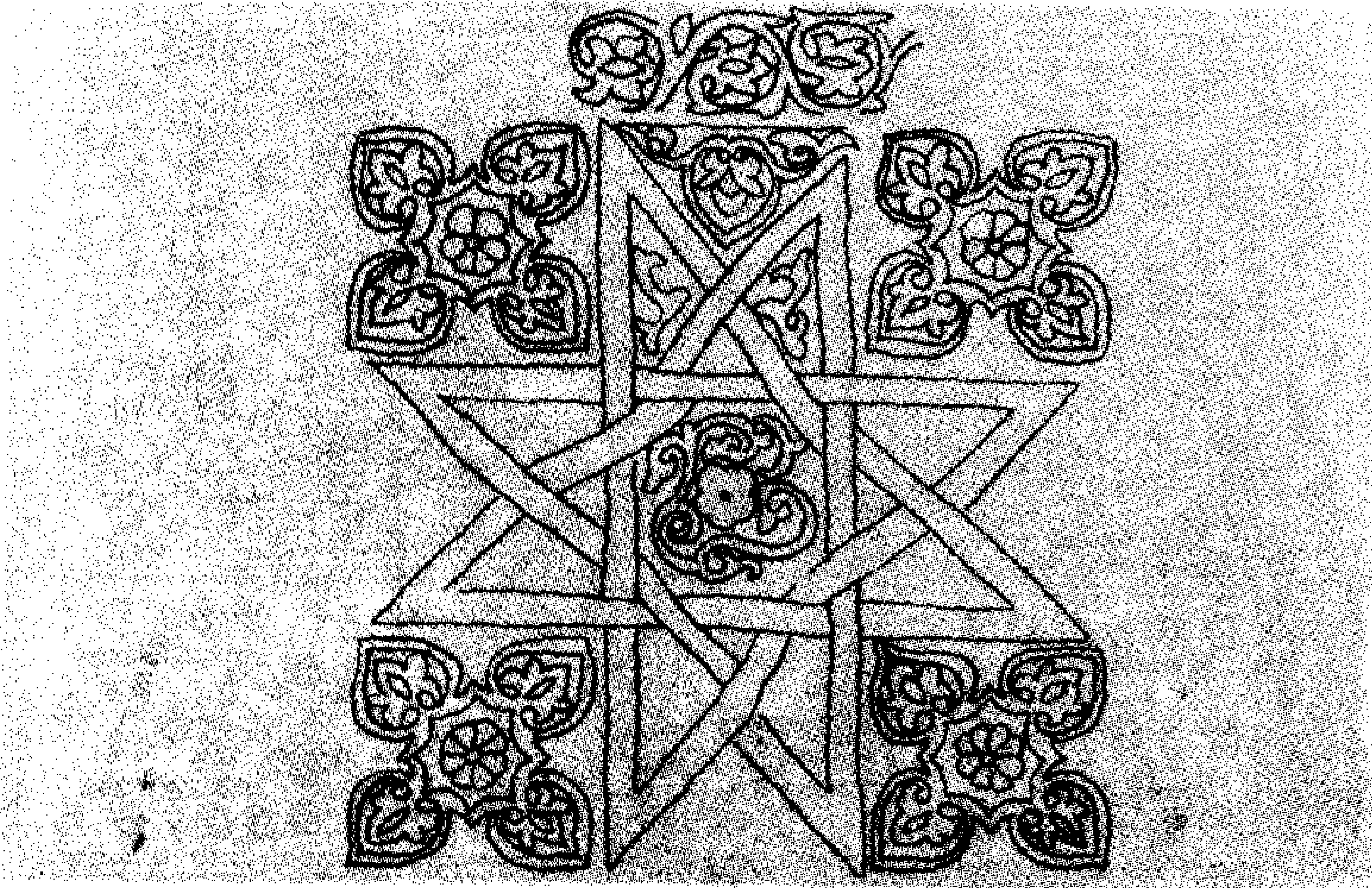




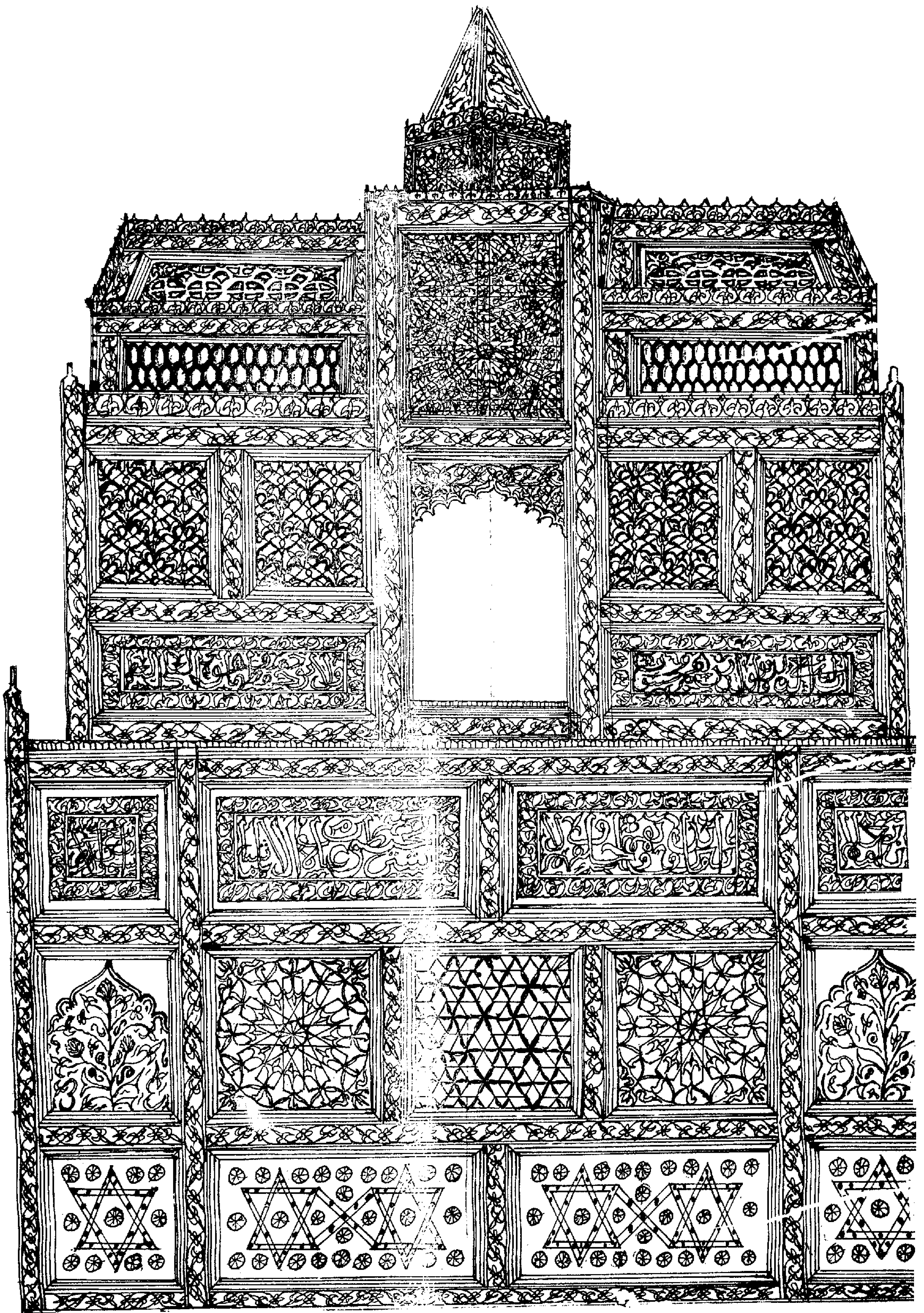
شكل ١٨ : نماذج مختلفة من شكل الجنبية اليمنية وغلافها







شكل ١٩ : زخارف بعض المصندقات الخشبية فى جامع ذو أشرق والجامع الكبير فى مدينة إب .



شكل ٢٠ : رسم مفرغ للواجهة الشمالية لتابوت جامع الأبهر بصنعاء (عمل عبد الكريم البدوى) .

فهرس اللوحات

الجامع الكبير بصنعاء :

جامع الجند بتعز :

الجامع الكبير فى شبام كوكبان :

الجامع الكبير بزبيد :

مسجد ذى أشرق

الجامع الكبير بثلا

جامع المدرسة بثلا

قبة الهادى بثلا

مسجد صلاح الدين بصنعاء

فهرس الأشكال

فهـرس

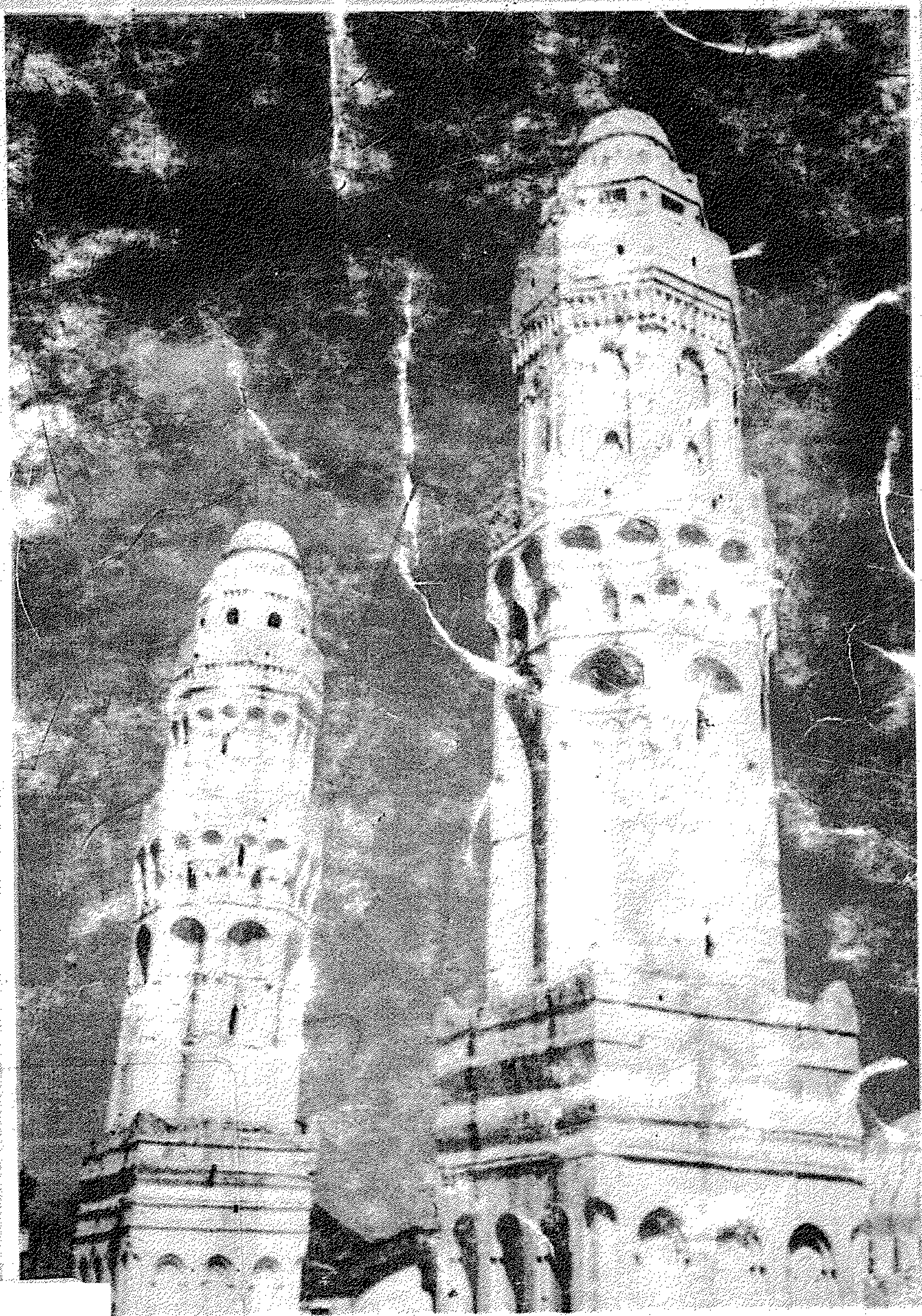
الموضـوع | الصفحـة

رقم الإيداع ٩٢٠٢ / ١٩٨٧

تنفيذ

وكالة اسكرين SCREEN

٥٥ ش السلام - كيت كات ت : ٣٤٥١١٣٦



SCREEN